

المجلد الرابع

الجزء الثاني

(١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد





المجلد الرابع

الجزء الثاني

(١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد



آلتون كوپرو ـ الجسر الذهب

(١)

بعض القصص المتداولة عن وجه تسميته

لقد شغلت تسمية « قنطرة الزاب الأسفل » بـ « آلتون كوپرو[1] » بالَ الناس ، فوضعوا عدة فرضيات ، ونسجوا حول ذلك قصصاً سأذكر بعضها .

وأبدأ برواية ما ورد في « دائرة المعارف الإسلامية » عن هذا الموضوع ؛ يقول كاتب « آلتون كوپرو » فيها :

« إن الاسم التركي « آلتون كوپرو » (الجسر الذهب) لا يمكن أن يكون قد انبثق من أجور العبور التي كانت باهظة من غير شك في الأيام الخالية ، كما قد خُمن ، بل من المحتمل أن يكون قد جاء من « آلتون صو » (الماء الذهب) ، وهو الاسم الحقيقي لمجرى الزاب الأعلى ؛ فيكون تعبير « آلتون كوپرو » في هذه الحال اختصاراً لـ « آلتون صو كوپروسو » (جسر النهر الذهب) »

وورد في كتاب « تاريخ العراق بين احتلالين » للأستاذ عباس العزّاوي تحت عنوان (قنطرة الذهب) أو (آلتون كوپرو) : « (أنها) تقع على نهر الذهب (آلتون صوي) » . قال : « والزاب : يظهر أن أصله « الذهب » ، فلحقه التصرف باللفظ ، وسمي « نهر الذهب » ، وقنطرته عرفت به . ومنهم من يقول : إن أصل اسمه (زي) . وزي آب ، أو زاب : تعني نهر زي بالكردية وزي بار ، أو زيبار : العشيرة التي تسكن جانباً منه ، الا أن التسمية بـ (آلتون صوي) و (آلتون كوپري) ترجمة نهر الذهب وقنطرته ، وكان قديماً يقال له (نهر

(١) « آلتون كوپرو » : اسم تركي ، معناه (الجسر الذهب) ، كما يقال : « آلتون قلم » أي (القلم الذهب) ، أو « آلتون ايكنه » أي (الإبرة الذهب) .

الذهب [1]) » .

ونقول : إن اسم « الزاب » لم يكن أصله من « ذهب » ، وإن كلمة « زي » باللغة الكردية ليس معناها (النهر) إطلاقاً ، وإنما هي أسم خاصّ لـ « نهر الزاب » ثم إن أسم « زيبار » ليس أسم عشيرة ، وانما هو أسم منطقة ، والعشيرة التي تسكن فيها سميت بـ « زيباري » .

أما كلمة « زيبار » ، فمعناها (أرض متصلة بنهر الزاب) ؛ كما أن كلمة « زريبار » — وهي أسم البحيرة الواقعة على بعد زهاء ستين كيلو متراً شرقيّ السليمانية — ممناها (الأرض المتصلة بالبحر [2]) ؛ وتقابلها بالفارسية الحديثة كلمة « دريا بار » وتسمى الأرض المجاورة للنهر باللغة الايرانية « رود بار » ، وبالاغريقية « پارا پوتاميا Para-Potamia » الأسم الذي عرفت بـه منطقة الفرات الأوسط . ومعنى « روبار » باللغة الكردية الحالية « النهر » . ولا بد لنا أن نذكر أيضاً أن منطقة (زيبار) ليست واقعة على الزاب الأسفل كما أعتقدَ الأستاذ المزّاوي ، الزاب الذي يسميه الأكراد اليوم « زيّى كويه » (زاب كويسنجاق) ، وهو الزاب الذي تقع عليه قرية « آلتون كوپرو » ؛ وانما تقع هذه المنطقة على الضفة اليمنى لنهر الزاب الأعلى الذي يسميه الأكراد بـ « زيّى بادينان » أي (زاب بهدينان) .

وفي رواية أن القنطرة المسماة بـ « آلتون كوپرو » بنيت في أثناء حملة السلطان العثماني مراد الرابع على بغداد (١٠٤٩ هـ) ؛ وسميت أيضاً « نامرد كوپروسو » أي (قنطرة النذل) ، وقد نسجت في تأويل هذا الأسم الغريب قصة مختلقة ، وهي :

« أن هذه القنطرة بناها أحد قواد السلطان ، وكان السلطان قد أمره أن يلتحق بمارك محاصرة بغداد ، ولكن القائد بدلاً من أن يذهب للقتال شغل نفسه بإنشاء هذه القنطرة وإكمالها . ويظهر أنها كانت تبعث الاعجاب في نفوس الناس ، وأنهم أغتبطوا بهذا العمل . فلما بلغ السلطان القنطرة في طريقه الى بغداد ، قابله القائد ليخبره عن الخدمة المفيدة التي قدمها له ،

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ٥ ١٩٤

(٢) « زرى » : من الكلمة الآفيستية « Zraya » ، ومعناها (البحر) ، تقابلها بالفارسية القديمة « Drāya » ؛ و « بار » : من الكلمة الآفيستية « Pāra » ومعناها (طرف)

وهي إنشاء هذا الجسر في طريق مواصلات الجيش ، ولـكن السلطان الذي كان ساخطاً عليه لعدم مشاركته في القتال ، قال له : « سن نامرد بر آدمسك ؛ بز بر نامردك كوپروسندن كچمه يز » أي (أنت رجل نـذل ، ونحن لا نعبر على قنطرة رجل نـذل) ثم أمر الجلاد فقطع رأسه فوراً ، ونهى جنده أن يعبروا على قنطرة النذل (نامرد كوپروسو) هذه ، وان كان في ذلك خطر الغرق

وقد خلدت ذكرى هذه الحادثة المزعومة في هذه الرباعية من الـ « قوريات » :

سوسني ،
سنبل سني ، سوسني ؛
گيچمه نامرد كوپرو سندن ،
قوي آپارسن صو سني .

وترجمتها :

ياسوسنتي ،
أنت برعمة ، ياسوسنتي ؛
لا تعبري على جسر النذل ،
دعي المياه تأخذك

والقصص كثيراً ما تبنى مباشرة على حوادث تاريخية ؛ ولـكن يظهر أن هذه القصة بنيت على مثل شعبي قديم ، وأسندت الى حادثة تاريخية هي مرور السلطان مراد الرابع بـ « آلتون كوپرو » في طريقه الى بغداد لفتحها [1] . والمثل يرمي الى تجنب منة الأنذال ، ويوصي بالامتناع عن العبور على جسر اذا كان صاحبه نذلاً ؛ فالمجازفة بالحياة أفضل من تحمل منة النذل

(١) هناك أمثلة أخرى من الـ « قوريات » التي اختلق لها قصص من هذا النمط لتفسيرها ، فهي ليست الوحيدة التي ألحقت بها هذه القصة المكذوبة

وهناك عدد من الـ « قوريات » يعبر بها عن هذا الامتناع ، صورت فيها مواقف حرجة .
والسلطان مراد الرابع ، لم يمر بـ « آلتون كوپرو » حين عودته من بغداد الى الموصل بعد فتحها ؛ لأنه كان قد أختار طريق بغداد — تكريت — الموصل المحاذية لشاطئ دجلة الأيمن . وربما فسر بعضهم أيضاً عمله هذا أستنكافاً منه من العبور على « نامرد كوپروسو » .

— ٢ —

« الزاب » أقدم اسم لهذين النهرين عرف في التاريخ ، ومعناه

إني متفق مع القائلين إن « آلتون كوپرو » أسم منسوب الى « آلتون صويو » ومختصر من « آلتون صو كوپروسو » (جسر آلتون صو) . وكان « آلتون صويو » (النهر الذهب) أسم الزاب الأسفل عند الترك غير أن أسم « نهر الذهب » لم يكن الأسم الأصلي لنهر الزاب كما قلنا آنفاً ؛ لأن أسم « الزاب » ، الذي لم يذكر أحد أصله حتى الآن ، هو أقدم تسمية عرفت في التاريخ لهذين النهرين وأقدم ذكر لها ، ورد في لوح الملك الآشوري « تُكُلْتِ — أُرتَ الأول » (حوالي ١٢٥٠ ق م) المرقم (١٤٩) بأسم « زَبْ شَپْلُ » أي (الزاب الأسفل) ، ثم بعد خمسين وخمس مئة سنة تقريباً في لوح الملك سرجون (٧٢٤ — ٧٠٥ ق م .) ، فقد جاء أسم الزابين في اللوح المرقم (١٤٢) مثلاً بشكل « نَرْزَبَنْ أَلُ » بمعنى (نهر الزاب الأعلى) ، و « نَرْ زَبْ شَپْلُ » أي (نهر الزاب الأسفل) .

وأشار « هيرودوتس » بعد هذا بقرنين ونصف قرن تقريباً (أي في حوالي ٤٤٠ ق.م.) الى الزابين من غير أن يذكر أسميهما ، وانما قال عن نهرين (في منطقة الزابين) : إن كليهما يدعى بأسم واحد ، الأمر الذي نستنتج منه أنهما كانا يسميان بـ « الزاب » .

وفي هذا القرن نفسه سمى « زينفون » (٤٠١ ق م) الزابَ الأعلى بـ « زاباتس » ، وأهمل ذكر الزاب الأسفل .

ولكن بعده بقرنين ونصف قرن تقريباً ابتدأ الكتاب الإغريقيون والرومان يستميضون

عن الاسم القديم لهذين النهرين باسمين يونانيين لها معنى . وكان « پولیبیُس » (۲۱۰ ـ ۱۲۰ ق . م تقريباً) أول هؤلاء الكتاب ، فقد سمى الزاب الأعلى في كتابه « التاريخ العام » بـ « ليكُس » ، والزاب الأسفل بـ « كاپرُس » ، وتبعه في ذلك « سترابو » (٦٣ ق م . ـ ١٩ ب . م) فسمى الزابين بهذين الاسمين أنفسها

ويسمّي « پليني » (٢٣ — ٧٩ م تقريباً) في كتابه « التاريخ الطبيعي » الزاب الأعلى بـ « ليكُس » أيضاً ، أما الزاب الأسفل فقد سماه « زربس » ودوّن « بطليموس » (١٣٠ م) خطأً اسم الزاب الأعلى بـ « ليوكُس » . وأخيراً سمى « أميانُس مارسَللينُس » الروماني (٣٢٦ — ٣١٩ م تقريباً) في كتابه « التاريخ الروماني » الزابَ الأعلى « ديابَ » أو « دياوَ » ، والزابَ الأسفلَ « أديابَ » أو « أدياوَ » ؛ وقال إن بلاد « أديابَنْ » أخذت أسمها من هذين النهرين ويسمى العرب « أديابن » ، « حدياب » ، وهي المنطقة المحصورة بين الزابين وجبال زاگروس ونهر دجلة .

وقال « أميانُس » أيضاً إن على كل من الزابين جسراً عائماً

وقد رتبنا جدولاً للتطورات والتغييرات التأريخية في تسمية الزاب ، وجعلناه ملحقاً لهذه الدراسة

وإذا نظرنا فى هذا الجدول ، فلن نجد فى أسم الزاب تحويراً ، إلا عند « أميانُس مارسللينُس » فقط ، في كتابه « التاريخ الروماني » الموضوع في القرن الرابع للميلاد كما تقدم ؛ فقد وردت فيه كلمة « زاب » بشكل « ديابَ » ، ومعناه « الذئب » وقد يجوز أن يكون هذا التحوير حدث بدافع الكشف عن معنى لاسم يوافق المسمى به وأول من لاحظ معنى « ديابَ (دياوَ) » هو « بوخارت » فقال : معنى « ديابَ » هو « الذئب » باللغة الكلدانية (كذا)

والأرجح عندي أن يقال باللغة الآرامية ، إذ أظن أن التحريف كان من عمل الآراميين ؛ فقد كانت لغتهم وثقافتهم منتشرة في تلك الربوع من الشرق الأوسط ، ومن ضمنها بلاد إيران

نفسها . ويجد المرء الأثر الأول لهذا التحريف الآرامي قبل « أميانس » بستة قرون تقريباً ، وذلك عند « پوليبيُس » (٢١٠ ــ ١٢٠ ق م) الذي سجل « الزاب الأعلى » بالإغريقية بأسم (ليكُس) ، ولفظة (ليكُس) هذه معناها « الذئب » .

وعلى ذلك فمن الممكن أن يقال إن الأتراك ليسوا أول مَنْ حُرّفت عندهم لفظة « زاب » ليصبح لها معنى في لغتهم ، معنى ينعت الزاب الأسفل المحبوب لديهم بنعت « آلتون » المعدن الثمين . فقد سبقهم الآراميون الى ذلك بألف سنة ونيف ، إذْ كانوا قد وضعوا للنهرين في لغتهم لفظاً له معنى ومدلول يطابق صفة معينة فيهما وهو الطيش ، ولا سيما خلال ذلك الزمن القديم الذي كان فيه النهران أشد طيشاً مما هما عليه اليوم ، فسموا « الزاب » بـ « الذئب » .

ويجدر بنا هنا أن نذكر التسمية التي أطلقها الايرانيون على نهر الزاب الأسفل ، فقد ورد فى كتاب « ذيل جامع التواريخ رشيدي » باللغة الفارسية لمؤلفه « حافظ أبرو » المتوفى عام ٨٣٤ هـ في أثناء ذكر المؤلف لحوادث سنة ٧٧٩ هـ تقريباً قوله : « آب گرگان كه عبارت أز آب آلتون كوپري است » ولما كان معنى « گرگان » بالفارسية « الذئاب » ، فنحن نتساءل : أهذا الأسم رجعة لأسم « ديابَ » الذي أطلقه الآراميون علىهذا النهر ، أم هو تطابق جاء على سبيل المصادفة ؟

أما المؤرخ الجغرافي حمد الله المستوفي ، فقد ذكر الزابين بأسميهما الأصليين في كتابه الجغرافي « نزهة القلوب » الذي وضعه في نحو سنة ٧٤٠ هـ ، ولم يكن يعرف الأسم التركي « آلتون صوبو » ، وقال في « الزاب الأسفل » : إنه ينعت بـ « الزاب المجنون » ، وذلك لسرعة جريانه

وأستعمل الكتاب في العهد الإسلامي الأول لفظة « زاب » ، الأسم الأصيل ، لكلا النهرين مع التفريق بينهما بالأعلى والأسفل كما يعرفان اليوم . وهذا يدل على أنه فى العهد الساساني أيضاً كان النهران يسميان « بالزاب » ، وأن التسميات المحرفة أو الدخيلة لم تتمكن من القضاء على الأسم الأصلي ، بأستثناء التسمية التركية التي لم يستعملها الترك إلّا خلال بضعة

قرون فقط أما الأكراد ، فقد حرفوا الأسم الأصلي الى « زێ » تبعاً للهجهم

معنى « زاب » الأصلي

قال ياقوت الحموي (في بداية القرن السابع للهجرة) في معنى « الزاب » : « قال أبن الأعرابي : « زاب » الشيء إذا جرى ، وقال سلمة : « زاب ، يزوب » إذا أنسل هرباً والذي يعتمد عليه أن « زاب » ملك من قدماء ملوك الفرس ، وهو « زاب » بن « توكان » أبن « منوشهر » ابن « ايرج » بن « فريدون » حفر عدة أنهر في العراق ، وسميت بأسمه ، وربما قيل لكل واحد « زابي » والتثنية (زابيان)[1] »

ونرى أن المعنى الأول الذي ذكره ياقوت ، تؤيده المعاجم الآشورية

إن أسم المصدر « زابُ » أقدم من عام ١٢٥٠ ق م ، أي أقدم من زمن أول رقيم وجدنا أسم « الزاب » منقوشاً فيه ؛ فقد جاء في اللغة الأكدية بمعنى « الجريان السريع » ، وفي اللغة السومرية « زُبْ » بمعنى الجريان

ونلاحظ أن الكلمة العربية « زاب » ، (كما ذكرها ياقوت) والكلمات العربية الأخرى مثل « ذاب » ، « زحف » ، « ذهب » ، « زب » ، « ذبّ » ، « دبّ » ، « زفّ » ، « زحّ » وغيرها ، ترجع الى أصل واحد . ويبدو لنا أن هذا التنوع في اللفظ جرى على ثلاث قواعد صوتية :

١) استعمال الفتحة الممدودة بين فاء الفعل ولامه .

٢) تعويض تلك الحركة بأحد الصوتين : الهاء أو الحاء ، الشقيقين الحلقيين

٣) أوتعويض تلك الحركة بتشديد لام الفعل .

وأما القصة التي ذكرها ياقوت الحموي عن حفر الملك « زاب » نهرَ الزاب ، فنقول إنها من القصص الخرافية

---

(١) معجم البلدان (٣٦٣/٤)

ومع ذلك يجب أن نذكر أنه كانت ، في زمن الساسانيين ، كورة ، يذكرها كتاب العرب القدامى بـ « الزوابي » ، وكانت لها ثلاثة طساسيج : طسوج الزاب الأعلى ، وطسوج الزاب الأوسط ، وطسوج الزاب الأسفل ويظهر أن هذه الزوابي كانت أنهاراً محفورة بين دجلة والفرات ، ومأؤها من الفرات

ان طبيعة البشر لم تتبدل منذ أقدم الأزمنة حتى يوم الناس هذا ، وذلك في أختراع قصص لتعليل تسمية العوارض الجغرافية ؛ فبينما نجد مثلاً أن تسمية « شهرزور » تسند الى « زور » ابن الضحاك الشخصية الخرافية ، و « زابَ » الى « زاب » بن طهماسب الشخصية الخرافية أيضاً (كما أوردته الكتب الإسلامية الأولى) ، نجد سترابو (١٤٤/٣) قبل ذلك بما يقارب الألف سنة ، قد روى مثالين قديمين لتلك القصص فقال :

« في بلاد الآشوريين تقع « گوگاميلا » القرية التي دُحر فيها « دارا » ، وأضاع مملكته ؛ وهذا الموقع مهم لأسمه الذي اذا مافسّر دل على (بيت الجمل)

وقد أطلق عليه هذا الأسم « دارا » بن « هيستاسپس » (گشتاسب) ، وخصص واردات هذا المكان بمعيشة جمل تحمل أكبر ما يمكن من التعب والمشقة في أثناء الرحلة خلال صحارى « سيثيا » ، وهو يحمل الأمتعة والزاد للملك وقد لاحظ المقدونيون أن هذه قرية حقيرة ، الا أن مقاطعة « إربل » مهمة أسمها على ما يقال « أربيلس» بن « أثمونيئس» ».

— ٣ —

كيف تحول اسم « نهر الزاب » الى « آلتون صو »

ومتى سميت القنطرة « آلتون كوبرو » بأسمه ؟

يلوح لي أن أسم « زاب » قبل أن ينقلب الى « آلتون » التركية (التي معناها « الذهب » بالعربية) أخذه الترك وحرفوه الى « زهب » ، وصادف لهذا اللفظ معنى باللغة العربية ؛ وكان « زهب » « ذهب » العربية نفسها عند الأتراك الذين كانوا يعرفون اللغة العربية ، إذ

ليس في التركية صوت « ذ » ، فالأتراك يلفظون « ذ » بصوت « ز » كما يلفظون « ض » و « ظ » بصوت « ز » أيضاً . وكان الأتراك في الوقت الذي يلفظون فيه « ذهب » بالزاي ، يضبطون كتابة هذا اللفظ بشكله الصحيح بالعربية ، ولم يفعلوا هذا في حرف الزاي وحده ، بل في جميع الأصوات العربية التي لم يتمكنوا من تلفظها كما قلنا ، وذلك خلافاً لما يفعلونه اليوم في تدوينهم لغتهم بالحروف اللاتينية

وقد ورد في تأريخ « نعيما » (١٥/٣) أسم الزاب الأعلى بصورة « ضرب » ، ويحتمل أن هذا النهر كان يعرف بهذا الأسم في القرن السابع عشر للميلاد ، ويؤيد ذلك الأسم الذي سجله « تافرنييه » في رحلته المشهورة عن هذا النهر ، فقد دعاه « زرب » التي هي تلفظ تركي لكلمة « ضرب » .

وكثيراً ما نرى لفظة ما في لغة ما ، يصبح لها ، بتغيير بسيط ، في لغة ثانية ، معنى جديد يخالف معنى اللفظ الأصلي ؛ ونورد هنا مثالاً لطيفاً على ذلك : أُتي في العهد العثماني القديم بمهندس إيطالي ماهر في صنع المدافع ، فصنع للدولة نوعاً من المدافع لم يكن معروفاً عند العثمانيين أسمه « باللايامَنْزا » أو « باللائي مَنْزو [1] » وبمرور الزمن نسي التلفظ الأصلي للأسم ، فأصبح « بالْ يَمَزْ » ، ومعناه (لا يأكل العسل) ؛ فصار أسم المدفع « بال يمز طوپي » (مِدْفع بالْ يَمَزْ) أي (المدفع الذي لا يأكل العسل) ولما كان الأسلوب الأدبي الشائع في ذلك الزمن هو كثرة أستعمال الكلمات العربية والفارسية أستعمالاً يلفت النظر ، أصبح أسم ذلك المِدْفع في لغة الأدب هو « طوپ عسل نميخورَدْ » (المدفع الذي لا يأكل العسل) ، وهي عبارة فارسية رأوا أن يترجموا بها تلك الجملة التركية ، لأنهم كانوا يرونها شيئاً وضيعاً بلغتها التركية ، وذلك ليسبغوا عليها شيئاً من الفخامة التي كان بالأدب حاجة اليها . ويجدر بالذكر أنه كان « سكبان باشي » في عهد « ياوز سلطان سليم » (٩١٨ — ٩٢٦) ملقباً بـ « بال يمز » ، ويظهر أنه كان رجلاً ضخماً شديد القوة والبأس كالمدفع الذي كان

(١) الأستاذ يعقوب سركيس : مباحث عراقية ، القسم الثاني ، ص ١٧ .

يدعى بهذا الأسم .

وهذا التغيير في الأسم ، أي تحول « زاب » الى « ذهب » يجوز ، باحتمال ضئيل ، أنه لم يكن نتيجة تطور طبيعي في التلفظ ، بل للتفريق بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل ؛ وكان ذلك عملاً سهلاً جداً بالنسبة الى الأصوات في اللغة التركية كما ذكرنا آنفاً وهم قد سموا « الزاب الأسفل » بـ « زهب صو » ؛ وبعد ذلك لم يكن من الصعب ، بعد مرور زمن ، ترجمة « زهب » هذا الى اللغة التركية وهو (آلتون) ، فسموا النهر بـ (آلتون صو) وهو أسم تركي .

قلنا : إن تحويل الـ « زاب » الى « زهب » ، ومنه الى « آلتون » وتسميته بـ « آلتون صو » ، وتسمية القنطرة الواقعة عليه بـ « آلتون كوپرو » ، هو من عمل الأتراك ، ولا شك في أن هذا قد تم على لسان التركمانيين الذين أستوطنوا أريافاً ومدناً وقرى في شمال العراق وفي شرقه الى جبل حمرين .

ولقد سمى هؤلاء التركمانيون كثيراً من المواقع الجغرافية بأسماء تركية ، كما سنبين ذلك بالتفصيل في فرصة أخرى .

يقول الأستاذ العزاوي ، وهو محق فيما يقول : إن (قنطرة الذهب) أو (آلتون كوپري) عرفت من أيام السلطان مراد الرابع ، بل قبله ، وقبل دخول العثمانيين العراق ، ووردت في تأريخ الغياثي [١] « القرن التاسع الهجري [٢] »

غير أننا وجدنا أسم « آلتون كوپرو » وارداً قبل ذلك التاريخ ، كما ذكرنا آنفاً ، في كتاب « ذيل جامع التواريخ رشيدي » باللغة الفارسية لمؤلفه « حافظ أبرو » المتوفى عام ٨٣٤ هـ فيما ذكره عن حوادث حوالي سنة ٧٠٩ ، في قوله : « نهر (گُرگان) الذي هو عبارة عن نهر آلتون كوپرو »

(١) تأريخ الغياثي : تأليف عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياث ، المتوفي في أواخر القرن التاسع ، كان حياً في عام (٨٩١ هـ — ١٤٨٦ م) عباس العزاوي

(٢) العراق بين احتلالين (٥/١٩٤)

وأما قبل حافظ أبرو ، فلم يعلم حمد الله المستوفي القزويني (٧٣٦ هـ) شيئاً يقال له « آلتون صويو » و « آلتون كوپرو » ، ولكنه يذكر أنه كان هناك في أيامه جسر على الزاب الأسفل قرب مصبه في دجلة .

وبناء على هذه المعلومات القليلة المذكورة آنفاً ، لا نرى بأساً في أن نذهب الى أن النهر والقصبة لم يكونا معروفين عند الكتاب بأسم « آلتون » في أواخر القرن السابع للهجرة ، وأنه يجوز أنهما كانا معروفين بهذا الأسم ، ولكن من غير أن يشهرا به ، وذلك قبل أنتهاء النصف الأول من القرن الثامن .

كانت هذه القصبة وجسرها وما زالتا تعرفان عند العرب بـ « القنطرة » ، ولدى الأكراد بـ « پردێ » أي (الجسر) .

— ٤ —

قدم معبر « آلتون كوپرو » وقريته

أما عن قدم المدينة نفسها وعن أسمها القديم ، فأننا لا نعلم من أمرها شيئاً وربما كانت آلتون كوپرو تسمى في زمن « نارام سين » (القرن الخامس والعشرين ق م) بـ « سِمُرُّ » ، أو ربما كانت قصبة لمنطقة تعرف بالأسم نفسه ، لا نعرف الآن موقعها .

ويذكر بعض الملوك الآشوريين أسم منطقة أو قصبة مشتق من « زاب » ، فقد ذكر « أَشُرْ نصر پَلْ » (٨٨٣ — ٨٦٠ ق م .) أرضاً وراء الزاب الأسفل بأسم « زَبَنْ » ، وورد في كتابة لـ « شلمنصر » الثالث (٨٦٠ — ٨٢٥ ق م .) أسم مدينة « زَبَنْ » ؛ وذكر « شمس أَدَدْ » الخامس (٨٢٥ — ٨١٢ ق م) مدينة « زَبَنْ » يقول الأستاذ جورج كرون : إنها « آلتون كوپرو » الحالية [1] .

وبعد السنة العاشرة من حكم « تغلات پِلَسَر » الأول (١١١٦ — ١٠٩٠ ق . م)

(١) الأستاذ جورج كرون : تأريخ إيران القديمة (الترجمة الفرنسية) (ص ١٣٤)

وقعت بينه وبين البابليين مصادمـــة فوق مدينة « زَبَنْ » مقابل « أَرْزُهِنُ » (آلتون كوپرو [1]) .

ويجوز أنه لم تكن على معابر نهر الزاب الأسفل قصبة تستحق الذكر ، وأن قصبة المنطقة كانت بعيدة عن محل العبور

ولم نجد بعـد الآشوريين ذكراً لهذه القصبة الساحلية لدى أحـــد من كتاب الاغريق والرومان ، ولا عند الايرانيين والمسلمين ، ولكن ربما كان على معبر الزاب الأسفل قرية صغيرة جداً كقرية « كلك ياسين آغا » على معبر الزاب الأعلى القديم على طريق إربل — الموصل ، وهناك جسر شيد حديثاً ، وكان عمل أهل القريـة المذكورة مسـاعدة القوافل والنـاس في عبور النهر

ونهر الزاب الأسفل يمكن عبوره في مواضع عـديدة مشياً على الأقدام في الأوقات التي لا يكون فيها مستوى النهر من الارتفاع بحيث يمنع من ذلك .

ولـكن يمكننا أن نعتقد أنه كان بين شمال الزاب الأسفل وجنوبه ، على مقربة من « آلتون كوپرو » ، معابر مرتبة بعد تأسيس المدن في تلك الأماكن . ويـدل أقدم المعلومات التي لدينا أنه كانت على النهر ، قرب « آلتون كوپرو » الحاليـة منـذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ، مملكة أو مـدينة تسمى بـ « سِمُرُّ » ؛ فلا بد أنه كانت لهـذه المملـكة مواصلات مرتبة على نهر الزاب وحوالي « آلتون كوپر » ، ولا بـد أن الطريق بين « أَرَّبَخ » (كركوك) و « إرْبل » ، وربما بين « أَرَّبخ » و « آشور » و « نينوى » ، كان يمر الزاب الأسفل في موقـع « آلتون كوپرو » ، أو في معبر آخر على مقربة منه ، ومحل « آلتون كوپرو » يقع على أقصر طريق بين « كركوك » و « إرْبل » ، وبين « كركوك » و « الموصل » .

وقد قلنا : إن الملك الآشوري « أَشُرْدَنْ » الأول (١١٨٩ — ١١٥٤ ق . م .) ثم

(١) الأستاذ جورج كرون : تأريخ ايران القديمة (الترجمة الفرنسية) (ص ١٥٤) .

الملك الآشوري « شَمْش أَدَدْ » الخامس (٨٢٥ — ٨١٢ ق م) قد عبر مع جيشيها الزاب الأسفل نحو الجنوب من مدينة « زَبَن » التي يشخصونها اليوم بـ « سِمُرٌ » القديمة ، و « آلتون كوپرو » الحالية ، لهذا نعتقد أنه كان هناك حتماً وسائط مهيأة لعبور جيوشهم ، كانت تلك الوسائط جسوراً ، أو زوارق ، أو « أكلاكاً » ، بالرغم من عدم وجود ذكر للجسور على الزاب الأسفل في الرُقُم الآشورية

ونفهم من « هيرودوتس » (حوالي ٤٤٠ ق م) أن العبور على دجلة والزابين كان بالزوارق ، في حين أن الاغريق في عودة عشــرة الآلاف ، في أنسحابهم من معركة « بابل » بعد « هيرودوتس » بأربعين سنة تقريباً (٤٠١ ق . م .) ، وجدوا جسراً عائماً على دجلة ونعتقد أنه لما سار الاسكندر بعد أنتصاره على « دارا » الثالث الهخمنشي (٣٣١ ق.م) من « إربل » نحو الجنوب ماراً بموقع « كركوك » ، وجــد جسراً عائماً في محل « آلتون كوپرو » أو على مقربة منه ويجوز أنه كان على الزاب الأسفل أكثر من معبر في ذلك اليوم ، مُعَدّ لمواصلات جيش « دارا » العظيم وتموينه

ونقول على سبيل الاستطراد إن اُجتماع جيش دارا الثالث في سهول « إربل » الغربية التي صارت ساحة المعركة الحاسمة ، هي التي كانت قد عينت خط مسير الاسكندر نحو « بابل » . هذا القائد العظيم ، كان هــدفه جيش ايران الأصلي فقبل هذا الحادث بسبعين سنة كان قــد سار الأمير الشاب المنكود الحظ « كورُشْ » الهخمنشي (٤٠١ ق م) بجيشه الى « بابل » ، عاصمة أخيه ، على طول وادي الفرات ، لأنــه كان يقصد أخاه « أرتخشتر » الثاني (٤٠٤ — ٣٥٨ ق . م .) وعرشه في « بابل »

وكانت حوالي الربع الأخير من القرن الثـاني قبل الميلاد أسرة سكائية تحكم « أديابين » (حدياب) ، وكانت « كركوك » عاصمهم[1] ، وكانوا تابعين للانبراطورية الفرثيــة ؛ وكانت « إربل » ضمن مملكتهم

(١) Herzfeld, archaeologicol History of Iran, P. 8,

وكان في أوائل القرن الأول الميلادي مملكة « أديابن » (حدياب) عاصمها « إربل » ، من جملة الممالك ذات الاستقلال الداخلي ، التي كانت تتألف منها الانبراطورية الفرثية

وكان في عام (٢٢٦ م) حين تسنم مؤسس الدولة الساسانية عرش ايران ، مملكتان متجاورتان شمال الزاب الأسفل وجنوبه ، هما مملكة « حدياب » وعاصمها « إربل » ومملكة « كركين » وعاصمها « كرك » ، أو « كرخ دسلوخ » كما سجلت في التواريخ الكنيسية ، وهي « كركوك » الحالية فلا بد أنه كان هناك مواصلات سريعة لتلك الحكومات بواسطة جسر عائم في « آلتون كوپرو » ، أو على مقربة منها ويخبرنا « أميانس مار سللينس » في القرن الرابع الميلادي أنه كان على الزابين كليهما جسر عائم ونحن لا نجد ذكراً لجسر ما على الزاب الأسفل في التواريخ الاسلامية قبل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وذلك لا يدل على أن الجسر لم يكن

وأما أقدم ذكر لـ « آلتون كوپرو » فإنا نراه في كتاب « ذيل جامع التواريخ رشيدي » لحافظ أبرو المتوفى في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) ، وفي كتاب « ظفرنامه » في تأريخ « تيمورلنك » لعلي اليزدي (النصف الأول من القرن التاسع للهجرة)

ويجب أن نعتقد أن « آلتون صو كوپروسو » أو « آلتون كوپرو » الذي ذكره المؤلفان كان مشيداً بالحجارة والآجر ولكننا لا نعلم متى بني ذلك في الأصل ، ومن بناه

وكان الجسر موجوداً في القرن الحادي عشر ، عندما مرّ السائح الألماني الدكتور « لئون راوولف » في سنة ١٥٧٦/٩٨٤ بـ « آلتون كوپرو » في طريقه من بغداد الى الموصل ، فسجل « آلتون كوپرو » بأسمها الكردي ، ولكن مع شيء من التحريف ، كما كان دأبه في ذكر أكثر أسماء الأقوام والأماكن التي مرّ بها ، فقد سماها « پرسته » محرفاً للفظة « پردێ » الكردية قال عن وضع البلدة : إن أكثرها نحو النهر الذي تقع عليه ، وهي محصنة

تحصيناً قوياً . وأما النهر ، فيقول : إنه لا يذكر ما كان الناس يسمونه ؛ وسمي « كُرد » « كُرتَرْ [1] »

ومرّ أيضاً الرحالة الدانيمركي « كارستن نيبور » بـ « آلتون كوپرو » في طريقه من بغداد الى الموصل في آذار سنة ١٧٦٦ ، وسجل عن « آلتون كوپرو » ما يأتي :

« آلتون كوپرو » (ومعناها الجسر الذهب) ، بلدة يتراوح عدد بيوتها من أربع مئة بيت إلى خمس مئة ، وهي تقع على الزاب الأسفل في جزيرة صغيرة ، وقد سميت بأسم الجسر الكبير الذي بني على أحد ذراعي هذا النهر ويتحدث الناس عن هذا الجسر الذي يمتاز بقنطرة ذات علو غير معتاد أن الجسر القديم الذي انهار قبل بضع سنوات لم يكن عالياً كعلو الجسر الحالي ، وقد أضطروا الى بنائه بهذا العلو الشاهق لأنهم لم يجدوا بنّاء يستطيع بناء قنطرة هذا الجسر بأرتفاع أقل من هذا الأرتفاع [2] »

والجسر القديم الذي كان قد انهار قبل الجسر الذي مرّ عليه نيبور ، كان حسن پاشا والي بغداد عام ١١٢٩ / ١٧١٧ هو الذي عمّره

ومرّ السائح الانكليزي ج س بكينگهام سنة ١٨١٦ م بـ « آلتون كوپرو » في طريقه من إربل الى بغداد ، ووصفها فقال :

« آلتون صو » ، أو (الماء الذهب) ، كما يسمى النهر ، له شعبتان ، كل واحدة منها تجري في قسم من الأقسام المتفرقة لهذه القصبة . على أن الدخول اليها من جهة يتطلب العبور على الجسر ، ومغادرتها من الجهة الأخرى تستلزم العبور على جسر آخر مثله ، وكل منها متكون من قوس واحدة ، شديد الميل ، عال وواسع [3] »

ومرّ السائح الانكليزي « هـ . ساوث گيت » في سنة ١٨٤٠ م بـ « آلتون كوپرو » في

(١) Dr. Leonhart Rauwolff's etinerary. a collection of Curions Travels and Voyages; the first Tome, P. 202; printed 1693 London.

(٢) الدكتور محمود الأمين / رحلة نيبور في العراق في القرن الثامن عشر ، القسم الأول من بغداد الى الموصل (مجلة سومر ، المجلد ٩ ، الجزء ٣)

(٣) J. S. Buckeingham, Travels in mesopotamia, Vol. II. P. 102,

طريقه من بغداد الى إربل ، ووصفها فقال :

« نزلنا من السفح على أرض مستوية خصبة جداً ، ومن هناك سلكنا طريقنا الى أن وصلنا الى قصبة « آ لتون كوپرو » القائمة على جزيرة في الزاب الأسفل ، المسمى الآن « آ لتون كوپرو صو » أو « نهر الجسر الذهب » وهذا الأسم الذي يسمون به النهر والقصبة على السواء يقال إنه أطلق بسبب كافة الجسرين الكبيرين اللذين يربطان الجزيرة بالبر الرئيس ، ولا يوجد مع ذلك دليل كبير على صحة التسمية في مظهر البناءين أنفسهما

والجسران مشيدان بالطابوق ومبلطان ، وهما ينحدران الى زاوية تكاد تكون حادة في الوسط ، وكل منهما مكون من قوس واحدة ، من الصعب الوصول منه الى القمة من جهة ، ومن الخطر تقريباً النزول منه من الجهة الأخرى الجزيرة صغيرة ، والقصبة تشغل مساحتها بكاملها تقريباً ، ولا يتجاوز سكانها مئة أسرة ، فقد كان أ كتسحها قبل مدة وباء الطاعون[1] » .

وأما ما ورد في الموسوعة الاسلامية ، فيتبين منه أن جسرين حجريين مقوسين كانا يربطان القصبة بالبر ، وأن جسرها المتجه الى الساحل الشرقي شيد على مضيق عميق بمهارة وجرأة فائقتين ، وهو يرتفع الى مستوى يجعل القصبة بكاملها تحت أبصار الناظرين وعلى العكس الجسر الثاني ، فهو أوطأ من القصبة ، ويقع على أحد طرق القوافل الرئيسة التي تأتي من ايران الى العراق .

ويظهر أن السائح الألماني الدكتور راوولف قد مرّ بـ « آ لتون كوپرو » أيام كان ذلك الجسر القديم موجوداً في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ولكنه لا يذكر أن القصبة كانت في جزيرة داخل النهر ، ولا يذكر عبوره على جسر قبل مدخل القصبة ، ولا الجسر الثاني في المخرج الشمالي لها فيجوز أنه لم يكن في ذلك العهد في الجهة الجنوبية من القصبة شعبة من النهر ، وأنا أميل الى التصور أن أرض القصبه كانت مربوطة بالبر من الجهة

(١) Reu. H. Southgate, Navrative of a Tour Through armenia, Kurdistan, Persia and Mesopotamia, Vol. II, P, 210,

الجنوبية ، أي لم يكن للنهر شعبة فيها ، ولا الجسر طبعاً وأما الذي لا شك فيه ، فهو أنه كان هناك جسر في المخرج الشمالي . وأظن أن انفصال أرض القصبة الحالية من البر الرئيس في الجهة الجنوبية ، كان نتيجة لعملية هندسية وهي أن الجسر القديم المنهدم الذي كان في شمال القصبة كان طويلاً جداً ، وكان حوض النهر يتسع للمياه التي تجري فيه ، خاصة في أيام الفيضان ولما عزموا على انشاء جسر جديد ، أضطروا الى حفر رقبة بين القصبة والبر الرئيس في الجهة الجنوبية ، لتأخذ قسماً غير قليل من ماء النهر ولكنهم بنوا على هذه الرقبة أولاً القنطرة العجيبة التي رآها نيبور (١٧٦٦ م) ، وأكملوها قبل أن يدعوا الماء يجري فيها .

ويسمي الأكراد بلدة « آلتون كوپرو » « دُرْگه » ، أي (الشقة) ، وهذه التسمية الوصفية ربما أطلقت عليها بعد شق الجدول الجنوبي للنهر كما تصورناه ، ذلك الجدول الذي فرّق أرض البلدة من البر الجنوبي لتشييد القنطرة عليه

والسائح « نيبور » الذي مر بـ « آلتون كرپرو » حوالي قرنين بعد « الدكتور راوولف » ذكر أن ما رآه كان جسراً جديداً ، عجيباً عالياً ، وأن القديم كان قد انهار قبل بضع سنوات ، وأنه لم يكن عالياً كالجسر الجديد ، ونحن نعلم أن ذلك الجسر القديم كان قد عمره « حسن باشا[1] » (١٧١٧ / ١١٢٩) حوالي نصف قرن قبل مرور « نيبور » عليه كما ذكرنا آنفاً

ملحقان

الملحق الأول

جدول التطورات والتغييرات التاريخية في تسمية الزاب ، الذي أشرت اليه في (ص ٣٦١) :

التواريخ	الزاب الأعلى	الزاب الأسفل	الأقوام الذين سموها
١٢٥٠ ق. م.		زب شپلو « الزاب الأسفل »	الملك الآشوري « توكولتي ـ أورتا »

(١) تأريخ العراق بين احتلالين (٥/ ١٩٤)

	نهر زبن ألو « نهر الزاب الأعلى »	نر زبن شپلو « نهر الزاب الأسفل »	الملك الآشوري « سرجون »
٧٢٤ ق . م .			
٤٤٠ ق . م . (تقريباً)	زاب	زاب	هيرودوتس
٤٠١ ق . م		زاباتُس	أكسنفون
٢١٠ — ١٢٠ ق م . (تقريباً)	ليكُس	كاپرُس	پوليبيُس
٦٣ ق م — ١٩ م (تقريباً)	ليكُس	كاپرُس	سترابو
٢٣ م — ٧٩ م	ليكُس	زربس	پليني
١٣٠ م	ليوكس (خطأ)		بطليموس
٣٢٦ — ٣٩١ م (تقريباً)	دياب (دياو)	أدياب (أدياو)	أميانُس
العهد الاسلامي : ١ ـ القرن الثامن الهجري القرن الرابع عشر الميلادي	الزاب الأعلى	الزاب الأسفل آب گرگان (بالفارسية) آلتون كوپرو صويو (بالتركية) الزاب المجنون	الكتاب المسلمون حافظ أبرور (الفارسي) حمد الله المستوفي
٢ ـ القرن الحادي عشر الهجري القرن السابع عشر الميلادي	النهر المجنون زاب صوبي خوتين ضرب صوبي بو يوك زاب	آلتون صوبي كوچوك زاب	شرفنامة (الأمير شرف الدين البدليسي) الكتاب الأتراك العثمانيون

	زرب		تاڤرنيه (السائح الفرنسي)
	زێى ســـەروو (الزاب الأعلى) زێى بادينـــان (زاب بهدينان)	زێى خواروو (الزاب الأسفل) زێى كويه (زاب كويسنجاق)	الأكراد

الملحق الثاني

ما الـ « قوريات » ؟ اشتقاق اسمها واسم « قوريه »

« قوريات » أسم يطلق على أشعار التركمان الشعبية فى العراق ، وهي رباعيـــات أو شبه رباعيات جناسـية يستقل بعضها عن بعض في المعنى ، وتغنى بلحن خاص . وقـد أغرم بهـا أصحابها ، فلسانهم لا ينفك عن الترنم بها في كل المناسبـات بأداء غنائي ملحن ، أو بدون ذلك وهي مجموعة كبيرة ، أكثرها غرامي يخاطب به الحبيب ، ولـكنها بصورة عامة ضروب من الأمثال الأجتماعية والأخلاقية والفلسفية والحـكمية متولدة عن أستعمال كلمات متجانسة .

ولم تكن هذه الأشعار مدونة ، وإنما أنتقلت على الشفاه من جيل الى جيـل منذ قرون ، وقد جرت في السنين الأخيرة بعض المحاولات لجمعها

وأرى أن كلمة « قوريات » ترجع مع « قور » الأيغرية ، و « خور » في سائر اللهجات التركية ، و « خوار » الإيرانية الحديثة ، ومعنى جميعها (سهل ، واطىء ، أسفل ، حقير ، زهيد ، أعوج) ؛ في الآفيستية « هواثْرَ » معناه « سهل » يقال في التركية الغربيـــة « أوناخورباقا » أي (لا تنظر اليه بأستخفاف أو أحتقار)

وفي كركوك جهة تسمى « قوريه » ، وهي تقع على الضفة اليمنى لنهر « خاصه » ، جنوب القسم المرتفع من المدينة المبني على تل يرتفع عن السهل زهاء ٤٠ متراً يسمى القلعة .

ويظهر أن « قوريه » تسمية وصفية تصف موقع المحلة ، أو أنها مشتقة من « قور » على القاعدة العربية، وتعنى « المنسوبة الى الواطىء أو الأسفل » ، كما تشتق مثلاً لفظة « سهلية » من الـ « سهل » سميت تلك المحلة الواطئة بـ « قورية » لموقعها من القلعة المرتفعة .

وأسم الرباعيات الغنائية « قوريات » أيضاً يرجع مع أسم الموقع « قوريه » الى الأصل الذي معناه (سهل ، واطىء) .

وهذه بعض الرباعيات من الـ « قوريات » الأصيلة ، مع رجمها :

— ١ —

داد فلك ،
فرياد فلك ، داد فلك ،
بانا ايچرديگك شربتدن ،
أوزونده بر داد ، فلك .

رجمها :
أماناً ، أيها الدهر ،
النجدة (منك) أيها الدهر ، أماناً (مرة أخرى) أيها الدهر ،
من الشراب الذي سقيتنيه ،
ذقه أنت أيضاً مرةً ، أيها الدهر !

— ٢ —

أوقو جاندن ،
بر صبا أوقو ، جاندن ،
طبيب ، قربانن أولم ،
چيقارمه أوقو ، جاندن .

رجمها :

إقرأ من الروح ،

إقرأ لحن « الصبا » من الروح ،

فديتك بروحي ، أيها الطبيب ،

لا تنتزع سهامك من الروح .

— ٣ —

سورمه گوزه ،

چکلیر سورمه کوزه ؛

نامرد کور گوز آچارسه ،

درمانن سورمه گوزه

ترجمها :

الكحل للعين ،

بالكحل تمسح العين ،

اذا أُسترد كحل « النذل » بصرك ،

فالعمى خير من كحله .

— ٤ —

یر یدي ،

آسمان یدي ، یر یدي ،

نیجه مین قهرماني ،

فلك بوكدي ، یر یدي .

رجمها :

الأرض سبع طبقات ،

كذلك السماوات أجل ، الأرض سبع طبقات :
كم من آلاف مؤلفة من الشجعان ،
طواهم الزمان وأبتلعهم الأرض !

— ٥ —

ويرديگينه ،
حمد أولسون ويرديگينه ،
ويررسه ، خدام ويرسون ،
قول نه در ، ويرديگي نه ؟
ترجمها :
من أجل عطائه ،
حمداً له من أجل عطائه ،
العطاء ، هو عطاء الله ،
فما شأن العبد ، وما شأن عطائه ؟

— ٦ —

بغدادي ،
بن سيوه‌رم بغدادي ،
بلبل سرندن كيچمز ،
گل سوداسي ، باغ دادي .
ترجمها :
أقصد بغداد ،
إني أحب بغداد ،
أنى للبلبل أن ينسى
هيامَ الورد ، ولذةَ الروض ؟

— ٧ —

دیشده گور ،
خیالده گور ، دیشده گور ؛
دوشانن دوستی أولماز ،
إینا نمزسەن دوشده گور .

ترجمها :
أنظر حالماً ،
أنظر بعين خيالك ، أممن النظر في الحلم ؛
ليس للمنكوب من صديق ،
فإن لم تؤمن ، فألقِ بنفسك الى الحضيض

— ٨ —

یوز آیه دگر ،
حسنك یوز آیه دگر ؛
آي وار بر گونه دگمز ،
گون وار یوز آیه دگر

ترجمها :
إنه يَعْدِل مئة بدر ،
بلى ، إن جمالك يضاهي مئة بدر ؛
رُبَّ شهر لايعدل يوماً واحداً ،
ورب يوم يضاهي مئة شهر

— ٩ —

پاره باقم ،

دو گوندر ، ياره باقم ؛
وار گونده هر كس يارار ،
يوق گونده يارا باقم
ترجمها :
دعني أنظر الى الحبيب ،
أنظر اليه في يوم عرس ؛
كلٌّ يهرع للعون أيامَ السراء ،
هَـلُمَّ ، وكن ذا نفع في أيام العسر والضراء .

— ١٠ —

دُر أورده ،
صدف أورده ، دُر أورده ،
مجلسده يرين طاني ،
ديه سينلر ، دور أورده .
ترجمها :
هناك الدر ،
هناك الصدف ، نعم هناك الدر ،
إعرف مكانك في المجالس ،
لكي لايقال لك : هناك قف.(١)

— ١١ —

نم آزدر ،

(١) يعني : لا تجلس في غير مجلسك المعد لك ، لكيلا تنحى عنه وبعبارة أخرى : « إعرف قدر نفسك »

آغلر گوزوم سم آزدر ،
هر گلن یوه یا پدي ،
بیلمم ، مىم ىەم آزدر
ترجمها :
الدمع قليل ،
عيناي تبكيان والدمع قليل ،
كل يبني لنفسه عشاً ،
فماذا يُعْوِزُني أنا ؟

— ١٢ —

مي ده ىەوار ؟
أر بيلر ، ميده ىەوار ،
بين آتن آل سلاحك ،
أركك سه ن ، ميدانه وار
ترجمها :
ماذا في الخمر ؟
الرجل وحده الذي يعلم ماذا في الخمر ؛
إمتط صهوة جوادك ، وتقلد سلاحك ،
فإن كنت رجلاً فدونك الميدان .

— ١٣ —

صنمي صال ،
حقي توت ، صنمي صال ؛
دنيايي گشت أيلدم ،

بولمدم سانا مثال

ترجمها :

دع الصم ،

تمسك بالحق ، دع الصم ،

لقد تجولت في العالم ،

فلم أجد لك نظيراً

— ١٤ —

سورمه مني ،

چك گوزه سورمه مني ،

قويه چوچوق آغلاسون ،

آغزنه سورممه‌ني .

ترجمها :

لا تطرديني .

كحلي عيناك بي ،

لا تتركي الطفل يبكي ،

بل ضعي حلمة ثديك في فمه .

— ١٥ —

باغه ديوار ،

چكمشلر باغه ديوار ،

باغ وار بر گوله حسرت ،

أوننده باغ آدي وار .

ترجمها :

للحديقة حيطان ،

أجل ، أحاطوا الحديقة بالأسيجة ،

كم من روضة تتلهف لزهرة ،

مع ذلك فهي تحمل اسم الروض

— ١٦ —

بو دمده گل ،

كيم گورمش بو دمده گل ،

شادلكده هركس گولر ،

سن بيگيت اول ، بو دمده گول

ترجمها :

هل من زهرة في هذا الموسم ؟

من الذي رأى الزهرة في هذا الفصل ؟

في السعادة يضحك الكل ،

كن رجلا ، واضحك في هذا الوقت (وقت الحزن)

— ١٧ —

بر دانادن ،

درس آلمش ، بر دانادن ،

بيگيتي يولدن أيلر ،

بر شيطان برده نادان

ترجمها :

من عالم ،

لقد تلقى درساً من عالِم ،

يضلل الشجاع عن سواء السبل اثنان :

الجاهل الأبتر ، الشيطان

— ١٨ —

شيرازدي ،

أصفهاندي ، شيرازدي ،

طفل أونيچين آغلر ،

ممه كوچوك ، شير آزدي

ترجمها :

إنها شيراز ،

إنها أصفهان ، إنها شيراز ،

وهذا مدعاة بكاء الطفل ،

فالثدي صغير ، واللبن قليل

توفيق وهبي

مميزات طب الرازي (*)

(١) شخصية الرازي

إن أعمال الرجل في كل فن من فنون المعرفة مرتبطة أرتباطاً قوياً بما يتمتع به من شخصية ، ولا يبرز تأثير الشخصية في النجاح كتأثيره في حرفة الطب وأوضح دليل على ذلك ما وصل اليه أبقراط وجالينوس والرازي من المكانة الرفيعة ، لا في عالم الطب القديم فحسب ، بل في كل الأزمان ومن هذه الحقيقة يتعين على كل من يتصدى للبحث في رجال الطب وعرض مناهجهم ومميزاتهم في حرفتهم أن يتعرف الى شخصياتهم وسيرهم في الحياة وقد تشكى معظم المترجين للأطباء القدماء من ضآلة ما ذكر عن الرازي من الأخبار وما يحيط بمراحل حياته الخاصة والحرفية من الغموض وقد حاول بعض المؤرخين تغطية هذا النقص بأختلاق حكايات متضاربة لا تخفى سخافتها ، ونحن نكتفي بذكر ما وجدناه معقولاً ، ولا سيما ما يتعلق منه بالغرض الذي نقصده

كان الرازي في أبتداء حياته يضرب بالعود ، ثم أكب على النظر في الفلسفة والعلم الإلهي . غير أنه — على حدّ قول القاضي صاعد في كتاب التعريف بطبقات الأمم — « لم يوغل في العلم الإلهي ، ولا فهم غرضه الأقصى ، فاضطرب لذلك رأيه ، وتقلد آراء سخيفة ، وأنتحل مذاهب خبيثة ، وذم أقواماً لم يفهم عنهم ، ولا أهتدى لسبيلهم » (٢)

أما صناعة الطبّ ، فإنما تعلمها وقد كبر (يقال إنه تعلمها بعد الثلاثين من العمر) وكان معلمه علي بن ربن الطبريّ ، الذي أنتقل من بلده طبرستان الى « سُرَّ مَنْ رأى » أيامَ المتوكل ، وألف كتابه في الطب المسمى (فردوس الحكمة) أما الرازي ، فقد أقام في بلده الري ، وأقام

(*) محاضرة للدكتور هاشم الوتري ألقاها بدار المجمع العلمي العراقي في ١٩٥٦/٤/٢٤

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/ ٣١٠)

هناك البيمارستان الذي أظهر فيه نبوغه ، وأنفق فيه معظم جهوده دارساً وباحثاً ومعلماً «كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخر فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم وإلا تعداهم الى غيرهم ، فان أصابوا والا تكلم الرازي في ذلك »[1]. وهذه طريقة تعليم الرازي العملية التي لازمها طوال حياته ، فاطلع فيها على الأمراض بنفسه ، ودون منها ما تحققه ، كما فعل قبله بقراط ، فرسم صور الأمراض التي لم يذكرها قبله أحد ، فلقب من أجل ذلك بجالينوس العرب وكان مع ذلك كريماً ، متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والأعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، ولم يفارق المدارج والنسخ كما قال رجل من أهل الري : « ما دخلت عليه قط الا ورأيته ينسخ ما يسود ، أو يبيض »

وقد وصفه ابن أبي أصيبعة وصفاً لا أظن أن كثيراً من الباحثين ألتفت اليه ، فقال : «كان الرازي ذكياً فطناً ، رؤوفاً بالمرضى ، مجهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها ، بحيث إنه لم يكن له دأب ولا عناية في جل أوقاته الا في الاجتهاد والتطلع فيما دونه الأفاضل من العلماء في كتبهم ، حتى وجدته يقول في بعض كتبه : إنه كان لي صديق نبيل يسامرني على قراءة كتب بقراط وجالينوس . وللرازي أخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر في صناعة الطب ، وفيما تفرد به من مداواة المرضى ، وفي الاستدلال على أحوالهم من تقدمة المعرفة ، وفيما خبره من الصفات والأدوية التي لم يصل إلى علمها كثير من الأطباء ، وله في ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنها كثير من كتبه ، وقد ذكر من ذلك جملاً في باب مفرد من كتابه (الحاوي) » .

ونستطيع أن نستنتج من هذا الوصف وحده ما كان يتمتع به الرازي من شخصية ، وما كان يسير فيه من طريق خاص في الحرفة أنفرد به عن رجال عصره وهذا الوصف أستخرجه ابن

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء (٣١١/١) .

أبي أصيبعة على ما نظن من دراسته لكتب الرازي وأطلاعه على مناهجه الطبية ، وسنأتي على ذكر ذلك .

« وكان أكثر مقام الرازي ببلاد العجم ، لكونها موطنه ، وخدم بصناعة الطب الأكابر من ملوك العجم [1] » ، وساح في البلاد ، وصنف هنالك كتباً كثيرة ، كما فعل من قبله بقراط حين سافر إلى جزيرة ثاسوس (Thasos) [2] ، فطبب الفقراء ، وشاهد الآفات الناشئة عن البؤس وإدمان الخمور ، فألف كتاباً في تأثير هذه الآفات في الأعصاب والكبد ، ووضع رسالاته الأخرى في رحلاته الى سائر البلدان ولم يأت من سار على خطة بقراط بعد جالينوس غير الرازي ، وبين بقراط والرازي ١٣٠١ سنة .

(٢) بيأة الرازي العلمية

والآن لنبحث في الوضع الطبي في العصر الذي عاش فيه الرازي ، لما له من علاقة بنشأة الرازي العلمية وتكوين مهاجه الطبي : عاش الرازي بين سنتي ٨٤١ و ٩٢٦ م ، فيكون مولده في سنة ٢٢١ هـ ووفاته في سنة ٣٠٦ هـ . هذا ما قاله كمبيل صاحب كتاب طب العرب [3] وعلى هذا التقدير يكون قد عاصر يوحنا بن ماسويه (المتوفى سنة ٢٤٣ هـ) ، وحنين بن إسحاق (المتوفى سنة ٢٦٤ هـ) ، وثابت بن قرة الحراني (المتوفى سنة ٢٨٨ هـ) من مشاهير أطباء بغداد وشيوخهم وقد نقل الرازي كثيراً من مواد كتابه (الحاوي) عن يوحنا بن ماسويه وحُنَيْن بن إسحاق ، ولم ينقل عن ثابت بن قُرَّة ، على حين ألّف هذا كتابه المعروف بـ (الذخيرة) في الطب [4] في أيامه ، وكذلك كان قد صدر كتاب أستاذه ابن ربن الطبريّ المسمى (فردوس الحكمة [5]) أما تراث الطب اليوناني ، طب بقراط وجالينوس ، فكان قد نقل بأسره إما الى السريانية وإما الى العربية . ويظهر أن الرازي كان لا يعرف

---

(١) ابن أبي أصيبعة (٢) في الطرف الشمالي من بحر إيجه على ساحل الروم أيلي
(٣) ج١ ص ٦٥ (٤) طبع في القاهرة (٥) مطبوع أيضاً

اليونانية ولا السريانية . وكان له صديق يسامره على قراءة كتب بقراط وجالينوس كما ذكرنا .
وقد أطلق يده في تراث جالينوس ، يغترف منه ما شاء في تأليف كتابيه (الحاوي)
و (المنصوري) . وذلك التراث الطبي العظيم الذي خلفه جالينوس ، سهر عليه رجال جاؤوا
بعد وفاة جالينوس ، فنقلوه الى الانبراطورية الإسلامية . والمشهور منهم أريباسيوس
(٣٢٦ م — ٤٠٣ م) ، وإطيوس الآمدي (٥٠٢ م — ٥٧٥ م) ، والاسكندر
(٥٢٥ م — ٦٠٥ م) ، وفولس الأجانيطي أو القوابلي (٦١٥ م - ٦٩٠) ، وفيلغريوس[١] ،
وشمعون الراهب المعروف بطيبويه ، وأهرن القس الذي ألف كناشه بالسريانية ونقله ماسرجيس
اليهودي الى العربية ، وماسرجيس (ماسرجويه) هذا الذي كان يعنيه الرازي في كتابه الحاوي
بقوله : « قال اليهودي .. » وهو متطبب البصرة وكان معاصراً لأبي نُواس[٢] ، وسرابيون
من أهل باجرمى ووالد الطبيبين الفاضلين يوحنا وداوود . فأكثر كتب هؤلاء كانت موجودة
في عصر الرازي ، وقد نقل كثيراً من كلامهم في كتابه الكبير المعروف بالحاوي . وكان في
الانبراطورية الإسلامية من الأطباء الذين راجت كتبهم في الأوساط العلمية ، ومال اليها
الرازي وكثير ممن تقدموه أو عاصروه ، مثل تياذوق طبيب الحجاج (المتوفى بواسط سنة ٩٠
للهجرة) ، والطبري وهو ربن الطبري والد معلم الرازي ، وغير هؤلاء كثيرون .

نشأ الرازي في هذه البيئة التي امتازت بغزارة الكتب التي تحمل طب اليونان ، أو
بالأحرى طب بقراط وجالينوس ؛ لأن الذين جاؤوا بعد جالينوس لم يكن أكثرهم الا ناقلاً
أو مقتبساً أو مترجماً . وقد برز الرازي في هذه الآونة ، وامتاز بصفات لم يسبقه فيها أحد بعد
جالينوس ، فانفرد طبه بمميزات شاكلت ما كان عليه طب بقراط وجالينوس ، ولذلك كان
حقيقاً أن يلقب بجالينوس العرب .

---

(١) طبيب يوناني لم يعلم في أي زمان كان ، ولا ذكر أحد من المؤرخين له خبراً ، وانما دلت عليه تصانيفه التي ذكرها وأثبتها في آخر جزء عمرو بن الفتح بخطه (القفطي ص ٣١١) .
(٢) عيون الأنباء (١٦٤/١) .

(٣) خصائص طب الرازي

نبهنا ابن أبي أصيبعة الى ما كان للرازي من أخبار كثيرة ، وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر في صناعة الطب ، وفيما تفرد به في مداواة المرضى وفي الاستدلال على أحوالهم من (تقدمة المعرفة) وفيما خبره من الأدوية التي لم يصل الى علمها كثير من الأطباء . ونبهنا أيضاً الى أن للرازي حكايات كثيرة وقعت له ، ذكرها في باب مفرد من كتابه الحاوي . وفي الحقيقة أن في ثنايا هذه العبارة تنطوي الصفة الكبرى المميزة لطب الرازي . لهذا الرازي حذو بقراط وجالينوس في دراسة مظاهر المرض وأعراضه في المرضى ، وتحديد أنواع الأمراض ، وتسميها ، بالوقوف على مظاهرها وأعراضها الحقيقية في المعلولين ، هذا الفن الذي يحتاج الى بصيرة نافذة ومشاهدة دقيقة لأحوال المرضى وهذا الفن هو الذي جعل الرازي يسجل قصص المرضى في باب مفرد من كتابه الحاوي ، وهو الذي جعل الرازي يبدأ حياته الطبية في بيمارستان الري الذي قضى شطراً كبيراً من حياته المهنية والتدريسية فيه ، ومن أجله أستدعي الى بيمارستان بغداد أيام المكتفي بالله سنة ٢٩٥ للهجرة (١) .

فقد قال الأستاذ براون : « لقد سبق أن قلت ، وفي الحقيقة قد عرف ذلك جميع الثقات في الموضوع : إن الرازي قد فاق في المشاهدة السريرية جميع أقرانه (والمشاهدة السريرية تعبير عصري ينطوي على ما نحن بصدده من المشاهدة لأحوال المرضى في جانب أسرتهم) . ولما كان ما دونه هؤلاء الأطباء القدماء من العرب من (مفكرات سريرية) أنفع بكثير مما جاؤوا به من المسائل الفسيولوجية والباثولوجية المهجورة أو التشريح الذي أخذوه عن غيرهم ، كانت الدراسة الدقيقة لكتب الرازي ، ولا سيما الحاوي الكبير ، من الموضوعات التي يستطيع أن يكرس لها المستشرق الذي يعنيه الطب حياته (٢) » .

وفي الحقيقة إن الرازي قد أفرد لمشاهداته الطبية الجزء السابع من كتابه الحاوي ، وذكر فيه حكايات ونوادرَ عن المرضى الذين شاهدهم .

---

(١) وفيات الأعيان (٢) الطب العربي : مطبعة جامعة كمبرج ١٩٢١ (ص ٤٩)

وكانت تبرز مقدرة الرازي الطبية في تقدمة المرفة ، وهو ما نسميه الآن بالإنذار ، فيتقدم الطبيب ويخبر عما سيكون من المرض ، وهو فن قد برع فيه الرازي الى جانب براعته في النظر في سير المرض وتدوينه ، وهي صفة قلما وجدت فيمن جاء بعده من مشاهير الأطباء في الخلافة العباسية ولبيان ما اتصف به من بعد النظر في تقدمة المرفة ، وبراعة المشاهدة السريرية ، نورد القصة الآتية من الجزء السابع من كتابه الحاوي الذي عنونه بأمثلة من قصص المرضى وحكايات لنا نوادر :

«كان يأتي عبد الله بن سوادة حُمَّيات مختلطة : تنوب مرة في ستة أيام ، ومرةً غِبّاً ، ومرة رِبْعاً ، ومرةً كل يوم ، ويتقدمها نافض يسير . وكان يبول مرات كثيرة وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحُمَّيات تريد أن تنقلب رِبْعاً ، وإما أن يكون به خراج في كلاه فلم يلبث إلّا مُدَيْدَة حتى بال مدّة . فأعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك

وإنما صدني في أول الأمر عن أن أبتّ القول بأن به خراجاً في كلاه ، أنه كان يحمّ قبل ذلك حمّى غِبّ وحُمَّيات أخر ، فكان للظن بأن تلك الحُمّى المختلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعاً ، موضع أقوى .

ولم يشك اليّ أن في قَطَنه شبه ثقل معلق منه اذا قام ، وأغفلت أنا أيضاً أن أسأله عنه . وقد كان كثرة البول ، يقوي ظني بالخراج في الكلى ، إلا أني كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، وهو أيضاً قد كان يعتريه في صحته (أي كانت تنتابه الحمى) . فينبغي ألا تُغفل بعد ذلك غاية التقصي إن شاء الله

ولما بال المدّة ، أكببت عليه بما يدرّ البول حتى صفا البول من المدة ، ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم (Terra Sigillata) ، والكندر (Boswellia Thurifera) ، ودم الأخوين (Dragon's Blood) ، وتخلص من علته وبرأ برءاً تامّاً سريعاً في نحو من شهرين وكان الخراج صغيراً ، ودلني على ذلك أنه لم يشك إليّ ابتداء ثقلاً في قَطَنه ، لكن بعد أن بال مدة قلت له : هل كنت تجد ذلك ؟ قال : نعم . فلو كان كثيراً ، لقد كان يشكو ذلك ، وأن

المدة التي تنبط سريعاً تدل على صغر الخراج . فأما غيري من الأطبـاء ، فانهم كانوا بعد أن بال مدة أيضاً لا يعلمون حالته البتة » .

تدلك هذه المشاهدة السريرية على الصفة الأولى التي كان يمتـاز بها الرازي ، وهي : بعد النظر ، ونفوذ البصيرة في المشاهدة السريرية ، وتقدمة المعرفة وهي صفة تعرب عن مقدرة الرازي في أستعمال فكره في طبه بأقصى المراتب التي بلغهـا رجال الطب الحديث ، أمثال : سيدنهام ، وأوزلر ، وغاورس ، وغيرهم ؛ فضلاً عن أنه شاطر في بناء الطب بُناته الأول كبقراط وجالينوس وقد ذُكرت حكاياتُه وقصصه الطبية في غير كتابه الحاوي ، أمثـال « كتاب الفرج بعد الشدة » للتنوخي ، وكتاب « چهار مقاله » لنظام العروضي السمرقندي

ومن ثمرات نظراته الدقيقة في أحوال مرضاه ، توصل الى معرفة كثير من الأمراض ، ووضع فيها رسائل كثيرة أشهر بها في أوربة كرسالته في الجدري والحصبة ، ورسالته في الحصى في الكلى والمثـانة وقد طبعت الرسالة الأولى مع ترجمة لاتينية في لندن (عام ١٧٦٦ م) ونشرت ترجمها الانكليزية في عام ١٨٤٨ م ، وهذه الرسالة هي كما قال فيها نويبورجر[(١)] : « قد عُدّت بحق من زخارف مؤلفات العرب في الطب ، فبلغت مرتبة عليا من الخطورة في تاريخ الأمراض الوافدة كأقدم رسالة في الجدري ، وترينا الرازي كطبيب حي الضمير يكاد يتجرد من صفة الجزم في الآراء المبتسرة ، يحذو في ذلك حذو بقراط من قبله »

هذا الى أنه قد بلغ الدرجة القصـوى من كمال المروءة ونزاهـة النفس في تدبيره للمرضى ، وكافح المشعبذين والمدعين للصناعة ولا سـيما الجراحين ، فخصص المقالة السابعة من كتابه (المنصوري) بالحيل التي يستعملها المشعبذون ، فذكر ما يعمله هؤلاء من أُستخراج الضفادع من الفم ، والكعب من القفا ، والحاجات الكبرى من المناخير . وقد تشكى من أنخـداع الناس المشعبذين ، ووضع كتاباً « في الأسباب المميلة لقلوب الناس من أفاضل الأطبـاء الى أخسائهم » .

(١) Neuburger صاحب كتاب تاريخ الطب Geschichtle der Medizin. Stutgart 1906

وتدلك نزاهة الرجل وعفته أنه أنفق آخر عمره محتاجاً ، وقد أصابه العمى بماء نزل في عينيه ، فقيل له : لو قدحت ، فقال : لا ، نظرت في الدنيا حتى مللت

أما الصفة الثانية التي يتميز بها طب الرازي ، فهي طريقته في تأليف الكتب : ينحو الرازي نحو المؤلفين المعاصرين في رد كل فكرة علمية الى أصحابها عند اقتباسها والأمانة في نقلها في كتبه ، ثم يبين رأيه الخاص بالاشارة اليها بلفظة (لي) ، ولم يغفل المراجع الطبية المعول عليها في عصره ، ونقل آراء أكثر من تقدمه من مشاهير الأطباء وشيوخه ممن ذكرنا سابقاً ، وجمع فيها كل ما وجده معتبراً في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن جاء بعدهم الى زمانه ، وألحق بها آراءه ونتائج تجاربه ، فكان ما أبداه من بعض الملاحظات نافذاً حتى الآن مثال ذلك ما قاله في الصرع في كتابه (الحاوي الكبير [1]) : « قد يكون ضرب من الصرع عن الحيات في البطن ، وعلامته لذع شديد في البطن قبل ذلك ، وسيلان لعاب كثير ، وسقوط الديدان »

ومن الغريب جداً أن ينتقده علي بن العباس المجوسي في كتابه (كامل الصناعة) على ما فعله من نقل آراء الأوائل في كتابه الحاوي بقوله : « فأما كتابه المعروف بالحاوي ، فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج اليه المتطببون : من حفظ الصحة ، ومداواة الأمراض والعلل التي تكون بالتدبير بالأدوية والأغذية وعلاماتها ، ولم يغفل عن ذكر شيء مما يحتاج اليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الأمراض والعلل ، غير أنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية كعلم الأستقصّات والأمزجة والأخلاط وتشريح الأعضاء ، ولا العلاج باليد ، ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام ، ولا على وجه من وجوه التعاليم ، ولا جزأه بالمقالات والفصول والأبواب على ما يشبه علمه ومعرفته بصناعة الطب وحسن تأليفه للكتب . والذي يقع لي من أمره ، أو أتوهمه على ما يوجبه القياس من علمه وفهمه ، في هذا الكتاب ، إحدى الحالتين : إما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع علم الطب ، ليكون تذكرة له خاصة ، يرجع اليه فيما

(١) ج ١ ص ١٤٨ حيدر آباد الدكن ١٩٥٥ م

يحتاج اليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض عند الشيخوخة وقت الهرم أو النسيان ، أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه ، فيمتاض منها بهذا الكتاب ، وإما لأنْ ينتفع الناس به ، ويكون له ذكر حسن من بعده ، فعلق جميع ما ذكره فيه تعليقاً ، ليعود فيه فينظمه ويرتبه ، ويضيف كلّ نوع منه الى ما يشاكله ، ويثبته في بابه على مايليق بمعرفته لهذه الصناعة،فيكون الباب بذلك كاملاً تاماً، فعاقه عن ذلك عائق ، وجاء الموت قبل إتمامه فإن كان إنما قصد به هذا الباب ، فقد طول فيه الكلام وعظمه من غير حاجة أضطرارية دعته الى ذلك ، حتى قد عجز أكثر العلماء عن نسخه وأُقتنائه ، الا اليسير من ذوي اليسار من أهل الأدب ، فقلّ وجوده ، وذلك أنه ذكر في صفة كل واحد من الأمراض وأسبابه وعلاماته ومداواته ما قاله كل واحد من الأطباء القدماء والمحدثين ، ولم يترك شيئاً مما ذكره كل واحد منهم من ذلك الا وأورده في هذا الكتاب . وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة في كتابه هذا وينبغي أن تعلم أن حذاق الأطباء ومهرهم متفقون في وصفهم لطبائع الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ، وليس بينهم في ذلك خلاف الا بالزيادة والنقصان أو في بعض الألفاظ ، إذ كانت القوانين والطرق التي يسلكونها في تعرّف الأمراض والعلل وأسبابها ومداواتها طرقاً واحدة بأعيانها . وإذا كان الأمر كذلك ، فما الحاجة الى أن يأتي بأقاويل القدماء والمحدثين من الأطباء وتكرار أقاويلهم ؟ إذْ كان كل واحد منهم يأتي بمثل ما أتى به الآخر . فانه لاخلاف بينهم في طبائع الأمراض وأسبابها وعلاماتها إلا بالزيادة والنقصان وأختلاف الألفاظ ، وإن خالف بعضهم بعضاً في أُستعمال أنواع الأدوية ، فليس من خلاف في قواها ومنافعها .. فقد كان ينبغي له ، ولا أرد عليه ، أن يقتصر من أقاويل هؤلاء على البعض ، ويكتفي بأستشهاده على ما يحتاج اليه ، ويهتدي بأفضلهم علماً ، وأشدهم تقدماً في الصناعة ، وأحسنهم وصفاً ، وأكثرهم تجربة ، ليخف بذلك الكتاب على من يريد أُقتناءه ونسخه ، ولا يطول الكتاب ويعظم ، ولينتشر ذلك في أيدي الناس ، ويكثر وجوده ، فإني الى حيث أُنتهيت ما علمت أن نسخته إلا عند نفسين من أهل الأدب والعلم واليسار » .

والصفة الثالثة التي يمتاز بها الرازي ، شدة تضلعه من علم الكيمياء ومواده الغزيرة ، فكان أول من استعمل المواد الكيمياوية في مداواة الأمراض ، وله في ذلك تجارب خاصة . وقد وضع في فن المداواة المجلد التاسع من كتابه (المنصوري) الذي كان يعرف في أوربة في القرون الوسطى بالتاسع المنصوري Nonus Almansoris الذي كان يقرأ في كليات الطب في أوربة إلى ما بعد النهضة العلمية بكثير ، وهذا الكتاب مؤسس في معظم مواده على اختباراته الشخصية هذا فضلاً عن اشتغال الرازي بالسيمياء ، وهو الفن الذي أبان فيه إمكان قلب المعادن من جنس الى آخر ، وهو المعروف في الكيمياء الحديثة بلفظة Transmutation ، وقد ظهر إمكان ذلك في علم الذرة الحديث .

وأخيراً فان الرازي انتهت اليه فكرة القدماء في الذرة الى أنها الجزء الذي لايتجزأ ، ومن هذا الجزء تتألف مادة الوجود وقد أيد العلم بعد عصر النهضة مذهب الذرة كما صوره الرازي ، أو حمله من عهد الفلاسفة اليونان (ديموقريطس وأبيقور وغيرهما) إلى ذلك العهد . ومذهب الذرة هذا ، هو الذي مهد للعلماء النفوذ إلى باطن الذرة ، واستكشاف ما يكمن في باطنها من القوة الهائلة التي تشغل بالنا في هذا العصر .

هاشم الوتري

أصول اللهجة العراقية

مضت على العراقيين أجيال عدة وهم يتخاطبون بلهجتهم المحكية الشائعة الآن ، أو بلهجة شبيهة بها جداً . وهـــذه اللهجة العراقية الشائعة اليوم ، إحدى عـدة لهجات انشقت عن الفصحى ، فتعددت ، واختلفت باختلاف البلدان فلهجة العراق الشائعة الآن غير لهجة الشام ، ولهجة الشام غير لهجة مصر ، ولهجة مصر غير لهجة المغرب الأقصى ، ولهجة البدو غير لهجة الحضر في هذه الأقطار كلها على أن هناك قدراً جامعاً واحداً اتفقت فيه هـــذه اللهجات المنشقة عن الفصحى ، وهذا القدر الجامع هو سقوط الإعراب من أواخر الكلم في اللهجات العامية والإعراب ، كما لا يخفى ، من أظهر مميزات الفصحى ويبدو أن العودة الى الإعراب في مقدمة المشكلات التي تستدعي العلاج

هذا ، والى الانقلابات العامة ، والى تعاقب الدول ، والى ما يترتب على ذلك من تبدل في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية ، ثم الى اختلاط الشعوب وامتزاج بعضها ببعض ، والى تأثير الزمان والمكان والبيأة ، نقول : إلى هـذه العوامل مَرَدُّ تولدِ هذه اللهجات المحكَية في الأقطار العربية

لا مناص للأمم التي ألقت السـلاح مغلوبة على أمرها من أن تخلي مكانها للأمم الغالبة ، ولا مفر لها من التقهقر ، لتتقدم تلك الأمم الفتيّة بنظمها وأوضاعها الجديدة ، كما اتـفق ذلك للعرب وللغة العربية في مرحـلة من مراحل تخلف الأمة أو رقدتها وغلبة الأمم الأعجمية ، ويا لها من رقدة طويلة وسبات عظيم !

في هذه المرحلة العصيبة ، أخذت تنشق عن الفصحى لهجات متعددة وهي ، وان لم تتغلب على الفصحى في الكتابة وفي التأليف غالباً ، الا أنها طغت عليها في المخاطبات العامة الجارية ، في المنزل والسوق ، وفي المصانع والمتاجر والمزارع ، ولدى المحترفين والماهنين ، أي في مجالات الحياة العملية والشؤون اليومية

علم اللهجات :

من ثم ظهرت العناية بدراسة اللهجات في العصور الحديثة ، وكان المعنيّين بهذا الموضوع من علماء الفرنجة نظرتهم العامة الى اللهجات ؛ إذ يرون أن لهذه اللهجات ، على اختلافها وتشعبها ، حياتها واستقلالها ، وهم ينكرون قول من يقول إن اللهجات العامية أو المحكية لغة حادثة مشوهة عن الفصحى مثلاً وقد توسعوا في هـــذه الناحية ، حتى ذهبوا الى تأسيس علم جديد سمي (علم اللهجات) ، وموضوعه : وصف اللهجات وتعريفها ، وصلتها بأمها التي انشقت عنها ، قائلين إن في درس أحط اللهجات فائدةً لا تقل عن درس أرقاها ، الى غير ذلك ويزعمون أيضاً أن اللهجات المحكية أو العامية ، تتميز ، فيما تتميز به ، بكونها لهجات طبيعية بعيدة عن التكلف والتصنع ، خالية عن التقعر والتحذلق ، مجردة عن الصناعة اللفظية ، الى غير ذلك مما يلاحظ وجوده في اللغات الأدبيـة ، لغات التأليف والكتابة ؛ لذلك نرى هؤلاء الباحثين من علماء الفرنجة ومقلديهم في الشرق ، يدعون الى المحافظة على اللهجات العامية ، ويعنون بالبحث في لهجات أهل البادية البعيدة عن العمران ، بل نراهم يتوجعون لما عسى أن يطرأ عليها من عوامل الانقراض والاضمحلال أما نحن ، فنناقشهم ، ونقول لهم : لتنقرض هذه اللهجات الشائعة غيرَ مأسـوف عليها ، فما فائدتنا من لهجات لا تتسع للتعبير عن مسألة علمية أو فكرة أدبية ، وقد كانت وما زالت من جملة عوامل البلبلة اللغوية ؟ فمن الخير أن تتضافر جهودنا على إماتة تلك اللهجات السقيمة ، ففي وحـدة اللغة ما فيها من الخير والمصلحة ، وفي تكاثر عـدد اللهجات وانقسامها ما فيه من الضرر والمفسدة ، خصوصاً في هذه المرحلة العصيبة التي تجتازها الأمة العربية ؛ ولذلك نرى قادة الرأي يدعون الى ضرورة تغليب لهجة واحدة سليمة على تلك اللهجات السقيمة

أغراضهم شتى :

على أن أغراض الباحثين في اللهجات ، ليست واحـــدة كما لا يخفى . فمنهم من يُعْنَى

بدراسة اللهجات الشائعة ، وتدريسها ، ومحاولة التأليف والكتابة فيها ، وأستنباط قواعد وضوابط نحوية وصرفية لها ، مجاراةً لآراء من يرى ذلك من علماء اللهجات في ديار الفرنجة ، وأستجابة لمذهب من يتجنّى على الفصحى ، ويلصق بها ضرباً من الصعوبة والجمود ، والفصحى بريئة من ذلك لو تدرّعوا بالجلَد والصبر على الدراسة

وخلاصة القول : للأوربيين أوهامهم الشائعة في صعوبة تعلم العربية ، وكذلك لبعض من يقلدهم تقليداً أعمى من الشرقيين التفرنجين الذين تعلموا في الجامعات الغربيــة ويغلو بعض المتعصبين من الباحثين الغربيين ، فيزعم أن إتقان العربية فوق الطاقة البشرية ! ولماذا لا يقولون لنا إننا لا نتعلم العربية ، لأنها لغة العالم الاسلامي ، أو لغة القرآن ولغة الآداب العربية ؟ هـذا ، وما يقال عن أوهام الأوربيين في تعلم متن اللغة ، يقال عن أوهامهم في صعوبـة تعلم الكتابة العربية ، فلم تنفرد العربية بشيء من الصعوبة في ضبط كتابتها ؛ لأن عدة من اللغات الافرنجية لاتقل عنها صعوبة ، ولايستثنى من ذلك الانكليزية . والحقيقة ، ليس في تعلم العربية صعوبة أكثر من تعلم عدد من اللغات الغربية والشرقية ، ولكن لتفضيل اللغات الافرنجية على تعليم اللغة العربية جملة من العلل والأسباب كما ستراه . هـــذا ، وقد وجد بين اللغويين قوم متنطّعون جامدون ، جهلوا كل الجهل أن اللغة كائن حي ، لاغنى لها عن النمو والتجديد والى آراء هؤلاء اللغويين المتنطعين تمرّدٌ وتَصَمّم من وَصَم العربيــة ، وأدعى أن إتقانها فوق المقــدور والى جانب هؤلاء المتنطعين الجامدين يوجد فريق من المقلدين المتهافتين على كل جديد ، والمتحاملين على كل قديم في هـــذه الناحية . ومهجُنا في هـذا الباب وسط بين المنزلتين ، وهو يقوم على أمرين :

١) ضرورة المحافظة على تراثنا اللغوي ، خصوصاً في تأليف الجملة وأساليب التعبير .

٢) العناية بتنمية اللغة ، وتجديدها ، وتكثير موادهـــا بطريق الأشتقاق والتعريب ، وزحزحتها عن خطة الجمود في هـذا الشأن ، وذلك ليجد المتعلمون والدارسون والباحثون في العربية ما يجدونه في غيرها من اليسر والمرونـة الضرورية للتعبير عن أدق الخواطر والآراء .

ولذلك يجب ، فيما نرى ، التوفيق بين الأمرين ، فلا نحول ، بحجة المحافظة على تراثنا اللغوي ، دون التجديد والإصلاح في هذه الشؤون

نحن لا نرى في هذه الدعوة خطراً كبيراً على لغة الضاد ، وإنما نرى الخطر كامناً في تخلف العرب أنفسهم عن مواكبة الأمم الناهضة ، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً فلا بدع إذا تخلفت لغتهم ، وتضاءل إقبال شبابهم عليها تبعاً لذلك ، فاللغة عنصر من العناصر الجوهرية الداخلة في حياة الأمم ، تنهض بنهوضها ، وتسف بإسفافها ، لا شك في ذلك .

وتعتبر اللغة من الأمة بمنزلة الظل من الشاخص ، تمتد بامتداده ، وتتقلص بتقلصه ، بلا ريب ولا ريب أيضاً في أن العربية تجتاز دوراً من أدوار محنتها في هذه الناحية وقد أحسن حافظ ابراهيم شاعر النيل بتصوير محنة العربية في قصيدة من عيون قصائده السائرة [١]

والواقع أن تضلع الشباب العربي هذا اليوم من لغتهم وآدابها ، يؤدي بهم غالباً الى الحرمان ، ولا يحقق لهذا الشباب النابه مرتزقاً معقولاً يعيشون من ورائه عيشة راضية ، كما يحقق لهم ذلك حذق لغة من هذه اللغات الفرنجية ، لا لأن العربية فقيرة بحد ذاتها غير قابلة للنمو والتجدد ، بل لأن الناطقين بها فقراء متخلفون

---

(١) عنوان هذه القصيدة (لسان حال اللغة العربية) ومطلعها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ، ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي

منها :

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ... الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

بناء على ذلك يتحتم على زعماء العرب ، وقادة الرأي فيهم ، أن يعنوا بعلاج هذه المشكلة من الأساس عليهم أن يبدأوا بإصلاح أحوالهم العامة عليهم أن يبدؤوا من الأصول ، فان إصلاح الأصول يؤدي حتماً إلى إصلاح الفروع

وخلاصة القول : يتطلب إحياء اللغة ، وبعث الفصحى ، القيامَ بأعمال لا تتم إلاّ بالتضافر والتعاون على تشخيص العلل أولاً ، وعلاجها ثانياً ؛ وذلك لغلبة الجهل على الجمهور ، وانحلال الروابط التي تربط سكان الأقطار المأهولة بالعرب ، واختلاف أهوائهم ونزعاتهم . ومعنى ذلك أن إنهاض اللغة لا يتم إلاّ بمكافحة الأمية الغالبة ، وإلاّ بكثرة سواد المتعلمين الدارسين المدركين لمكانة اللغة ومنزلتها في الاجتماع ، ومن خير الوسائل لإنعاش العربية حياطتها من تسرب العجمة والرطانة والألفاظ الدخيلة ، خصوصاً تلك الألفاظ والمصطلحات الدخيلة حديثاً من اللغات الفرنجية ، إلا عند الضرورة القصوى ؛ فان خطر الدخيل الحديث في هذا العصر يتفاقم ، ويزيد يوماً بعد يوم

هذا ، وهناك من ينظر الى اللهجات ودرسها نظرة إصلاحية تختلف عن النظرة السابقة ؛ فان هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة : من المفردات ، والمركبات ، والفُصَح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج . فعلينا أن نُعنَى بإصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنخلص الى لغة موحدة سليمة . ومن البين أن إصلاح اللغة ، وتغليب اللهجة الفصحى على غيرها ، لا يتأتى بمراعاة قواعد النحو والصرف والإعراب فقط ، فان ذلك متعذر على الجمهور وإنما يتلقى بتنقية لهجتنا من الألفاظ والأساليب المبتذلة ، والاقتصار على استخدام المواد الفصيحة ، ثم بإصلاح المنطق ، والتلفظ بالألفاظ على النحو المأثور عن الفصحاء ، دون تحريف أو فساد أو اختلال في الحركات والسكنات والتخفيف والتضعيف والتقديم والتأخير ، وبلا شذوذ عن الأصول والقواعد اللغوية والواقع أن منطقنا سقيم ، وفي تلفظنا ما فيه من الفساد والعجمة ، وهو يذكرنا بتلك اللهجة (اللخلخانية) ، وهي ضرب من العجمة في النطق ، والبعد عن الفصاحة كما قال الجوهري في

(الصحاح) . قالوا : واللخلخانية تعرض في لهجة أعراب الشحر وعمان . هذا هو الغرض الذي توخيته من دراسة تاريخ اللهجة العراقية في هذه الكلمة

اللهجة العراقية :

استولى المغول على العراق في أوائل النصف الثاني من المئة السابعة ، ودخلوا بغداد ، فانقرضت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وظهرت الدولة الإيلخانية التي حكمت ، فيما حكمت ، فارس والعراق ، ثمانين سنة ، أو نحو ذلك وفي عصر الانقلاب المغولي هذا تغيرت أشياء كثيرة : تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات ، وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتأثر في الانقلاب المذكور نصيباً موفوراً ، فقد تسرب اليها كثير من المفردات والمركبات والمواد والأساليب الإنشائية الفارسية والتركية والمغولية ، بالإضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية وغيرها من اللغات ولنا أن نقول استناداً الى الأساليب التي أتبعها بعض مؤرخي العصر المذكور وأدبائه وغيرهم في التأليف : إن لهجة جديدة أو غريبة ولدت في العراق ، وهي اللهجة الشائعة الآن على ألسنة العراقيين ، أو شبيهة بها . وقد نقرأ صفحة أو صفحتين من بعض الكتب التي وضعت في عصر المغول ، فيخيل الينا أنها كتبت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تلك المصنفات . ومن ذلك يستفاد أن لهجتنا الشائعة اليوم ، أو لهجة جمهور العراقيين المحكية الآن ، كانت دائرة على ألسنة أسلافهم القدماء نحواً من سبع مئة سنة ، خلافاً لما يظنه كثير من الناس الذين يتوهمون أن هذه اللهجة اللغوية الشائعة الآن في العراق ليست لهجة قديمة . وما أكثر الشواهد على ذلك كما ستراه !

العادات :

ما يقال عن تاريخ اللهجات في هذا الصدد ، يقال عن تأريخ بعض العادات والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الشائعة اليوم في العراق ، فإنها وليدة أواخر العصور العباسية ثم العصور المغولية .

وما أكثر العادات والأوضاع الاجتماعية واللغوية التي أنتقلت الينا من تلك العصور !
فكثير من هذه العادات المألوفة في العراق ، وكثير من المفردات والمركبات اللغوية الشائعة في لهجتنا الآن ، وكثير من الأوضاع الأجتماعية والآداب ، وجملة من الخرافات والخزعبلات ، ليست بحديثة العهد بل هي أوضاع وعادات وآداب ولهجات لغوية قديمة ، كانت معروفة في المئتين السابعة والثامنة ، أي في أواخر عصور الدولة العباسية وأوائل عصور الدولة الايلخانية . خذ مثلاً إقامة مجالس العزاء والهناء كما تقام اليوم ، وإنشاد الشعر في المجالس المذكورة ، فان ذلك كان معروفاً في العراق وهكذا التصديق بضروب من الخرافات والأباطيل والأحلام ، وألوانٍ من الدجل والشعبذة ، كان شائعاً في العصور المذكورة ، كما يستفاد من النظر في كتب التاريخ والأدب التي وضعت في تلك العصور

* * *

لقد أستدرجني البحث في تأريخ العراق على عهد المغول ، ودراسة شؤونه ، الى النظر في أصول اللهجة العراقية المعروفة الآن ، وصلتها بلهجة أبناء المئتين السابعة والثامنة من العراقيين ، فظفرت بمجموعة من المواد اللغوية مفردة ومركبة ، ونبذة من الأساليب التي كانت شائعة في عصر المغول ، وقارنت بينهـا وبين أمثالها من المفردات والمركبات الشائعة على ألسنتنا اليوم ، فخرجت من ذلك بأن لهجتنا الحاضرة لا تختلف كثيراً عن لهجة العراقيين القدماء في عصر مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) ، وعصر مؤرخ العراق أبن الفوطي وأمثالها من مؤرخي عصر المغول ، كما ترى ذلك في هذه الدراسة

إن هذه الدراسة ، وإن لم تبلغ حد الكمال ، ولم تصلح أن تكون بحثاً علمياً تحليلياً في تكوّن اللهجة الشائعة بين أبناء البلاد ، على وجه يتّضح فيه تطورها ، وخصائصها ، ومقارنتها بغيرها من اللهجات المألوفة في بقية الأقطار العربية ، وإيراد الأمثلة والشواهد على ذلك بمواد هذه اللهجات ، والأمثال المضروبة الدائرة على ألسنة المتكلمين بها ، نقول : إن هذه الدراسة ، وان لم تبلغ تلك الغاية الفنية التي نصبو اليها ، الّا أن بحثنا في منشأ اللهجة العراقية الشائعة الآن ،

وفي تاريخ تطورها وتأثرها بالأحداث والأنقلابات التاريخية ، لا يخلو على كل حال من فائدة . هذا من جهة ، كما أنه بحث يستفيد منه من يُعنَى بأحوال الشعب ومظاهر حياته والمستوى الذي بلغه من الحضارة ، على أعتبار أن اللغات واللهجات مرآة تنطبع عليها أحوال الشعوب وآدابها وأخلاقها وما الى ذلك فمن فوائد هذا البحث ، الأطلاع على ماضي هذه اللهجة في المئات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، ومقارنتها بحاضرها اليوم فإن كثيراً من ألفاظ تلك اللهجة التاريخية لا يزال دائراً على ألسنة العراقيين الى يوم الناس هذا ، في الحواضر والأرياف العراقية ، كبغداد والبصرة والحلة والكوفة وواسط وملحقاتها من الأرياف . ويستفاد من هذه الدراسة أيضاً ما أنتهت اليه اللهجة في بعض موادها من الإسفاف ، أو ما أحتفظت به من الفصح والشوارد ، والألفاظ والمواد التي أميتت وأنقرضت ، ولماذا ؟

والخلاصة : في هذا البحث ما فيه من الفائدة لمن يعنى بعلم اللهجات أو اللغات المقارن ، الى غير ذلك وجمل القول : يستفاد من هذه الدراسة أن اللهجة الحضرية الشائعة في العراق لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في المئتين السابعة والثامنة ، فهذه اللهجة المحكيّة الآن قديمة ، وهي تخالف أمها الفصحى في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ونغمها ومخارجها وما إلى ذلك

تبدلت بعض الألفاظ العربية الشائعة في اللهجة العراقية، كما تراه في هذه الدراسة، تبدلاً جوهرياً ، حتى ليخيل الينا أنها من لغة أخرى غير العربية ، ومع ذلك نلاحظ أن العراقيين حافظوا على النطق بها على طول الزمان وتطاول العصور .

عوّلنا في هذا البحث على بعض المصنفات التاريخية واللغوية والأدبية التي وضعت في عصر المغول، أوفي أواخر عصور الدولة العباسية ومن بين تلك الكتب والمراجع ، ذلك الجزء التاريخي الذي نشر في بغداد سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) منسوباً لأبن الفوطي ، وأختير له أسم (الحوادث الجامعة) ، وهو أسم كتاب ورد في قائمة مؤلفات المؤرخ المذكور . على أننا وافقنا

على هذه التسمية المختارة لهذا الجزء التاريخي في هذه الدراسة وغيرها من الدراسات . عنيت بدرس الكتاب المذكور الذي نجهل أسمه وأسم مؤلفه في الواقع ، فوجدنه كتاباً يصح الاستناد اليه في البحث عن تاريخ اللهجة العراقية ، وكيفية أنتقالها خلال العصور الينا ، ومقارنتها باللهجة المحكية في العراق هذا اليوم .

مواد اللهجة العراقية :

نظرة في تقسيمها

تنقسم مواد اللهجة العراقية كما نجدها في (كتاب الحوادث الجامعة) ، وفي كتب أخرى وضعت في العصر الذي وضع فيه هذا الكتاب ، الى أقسام :

١) ألفاظ دخيلة من اللهجات الفارسية والمغولية والتركية ، التي عرفت في العراق بعد أستيلاء المغول على البلاد ، وربما كانت بعض هذه الكلمات الدخيلة أو العامية العراقية والمولدة مما لم نعرفه بين الألفاظ الدخيلة أو المعربة أو المولدة المعروفة ، بل ذمرت على لهجتنا في أواخر عصور العباسيين وعصور المغول من بعد ذلك فأذكر بعض المراجع التي وردت فيها ، وتاريخ ورودها إذا أمكن ، وأقارن بينها وبين ما يراد منها في لهجات الأقطار العربية الأخرى أحياناً ، وأذكر الكلمة الفصيحة التي تدل على معناها ، وأستعملها الفصحاء ، على قدر الإمكان .

٢) ألفاظ عربية مولدة [1] ، أستعملت في موارد لم يرد عن العرب أستعمالهم لها فيها ؛

---

(١) المولد ، كما لايخفى ، هو ما أحدثه المولدون الذين لايحتج بكلامهم ، ويقول آخرون في تعريفه : هو الكلام المحدث ، وقالوا « كلمة مولدة » في مقابل « كلمة عربية » . ومن الضوابط الحسنة في تعريف المولد أنه كل لفظ عربي الأصل ، تغير على ممر العصور ، بسبب اختلاط العرب بالأعاجم ، بإبدال أو زيادة أو نقصان أو تسكين أو تحريك أو تقديم أو تأخير

عرف الكلام المولد ، وعرف أهله المولدون الذين أحدثوه ، في أوائل عصور تدوين اللغة العربية وتقييدها وقد توهم بعضهم أنه لا أصل له فيها ، وهو غير صحيح ، ولذلك يقول البلوي اللغوي الأندلسي صاحب كتاب (ألف باء) : لاتكاد العامة تتكلم بشيء الا وله أصل ومعنى ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله هذا ، وستجد في هذه الدراسة نبذة من الكلمات المولدة في العصر المذكور

إذ أن الضرورة دعت الى أستعمال كثير من المواد أو الألفاظ الجديدة بين أفعال وأسماء ، الى صيغ ومشتقات أخرى فاذا نحن أحصينا هذه المواد ، ودرسنا ما أستعمل منها في العراق وحده فقط ، أو فيه وفي غيره من الأقطار العربية ، انتهينا الى معرفة النوعين الآتيين من تلك المواد .

١) الألفاظ التي تستعملها الشعوب العربية ، كلّها أو جلها ، في لهجاتها ، ولا ذكر لها في المعجمات . وهذه تدعو الضرورة الى ادخالها في اللغة ، لأن أتفاق أبناء الأقطار العربية على أستعمالها دليل على أنها عربية الأصل ، وإن أغفلتها كتب اللغة ، وكم فات المعجمات العربيّة من مواد وألفاظ نعثر عليها في كتب الأدب والتاريخ وفي مصطلحات العلوم والفنون ! وفي وسعنا أن نقول إن كثيراً من المواد اللغوية المستعملة في اللهجات العربية لم يهتدِ الأئمة من أصحاب المعجمات اليها ، ففي إجماع الناطقين بالعربية على أستعمال لفظةٍ ما حجةٌ قاطعة على عروبتها أقوى من حجج أهل المعجمات

٢) ألفاظ لا تستعمل الا في قطر واحد ، كالعراق مثلاً . فاذا كانت هذه الألفاظ تدل على معانٍ ، ولم يوجد في اللغة ما يحل محلها ، نظر في إدماجها بمتن اللغة . أما إذا وجد في الفصحى بديل عنها ، أخذ به ، وأذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام المترسلين .

التصرف في الألفاظ الأعجمية :

ويلاحظ أن العراقيين تصرفوا في هذه الألفاظ أو المفردات التي شاعت في لهجتهم بعد أستيلاء الدول الأعجمية ، ومنها دولة المغول ، على العراق ، فبنوا لبعض الأسماء جموعاً ، وأشتقوا من بعض الآلات أفعالاً . ومن الأمثلة على ذلك كلمة (كنبوش) من الفارسية ، لِغطاء مؤخر الفرس ، جمعت على (كنابيش) ؛ و (سربوش) لِغطاء الرأس ، فارسية ، جمعت على (سرابيش) وهكذا أشتقوا من آلة تسمى بالفارسية (دُوشاخه) ، أي ذات شقين يعذّب بها ، فقالوا (دوشخ) ، أي عذب بهذه الآلة . الى هذا ونحوه من ضروب التصرف بتلك الألفاظ مما ستراه عن قريب .

هذا ، ولهذا الضرب من التصرف بالألفاظ الدخيلة ، وأشتقاق الأفعال من الألفاظ

الفارسية ، نظائر سابقة على عصر المغول فقد أشتقوا من كلمة (الديوان) فعلَ دوَّن ويدوِّن[1] ، ومن (البهرج) بهرجه ، ومن (النوروز) نَوْرَزَهُ ونيرزه ، وقالوا منورز ومنيرز ، ومن (البيطرة) بيطرَهُ ، وقالوا : « دنّر وجهه » وأصله من الدينار ، وأساطين مسطنة ، وقناطير مقنطره ، وتطلّس من الطيلسان ، وتقرطق من القرطق ، ودبّج من الديباج ، وتنخّذ من النواخذة ملاك سفن البحر ، أو وكلاؤهم ، معربة وهذا التصرف شائع في كثير من اللغات .

على أن هناك فرقاً بعيداً عند المنيين بالبحوث اللغوية بين الدخيل قديمه وحديثه ، فان علماء اللغة يتحرجون من أستعمال اللفظ الأعجمي الحديث مالم تعربه العرب وما لم يصح إطلاق أسم المعرب لغوياً عليه ، ويذهبون إلى قصر أستعماله على الضرورة . وعلى هذا فإن كثيراً من هذه الألفاظ الدخيلة ومشتقاتها ، مثل كلمة دوشاخه ودوشخ وكنبوش وسربوش التي وردت في كتاب (الحوادث الجامعة) وأمثاله من تصانيف المتأخرين ، لايصح أستعمالها ، وحكمها يختلف عن حكم المعربات ومن رأينا وجوب تطبيق هذه القاعدة على كثير من المصطلحات الأعجمية الحديثة في مختلف العلوم والفنون ، كالطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة ، وهي مصطلحات يدعو كثير ممن لا علم لهم باللغة والبحوث اللغوية الى أقتباسها على علاتها ، مخالفين في ذلك كل القواعد والأصول المتبعة في التعريب والأقتباس ولا يخفى أن العرب أشتقوا كثيراً من أسماء الأعيان ، وأجاز بعض العلماء المحدثين هذا الأشتقاق للضرورة في المواد العلمية ، وبعضهم يتوسع في أقيسة الأشتقاق المذكور .

---

(١) هذا على رأي بعض اللغويين القائلين إن كلمة (ديوان) فارسية معربة ، ومنهم الجواليقي في كتابه (المعرب) ، ونقلوه عن الأصمعي وأبي عبيدة ، ونقلوا عن الكسائي القول بأن هذه اللفظة مولدة . وذهب فريق من أئمة اللغة الى عربية هذه الكلمة ، ومنهم سيبويه في (الكتاب) وجاء في (شرح الفصيح) للمرزوقي : أن اللفظة عربية ، وليست معربة ، من (دونت الكلمة) اذا ضبطتها وقيدتها ؛ لأنها تضبط أحوال الناس ، وتدونها هذا ، وتطلق كلمة الديوان على الدفتر وعلى الكتاب ، وخصصت في عرف الأدباء بالمجاميع الشعرية أو الدواوين هذه بعض أقوال اللغويين المختلفة في أصل هذه الكلمة والمرجح ، فيما نرى ، أنها عربية ، لقدمها ، ووجودها قبل عصر التدوين ، أضف الى ذلك أن عدة من أئمة اللغة الفارسية لم يوردوها في معجماتهم ، ويجوز أن تكون من جملة المواد التي اتفقت فيها اللغتان العربية والفارسية ، مثل كلمة (زور) وغيرها من الكلمات

وما أحلى قول أبي مهدية الأعرابي :

يقولون لي : « شَنْبِذْ » ، ولست مشنبذاً　طوالَ الليالي ما أقام (ثَبِيرُ)
ولا قائلاً : (زوداً) ، ليعجل صاحبي　و « مستان » في قولٍ عليّ كبيرُ
ولا تاركاً لحني لأتبعَ لحنهم　ولو دار صرف الدهر حيث يدورُ

هذا ، ولأئمة اللغة بحوث في موضوع الاشتقاق من المعربات ، وهل يسري عليها حكم كلام العرب ؟ وجملة الجواب أن الألفاظ الأعجمية لايشتق منها ، وإن اشتق المولدون من بعضها كما مرّ　وعلى كل فان الفرق ظاهر بين الألفاظ الأعجمية المعربة التي أضيفت إلى مادة اللغة العربية وفقاً للقواعد المتبعة في التعريب ، وبين هذه الألفاظ الأعجمية الشائعة في لهجة العراقيين بعد ذلك ، مأخوذةً عن المغولية أو الفارسية أو التركية كما سيجيء . ولا يخفى أن المُعَرَّب ورد في القرآن الكريم ، وفي الأثر النبوي ، وفي الشعر الجاهلي وشعر الطبقة الأولى من الإسلاميين　ولا تعرف لغة استغنت إطلاقاً عن الاقتباس من لغة أخرى ، حتى أرقى اللغات . وقد حاول بعض المتحذلقين من اللغويين ردّ ما عرب بعد العصر الأموي ، ومنع الاحتجاج بأوضاع المولدين بعد المئة الأولى ، ولم يجوزوا الأخذ به　ولكن الحاجة وضرورة الحياة قضت بخلاف ذلك　فلما شرع المنصور والمأمون ومن تلاهما من خلفاء بني العباس في النقل عن اليونانية والسريانية والهندية والفارسية ، وضعوا مصطلحات عربية جديدة ، ولم يحجموا عن تعريب بعض المصطلحات الأعجمية التي لم يجدوا مناصاً من تعريبها ، وإن لم تكن كثيرة . وكانت المصطلحات العربية الجديدة أكثر منها ، وبذلك فتح هؤلاء النقلة باباً من التيسير والتسهيل ، وأدوا للغة العربية أجل الخدمات على شكل تفوقت فيه على جميع لغات الشعوب في العصور المذكورة　وفي هذا العصر يتحتم على المعنيين بالبحوث اللغوية أن يحذوا في النقل والترجمة عن اللغات الأعجمية حذوَ النقلة الأولين من العرب ، وأن يفرضوا على أنفسهم التحفظ والاحتياط في فتح باب التعريب ، وأخذ الدخيل الحديث ، ولا نشاطر رأي من يرى خلاف ذلك . فالأعجمي والدخيل ، لايصح تقبله في عصرنا هذا إلا عند الاضطرار . أجل ،

إن الأولين عُنُوا بوضع المصطلحات ، أو تعريب بعضها ، وبذلك أضيفت الى مادة اللغـة مادة جديدة وعلينا أن نلاحظ الفروق الجسيمة بين عصورنا وعصور الأولين ، فان عصورهم كانت عصور المجد والسؤدد والغلبة ، وفيها طما سيل اللغة والآداب العربية ، وجرف ما جرف من لغات الأمم والشعوب وآدابها ، ومن ذلك السريانية والفارسية والنبطية وغيرها ، ولم يبق منها إلا غثاء كغثاء السيل أما في عصورنا الحديثة التي نعيش فيهـا ، وهي عصور التخلف والضعف مادياً ومعنوياً ، فهي عصور تميزت بتسرب الأساليب الأعجمية الى حملة الأقلام والمترسلين ، وطما فيها سيل المصطلحات الأجنبية على الألسنة ، وغرقت اللغة في أمواج من تلك الألفاظ الدخيلة على وجه جعلنا نشعر بالخطر الداهم على العربية من هذه الناحية ، لذلك لا يجوز التسامح أو التهاون في فتح باب التعريب على مصراعيه ، ولا مناص لنـا من ألتزام جانب التحفظ والاحتياط ، لأن الفرق جسيم بين حاضرنا وغابرنا من هذه الناحية .

وقد قيدنا جملة صالحة من تلك الألفاظ الشائعة في اللهجة العراقيـة ، وعنينا بالبحث عن تاريخ أنتقالها من عصر المغول الى لهجة العراقيين هذا اليوم ، والمقارنة بين اللهجتين ومرجعنا في هذا البحث ، كما قلنا ، هو كتاب (الحوادث الجامعة) على الأكثر ، وان كان لهذه المفردات والأوضاع اللغوية والألفاظ الدخيلة والمولدة الآتية ذكر في بعض الكتب التاريخيـــة التي ألفت في عصر صاحب كتاب (الحوادث الجامعة) ، أو قريباً من عصره ، مثل مصنفات أبن النجار وأبن الساعي ، وحتى كتـاب الكامل لأبن الأثير ، فإنه لا يخلو من تلك الألفـاظ الدخيلة الأعجمية أو المولدة . ولكن تواريخ أبن الأثير وأبن النجار وأبن الساعي ، أقتصرت على أستخدام الألفاظ والمصطلحات الشائعة في عصور الدولة العباسية ، وخصوصاً الأخيرة منها . ولنا أن نقول : إن جـلّ ما صنّـفه العراقيون في التاريخ ، ومن ذلك كتـاب تاريخ الوزراء للصابي وكتاب تجارب الأمم لمسكويه وكتاب المنتظم لأبن الجوزي ، لا تخلو من أمثلة وشواهد على وجود لهجة عراقية خاصة ، ولهذا يحسن الرجوع الى ما صنفـه هؤلاء المؤرخون العراقيون وطبقتهم في البحث عن هذا الموضوع ، وذلك فيما يخص لهجة العراقيين في العصور العباسية .

وهي لهجة تعتبر على كل حال سليمة بالنسبة الى اللهجة التي شاعت بعد قيـام الدولة المغولية ، وتدمير الحضارة الإسلامية ، وغلبة الدول الأعجمية . وهـذه اللهجة الثانية هي أصل اللهجة العراقيـــة الشائعة الآن وقد شاعت هذه اللهجة بعد ذلك ، ومرنت عليها الألسنـة في المئتين التاسـعة والعاشرة ، وبهذه اللهجة العاميـة تقريباً ألف بعض الـكتب التي يصح الرجوع اليها في هذا الموضوع ، ومن جملتها مخطوطة تاريخية عراقية تسمى (تاريخ الغياثي) ، ويعد مؤلفها من أبناء أواخر المئة التاسعة

لهجة العراقيين في عصر الغياثي [1] :

يمثل كتـاب الغياثي دوراً من أدوار الانتقـال في تاريخ اللهجة العراقيـة ، أو العامية

---

(١) (تاريخ الغياثي) : من تأليف عبد الله بن فتح الله البغدادي ، الملقب بالغياثي ، من أبناء أواخر المئة التاسـعة منه عدة نسخ في العراق ، اعتمدنا منها نسخة مكتبة دار الآثار القديمة والغياثي مؤلفه متأدب، فارسي النجار على الأكثر ، معني بالتأليف في التأريخ . ومن مآخذه (سيرة جلال الدين منكبرتي) للنسوي ، وكتاب (جامع التواريخ) ، و (تاريخ غازاني) لرشيد الدين الطبيب ، و (نظام التواريخ) للقاضي ناصر الدين البيضاوي ويحسن مقابلة بعض فصول تاريخ الغياثي بالنصوص الواردة في مآخذه المذكورة ، وقد جاء في مقدمة الكتاب ما يأتي : « انه بسبب كثرة الفتن ، وتواتر المحن التي جرت بأرض العرب ، لم يضبط أحد تواريخها ، من دور الشيخ حسين الى يومنا هذا ، أولا من عدم أهل العلم ومن ينظر فيه ، ثانياً إن أكثرها تواريخ ظلم وعدوان ، تركها خير من ذكرها ؛ لأن هذا الدور الذي نحن فيه يسمى دور الإدبار ، وقد ابتدأ من حدود سنة ٦١٦ قرب انقراض دولة العرب وابتداء دولة الترك ، والحالة هذه ، لا يوجد عام إلا أنحس من العام الماضي ، وخطر لي أن أكتب هذه الأوراق لبعض ما جرى في زماننا بأرض العراق »

هذا ما جاء في مقدمة تاريخ الغياثي بعبارته ، والظاهر أنه يعتبر ظهور قبائل المغول وزحفها على الشرق مبدأ دور الادبار في التاريخ ، والمؤرخ إما أن يكون فارسياً وهو الأرجح ، أو عراقياً اندمج في بيأة أعجمية خلال المئة التاسعة ، وفي هـذه الفترة ضعفت اللغة العربية وآدابها في العراق ، وزاحمتها اللغات الأعجمية ، فلا عجب اذا رأينا الغياثي يحسن الفارسية ، ويكثر من ايراد الشواهد فيها نظماً ونثراً ، ولايحسن اللغة العربية ومن المضحك في هذا الباب ، ما جاء في عنوان الفصل الرابع ، وهو قوله : « ذكر ملوك الإسلام الذين كانوا حكاماً في دولة بني العباس في ايران زمين » يعني المملكة الايرانية ، واليك أمثلة من لهجة المؤلف كما جاءت في هذا الـكتاب ، يستفاد منها ما كانت عليه اللهجة العراقية في المئتين التاسعة والعاشرة :

١ — (كسر العهد والميثاق) يعني نقض

٢ — (صفا معهم من العسكر قريب ثلاثة آلاف فارس) يعني بقي معهم

٣ — (توقف في تبريز تلك الصيفية)

الحديثة التي شاعت في عصر المغول في العراق   ففي هذا الدور — وهو الدور الذي انحلت فيه الدولة الايلخانية ، وتمكن خلاله الشقاق والانقسام بين قبائل المغول ، وظهرت ملوك الطوائف وحكام العشائر وأمراء الأطراف من المغول ، وهو الدور الذي يبدأ بعصر الجلائريين بعد موت السلطان أبي سعيد بن خربنده وعصر الطاغية الغازي تيمورلنك ، وينتهي بظهور دولة الأتراك العثمانيين واستيلائهم على هذه البلاد وتعاقب الدولتين الصفوية والعثمانية التركية على الغلبة فيها — نقول : في هذا الدور استعملت أحياناً في التأليف ، لهجة شاع فيها اللحن والخروج عن قواعد العربية في الكتابة ، وأهمل الإعراب ، وأسقطت الحركات ، وحل الوقف محل الإعراب في أواخر الكلم حتى في الكتابة

قلنا فيما مرّ إن سقوط الإعراب من أواخر الكلم كما نراه في تاريخ الغياثي أحياناً غير قليلة ، هو القدر الجامع الذي اتفقت فيه اللهجات العربية الشائعة أو اللهجات العامية . وهوأعني سقوط الاعراب من أواخر الكلم موضوع لغوي تضاربت فيه الآراء من حيث أنه حادث أو قديم . وقد عقد أبو البقاء في(كلّيّاته) فصلاً في هذا الموضوع قال فيه : « فإن قيل : الكلام المنطوق الذي يعرف الآن ما بيننا هل العرب نطقت به زماناً غير معرب ، ثم أدخلت عليه الإعراب ، أم هكذا نطقت به في أول تبلبل ألسنها ؟ قلنا : هكذا نطقت به في أول وهلة ؛ لأن للأشياء مراتب في التقديم والتأخير إما بالتفاضل أو بالاستحقاق أو بالطبع أو على حسب ما توجبه المعقول .

=

٤ — (أعطاهم أجرتهم بالزائد)

٥ — (استصحب مالا كثيراً بالخفية)

٦ — (والتصور الذي تصوره لم يكن حسب المراد)

٧ — (عزل من العسكر أجاويده) ويقصده خياره

٨ — قال في المراسلة بين تيمور والسلطان أحمد ما يأتي : (والبيشكشات والنقودات) ، والبيشكشات كلمة فارسية ، تعني الهدايا

٩ — (كان أكثر أوقاته مشغول باللهو والطرب والعيش والعشرة)

١٠ — (لزموا عليهم الطريق)

١١ — (كانت مصر والشام مخبوصة)

١٢ — (أخرج اليهم النقود والأقمشة والرخوت من خزانته والخيول والأجناس)

إذا عرفت هذا فنقول : الإعراب في الاُستحقاق داخل على الكلام ، لما توجبه مرتبة كل واحد منهما في المعقول ، وإن كانا لم يوجدا مفترقين ؛ لاُننا قد نرى الكلام في حال غير معرب ولا يختل معناه ، ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج ومعناه غير معدوم (كذا) . فالكلام إذن سابق في الرتبة ، والإعراب الذي لا تعقل أكثر المعاني إلّا به تابع من توابعه . والحاصل أن الكلام المعرب لما كان قائماً بنفسه من غير إعراب بخلاف الإعراب ، صار المعرب كالمحل له والإعراب كالعرَض فيه ، فكما يلزم تقديم المحل على الحال كذلك يلزم تقديم المعرب على الإعراب . قال بعضهم : والصحيح أن الاعراب زائد على ماهية الكلمة [1] »

وفي هذا الكتاب ـ أعني تاريخ الغياثي ـ شواهد غير قليلة على إهمال الإعراب ، ومن ذلك قوله (كان تيمور واقف ينظر الى جلالته) والواقع أن هناك فرقاً بعيداً بين (الحوادث الجامعة) و (تاريخ الغياثي) ، ففي تاريخ الغياثي لحن وشذوذ عن الاُصول ، وكتاب الحوادث الجامعة لا لحن فيه ، ولكنه يشتمل على ألفاظ دخيلة وأساليب أعجمية أو مولدة في عصر مؤلف هذا الكتاب وسترى أن أسلوب مؤلف تاريخ الغياثي أسلوب أعجمي منحطّ ، يعتمد على كثير من المفردات والتراكيب والأساليب الأعجمية أو الفارسية ، وهو من الأساليب الشائعة الى الآن في بعض البلاد المتأخرة ، ويستثنى من ذلك ما نقله الغياثي عن كتب المؤرخين السابقين ، وتكثر الشواهد الشعرية الفارسية في الكتاب [2] ، وأسلوب المؤلف خليط من اللهجة العامية العراقية والفارسية ولنا أن نقول : إن طريقة الغياثي في تاريخه تمثل الأسلوب الإنشائي العامي المشوب بالعجمة الذي شاع في العراق إذ ذاك .

هذا ، وقد جعلنا عنوان هذه الرسالة « أصول ألفاظ اللهجة العراقية » ، ونظمنا معجماً في الاُلفاظ الواردة فيها ، وهذا أوان الشروع بالمقصود :

---

(١) مادة (الإعراب) من كليات أبي البقاء

(٢) أنظر الصفحات الآتية من أرقام مخطوطة مكتبة مديرية الآثار القديمة (١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٢) .

معجم الألفاظ العراقية

(١)

١ — (الإدارة والمدير) : أدار الشيء : أماله ، وفاعله المدير . هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب ومنذ عصر المغول تحول مدلول هذه الكلمة ، فأطلقت على تصريف الأعمال وتدبيرها ، وأطلقت كلمة المدير على المتصرف ، وشاع أستعمالها بهذا المعنى في عصور الأتراك والعصور الحديثة قال أبن الفوطي في ترجمة أحد الملقبين نخر الدين [١] : « كان عارفاً بأمور القضاء والعدالة ورسوم الإدارة والوكالة »

ثم جاءت من كلمة ادارة (مديرية) و (مجلس ادارة) و (مدير) وفي نسخة (نشوار المحاضرة) للتنوخي : « كان فلان يدير الولاية » ، ويغلب على ظننا أن كلمة يدير في هذه النسخة محرفة عن (يدبر) من التدبير

٢ — (الأسباب ـ بمعنى الأمتعة) : السبب في أصل اللغة الحبل والسلم والصلة والعلاقة من قرابة أو نحوها ، والجمع أسباب هذا هو مدلول كلمة السبب والأسباب في الأصل ، ولكن هذه الكلمة في لهجة العراقيين الشائعة اليوم تعني الأثاث والمتاع وآلة المنزل ، فتراهم يقولون « باع أسبابه » أي أثاثه ومتاع بيته وليس أستعمال لفظة الأسباب بهذا المعنى حديثاً ، بل هو قديم في لهجة الآباء والأجداد جاء في (الحوادث الجامعة) في مَعْرِض شرح نكبة علاء الدين الجُوَيْني : « وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة [٢] » وتكررت هذه العبارة في الكتاب المذكور [٤] ويعبرون عن المتاع والأثاث بكلمة (رحل) فيقولون : نقل فلان رحله ، إشارة الى أثاثه وآلاته . وفي جواز أستعمال هذه الكلمة بهذا المعنى أوعدمه ، نقاش بين اللغويين ، ومن القائلين بمنعه الحريري في (الدرة) [٣] ، وأدعى أن هذا الأستعمال وهم يباين المقصود به في لغة العرب ، إذ ليس من أجناس الآلات ما يسمونه رحلاً إلا سرج البعير ، وإنما رحل الرجل منزله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا أبتلت النعال ، فالصلاة في

---

(١) مجمع الآداب (٤/ مادة نخر الدين) ، واللباب (٥٦)

(٢) الحوادث الجامعة (٤١٦) (٣) أنظر (٤١٨) (٤) درة الغواص (٥٢)

الرحال » أي صلّوا في منازلكم عند أبتلال أحذيتكم من المطر هذا ما قاله الحريري ، ولم يرتضه الخفاجي في شرحه على الدرة قائلاً : إن الرحل المنزل ومتاع الرجل وما يستصحبه من الأثاث كما في الصحاح ، وعليه قول متمم بن نويرة :

كريم الثنا حلو الشمائل ماجد   صبور على الضرّاء مشترك الرحل

ومن شعر عبد المطلب

لا هُمَّ ، إنّ المرءَ يمـ   ـنع رحله ، فأمنع رحالَكْ

قال أبن هشام في (تذكرته) ، ومن خطه نقلت : رحل الرجل : متاعه ، وقد فسر الرحل في قوله تعالى : « فمن وجد في رحله » بالأثاث بدليل قوله : « ثم أستخرجها من وعاء أخيه » ، وهو في الأستعمال أكثر من أن يذكر .

وفي (كليات أبي البقاء) : « الأثاث : ما يكتسبه المرء ويستعمله في الغطاء . والوطاء : ما يفرش في المنازل ويزين به وقيل : الأثاث ماجدّ من متاع البيت ، والخرثي : ما رثّ . وذكر بعضهم أن المتاع من متع النهار إذا طال وقال أبن الأثير : المتاع لغة كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها ، وعرفاً كل ما يلبس ويبسط »

٣ — (انكسار الدراهم) : عبارة يراد منها هبوط سعر النقد في العصر المذكور . جاء في (الحوادث الجامعة) : « لقوا شدة من الغلاء وكسر الدراهم » (١)

٤ — (الإنهاء ـ بمعنى العريضة) : هو أصطلاح عرف أواخر العصور العباسية وأوائل عصور المغول والإنهاء : هو الإبلاغ في أصل اللغة ، مصدر أنهى الشيء ، أي أبلغه . ولكنهم جعلوه أسماً على ما يُعرَض وينهى الى المقامات العليا في الدولة . وقد تصرفوا بهذه الكلمة كما تصرفوا في كلمة (تقدُّم) ، وهي مصدر من (تقدّم) ، فقالوا : « ورد تقدُّم الى علاء الدين صاحب الديوان (٢) » أي أمر قال صاحب (الحوادث الجامعة) (٣) : « فجلس به — أي في الديوان — وكتب إنهاءً على جاري العادة » . فالمقصود بالإنهاء هنا (الأستدعاء)

(١) الحوادث الجامعة (٤٤٧)   (٢) المصدر المذكور (٣٩٨) .
(٣) المصدر المذكور (٢٠٢) .

أو (عريضة) رفع الى الخليفة ، مصدرةً بكلمة (ينهى) بعد الثناء والدعاء . ويقابل كلمة (إنهاء) كلمة (رفيعة) و (رَفْع) بصيغة المصدر بهذا المعنى ففي أخبار سنة ٦٥٧ هـ من (الحوادث الجامعة) : « رفع نجم الدين بن عمران على ابن الدامغاني ، ونسب اليه » [1] وفي عصور الطبقة الأُولى من العباسيين شاع أستعمال لفظة (القصة) بهذا المعنى ، فكانوا يقولون : « رفعت الى الخليفة ، أو الى الوزير (قصة) يذكر فيها من أمره كيت وكيت » ويراد بكلمة (القصة) هنا ما يريده بكلمة (إنهاء) أو (أستدعاء) بعد ذلك وأصل معنى القصة ، الحديث والخبر ، وقد تستعمل كلمة (الرقعة) ، وتجمع على (رقاع) بالمعنى المذكور ومن ذلك قولهم : « خذ رقاع الناس للحوائج ، وأستجعل عليها » يعني بكلمة رقاعهم أستدعاءاتهم وتعني كلمة (استجعل) أخذ الجعل ، أي الأجرة ومن الألفاظ التي شاع أستعمالها في العصر العباسي الأول والأوسط بهذا المعنى كلمة (رفيعة) ، وتجمع على رفائع ، بمعنى القصة والبلاغ ورفع الشكوى جاء في (كتاب الأوراق) للصولي في أخبار سنة ٣٢٨ ما يأتي : « وكثرت الرفائع الى (بجكم) من ظلم أصحابه [1] » . وفي (كتاب الوزراء والكتاب) : « أحضر رزام كتاباً يوهم أن فيه رفائع على محمد بن خالد » ، وفي الكتاب المذكور أيضاً : « أمرني أن أرفع على محمد بن خالد [2] » . وأستعمل (الرفع) بصيغة المصدر أسماً لعريضة الشكوى بعد ذلك ، فقد جاء في (رحلة أبن بطوطة) : « إن أخذ الحاجب الأول الرفع من الشاكي ، فحسن [3] » . وقال أيضاً : « كتب رفعاً ، وهم يسمونه (عرض داشت) [4] » . هذا ما ورد في رحلة أبن بطوطة وعبارة (عرض داشت) ، تعني كلمة (عرض حال) الشائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم . وفي مصطلحات المنشئين وأصحاب الدواوين بهذا المعنى ، كلمة (مشروح) ، وتجمع على مشاريح . وقد وردت في (ذيل كتاب تجارب الأمم) [5] ، وفي أخبار سنة ٥٩٠ من (تأريخ الدبيثي) : « كتب بذلك مشروح ، وضع فيه الحاضرون من

(١) كتاب الأوراق (٣٣٩/١٠) (٢) الوزراء والكتاب للجهشياري (١٣٨)
(٣) رحلة ابن بطوطة ط النيل (٥١/٢) (٤) المصدر المذكور (٨١/٢)
(٥) تجارب الأمم (٢٦)

أرباب الدولة والفقهاء والعدول خطوطهم » . وفي (نهاية الأرب) : « نظم بذلك مشروح ، وسير الى الأبواب السلطانية » وجمعوا المشروح على مشاريح ، قال القريزي : « رسم لها كشفها ، ونظم المشاريح [1] » ، وقال أيضاً : « وأصدروا الى الديوان المشاريح بما كشفوا » والظاهر من سياق كلام القريزي والنُوَيري وغيرهما أن كلمة المشاريح تعني ما يراد بكلمة (تقارير) الشائعة في الوقت الحاضر على لسان أصحاب الدواوين ، ولا تعرف غيرها في لهجة العراقيين بهذا المعنى وقد قامت مقام كلمة (راپور) الفرنسية التي كانت معروفة في لهجة العراقيين في أواخر عصور الدولة العثمانية أما وقد أجاز الكتاب والمنشئون المتأخرون أشتقاق كلمة (مشروح) من مادة شرح ، وجمعوها على مشاريح ، فلماذا لا يجوز أستعمال كلمة (مشروع) بمعناها الأصطلاحي المعروف ، وهو يجمع على مشاريع ؟ هذا ، وقد شاع عند أصحاب الدواوين وفي لغة الصحفيين أستعمال كلمة (مذكرة) بمعنى مشروح أو تقرير ، غير أن كلمة المذكرة خصصت في الغالب بشرح الأمور السياسية اذا كانت منطوية على ضرب من الأحتجاج والأستنكار هذا ، ولا يخفى أن (التقرير) في أصطلاح العلماء والفقهاء المتأخرين يعني إعادة درس الأستاذ ، و (المقرر) هو (المعيد) ، أو أن كلمة التقرير تعني بيان المعنى باللفظ ، والتحرير بالكتابة قال الشريف الجرجاني في (التعريفات) : « الفرق بين التحرير والتقرير أن التحرير بيان المعنى بالكتابة ، والتقرير بيان المعنى بالعبارة » والواقع أن كلمة الرفيعة والتقرير والبلاغ والقصة ، يعنى بها عدة معانٍ مختلفة تدل عليها القرائن وسياق الكلام ؛ فقد تستعمل كلمة رفعة ورفيعة وتقرير وبلاغ في حالة التظلم ورفع الشكوى ، وقد تستعمل في حالة رفع الوشايات والأخبار الى الجهات السلطانية ، وقد تستعمل بمعانٍ أخرى .

٥ — (الأوردو — بمعنى المعسكر أو المخيم أو الجيش) : كلمة تركية ، وقيل مغولية ، شاع أستعمالها في العصور المغولية ، وما زالت شائعة في اللهجات التركية الى الآن . وقد أكثر مؤلف (الحوادث الجامعة) من أستخدام هذه الكلمة التركية بمعنى المعسكر ، ويستفاد منها أنها

(١) الخطط (١٣٧/١)

تغلبت على ما يقابلها من الألفاظ العربية ، كالمخيم والمعسكر ، في عصر المغول ، إلّا نادراً وكان مقر الجيش المغولي الأصلي في الدولة الايلخانية في أذربيجان ، وكنت لا تسمع ولا تقرأ في الكتب والرسائل وفي المخاطبات إلّا قولهم (ذهب الى الاُوردو) ، أو (جاء من الأوردو) ، أو (رأيته في الاُوردو) وقد ينعت الاُوردو بكلمة الاُشرف أو المعظم وفي (كتاب الحوادث الجامعة) لم تستعمل كلمة المعسكر مكان كلمة الاُوردو . وفي (تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي أستخدمت كلمة (المخيم السلطاني) مكان تلك الكلمة التركية ، أو المغولية جاء في (الحوادث الجامعة) : « وصل من طلبه الى الاُوردو المعظم للمقابلة [1] » ، وجاء أيضاً : « وأقام سعد الدولة في الاُوردو المعظم [2] » ، وقال : « حملوا الى الأوردو المعظم ، فأمر بقتلهم [3] » ومن المفيد أن نشير الى آراء بعض اللغويين القدماء في أصل لفظة (عسكر) أو (معسكر) حيث قالوا إن (عسكر) معرب ، وإن أصله (لشكر) بالفارسية ، وهو مجمع الجيش وبعضهم يقول إن أصل الكلمة من السريانية وبعضهم يرى أنها بابلية ومن رأينا أن هذا تكلف ، فكثيراً ما أتفقت اللغات في موادّ بعض الألفاظ والكلمات . ويقول اللغويون إن العربية والفارسية أتفقتا في كلمة (زور) بمعنى القوة ، وكلمة (ديوان) ، وكلمة (سارة) ، الى غير ذلك من الكلمات التي أتفقت فيها اللغتان وقد أحصى المعنيّون بالبحث المقارن بين اللغات ألفاظاً غير قليلة أتفقت فيها العربية مع السريانية ، أو العبرية ، أو الآرامية ، أو الأمهرية لغة الحبشة ، أو غير ذلك من اللغات السامية ولا عجب أن تتفق اللغات السامية المذكورة في بعض موادها ، فإنها — أعني اللغات السامية — مشتقة من أصل واحد ، أو هي بنات أم واحدة لم يتفقوا على تعيينها الى الآن ولا مانع أن تتوارد بعض اللغات السامية مع الآرية الهندية في بعض المواد ، فان ذلك من قبيل توارد الخواطر ، وتواردُ الخواطر ليس بعجيب . ومن رأينا أن تطبق هذه القاعدة في كثير من الألفاظ اللغوية التي يزعمون أنها معربة

(١) الحوادث الجامعة (٣٩٨)
(٢) المصدر المذكور (٤٥٠) ، وانظر الصفحات التالية من الكتاب (٤٣٠ ، ٤٦٠ ، ٤٩٥) .
(٣) المصدر المذكور (٤٤٨)

عن بعض اللغات الأعجمية ثم ، لماذا لا نقول إن كلمة (لشكر) الفارسية بمعنى الجيش مأخوذة من كلمة (عسكر) العربية على خلاف ما يراه بعض اللغويين ، أو هي من الكلمات التي تقاربت فيها اللغتان ؟ هذا ، وما يقال في كلمة عسـكر ، يقال في كلمة (ناموس) التي زعم بعض المتكلفين أنها سريانية أو يونانية ، لمجرد أنها ختمت بحرف السين ولهذا الضرب من التكلف في رد الألفاظ الى أصول أعجمية أمثال غير قليلة وخلاصة القول : لقد أسرف بعض المتحذلقين من المعنيين بالبحوث اللغوية في الاستعجام ، حتى قال بعضهم : إن (هيتَ لك) قبطية الأصل أوعبرية بمعنى (تعال) ، مع أنها من أخوات (هيا هيْ) وغيرهما من ألفاظ التنبيه ، وهي أوضاع طبيعية مصطلح عليها في جملة من اللغات . ومن السخف قول من قال إن (رحمن . رحيم) معرب . هذا ، ويكثر ورود لفظة (الأوردو) في الكتب التأريخية التي ألفت في عصر المغول بالفارسية والعربية ، ومن ذلك مؤلفات رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير مؤلف كتاب (تأريخ مبارك غازاني)[1] و (جامع التواريخ) وغير ذلك . وقد سميت اللغة الهندية المعروفة (أوردو) ؛ لأنها – على ما يقول بعض الباحثين في أصلها – من لغات الفرس والأتراك والهنود الذين كانوا يعيشون جنباً الى جنب في معسكر السلطان محمود الغزنوي في الديار الهندية .

٦ — (الايلچية) : لفظ تركي الأصل ، ومفرده (إيلچي) ، ويرجع استعمال كلمة الايلچي في العراق وفي الأقطار الخاضعة لحكم المغول الى المئتين الثامنة والتاسعة وما بعد ذلك ، قال مؤلف (الحوادث الجامعة) ، وهو يؤرخ موت السلطان : « توفي في ذي الحجة ، فسارت الايلچية الى أبيه تخبره بذلك ، ثم سارت الايلچية الى أخيه منكوتمر بالخبر ، فصادفوا إيلچية من أصحابه[2] » ، وقال أيضاً : « وأرسلوا الى بغداد أيلچية للقبض على الأمير علي[3] » . فاستعملت هذه الكلمة التركية هنا مرة بمعنى سعاة البريد السريع ، وتارة بمعنى السفراء

(١) أنظر الصفحات (١٧ ، ٢٨ ، ١٦٤ ، ٣٢٦) من هذا الكتاب ط انكلترة سنة ١٣٥٨هـ (١٩٤٠ م)

(٢) الحوادث الجامعة (٤١٦) (٣) الحوادث الجامعة (٤١٧) .

والمبعوثين وجاء في (الحوادث) أيضاً: « وكان نوروز في الروم، فسارت الايلچية اليه، فقتل هناك[1] » وكانت هذه الكلمة مستعملة في اللهجة التركية على عهد الدولة العثمانية بمعنى (القائم بالأعمال)، أو ممثل دولة ما، أو مبعوث من قبلها وتجمع بالفارسية على (ايلچيان)، وتضاف الى كلمات أخرى من التركية والمغولية والفارسية، فيقولون (ايلچي خانه) و (ايلچي بارالتوه)، وكثر أستعمالها مثل كلمة (أوردو) في الكتب الفارسية المصنفة في عصر المغول[2].

(ب)

٧ — (البايزه): بالباء الفارسية: لفظة مغولية أو تركية، ويجمعونها على (بوايز) باللهجة العربية، و (پايزها) بالفارسية ومعنى بايزه أمر سلطاني أوفرمان. جاء في (الحوادث الجامعة): « أمر أن يحضر الى الديوان كل من معه فرمان وبايزه[3] » ويكثر ورود هذه الألفاظ الأعجمية في الكتب المعنية بتأريخ المغول وقد جاء في (مختصر تأريخ الدول) لابن العبري: « وكان قد وصل اليه في خدمة قاءان اليرليغُ والبوايز[4] » ويقال إن البايزه عبارة عن قطعة أو لوح من مَعْدِن أو ذهب مرسوم على أحد وجهيه رأس سبع، وكانت تمنح لكبار رجال الدولة عند المغول وللسعاة المكلفين بحمل الرسائل الرسمية[5]

٨ — (بز النهر): بمعنى مؤخره، كلمة فصيحة، غير أنها مهجورة في الأقطار المأهولة بالعرب، ما عدا العراق. فمن الكلمات الشائعة الآن في لهجة العراقيين، وخصوصاً في أرياف العراق، كلمة (بزّ النهر)، ويعنون بها مصب النهر، أو مؤخره وهي من الكلمات التي كانت شائعة في لهجة أجدادهم في المئتين السابعة والثامنة ولهذه الكلمة ذكر في واقعة بغداد، ففي (كتاب الحوادث الجامعة): « أدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بزّ دُجَيْل »[6]

---

(١) الحوادث الجامعة (٤٦٢، ٤٦٤)

(٢) أنظر الصفحات الآتية من كتاب (تأريخ مبارك غازاني) ط. انكلترة سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠م): (٢٤٣ — ٢٤٥، ٢٤٨ — ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٧٠ — ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٩٥ — ٢٩٧، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٦ هـ ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٦ — ٣٥٨، ٣٦٠)

(٣) الحوادث الجامعه (٤٥٤) (٤) مختصر تأريخ الدول (٤٨٣)

(٥) أنظر الصفحات الآتية من تأريخ مبارك غازاني (٨١، ١٦٣، ٢٧١، ٢٩١، ٢٩٧—٣٠٠)

(٦) حوادث سنة ٦٥٦هـ من الكتاب

ويرادفها من الفصيح (ذنابة) أو (مذانب) قال غياث الدين عبد الكريم بن طاووس : « والذي بنى مشهد الكرخ سباهي الحاجب مولى شرف الدولة ، وبنى قنطرة الياسرية ، ووقف دباهى على المارستان ، وسدّ بثق الخالص ، وجرّ ذنابة دجيل [1] »

هذا ، ومن معاني البز في أصل اللغة الثياب ومتاع البيت ونحوهما ، وبائعه (البزاز) ، وحرفته (البزازة) ، و (البزة) بالكسر الهيأة

٩ — (بطل) : بطَلَ الأجير (بالتخفيف) : تعطل ، ولا يشدد الا في لهجة عراقية ظهرت في عصر المغول جاء في (الحوادث الجامعة) : « وبطّل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك [2] » ، أي تعطلوا ، ويقال في الفصيح : تبطّل بالتشديد ، أي صار بطلاً ، وجمعه أبطال

١٠ — (البقايا) : يراد بها في مصطلح الديوان مبلغ من الضرائب متخلف في ذمة المكلفين وهي معروفة الى الآن في بعض المصالح الحكومية في العراق . ويظهر أن الأتراك نقلوها ، فيما نقلوها من المصطلحات ، عن عصر المغول وجاء في (الحوادث الجامعة) : « طولب بالبقايا وشدد عليه [3] » هذا في العراق ، أما في مصر فقد أصطلحوا على أُستعمال لفظة (البواقي) بمعنى البقايا وكان هذا المصطلح ـ أعني البواقي ـ يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج [4] جاء في (السلوك) : « وسامح ما تأخر من البواقي بأرض مصر والشام [5] » ، وجاء أيضاً : « ورسم السلطان لاجين في غرة عسامحة أهل مصر والشام بالبواقي [6] »

١١ — (بقيار) ـ بفتح الأول ـ : لفظة فارسية على الأكثر ، وتجمع على بقايير ، ثوب أو نسيج من الوبر أو من مادة أنخر منه ، وهو من خلع الملوك ، وقد يتخذ منه عمائم . والغالب أنه النسيج الذي يسمى الآن (بَرَك) في بلاد فارس وردت أكثر من مرة في (كتاب

(١) فرحة الغري ط النجف ، الثانية (١٣) .
(٢) الحوادث الجامعة (٤٠٥) .
(٣) الحوادث الجامعة (٣٤٩)
(٤) الواعظ والاعتبار للقريزي (١/٨٢)
(٥) كتاب السلوك (١/ق٣/٧٥٩)
(٦) المصدر المذكور (٨٢٢) .

الحوادث الجامعة) وفي تواريخ المتأخرين من طبقة شيوخ مؤلفه كابن الساعي . ففي أخبار سنة ٦٣١ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « خلع على الفقهاء قمصان دمياطي وبقايير قصب » ، وفي أخبار سنة ٦٣٢ : « ختم الأمير أبو أحمد عبد الله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآنَ المَجِيدَ على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار ، وأحضر له خلعة قميص أطلس وبقيار قصب عفربي ، فامتنع من لبسه تورّعاً ، لما ورد في ذلك من النص الدال على التحريم ، وأحضر له قميص مصمت غزلي وبقيار قصب بحرير [1] » ، وفي أخبار سنة ٦٤٣ : « خلع عليه في دار الوزارة قميص (مصمت) أبيض وبقيار قصب (مسكّن) ، وخوطب بشيخ الشيوخ [2] » ، وفي حوادث سنة ٦٠١ من (الجامع المختصر) لابن الساعي : « خلع عليه قميص أبيض (نفطي) وبقيار[3] » ويستفاد من ذلك أن البقيار نوع من العمائم الكبار يلبسها الوزراء ورجال الديوان ، ويلبسها أيضاً الأئمة والفقهاء . ولا تعرف هذه اللفظة الآن في اللهجة العراقية ، ولا في اللهجات الأعجمية الحديثة .

١٢ — (بكش) : فارسية ، بمعنى أقتل جاء في أخبار سنة ٦٤٩ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ الى بغداد من تستر ، وقال : إن الله أمرني أن أستنجد جماعة ، وألقى عساكر المغول فقال له الوزير : أفي المنام قيل لك ذلك ؟ قال : لا ووقع لي أنني اذا لقيتهم لا أبالغ في القتل ، فقال لي الله تعالى : (بكش) ، ومعناه بالعربية أقتل [4] »

(البند) : كلمة فارسية ، لها في اللغة المذكورة معانٍ عدة ، فتارةً يعنى بها العَلَمُ الكبير ، وهي بهذا المعنى من الكلمات المعربة ، وتجمع على (بنود) وتستعمل هذه الكلمة في اللغة الفارسية بمعنى الرباط ، أو الحزام ، أو الضابط ، أو الغلق ويقول بعض المعنيين بالبحوث اللغوية المقارنة : إن هذه الكلمة معروفة في جملة من اللغات الشرقية والغربية ، فمن

---

(١) الحوادث الجامعة (٧١)
(٢) المصدر المذكور (٢٨٥)
(٣) الجامع المختصر (١٤٤/٨)
(٤) الحوادث الجامعة (٢٥٩ — ٢٦٠)

الأولى الفارسية والتركية والكردية والسريانية والسنسكريتية ، ومن الثانية الجرمانية وقد أستعملت هذه الكلمة وحدها تارةً ، ومركبةً مع كلمة فارسية أخرى فقالوا (دربند) ، ويعنون بذلك المضيق أو السد أو الغلق وما الى ذلك . وفي أخبار سنة ٦٧٩ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر ، وحمله الى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته ، فنصب تحت البند عند دروازة دزفول [1] » . فالبند هنا منطقة معينة من المدينة المذكورة هذا ، ولا أثر لهذه الكلمة في اللهجة العراقية الآن ، وإنما يقولون (بند) لفاصلة ، أو فقرة قائمة بنفسها من قانون أو نظام ما ، أو بحث ما ، وما الى ذلك . وأطلقت هذه الكلمة على نوع من الزجل ، أو الشعر ، له عروض خاص ، عرف عند المتأخرين من المتأدبين وفي اللغة الفارسية تدخل هذه اللفظة في تركيب كلمات كثيرة ، من ذلك (بازبند) ، أي العُوذة التي تربط على العضد ، و (گلبند) لرباط ما يلبس على الرأس من سرابيش وطاقيات ونوع من العمائم جاء في (كتاب السلوك) للمقريزي : « رتب له في كل شهر كلوتتين [2] زركش ، قيمة كل منهما مبلغ خمسين ديناراً عيناً ، وقيمة (گلبندها) ، مبلغ أربعين ديناراً [3] » ويستفاد من سياق هذه العبارة أن (الگلبند) عبارة عن رباط يربط به غطاء الرأس و (الدست بند) كلمة مركبة من : (دست) بمعنى اليد ، و (بند) بمعنى الرباط ، وهي أداة من جلد ، وخشبة يربط بها البازي على اليد ، ويقال له (الدستبان) قال كشاجم :

(١) الحوادث الجامعة (٤١٣)

(٢) الكلوتة : غطاء للرأس يلبس بعمامة ، أو وحده ، وتجمع على (كلوتات) وكلاوات وتسمى أيضاً : (كلفته) وقد شاعت هذه اللفظة في عصور الأيوبيين والمماليك بعد ذلك في مصر والشام ، ويقال إن الأيوبيين هم الذين استحدثوا (الكلوتة) بمصر وكانت على أنواع من الجوخ الأصفر ، يلبسونها بغير عمائم غالباً ، وذوائبهم مرخاة تحتها وقد حذا حذوهم الأمراء والجند والمماليك ، وما زالوا على ذلك الى أواسط دولة المماليك البحرية ثم غيروا هذا الزي ، وأضافوا لباس الشاش على الكلوتة ثم اختص المماليك بالكلوتات المذهبة ، وتركوا الكلوتات المتخذة من الجوخ الأصفر لمن دونهم ثم تنوعت هذه الكلوتات والعمائم في عصور المماليك المتأخرين والجراكسة من بعدهم أنظر المواعظ والاعتبار للمقريزي (٢/٩٨) وهامش السلوك له (٤٩٣/١) ، وصبح الأعشى للقلقشندي (٤/٥ ـ ٦)

(٣) السلوك (١/ ق ٤٩٣/٣ ـ ٤٩٤) .

بمخلب يهتك دستباني يفلّ حد السيف والسنانِ

و (دستبان) مركبة من : (دست) ، و (بان) وهي مخففة من (بند) . وفي (المخصص) [1] : القفاز ، وهي بالفارسية (الدستبان) ، الكيس من الأدم الذي يحمله الرجل على يده تحت رجل الصقر ، والسير الذي في رجلي الصقر قد جمع بينهما ، وهو القيد وقد وردت كلمة الدستبان كثيراً في كلام المولدين ، وجاءت أكثر من مرة في شعر كشاجم وفي كتابه (المصايد والمطارد) [2] . وأطلقت كلمة (الدستبند) على نوع من أنواع رقص الفرس : يمسك بعضهم بيد بعض ، فيكونون حلقة ، وهو أشبه برقصة الدبكة . وبهذا المعنى وردت في شعر ابن الرومي :

يلعب الدستبند فرداً وإن كا ن به شاغل عن الدستبند

وقال ابن المعتز :

ودنانٍ كمثل صف رجالٍ قد أقيموا ليرقصوا الدستبندا

وقال الحافظ محمد بن الوزير :

كأنما يلعبن دستبندا أحدثت بالأمس بهن عهدا

(ت)

١٤ — (التتر) : اقتصر أكثر اللغويين على إيراد (تتر) بالتحريك وزن (قمر) لهذا الجيل المعروف الذين يصاقبون الترك وقد شاعت في عصر المغول كلمة (التتار) ، واقتصر عليها مؤلف (الحوادث الجامعة) ، ووردت بهذه الصيغة في كثير من كتب المؤرخين بعد طبقة مؤلف الحوادث الجامعة ، وقال بعض اللغويين المتأخرين : « أما قول الناس (التتار) ، فما لم أجده »

---

(١) (١٤١/٨)

(٢) أنظر الصفحات التالية من الكتاب المذكور (٤ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٩٧ ، ٢٣٣)

١٥ — (التخت) : بمعنى كرسي الملك ، أو سريره ، أو عرشه ، كلمة فارسية ، شاع أستعمالها منذ أستيلاء الأعاجم على هذه البلاد من عهد المغول الى عهد الأتراك حديثاً ، فقالوا : جلس السلطان على التخت ، أو أجلس عليه ، ومن كلامهم « تخت جمشيد » . ولفظ التخت بهذا المعنى ، ليس بعربي ، إذ أن التخت في العربية وعاء تصان فيه الثياب ويكثر أستعمال هذه الكلمة بمعناها الفارسي في المصنفات المعنية بتاريخ الدول الأعجمية جاء في (الحوادث الجامعة) [1] : « اجتمع الأمراء على رفع أرغون عن التخت ، وتسليمه الى أحمد ، وهو تكدار ابن السلطان هولاكو خان » ، وقال أيضاً : « ذكرنا في السنة الماضية أي ـ سنة ٦٨٠ ـ مسير الأمراء ، ليجلس السلطان أحمد على التخت ، فوصلوا اليه ، وأجلسوه على تخت الملك [2] » ، وفيه أيضاً : « جلوس السلطان أرغون على التخت [3] » ، وجاء أيضاً : « جلس السلطان غازان على التخت [4] » ، وورد كذلك : « أجلسوه على التخت صورة ، وتولوا تدبير الملك [5] » وتعني كلمة التخت في لهجة العراقيين والشاميين وغيرهم من أقطار العربية هذا اليوم سرير النوم ، لا سرير الملك ، أو هذا الذي يجلسون عليه في البيوت والأندية وما الى ذلك ، ويجمعونها على تخوت . وعلى كل حال فان الكلمة معربة ، أو دخيلة من التركية أو الفارسية . وقد وصف القلقشندي أنواع القاعد التي يجلس عليها السلطان في مختلف المجالس على عهد الدولتين الأيوبية والتركية بمصر ، وفي هذا الصدد يقول : « سرير الملك ، ويقال له تخت الملك ، وهو مبني من رخام بصدر ديوان السلطان الذي يجلس فيه ، وهو على هيأة منابر الجوامع ، إلا أنه مستند الى الحائط وهذا المنبر ، يجلس عليه السلطان في يوم مهم ، كقدوم رسل عليه ونحو ذلك [6] » . ووردت هذه الكلمة كثيراً في مؤلفات المؤرخين المتأخرين

---

(١) (٤١٧) . (٢) (٤١٩) (٣) (٤٣٩) (٤) (٤٨٣) (٥) (٤٩٩) .

(٦) صبح الأعشى (٤/٦ ــ ٧) وقد جاء في الفصل المذكور : « سرير الملك ، ويقال له تخت الملك ، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام معاوية حين بدن ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك ، حتى اتخذوا الأسرة . وكانت أسرة خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها نحو سبعة أمتار »

من عراقيين وشاميين ومصريين فالتخت كلمة فارسية ، تعني في الأصل لوحاً من الخشب ، وهي معروفة في اللغتين التركية والكردية بهذا المعنى ، وتضاف اليها في هذه اللهجات كلمات أخرى ، فيقال مثلاً (تخت روان) للتخت المحمول على الأكتاف ، أو على الدواب والتختة في اللهجة العراقية الشائعة خشبة يجلس عليها ، وأصلها من الفارسية .

٦ — (التزوير) : هو في الأصل من الزور ، وهو تزيين الكذب ، وإبطال الشهادة . ومن كلامهم : فلان يزوِّر الزائر ، إذا قام بإكرامه هذا معنى التزوير في أصل اللغة . غير أن المولّدين في أواخر العصور العباسية أُستعملوا لفظة التزوير بمعنى تلاوة المأثور من الأدعية وغيرها ، عند زيارة المشاهد قال مؤلف (الحوادث الجامعة) ، وهو يذكر رحلة المستعصم آخر خلفاء بني العباس الى الكوفة ، مودّعاً والدته في سبيلها الى أداء فريضة الحج : « ثم توجّه الى الكوفة ، ودخل جامعها ، وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وزوّره محمد بن كتيلة العلوي[1] » وهذه اللهجة شائعة الى الآن على ألسنة العراقيين ومن معاني التزوير عندهم ، تلاوة المأثور في زيارة المشاهد . والمزوِّر هو الذي يقوم بذلك

١٧ — (التسقيم) : التسقيم والتسقام في لهجة العراقيين هذا اليوم تعني إعداد العدة ، لفلاحة الأرض ، وهيئة آلاتها وليس لها أصل في الفصحى بالمعنى المذكور ، ولكنها من مصطلحات المعنيين بشؤون الزراعة في عصر المغول وقد وردت أكثر من مرة في معجم ابن الفوطي عند ما يترجم لكبار التُّنّاء والزراع ، فنراه يقول في ترجمة أحد حكام ذلك العصر : « قدم بغداد مدينة السلام سنة ٧٠٢ لأخذ معاونة النواحي بنهر الملك ، وتطهير النهر ، وتسقيم الأعمال »[2] . وقال في ترجمة القوساني[3] الناظر ما يأتي : « صدر جليل ولي الأعمال

---

(١) الحوادث الجامعة (١٨٨)

(٢) المعجم (٤/ مادة فلك الدين) ، واللباب (٥٩ — ٦٠)

(٣) القوساني : نسبه الى قوسان ، كورة كبيرة ذات مدن وقرى كثيرة ، موقعها بين النعمانية وواسط وهي الكورة التي تقطنها الآن عشائر ربيعة والسراي ومياح وبعض عشائر زبيد ولكورة قوسان ذكر كثير في تأريخ المغول . قال مؤلف الحوادث ، وهو يؤرخ زيارة الطاغية أباقا للعراق ٦٧٢ : =

السلطانية ، وهو عالم بأمور السواد ومعرفة الزروع وعمارة الأراضي وتسقيم الأعمال وأختيار العمال . اجتمعت به عند الأمير عماد الدين أبي المظفر بن علجة[1] ». هذا ما قاله ابن الفوطي في ترجمة الصدر المذكور ، ولا يخفى أنه يُعْنى في هذا المعجم بتراجم رجال الأعمال سواء أكان ذلك في الصناعة أم في الزراعة أم في غيرهما ، وهي ميزة يمتاز بها ابن الفوطي في معجمه المذكور . ويقول بعض الباحثين في موضوعات المقارنة بين اللغتين العربية والآرامية : إن أصل كلمة التسقيم الشائعة في العامية العراقية ، من اللغة الآرامية ؛ فان الفعل من هذه المادة في الآرامية يعني رتب ونظم ومسح وما إلى ذلك والخلاصة : تستعمل كلمة التسقيم والتسقام في لهجتنا الشائعة اليوم ، ويقال في اللهجة المذكورة أيضاً « تسقّم عليّ هذا الشيء بكذا » ، أي كلفني كذا ، وهي أيضاً من المادة المذكورة . هذا ، ومن المصطلحات الفقهية التي تقابل كلمة (تسقيم) قولهم (كردر) . ورد في بعض كتب الفقه أنها تعني إصلاح الأرض وإعدادها للزراعة ومن رأينا أنها دخيلة مركبة من قولهم (كار) عمل و (در) بمعنى ذو أو صاحب ، فهي تعني صاحب العمل واستعملت كلمة (مسكة) بهذا المعنى الاصطلاحي في بعض الكتب الفقهية ، وقد يراد بها ما يراد بكلمة (حيازة) أو (لزمة) في هذا اليوم . ومن الكلمات المعربة الشائعة في هذا المعنى منذ العصور العباسية لفظة (دهقنة) بمعنى النظر في الشؤون الزراعية . والناظر يقال له (دهقان) ويعنون به رئيس القرية المعني بإعدادها للفلاحة وأصل الكلمة في الفارسية مركبة من : (دِه) بكسر الدال بمعنى القرية ، و (قان) بمعنى الرئيس أو الأمير في اللغة المذكورة ، قال السمعاني في الأنساب[2] : « الدهقان بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وفتح

= « عبر دجلة ، وتضيد في أراضي قوسان ، حتى بلغ قريباً من واسط » وقد حددت هذه الكورة في كتاب معجم البلدان وقال صاحب مراصد الاطلاع : « قوسان بالضم ثم السكون وسين مهملة وآخره نون : كورة كبيرة ، ونهر عليه مدن وقرى قال : بين النعمانية وواسط ، ونهره الذي يسقي زرعه يقال له الزاب الأعلى قلت : هو شط النيل » . وقال أيضاً في مادة زابات : « وبين بغداد وواسط زابان آخران يسميان الأعلى والأسفل ، وهما حدهما من الفراف فالأعلى عند سن ... وقصبة كورته النعمانية على دجلة ، والأسفل وقصبته نهر سابس قرب واسط ، على كل واحد من هذه الزوابي قرى وبلاد »

(١) المعجم (٥/ق١/ مادة كمال الدين ٢٧٦) ، (٢) الورقة ٢٣١ .

القلف وفي آخرها النون : هذه الكلمة لمن كان مقدم ناحية من القرى ، أو من يكون صاحب الضيعة والكروم ، وأشهر بها جماعة في خراسان والعراق » ثم سمى السمعاني طائفة من المشهورين بهذه النسبة

: وقال أيضاً : (التاني) بالتاء المشددة المعجمة من فوقها بنقطتين والنون بعد الألف : هذه النسبة الى (تناية) وهي الدهقنة ، ويقال لصاحب المال والعقار (التاني) . هذا ما قاله السمعاني[1] في الأنساب ، ويلي ذلك تسمية عدد من المنتسبين الى التناية وقال في (التاج) : (التناوة) بالكسر أهمله الجوهري ، وفي حديث قتادة : كان حميد بن هلال من العلماء ، وأضرت به التناوة قال ابن الأثير : هي الفلاحة والزراعة ومثل (التناوة) بالواو (التناية) بالياء حكاها الأصمعي وفي ضبط الكلمة روايات متعددة تجدها في التاج

وقد جمع مصنف الحوادث الجامعة كلمة التناية على (تناءات) فقال في أخبار سنة ٦٧٦ : « استعمل مع الناس والمتصرفين وأهل التناءات والمروءة »

وفي أخبار سني إحدى واثنتين وثلاث عشر وثلاثمئة من كتاب الوزراء للصابي : « وورد الحضرة جماعة من التناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين »

١٨ — (التطبيق والتبنيد) : التطبيق لغة المطابقة والطباق والتطبيق أصطلاح معروف عند علماء البديع . وتستعمل لفظة التطبيق في لهجة العراقيين اليوم بمعنى فرش أرض المنزل أو الغرف بالطابوق . ووجه المناسبة ظاهر ، فلا بد في تطبيق الأرض من المطابقة .

قال السمعاني في مادة الطوابيقي من كتاب الأنساب : هذه النسبة الى الطوابيق ، وهي الآجر الكبير الذي يفرش به صحن الدور .

و (التبنيد) بمعنى تقوية الجدران ، أو تأزيرها مما يلي الأرض خاصة ، من أصطلاحات البنائين المعروفة الى هذا اليوم في العراق ، كما كانت في المئتين السابعة والثامنة ، أو في عصر الدولة الايلخانية في العراق . جاء في (الحوادث الجامعة) عند ذكر ترميم المستنصرية : « جدد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها[2] » . ويستفاد من ذلك أن لهجة العراقيين الشائعة هذا اليوم

(١) كتاب الأنساب الورقة (١٠٢) (٢) الحوادث الجامعة (٣٦٥)

شبيهة بلهجة أجدادهم في العصر المذكور ولاُستعمال كلمة التطبيق وجه لغوي صحيح ، فإنهم يقولون « طبق الأرض » أي غطى وجهها ، ويقولون أيضاً « طبق الشيء تطبيقاً عمّ ، والسحاب الجوَّ غشاه ، والماء وجه الأرض غطاه » .

١٩ — (تعلّق على فلان — احتمى به) : يكثر في لهجتنا الشائعة هذا اليوم قولهم : « فلان متعلق على فلان » أي مُحْتَمٍ أو متحرِّم به . ويقولون « لنا معلقة بآل فلان » أي أرحام أو أقارب أو أصهار وما الى ذلك . و « المَلَق » يعنون به في اللهجة الريفية الهدنة الموقتة . وهذا الاُستعمال قديم في اللهجة العراقية ، ففي أخبار سنة ٦٥٦ من (الحوادث الجامعة) : « كان ببغداد جماعة من التجار قد تعلقوا على أمراء المغول » يعني اُحتموا أو تحرّموا بهم . ولا يقال في الفصيح تعلّق عليه ، بل تعلق به . وفي هذا الكلام ، كما لا يخفى ، ضرب من المجاز والاُستعارة من مادة العلاقة والعُلقة ، فهو الأصل في هذا الاُستعمال

٢٠ — (التمغة) : وردت لفظة التمغة ، وجمعها تمغات ، كثيراً في تصانيف مؤرخي عصر المغول بمعنى الطابع وظل اُستعمال هذه اللفظة شائعاً فى عصر الأتراك بعد عصر المغول شأن غيرها من الألفاظ التركية والمغولية والفارسية ومن الكتب التي كثر فيها اُستعمال هذه اللفظة في حالة الإفراد والجمع (كتاب تلخيص مجمع الآداب) لاُبن الفوطي ، قال في ترجمة أحد الملقبين بعلم الدين : « كان ضابطاً ، كتب بأعمال التمغة ببغداد » [1] ، وجاء في (الحوادث الجامعة) : « سلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد » [2] ، وجاء أيضاً : « تقدم بإعادة الزين عميد بغداد الى التمغات [3] » ، وورد أيضاً : « كاغد عليه تمغة السلطان » [4] ، وفي حوادث سنة ٦٧٢ : « أمر — يعني الطاغية أباقا في زيارته الأولى الى بغداد — بالإحسان الى الرعايا ، وتخفيف التمغات ، وحذف الأثقال عنهم » [5] ولينظر فيما اذا كان أصل هذه اللفظة من قول العرب (دمَغه) ، أي ضربه على دماغه ومن الشواهد على اُستعمال كلمة دمغ بمعنى طبع في كلام المترسلين المولدين ، ما ورد في (رحلة بنيامين) : « كان يدمغ الشال المقصّب

(١) المعجم (٤/مادة علم الدين) ، واللباب (٨٧) (٢) الحوادث الجامعة (٤٣٣) .
(٣) (٤٥٧) (٤) (٤٧٧) (٥) (٣٧٥)

بختمه [1] » يعني يختم الشال ، أو يطبع الشـــال هذا ، وقد أدركنا حفظة مخازن الحبوب والغلات في حواضر الفرات القريبة من مراكز الإنتاج ،كالديوانية والحلة وكربلاء والنجف والكوفة والهندية ، يستعملون خشبة حفروا على أحد وجهيها كلمة الشهادة أو البسملة لختم الغلات بها ، وهم يسمونها (رشم) يعنون الخاتم أو الطابع والكلمة لها أصل في اللغة ، فان للعرب يقولون (الروسم والراسوم ، والروشم والراشوم) طابع يطبع به رأس الخابية ، وخشبة تكتب بالنقر (الحفر) يختم بها الطعام وقد ورد ذلك في المعجمات المشهورة [2] وفي كتاب رشيد الدين الطبيب المسمى (تاريخ مبارك غازاني) بالفارسية فوائد طريفة عن التمغات ، وأشكالها ، وموارد أستعمالها ، وتخصيص كل قطر من الأقطار التابعة لحكم المغول بطابع أو (دمغة معينة) ، وكان شكل التمغة مربعاً قبل عصر غازان . فلما أسلم ، ونشر الدعوة للدين الإسلامي ، غير شكل التمغات من المربع الى المدوَّر ، ولم يكتف بذلك ، بل طبع لفظ الجلالة وأسم الرسول (ص) على كثير من شارات الدولة وأعلامها وما الى ذلك [3]

(ج)

٢١ — (الچاو) : بالجيم الفارسية لفظة مغولية ، تعني الأوراق النقدية قال صاحب (الحوادث الجامعة) في تعريفها : « كاغد عليه عمة السلطان ، عوض السكة على الدنانير والدراهم ، أمر الناس أن يتعاملوا به وكان من عشرة دنانير الى ما دون ذلك ، حتى ينتهي الى درهم ونصف وربع ، فتعامل به أهل تبريز أضطراراً لا أختياراً » [4] وورد ذكر الچاو في حوادث سنة

---

(١) أنظر الرحلة المذكورة ط بغداد (١٣٢)

(٢) راجع مادة رشم ورسم في المعجمات العربية وخصوصاً قاموس الفيروزآبادي

(٣) أنظر عن التمغة وما يتعلق بها في عصر غازان الصفحات الآتية من كتاب (تاريخ مبارك غازاني) : (٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٢) ، وكانت بعض التمغات كبيرة أنظر عن ذلك صفحة (٢٩٢) ، وانظر عن عمل التمغة (١٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٣ ، ٣١٧) ، وعن عمال التمغة (٢٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣) ، وعن أمراء التمغات (٢٧٥) ، وعن تمغات الفرسان (٢٧٥) ، وعن تمغات المدن في عصر المغول (٢٤٥)

(٤) الحوادث الجامعة (٤٧٧)

٦٩٧ بالنص الآتي : « فيهـا أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك ، لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ، ظالماً ، أظهر (الچاو) ، وقسر الناس على المعاملة بـه ، فأضرّ بهم ، وبطلت معايشهم ، وتعطلت أمورهم ، الى أن لطف الله تعالى وألهم السـلطان إبطاله [١] » . هذا ما ورد عن لفظـة الچاو في كتاب (الحوادث الجامعة) غير أن هذه الكلمة المغولية البحتة ، هجرت ، بل ماتت بعد ظهورها بقليل ، ولم يكتب لها البقاء غير مدة قصيرة في بلاد فارس وأذربيجان وبعض الأقطار الأخرى التي ملكها المغول . والظاهر أنها لم تعرف في العراق ، الّا في الأوامر الديوانية المغولية

٢٢ — (الچتر) : بالجيم الفارسية ، كلة شائعة في اللغة الهندية وأصلها من العربية فيما نرى ، وهي تعني مظلة أو ستاراً من حرير مزركش . وقد عرّفها القلقشندي فى (صبح الأعشى [٢]) . وكان الچتر ، بكسر الجيم الفارسية ، من شعار سلاطين الدولة الفاطمية والأيوبية والخوارزمية والمماليك . ففي أخبار سـنة ٦٠٣ من (الجامع المختصر) لأبن الساعي [٣] : « وأنفذ چترين ، لكل واحد منها چتر ، ومئة رأس من الخيل ، فقبل تاج الدين ذلك ، ورد الچتر ، وقال : هذا له أصحابه ، لايصلح لنا ، وأما أبيك ، فقابل ذلك بتقبيل الأرض ، وردّ الچتر أيضا ، وقال : الچتر لايصلح الا للملوك » وورد ذكر الچتر كثيراً في تاريخ الدولة الخوارزمية في أوائل القرن السابع ، ففي (سيرة جلال الدين منكبرتي) : « فحين شاهد السلطان أمر بنشر الچتر ، وكان ملفوفاً » [٤] ، وفي حوادث سـنة ٦٩٤ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « وأما لاچين ، فانه دخل مصر ، ورفع البيسـري الچتر على رأسه » . هذا ما ورد في كتب التاريخ المذكورة ، ويستفاد منه أن الچتر ضرب من المظال الخاصة بالملوك ، وقد تطلق على نوع من المضارب والفساطيط الملكية . ففي (سيرة جلال الدين منكبرتي) ما هذا لفظه : « ركب شاهنشاه ، وأخذ يخدم ، الى أن وصل ، وعانقه السـلطان ، وأشار اليه بالوقوف تحت الچتر ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٩٥) (٢) (٤/٧ — ٨) (٣) (٨/٤) .
(٤) سيرة جلال الدين منكبرتي للنسوي (٥٤)

فوقف عن يمينه ، وتداعت إذ ذاك دعائم الجتر وقضبانه التي ينشر عليها ، وتساقط ، وتطير الناس لذلك [1] ». فالجتر ، كما وصفه النسوي هنا ، أكثر من مظلة ؛ لأن المظلة يحملها شخص واحد ولا تحتاج الى تلك الدعائم والقضبان وورد في حوادث سنة ٦٨٢ من (كتاب السلوك) [2] للمقريزي ما يأتي : « وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن في الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان الى (البيرة) ، وعلى رأسه الجتر كما هي عادته في بلاد التتر ، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد أمراء حلب ، ومنعه من حمل الجتر والسلاح ، وعدل به عن الطريق المسلوك الى أن أدخله حلب ثم الى دمشق » هذا ما جاء في كتاب السلوك ، ويستفاد منه أن رفع الجتر على رؤوس بعض طبقات الأمراء من العادات التي أعتادها التتر في المئة السابعة والثامنة . وتجمع هذه اللفظة على جتور وحامل الجتر ، من وظائف دولة المماليك الأولى في مصر [3] . وفي (السلوك) : « لما دخل غزة ، حمل الأمير بيسري الجتر على رأسه » [4] ، وجاء في أخبار سنة ٧٠٢ من (كتاب السلوك) ما يأتي : « حمل الأمير مبارز الدين سوار الرومي أمير شكار القبة والطير ، وحمل الأمير بكتمر العصا ، والأمير سنجر الدبوس ، ومشى كل أمير في منزلته » [5] ومن هذه الجملة يستفاد أن القبة والطير هما المظلة ، أو الجتر الذي كان من رسوم الفاطميين في مصر . ويؤيد هذا ما جاء في (صبح الأعشى) للقلقشندي [6] عن المظلة ، وهو : « المظلة ، ويعبر عنها بالجتر ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية » فالمظلة والقبة لفظان بمعنى واحد وقد شاعت كلمة المظلة في عصر الفاطميين ، والقبة أو الجتر في عصر المماليك . وعدّ ابن فضل الله العمري [7] الجتر والمظلة من الآلات الملوكية ، في فصل مسجوع متكلف ويستفاد مما قاله ابن فضل الله أنهم كانوا يرفعون الجتر على صهوات الخيول ، وفي أعلاه صورة طير

---

(١) سيرة جلال الدين للنسوي (٣٠٢ ــ ٣٠٣)

(٢) (١/ق ٣/٧١٧) وراجع عن الجتر والجتور الصفحات الآتية من الكتاب (٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٦٣١ ــ ٦٣٢ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٩ ، ٨١٦ ، ٨٢٢ ، ١٠٣٨)

(٣) ١/ق ٣/٧٩٩ (٤) (١/ق ٣/٨٢٢) (٥) ١/ق ٣/٩٣٩ .

(٦) صبح الأعشى (٤/٧ وما يليها) (٧) التعريف في المصطلح الشريف (٢١٦ ــ ٢١٧)

هذا ، ومن رأينا أن كلمة (چتر) مأخوذة من كلمة (ستر) العربية ، خلافاً لرأي من يرى أنها كلمة دخيلة من الهندية أو الفارسية وكنا نسمع النوتية العراقيين الذين يعملون في البواخر بين بغداد والبصرة يطلقون كلمة (چتري) على ضرب من الستائر والمظلات التي تنشر على الباخرة .

٢٣ — (چرخ) : كلمة فارسية ، تعني في الأصل الشكل المدور ، ومن ذلك قولهم : « چرخ فلك » ، وتطلق على جملة من الأشياء والآلات المدورة الشكل في عصر المغول . ثم أطلقت على نوع من آلات الحرب ترمى بواسطتها النبال أوالنشاب أو الحجارة . وقد أستعملت هذه الكلمة في حصار الجيش العباسي لمدينة إربل سنة ٦٣٥ ، ووردت في تأريخ الحادثة المذكورة ، ففي أخبار تلك السنة من (كتاب الحوادث الجامعة) عن تعبئة الأمير قشتمر إزاء مدينة إربل : « نصب البيت الخشب مقابل الباب ، بالقرب منه ، بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ويصل نشاب الچرخ اليه [1] » ومعنى (الچرخ) هنا الدولاب والبكرة وما إلى ذلك من الآلات التي تدور وكلمة (الچرخ) شائعة الى الآن في لهجة العراقيين ولهجة غيرهم من أبناء الأقطار العربية بالمعنى المذكور . و (الچرخي) نقد بغدادي تركي ضرب في بغداد من الفضة ، ورد ذكره في العدد المؤرخ ٢٢ رجب ١٢٩٠ (١٥ أيلول ١٨٧٣م) من (جريدة الزوراء) ، وتقول الجريدة إن (الچرخي) من ضرب (علي باشا) لما كان والياً على بغداد . وللچرخي ذكر في رسائل بعض المعنيين بالبحث في موضوع النقود ، ويقول أحدهم أيضاً إن نقداً ذهبياً ضرب في مدينة الحلة في أيام السلطان سليمان الأول ، ولم يعين اسم هذا النقد المضروب في الحلة ولا تاريخ ضربه هناك ومن النقود الإيرانية المتأخرة نقد فضي صغير يقال له (قران چرخ) ، وكان معروفاً في العراق الى عهد غير بعيد

وكلمة (الدولاب) التي يفسرون بها كلمة الچرخ فارسية أيضاً ، ولكنها من المركبات . وهي مركبة من كلمة (دول) أي الآنية ، و (آب) أي الماء ، فهي آلة لرفع الماء من النهر ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٦)

قال بعض اللغويين : « الدولاب هو ما يديره الحيوان ، والناعور ما يديره الماء » ، وفي اللغة العربية يقال للدولاب والچرخ (المنجنون)

وما الدهر الا منجنون بأهله　　　وما صاحب الحاجات الا معذبا

هذا ، ويستفاد من موارد أستعمال كلمة (الدولاب) أنها خصصت بتلك الآلة التي يرفع بها الماء من النهر ، فهي لا تطلق على جميع الآلات التي تدور كالچرخ ونحوه . وفي أخبار سنة ٦٥٠ من كتاب الحوادث الجامعة : « عمل له بستاناً غرس فيه الشجر وعمل له دولاباً » ، وجاء في أخبار سنة ٦٦٨ من الكتاب المذكور : « تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية ، يفيض الماء من دجلة الى مزمّلتها ، ثم يجري تحت الأرض الى بركة عملت في صحن المدرسة ، ثم يخرج منها الى مزمّلة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة » . وهكذا أقبل البغداديون على نصب الدواليب المذكورة التي ترفع الماء من دجلة الى البيوت والمدارس والمرافق العامة ، ومن ذلك يستفاد أن مستوى أرض بغداد كان دون مستواها الحالي بالنسبة الى النهر ومن رأينا أن أفضل كلمة عربية بحتة يصح الأستغناء بها عن الكلمات الأعجمية كالچرخ والدولاب بهذا المعنى هي كلمة (عجلة) بالتحريك قال السمعاني في مادة (العَجَلي) : هذه النسبة لأبي سعد عثمان بن علي بن (شِراف[1]) العَجَلي ، إمام فاضل مصيب في الفتوى ، سمع جماعة من المتقدمين ، وكانت نسبة (العَجَلي) رأيتها مضبوطة بخط محمد بن علي بن ياسر الحسابي ، فسألته عن هذا التقييد ، فقال : هذه النسبة الى (العَجَلة) وهي المنجنون التي تدار على الثور والفرس ، ولعل واحداً من أجداده كان يعمله ، الى أن قال : كتب لي الإجازة بجميع مسموعاته . وفي (القاموس) : العجلة بالتحريك الآلة التي يجرها الثور ، جمعها عِجَل وعِجال ، والدولاب والمحالة وخشب يؤلف يحمل عليه الأثقال ويستفاد مما ورد في التاج أنها سميت (عجلة) لسرعة مَرِّها ، وقالوا عن المحالة إنها البكرة العظيمة والخشبة التي يستقي عليها

---

(١) هكذا ضبط اسمه في نسخة الأنساب المصورة ، وضبط بالباء على صورة (شراب) في القاموس والتاج ، وقد ترجم له السمعاني والزبيدي ، فلتحقق هذه الكلمة

الطيّانون [1] وكلمة العجلة بمعنى الچرخ والدولاب والمنجنون ، شاعت في هذا العصر الحديث ، وغلبت على غيرها من الكلمات العربية والأعجمية

(خ)

٢٤ — (خاتم الأمان) : تركيب محدث في بعض عصور العباسيين ، وله ذكر في عصور المغول أيضاً . وخاتم الأمان هذا هو رمز الوفاء بعهد السلطان وبره بقسمه وعهده وذمته . وإعطاء هذا الخاتم هو وسيلة الثقة والاطمئنان ، وإنما وقع الاختيار على تسمية أداة الأمان باسم الخاتم دون غيره ؛ لأن الخاتم هو الأداة التي تمضي بها العهود والمواثيق . وفي كتب السير والتاريخ والأخبار ذكر لمنديل الأمان ، وهو كخاتم الأمان فيما له من أثر وقيمة .

نشأت هذه العادة ، فيما نرى ، بعد وقائع كثيرة من قبيل الغدر والحِنث بالأيمان والنكث بالعهود والمواثيق ؛ لأنها كانت أقوالاً مجردة غير معززة بوثائق مادية ، وهو أمر يدل على انعدام الثقة بين القوي والضعيف ، وتأصل الشك والارتياب بين الحاكم والمحكوم ، فاهتدوا الى خاتم الأمان ، والأمثلة على الغدر والنكث بالعهود كثيرة في أحداث التاريخ . وكان فريق من الأمويين والخلفاء العباسيين وغيرهم من السلاطين لايبالون بنقض العهود ، حتى شك الناس بوفائهم في كل ما يقطعونه من مواثيق وفي الخلاف الناشب بين النفس الزكية محمد بن عبدالله ابن الحسن قتيل أحجار الزيت بالمدينة وبين أبي جعفر المنصور قصة معروفة ، كتب المنصور فيها الى النفس الزكية : « أن أقدم علينا وأنت آمن » ، فكتب اليه النفس الزكية : « أهو أمان عمك عبد الله بن علي ، أم أمان أبي مسلم الخراساني ؟ » ، وكان المنصور قد قتل أبا مسلم بعد أن

---

(١) في نسخة القاموس المطبوعة (يستقر) وهو وهم صححه الزبيدي بكلمة (يستقي) في كتاب التاج ، وفي ضبط كلمة (الدولاب) أيضاً أقوال ، قال السمعاني : (الدولابي) بضم الدال المهملة وفي آخرها الباء الموحدة : هذه النسبة الى الدولاب ، والصحيح في هذه النسبة فتح الدال ، ولكن الناس يضمونها ، وأنشد الأصمعي :

ولو أبصرتني يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى في الحرب غير ذميم

فهذه النسبة الى عمله ، أو الى من كان له الدولاب وقال أصحاب المعجمات في مادة (جن) : المنجنون الدولاب مؤنث ، ونقله صاحب التاج عن الصحاح ، ويلي ما قاله صاحب التاج عن كلمة منجنون بحث في ميم هذه الكلمة ونونها واختلافهم فيهما من حيث الأصالة والزيادة

قدم عليه بعهد وأمان في قصة مشهورة وكان محمد بن عبد الله محقاً فيما ساوره من شك وأرتياب بتلك المواثيق

الى هذا الضرب من الوقائع الدالة على التحلل من العهود والمواثيق الغليظة في التأريخ مَرَدُّ الإصرار على تلك الوثيقة المادية ـ أعني وثيقة الأمان ـ في بعض حوادث النزاع والخلاف . وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أتساع مسافة الخلف والجفاء بين الطبقة الحاكمة والمحكومة في العصور المذكورة ورد ذكر خاتم الأمان في تضاعيف كتب التأريخ التي ألفها المتأخرون من طبقة صاحب (الحوادث الجامعة) في العراق وفي كتب الطبقة المذكورة من مؤرخي مصر والشام وفي خلافة المستعصم آخر خلفاء بني العباس ، تكررت حوادث الشغب والأضطراب التي قام بها بعض فرق الجيش ، أو خالف فيها بعض أركان الدولة ، فأضطر المستعصم الى إرسال (خاتم الأمان) للاصلاح بين فريقين مختلفين ، أحدها الخليفة نفسه ، والآخر فريق من رعيته . جاء في أخبار سنة ٦٤٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) ما نصه : « في شعبان حضر جماعة المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين إقبال الشرابي ، للسلام على عادتهم ، وطلبوا الزيادة في معايشهم ، وبالغوا في القول ، وألحوا في الطلب فحرد عليهم ، وقال : ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها ذلك . فنفروا ، وخرجوا من فورهم الى خارج السور ، وتحالفوا على الأتفاق والتعاضد » . هذا ما جاء في حوادث السنة المذكورة من (الحوادث الجامعة) ويلي ذلك كلام في تأزم الخلاف ، وأستمرار المخالفين على ذلك عدة أيام ، وفي آخر هذا البحث يقول المؤرخ المذكور : « اجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد ، وعرفهم ما في ذلك من الإثم ومخالفة الشرع ، فأعتذروا ، وسألوه الشفاعة لهم وأن يحضر لهم (خاتم الأمان) ليدخلوا البلد . فحضر عند الشرابي ، وعرفه ذلك ، وسأله إجابة سؤالهم . فأخرج لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قيران الظاهري والشيخ السبتي ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ، وحضروا عند الشرابي معتذرين [1] » هذا ، ويبدو لنا

(١) الحوادث الجامعة (١٦٨ — ١٦٩) وتجد في أخبار سنة ٦٥٣ من هذا الكتاب ذكراً =

ما يدل على تراخي الأمور وانتقالها من سيء الى أسوأ بعد هذا التأريخ ، حتى لم يبق لخاتم الأمان نفسه قيمة تذكر ، ولم ينج من الغدر بعض الأكابر الذين أعطي لهم خاتم الأمان ، ومن ذلك الشريف أحمد بن رميثة الذي قتل بأمر الشيخ حسن بن الأمير أقبغا الجلائري بعد إعطائه خاتم الأمان . ولولا ثقة هذا الشريف بعهد ذلك الأمير ، لما تمكن من قتله ، وقد قتل على صورة غاية في الفظاعة والتنكيل (١)

أمان التتر :

ولا يخفى أن الشيخ حسن حاكم العراق (سنة ٧٤٠ — ٧٥٧) ، من الجلائريين . والجلائرية قبيلة من قبائل المغول التي انتقلت اليها السلطنة بعد انقراض الأسرة الإيلخانية ، وهو في غدره بالشريف أحمد بن رميثة بعد بذل الأمان له ، حذا حذو أسلافه والمعروف أن التتر لا أمان لهم ، وذلك منذ ظهور جنكيز خان الى أن انقرضت دولتهم . وكلما بذلوا الأمان لبلد ، ثم دخلوه ، قتلوا أهله عن آخرهم ، كما فعل جنكيز بأهل بخارى وسمرقند وغيرهما من مدن ما وراء النهر وتركستان في حوادث مشهورة . والخلاصة : هذا هو ديدن المغول ، وهذه هي عاداتهم المنكرة في الشرق كله على ذلك العهد ، وفي خراسان وفارس وأذربيجان والعراق وفي الري وأصفهان

وهذه الأفاعيل كلها فعلها التتر (المغرِّبة) ، أي الذين اتجهوا من الشرق الى الغرب ، وقصصهم وفظائعهم في (مرو) معروفة فإن مقدم هذه المدينة ـ أعني مَرْوَ ـ خرج الى جنكيزخان بأمان منه ، فخلع عليه ابن جنكيز ، وأكرمه ، وعاهده أن لا يتعرض لأحد من أهل مرو ، وفتح الناس الأبواب للمغول فلما تمكنوا من المدينة ، استعرضوا أهلها بالسيف ، وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يبقوا منهم بقية . ثم ساروا الى (نيسابور) ، فارتكبوا فيها وفي أقاليم

= لتجدد الخلاف بين الدوادار والوزير ابن العلقمي ، وبينه وبين المستعصم ، وغلبة الخوف والقلق على الدوادار ، ولم يحسم الخلاف بين الفريقين إلا بعد تردد المشايخ والأعيان في بغداد بينهما ويلاحظ أن الدوادار أصر على صدور كتاب أمان مذيل بتوقيع المستعصم ، فكان له ما أراد

(١) يراجع عن هذه الحادثة (عمدة الطالب) ص (١٣٣) .

خراسان وفارس وأذربيجان والعراق وبلاد الروم والكرج ، وقد غدر المغول بأهل الموصل بعد بذل الأمان لهم في حادثة مشهورة ، وأباحوا البلد ، وأسروا صاحبها اسماعيل بن بدر الدين لولو وجماعة من ذويه ، وبعثوا بهم الى الطاغية هولاكو وهو بأذربيجان ، فأمر بقتلهم ، ومثل بهم على أفظع صورة

والخلاصة إن كتب التأريخ طافحة بأخبار هذه الهمجية المغولية (1) ، والنكث بالعهود والمواثيق بعد بذل الأمان وقد تطورت وثيقة الأمان في عصر الغازي تيمور ، فكانت هذه الوثيقة تعني أستيفاء مبالغ مالية طائلة من سكان الأقطار أو المدن التي حاصرها تيمور وتسمى هذه المبالغ المستوفاة على هذا الشكل (مال الأمان) أو (مال الأماني) ، وقد أستعملت كلمة (مال) هنا مكان (خاتم الأمان) أو مكان (منديل الأمان) ، في حروب تيمور ، كما يبدو ذلك لمن يتصفح ما كتبه الغياثي في تأريخ تيمور (2) .

حقيقة خاتم الأمان :

هذا بعض ما ورد عن خاتم الأمان في كتب التأريخ ، فما حقيقته ؟ وهل من الضروري أن يكون خاتم الأمان هو عين هذا الخاتم المعروف ؟ نقول : في حقيقة هذا الخاتم أقوال ، فبعضهم يرى أنه هو هذا الخاتم المتعارف المتخذ من مَعْدِن الفضة أو الذهب النقوش المرصع بالفصوص والأحجار الكريمة وهو الخاتم الذي يكتب عليه أسم السلطان ، أو لقبه ، أو شعاره ؛ ويذهب آخرون أن خاتم الأمان عبارة عن علامة أوسمة خاصة ، وليس من الضروري أن يكون ذلك الخاتم المتعارف ، فقد يرمز الى خاتم الأمان بشكل كتاب عليه سمة السلطان أو بشكل منديل ؛ وقد يكون بكتاب يختم آخره بكلمات وعبارات خاصة ، وقد يكون عبارة عن ختم بالطين ، أو بالمداد ، نقشت عليه كلمات تدل على صحة ما جاء فيه ، ويسمى خاتماً على سبيل

(1) عقد ابن أبي الحديد فصلا ممتعاً في زحف المغول وتدمير الشرق على أيديهم في غزواتهم المعروفة ، وقد وقع جانب منها في عصره ويراجع عن الفصل المذكور شرح نهج البلاغة (٢/٣٦٣ ـ ٣٧١)

(2) أنظر الصفحات الآتية من تأريخ الغياثي مخطوطة مديرية الآثار القديمة (٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، ٢٠٦) وقد تكررت فيها هذه العبارة : (أرمى عليهم مال الأمان أو الأماني) ، ونظنها محرفة عن الأمان من الناسخ ، وهو يعني بكلمة (أرمى) فرض وكلمة (أرمى) من الرمي ، فعل مخالف لأصول العربية ، وقد قلنا إن لهجة الغياثي لهجة عامية فاسدة .

التشبيه بالخاتم ، وليس بذلك الخاتم المتعارف . ومن هذا القبيل (خاتم القاضي) ، الذي يبحث به الخصوم : أي علامته وخطه الذي ينفذ بها أحكامه ومن ذلك (خاتم السلطان) أو الخليفة ، أي سمته أو علامته . وفي التأريخ شواهد غير قليلة تدل على أنهم أرادوا بالخاتم معنى رمزياً أو كناية عبروا بها عن السمة والعلامة

قال الرشيد ليحيى بن خالد ، لما أراد أن يستوزر جعفراً ويستبدل به من الفضل أخيه ، قال لأبيهما يحيى : « إني أردت أن أحوّل الخاتم من يميني الى شمالي » فكنى له بالخاتم عن الوزارة ، إذ كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة . ويشهد بصحة هذه الكناية ما رواه المؤرخون [1] من أن معاوية أرسل الى الحسن عند مراودته اياه بالصلح صحيفة بيضاء ، ختم في أسفلها ، وكتب اليه : « أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت ، فهو لك » . قال ابن خلدون : « معنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخط أو غيره ، ويحتمل أن يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ، ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم ، وعلى المودعات ، وهو من السداد . وأول من أطلق الختم على الكتاب أي العلامة ، معاوية ، لأنه أمر لعمرو بن الزبير عند زياد بالكوفة بمئة ألف . ففتح الكتاب ، وصيّر المئة مئتين ورفع زياد حسابه ، فأنكرها معاوية ، وطالب بها عمراً ، وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله ، واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم كما ذكره المؤرخون [2] » . وقال آخرون : وعند ذلك أمر معاوية بحزم الكتب ، ولم تكن بحزم ، أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها بالعلامة أو بالحزم ، وهو ما يطلق عليه الآن (شعبة الرسائل الصادرة)

قال ابن خلدون : « والحزم للكتب يكون إما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب ، وإما بلصق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل المشرق . وقد يجعل على مكان الدس ، أو الإلصاق ، علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه .

(١) أنظر تاريخ الطبري (٢) ابن خلدون : المقدمة ط البهية المصرية (١٨٦)

فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ، ويختمون عليها بخاتم نقشت عليه علامة ، وفي المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد غمس في مدادٍ من الطين معدّ لذلك ، صبغه أحمر ، فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بـ (طين الختم) ، وكان يجلب من (سيراف) ، فيظهر أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة ، أو النقش للسداد والحزام للكتب ، خاص بديوان الرسائل . وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ، ثم اُختلف العرف ، وصار لمن اليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبع ، فيستجيدون صوغه من الذهب ، ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم ، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية ، والمظلة في الدولة العبيدية »

هذا ما قاله اُبن خلدون وقد وصف اُبن فضل الله العمري خاتم الأمان ومنديل الأمان ، وعدهما من آلات الملك في عصره ، وهو أواسط المئة الثامنة ويستفاد مما قاله عن خاتم الأمان أنه هو هذه الحلية المتعارفة المتخذة من الذهب ، وقال عن منديل الأمان ما يأتي : « منديل الأمان ، وكفيل السلامة الوافي بالضمان ، يشدّ من الوسط فلا ينحل ، ويقوم مقام المنطقة في المحل[1] » هذا ما قاله اُبن فضل الله العمري ويستفاد من كلامه أنهم كانوا يعقدون منديل الأمان من وسطه ، ويرمزون بذلك الى وثاقة العقد ومتانة العهد

٢٥ — (خار) : فارسية ، تعني نسيجاً من الحرير فيه تموج ، لا تزال معروفة عند بعض العراقيين كما كانت معروفة في عصر المغول . ففي أخبار سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « خلع عليه قميصاً أطلس بطراز مذهب ، وخاراً أسود ، وعمامة ، وثوب خارٍ مذهب »

٢٦ — (الخربندية) : فارسية ، بمعنى خواص الخدم أو الفدائية شاع اُستعمالها في

(١) التعريف بالمصطلح الشريف (٢٠٩ — ٢١٠)

عصر المغول ، ففي (الحوادث الجامعة) : « شوى الخربندية لحمه ، وأكلوا منه »[1] .

٢٧ — (خست) : فارسية ، معناها مريض ، عُرفت في عصر المغول في العراق ، ولم تزل معروفة الى اليوم في لهجة الأتراك وبعض العراقيين وكان العراقيون الى عهد قريب تبعاً لحكامهم من الأتراك يسمون المستشفى (خستخانه) ، أي دار المرضى . وفي أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أن تركياً عاد خستاً[2] له ، وبات عنده ، فمات العائد وفرسه » ويستفاد من ذلك أن هذه اللفظة الفارسية دخلت الى التركية من عصور بعيدة . هذا ، وكانت دار المرضى تسمى في العصر الأول من عصور بني العباس (المارستان) ، وأصلها بيمارستان ، ومن ذلك « المارستان العضدي » المشهور في بغداد وقد أُستغنى العراقيون في العصر الحاضر ، كغيرهم من أبناء الاقطار المأهولة بالعرب ، عن هاتين الكلمتين ، أعني مارستان وخستخانه ، بكلمة (المستشفى) ، كما أنهم أستغنوا عن كلمة (أجزاخانه) بكلمة (صيدلية) ، وكفى الله المؤمنين شر الرطانة

٢٨ — (الخشل) : الحليّ ، أو رؤوس الخلاخيل والأسورة ، عربية صحيحة ، إلا أنها مهجورة في غير العراق ، ومعروفة شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم بمعناها اللغوي جاء في المخصص عن أبن الأعرابي : « امرأة متخشلة ، أي متزينة » والآن يقولون (مخشلة) . ويزعم بعض الباحثين أن الكلمة آرامية الأصل ، فالخشل في الآرامية الحلي من ذهب وفضة وحجارة كريمة للزينة ، وفي هذه اللغة الآرامية يقال للصائغ (خشلا) والأرجح ، فيما نرى ، أن كلمة خشل من الألفاظ التي أتفقت فيها اللغتان العربية والآرامية ، فلا داعي لقول من يقول إنها آرامية الأصل وما يقال في هذه الكلمة ، يقال في كثير من الكلمات الآرامية والفارسية والأمهرية (الحبشية) وغيرها ، وهي الكلمات التي أتفقت فيها العربية مع تلك اللغات . والأصل في كل كلمة تدور على ألسنة العرب أن تكون عربية ، حتى يقوم البرهان على خلاف ذلك ، ولا ينبغي التسرع في الحكم على عجمة كلمة بمجرد مقاربها أو موافقتها لكلمة أعجمية

(١) الحوادث الجامعة (٤١٩)
(٢) في النسخة المطبوعة (خستاً شال) ، وهو تحريف

في اللفظ أو في المعنى أو فيهما جميعاً ، فقد يكون أصل الكلمة عربياً ، ثم نقلها الأعاجم الى لغتهم ، مثل (الجمل) ؛ فان هذه اللفظة العربية نقلت الى شتى اللغات الأعجمية ، إذ أن (الجمل) في الأصل من حيوان بلاد العرب وقد يكون للكلمة أصل في أكثر من لغة واحدة ، مثل كلمة (أرض) و (زور) للقوة و (عسكر) و (لشكر) للجيش الى غير ذلك ولبعض المعنيين بالبحوث اللغوية قديماً وحديثاً أوهام غير قليلة في هذا الموضوع . ومجمل القول : اذا وجد في العربية أسماء مقاربة للأسماء الأعجمية ، فليس من الضروري أن يكون أحد الاسمين منقولاً عن الثاني وقد قال بعض أئمة اللغة : « اذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروفه ، فلا نرى أحدهما مأخوذاً عن الآخر » والخلاصة إن كلمة الخشل شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، كما أنها من الكلمات التي عرفت في لهجة أجدادهم منذ المئتين السابعة والثامنة وقد وردت أكثر من مرة في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبار سنة ٦٣٦ « دخل جماعة ومعهم ثياب وخشل »[1] ولا يخفى أن لهذه الكلمة أصلها بين المواد اللغوية المدونة في المعجمات

٢٩ — (الخط) : الخط ـ لغة ـ هو الكتابة ، بيد أن هذه الكلمة أستعملت في اللهجة العراقية بمعنى الرسالة أو الكتاب نفسه منذ القرن السابع وهذا الأستعمال شائع في لهجة العراقيين الدارجة اليوم حيث نراهم يقولون : « ورد خط فلان » ، أي رسالته وفي أخبار سنة ٦٥٢ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « وفيها ورد خط أبن عبد الباقي قاضي واسط من مكة ، يذكر فيه أنه قد عزل نفسه عن القضاء وجاور بمكة »[2]

(د)

٣٠ — (دربند) : فارسية ، بمعنى المضيق والعقبة وردت كثيراً في أخبار الأتراك والمغول وغزواتهم في الشرق و (الدربندات) ، أو الممرات الجبلية ، أو المضايق والعقبات ، كثيرة في الأقاليم الفارسية والأذربيجانية وفي الأقطار الشمالية وفي تركستان وما الى ذلك ، ومن أشهرها (دربند شروان) و (باب الأبواب) . قال السمعاني في الأنساب : « (البابي)

---

(١) الحوادث الجامعة (١١٨) (٢) الحوادث الجامعة (٢٧٦)

هـذه النسبة الى (باب الأبواب) موضع بالثغور ، وهي مدينة دربند المعروفة » ، وقال أيضاً : « (الخزري) هذه النسبة الى موضع من الثغورعند سد ذي‌القرنين ، يقال‌له (دربند خزران) » ، وقال صاحب (مراصد الأطلاع) : « بـاب الأبواب : مدينـة على البحر من طبرستان ، وهو بحر الخزر ، وربما أصاب البحر حائطها ، وفي وسطها مرسى السفن ، بني على حافة البحر بسدّين ، وجعل المدخل ملتوياً . وعلى هذا الفم سلسلة ، فلا يخرج للسفينة ولا مدخل إلا بأمر وبهي ، وهي (فرضـة) لذلك البحر ، وسميت (باب الأبواب) لأنها أفواه شعاب في جبل (القَبْـق) ، فيها حصون كثيرة وهو حائط بناه أنو شروان بالصخر والرصاص ، وعلاه ثلاثمئة ذراع ، وجعل عليه أبواباً من الحديد ، لأن الخزر كانت تعبر فيه الى سـلطان فارس حتى تبلغ همدان والموصل ، فبناه لمنعهم الخروج منه ، وجعل عليـه حَفَـظة » قال أبن أبي الحديـد في الفصل القيم الذي عقده لسرد أخبار المغول : « لم يوغل التتار في بلاد الـكرج ، لـكثرة مضايقها ودربنداتها ، فقصدوا دربند شروان [1] » ، وقال أيضاً : « لما فرغوا ، أرادوا عبور الدربند ، فلم يقـدروا عليـه ، فأرسلوا الى شروان ملك الدربند [2] » ومن الدربندات ، دربند مشهور في طريق همدان ، تحصن فيه بعض أمراء الأتراك في خلافة الناصر لدين الله ، ذكره أبن الساعي في (الجامع المختصر) ، ونسبه الى الأمير المذكور قائلاً : « استولى على قلاع في دربنـــد ، وكان أصحابه يقطعون الطريق [3] » ، وجاء في أخبار سنة ٦٤٧ من كتاب (الحوادث الجامعـة) : « نفذت الطلائع ، ومعهم الطيور ، ليخبروا بصورة الحال ، فعادوا ، وأخبروا أن المغول دخلوا الدربند » . والمرجح أن المقصود بهذا الدربنـد مضيق ، أو ممرّ جبال أسـد آباد وهمدان ؛ لأن المغول سلـكوا في غزوهم الواقعة في التأريخ المذكور ، وأجتازوا حـدود العراق الى ضواحي بغداد ، طريق همدان وأسـد آباد وخانقين في الذهاب والإياب . وخلاصة القول : هذه الـكلمة مركبة من : (در) بمعنى الباب ، و (بند) بمعنى السدّ

---

(١) شرح النهج (٢/٣٦٣) (٢) شرح النهج (٢/٣٦٣) .

(٣) الجامع المختصر (٨/١٥)

أو المِنْطقة أو الضابط ، فيكون معنى الكلمة باب السد أو باب الوادي وما الى ذلك .

وجاءت أكثر حروف هذه المادة الفارسية في كلمة (درب) العربية ، قالوا : هو باب السكة الواسعة والباب الأكبر وكل مدخل الى مضايق بلاد الروم ، قال أمرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

٣١ — (الدروازة) : الدروازة بمعنى الشارع ، فارسية ، عرفت على عهد المغول في العراق . ففي أخبار سنة ٦٧٩ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « فيها أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر ، وحمله الى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته ، فنصب تحت البند عند دروازة دزفول[1] » والمقصود عند الشارع الأعظم في المدينة المذكورة وهذه الكلمة شائعة الآن في اللهجة الفارسية بالمعنى المذكور

٣٢ — (دروز) : فعل مبني من كلمة (دروازه) ، ومعناه أنه ألف السير في الشوارع . وأستخدمت للدلالة على التكفف ومسألة الناس ، ووردت بهذا المعنى في جملة من تراجم المتصوفة الذين عُني بالترجمة لهم مؤلف (الحوادث الجامعة) وآخرون من مؤرخي عصر المغول ، جاء في حوادث سنة ٦٣٦ من كتاب الحوادث الجامعة : « وقع من نجم الدين غازي أمر أنكره والده ناصر الدين عليه وأبعده عنه ، فمضى إلى حلب ، وصحب الفقراء ، ودروز معهم في الأسواق ، وحلق شعره . فبلغ ذلك والده ، فأرسل اليه من قبض عليه وحبسه في برج بقلعة تعرف بالبارعية بينها وبين ماردين مسيرة يومين[2] » وفي حوادث السنة المذكورة من الكتاب المشار اليه عن صوفي غريب الأطوار : « كان يستعطي من الناس ، ويدروز ما يقتات به[3] » ، قال الخفاجي في (شفاء الغليل) : « المدروز : السائل[4] » وقد وردت هذه الكلمة مقرونة في الغالب بأخبار المتصوفة أو الدراويش المدروزين

(١) الحوادث الجامعه (٢٧٦)

(٢) الحوادث الجامعة (١١٦) وقد انتهت هذه القصة بانتقام ولد من أولاد نجم الدين غازي الأمير المتصوف المدروز من جده ناصرالدين ، وخنقه ، ونصب نجم الدين مكانه ، واستقامة الأمر له وتجد تفصيل ذلك في الصفحتين (١١٦ ، ١١٧) من الكتاب المذكور .

(٣) الحوادث الجامعة (١١٧) (٤) شفاء الغليل (١٩١)

٣٣ — (دزدار) : فارسية مركبة من : (دز) بالكسر بمعنى حصن أو قلعة ، و (دار) بمعنى ذوأو صاحب ، فهي تعني صاحب الحصن أو محافظ القلعة شاعت هذه الكلمة الفارسية في عصر المغول بهذا المعنى . ورد كثيراً في مؤلفات أبن الساعي ومؤلفات تلميذه أبن الفوطي . قال أبن الساعي : « الأمير محمود الدزدار بقلعة الماهكي : كان أولاً دزداراً بهذه القلعة (البقش كور خر) ، ولما سلمت هـذه القلعة الى الديوان أنعم على محمود هـذا بالامارة [1] » ومن ذلك يستفاد أن الدزدارية منصب كالإمارة ووصف أبن الفوطي[2] في معجمه مجاهد الدين قايماز فقال : « دزدار الموصل » ، يعني محافظ قلعتها وفي (كتاب الحوادث الجامعة) : « اتصل بعز الدين أيبك دزدار العمادية [3] » وفي أخبار سنة ٦٤٠ من الكتاب المذكور : « صدر إربل أبن الصلايا العلوي ودزدار قلعها » ، وجاء أيضاً : « كان دزداراً بقلعة (كره) [4] » . وحافظ الأتراك من بعد المغول على أستعمال هذه الكلمة حتى عصورهم الأخيرة ، ففي كتاب (گلشن خلفا) : « أنهى أهل العرجاء الى والي بغداد درويش محمد باشا سنة ١٠٤٩ واقعَ الحال ، ورجوا أن تكون ـ يعني العرجاء ـ تابعة لبغداد ، فأشخص اليها عدداً من الجنود وسرداراً ودزداراً ، فضبطت لبغداد »

٣٤ — (الدعوة) : بمعنى الدعاء الى الطعام ، عربيـة صحيحة . وهي معروفـة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، ووردت بهـذا المعنى في كتاب (الحوادث الجامعـة) : « عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار [5] » وفي أخبار سنة ٦٣٤ عن وصول نورالدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي الى بغداد : « في رابع عشر عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية » .

٣٥ — (دوشاخة دوشخ) : (دوشاخة) كلمة فارسـية مركبة من (دو) تعني أثنين و (شاخة) تعني الشق ، ويقصد بها آلة ذات شقين تستعمل للتعذيب . وقـد عرفت هذه الكلمة الأعجمية في عصور المغول الأولى ، ووردت في الكتب المصنفة في تأريخهم . وأشتق بعض المؤرخين من كلمة دوشاخة فعلاً مبنياً للمجهول ، فقالوا : (دوشخ) أي عـــذب بالآلة

(١) الجامع المختصر (٣٩/٨) . (٢) المعجم (٥/ق٢/ مادة مجاهد الدين / ٨)
(٣) (٤٣١) (٤) (٢٢٢) (٥) الحوادث الجامعة (٧١) .

المذكورة . ووردت هذه الكلمة ومشتقاتها كثيراً في كتاب الحوادث الجامعة ، ولم نجدها في أمثاله من الكتب العربية المصنفة في تاريخ المغول ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٦٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن نكبة مجد الدين صالح بن الهذيل ملك واسط : « طولب بالبقايا وشدّد عليه ثم دوشخ » ، وفي أخبار سنة ٦٨٠ عن محنة علاء الدين الجويني : « سلم الى الصاحب مجد الملك ، ودوشخ ، وألقي تحت دار المسنّاة » ، وفي أخبار السنة نفسها عن سيرة مجد الدين صالح بن الهذيل : « أخذ ، ودوشخ ، وطولب بأموال واسط » ، وفي أخبار سنة ٦٨٢ عن محنة مجد الدين محمد بن الأثير : « أحضر ، ودوشخ ، ووكل به أياماً كثيرة » ، وفي أخبار سنة ٦٨٣ ، وهي السنة التي أكثر فيها الطاغية أرغون من الانتقام والتنكيل بأنصار عمه السلطان أحمد تكدار بن هولاكو وفعل بهم الأفاعيل وقبض نوابه وأعوانه على جماعة من حزب السلطان أحمد وفيهم بعض آل الجويني ، وفي هذا الصدد يقول مصنف (الحوادث الجامعة) : « قبضوا على خواجه هارون صاحب الديوان وجماعة آخرين ، فأخذ هؤلاء ، ووكل بهم ، ودوشخوا ، ثم أخرج نظام الدين بن قاضي البندنيجين من الغد في (دوشاخة) وقد سود وجهه وأركب على بهيم ، وقبض على محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ أيضاً » ، وفي أخبار سنة ٦٨٦ : « طولب نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ، ودوشخ على بقايا وجبت عليه » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ : « ضرب الزين الحضائري عميد بغداد ودوشخ ، فأدّى مالاً كثيراً ، وباع أملاكه وأسبابه ، وقام بما تخلّف عليه من ضمان الحلة » ، وفي أخبار سنة ٦٩٤ عن محنة فخر الدين بن الطرّاح صدر واسط والبصرة : « قبض عليه وعلى أصحابه ، ثم دوشخ ، وطوّق ، وأسمع كل قبيح » هذا ما جاء في (كتاب الحوادث الجامعة) عن هذه الكلمة الدخيلة ، أعني « دوشاخة » وما أشتق منها ويلاحظ في سرد الحوادث المذكورة آنفاً أن حوادث التعذيب بهذه الآلة جرت على الأكثر في أيام الطاغية الأهوج أرغون الذي أستأصل آل الجويني وغيرهم من أقطاب الحزب الإسلامي في الدولة المغولية .

(ر)

٣٦ — (الربعة) وتجمع على ربعات : هي في الأصل جونة العطار ، وأستعملها المولدون كثيراً بمعنى صندوق أجزاء المصحف . وهذا الصندوق معروف متداول الى الآن في

العراق وغيره من الأقطار الاسلامية وكانت المصاحف تكتب على طريقتين : الأولى الطريقة الجامعة ، وهي أن يكتب المصحف الشريف بمجموعه كما هو المتعارف ، ويسمى هذا الشكل الجامع . والثانية طريقة أتبعت بعد ذلك ، وهي أن يكتب المصحف جزءاً جزءاً ، ويجلد كذلك حيث توضع الأجزاء في صندوق ، وهذه هي الربعة التي تشاهد أو تحمل على الرؤوس في الحفلات الدينية وما اليها ووردت أكثر من مرة في كتاب (الحوادث الجامعة) ، من ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٣١ : « نقل في هذا اليوم الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة » ، وفي أخبار سنة ٦٤٠ : « فرقت الربعة الشريفة وقرئت » ، وفي أخبار سنة ٦٤٨ من الكتاب المذكور : « عمل ضريحاً وصندوقاً ، وجعل في التربة فرشاً وربعة وقناديل » ، وفي أخبار سنة ٦٩٦ : « جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة بين أيديهم » ، الى غير ذلك . وفي أخبار سنة ٧٢٥ من تأريخ ابن الوردي[1] نبذة عن غرق بغداد ، وهو من أعظم حوادث الغرق فيها[2] ، جاء في النبذة المذكورة : « ودار الناس في الأسواق مكشفة رؤوسهم ، وعمائمهم في رقابهم ، والربعة الشريفة على رؤوسهم ، وهم يتلون ويستغيثون ويودع بعضهم بعضاً خائفين وجلين » .

قال الأصبهاني : سميت ربعة لكونها في الأصل ذات أربع طاقات ، أو لكونها ذات أربع أرجل . قال خلف بن خليفة :

وقد كان أفضل ما في يديك — محاجم نضّدن في ربعة

قال الصاغاني : وأما الربعة بمعنى صندوق فيه أجزاء المصحف الكريم ، فان هذه مولدة لا تعرفها العرب ، بل هي اصطلاح أهل بغداد[3] . وكأنها مأخوذة من الأولى ، أي من الربعة

---

(١) (٢/٢٧٧) ط مصر

(٢) يستفاد من وصف غرق بغداد في طغيان دجلة سنة ٧٢٥ ، كما جاء في تأريخ ابن الوردي المذكور ، أن الماء أحاط بالبلد احاطة السوار بالمعصم ، وتعذر مبارحة بغداد ، وحوصر سكانها وقد عبر عن إحاطة الماء ببغداد بقوله : « أصبحت بغداد كلها جزيرة في وسط الماء » ، ويستفاد من هذا الفصل أيضاً غرق جميع الترب — يعني المقابر — والبساتين والأسواق والميادين ، وسقطت مدرسة الجعفرية ومدرسة مشهد عبيد الله وخزانة الكتب التي كانت بها وكانت خزانة ثمينة ، وغرق خلق كثير راجع تاريخ ابن الوردي ص ٢٧٧

(٣) هذا ما قاله الصاغاني عن كلمة الربعة وأنها اصطلاح لأهل بغداد ، ولهذه الكلمة أمثال في منطق البغداديين والبصريين ونظائر من الألفاظ المولدة نراها في تضاعيف كتب اللغة ، فكم قالوا لنا : هذه لفظة عراقية وهذه كلمة سوادية وهذه لغة بغدادية وهذه لهجة بصرية إلى غير ذلك ، ومن الكلمات البغدادية التي=

بمعنى الجونة ، واليه مال الزمخشري في (الأساس) .

وفي العراق أستعملت بعد ذلك (الختمة) بمعنى (الربعة) ، وأصلها من ختم الشيء أي أنهاه ، ومن ذلك ختام الشيء وخاتمته وقد جروا في ذلك على عادتهم في تحويل المصادر الى أسماء أعيان ، ومن ذلك قولهم : « ختمة » للربعة ، جاء في (كتاب فرحة الغري) ما يأتي : « أحضرت الختمة الشريفة ، وأقسمت بها [1] » ، وجاء أيضاً في الكتاب المذكور : « تحريك الختمة الشريفة بالزاوية من القبة [2] » ، وفي أخبار سنة ٦٣٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حضر قراء الديوان ، وقرئت الختمات » ، وفي أخبار سنة ٦٣٤ من الكتاب المذكور في صدد ذكر وصول نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور الى بغداد ، جاء ما يأتي : « في رابع عشر عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية ، وحضر اليها ، وجلس على طرف إيوانها الصغير ، وفرقت الربعات ، وقرئت الختمات [3] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٣ : « حضر بالرباط ، وقرئت الختمة » وقد تطلق هذه اللفظة في كلام المولدين المتأخرين على حفلة المولد مولد خاتم الأنبياء (ص) ، وهي من المولد الحديث في اللهجة العربية أو العامية (الشائعة) ، وما زالت معروفة في لهجة العراقيين مثل كلمة الربعة

٣٧ — (الرجل) : الرجل ـ لغة ـ مقابل المرأة . وفي لغة العراقيين الشائعة اليوم يعني به الزوج أحياناً ، يقولون : هـــذا رجل المرأة بمعنى زوجها . ويستفاد من كتاب (الحوادث الجامعة) أنها لهجة قديمـة عرفت في أواخر العصور العباسية وما بعدها . جاء في الكتاب المذكور : « وهو بمينه رجل بنتها » ، يعني زوجها وفي (الصحاح) : زوج المرأة بعلها ، وزوج

= لاتعرف في كلام العرب (القراح بمعنى البستان) ، ومن ذلك (قراح ظفر) و (قراح أبي الشحم) الى أقرحة أخرى ذكرها ياقوت في معجم البــلدان والجوخان : قال اللغويون : « الجوخان للتمر بلغـة أهل البصرة كالكدس للحبوب » وكلمة (وفر) بمعنى الثلج ، وكلمة (ديس) للثدي : كلمتان عراقيتان مولدتان ليس لهما أصل في الفصحى على ما قالوه وكلمة (ســابل) للغرارة التي تعمل من خشب أو خوص أو أغصان الشجر ، وتجعل على ظهر الدابة تحمل عليها الحجارة ، قالوا : إنها سوادية ومن هذا القبيل كلمة (شبنت) للبقلة المعروفة قالوا : انها بغدادية ، وأمثال ذلك كثير ولا تخلو مصنفات الجاحظ من كلمات ومصطلحات بصرية لا أثر لها في فصيح اللغة

(١) (١٣٣) (٢) (١٣٥) (٣) (٨٩) .

الرجل أمرأته وفي (المُغرب) : هو زوجها وهي زوجه هذا ، وفي هذه اللفظة وهل تكتب بالتاء فيقال (زوجة) أو لا يجوز ذلك قولان للغويين : ففي (أدب الكاتب) وشرحه للجواليقي إنهم لايكادون يقولون زوجته ويذهب بعضهم إلى ورودها بالتاء قال صاحب (المُغْرب) : والأول هو الأختيار ، بدليل ما نطق به التنزيل : « أمسك عليك زوجك » « أسكن أنت وزوجك الجنة » « وإن أردتم أستبدال زوج مكان زوج » وأدعى غيره أن الزوجة لغة رديّة . وقال آخرون إنها واردة في الحديث فاذا صح ذلك ، لم تكن لغة رديّة وقال العسكري [1] : الفرق بين البعل والزوج أن الرجل لايكون بعلاً للمرأة حتى يدخل بها ، وذلك أن البعال النكاح ، ومنه قوله عليه السلام : « أيام أكل وشرب وبعال » ، قال الشاعر :

وكم من حَصانٍ ذات بعل تركتها إذا الليل أدجى لم تجد من تُباعله

وأصل الكلمة القيام بالأمر ، ومنه يقال للنخل اذا شرب بعروقه ولم يحتج الى سقي (بعل) ، كأنه يقوم بمصالح نفسه

٣٨ — (رفيع — بمعنى دقيق) : الرفيع — لغةً — ضد الوضيع ، يقال « شرف رفيع صوت رفيع . قدر رفيع » ، ورافعني وخافضني : داورني كل مداورة ، وفرش مرفوعة : رفع بعضها فوق بعض هذا ما نراه في فصيح الكلام ، وتعني « الرفيع » في اللهجة الشائعة في العراق وفي بعض الأقطار العربية « الدقيق » ، خلاف الغليظ ، يقولون « خيط رفيع . وعود رفيع ، نسيج رفيع » ، ويجمع على رفاع ولا شك أن هذا من كلام المولدين ، ومع ذلك ورد في بعض المعجمات اللغوية والكتب الأدبية . وفي (قاموس) الفيروز آبادي : « ثوب كتان رفيع [2] » ، وبهذا المعنى وردت في (أدب الكاتب) و (مقامات الحريري) . وفي (المصباح) : « رفع الثوب ، فهو رفيع ، خلاف غليظ » . وفي (الأساس) : « ثوب رفيع » . وفي (شفاء الغليل) : « رفيع أي رقيق ، يقال ثوب رفيع بمعنى صفيق » . وأستعمله بهذا المعنى صاحب أدب الكاتب والحريري ، ونبه عليه بعض الشراح ، ثم قال الخفاجي : وعليه الأستعمال الآن ، ولعله مجاز هذا ، ويلاحظ

(١) ٢٣٤

(٢) راجع مادة (بندق) في القاموس ، فقد جاء فيه : « البندقي : ثوب كتان رفيع ، نقلا عن الصاغاني » .

وورود هذا الاستعمال في شعر قدماء العرب المتقدمين على عصر الحريري ، ومن ذلك قولهم :

بالعبقري وبالديباج تحمله وكل ثوب رفيع وشيُهُ حسن [1]

وجاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حصر بصرية وسجادة رفيعة [2] » يعني سجادة دقيقة . ويلاحظ أن هذا الاستعمال شائع في لهجات الأقطار العربية اليوم ، لا في العراق حسب والغالب أنهم ينظرون فيه الى مادة الرفعة والارتفاع ، فان قولهم « سقف رفيع » يستدعي تصويب النظر بدقة كما يصوب الى النسيج الرفيع ، أي الدقيق ، فهو ضرب من المجاز أما السجادة الواردة في عبارة صاحب (الحوادث الجامعة) ، فهي في الأصل فراش يصلى عليه ، ثم عمّ إطلاقها على ضرب من البسط أو الطنافس يفرش في البيوت ، وهي شائعة في أكثر اللهجات العربية بالمعنى المذكور

(٣٩) — (الركبدار الركبدارية) : جاء في أخبار سنة ٦٣٦ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وفيها شرع في عمل تربة ورباط في البستان المعروف قديماً ببستان سنقر الركبدار » ، وفي أخبار سنة ٦٤٤ من الكتاب المذكور [3] : « تُوُفي الشيخ محمد الركبدار ، خدم في مبدأ أمره مع ركبدارية الأمير قشتمر ، ثم خدم ركبدار الخليفة الظاهر » ولهذا الشيخ الركابدار حديث يستفاد منه ما أنتهت اليه لهجة الخلفاء العباسيين المتأخرين من العجمة ، حتى يخيل اليك أن دار الخلافة أصبحت برج بابل من حيث أضطراب اللهجات ، ويلاحظ أن اللهجة العربية كانت يومئذٍ من أضعف اللهجات في دار الخلافة [4] . والكلمة من التراكيب الأعجمية التي كثر أستخدامها بعد غلبة الدول الأعجمية ويستفاد مما ورد في كتاب (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري وصبح الأعشى للقلقشندي [5] « أن الركابدارية هم الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان في المواكب الكبرى ،

(١) مجموعة المعاني (٢١٧) (٢) الحوادث ١٩٣ (٣) (٢٢٠ — ٢٢١) .

(٤) قال الشيخ محمد الركابدار في حديثه : خلوت يوماً بالخليفة المستنصر وهو مسرور بباسطني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عندي أمر ، وأشتهي أن تأمرني بالسؤال عنه . فقال : قل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تدعوني تارة بالشيخ محمد فأطير فرحاً ، ومرة تقول أي ركابدار فأموت خوفاً ! فقال : لا والله يا شيخ محمد ، ما لك عندنا إساءة ، وأنا متى كنت على غير طهارة أقول : أي ركابدار ، إجلالا لذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام

(٥) (٤/٧ ، ١٢)

وهم من مستخدمي (الركاب خانه) ، والركاب خانه هو بيت الركاب الذي توضع فيه عدد الركائب والخيول من السروج والنواشي والكنابيش وجميع لوازم الركائب والخيول ، ويقوم عليهم موظف مسؤول عن شؤونه يقال له (مهتر الركاب خانه) والمواكب التي يظهر بها هؤلاء الركابدارية هي مواكب جلوس السلاطين ، أو صلاة العيدين ، وغير ذلك من الحفلات الكبرى . أما الغاشية ، فانها غاشية سرج من أديم ، مخروزة بالذهب ، تحمل عند ركوب السلطان في المواكب الجليلة ، يحملها أحد الركابدارية رافعاً لها على يديه ويلاحظ أن لكل موكب من تلك المواكب ترتيباً مخصوصاً . والعرب لايطلقون لفظ (الراكب) الا على راكبي الإبل ، ويسمى راكب الفرس (فارساً) في العربية . وأمثال هذه الكلمة ، أعني الركبدار المركبة على الأساليب الأعجمية ، كثيرة جداً في كتب الأدب والتاريخ المصنفة في عصور الدول الأعجمية من الأتراك والمغول والفرس والمماليك ، ومن ذلك : « دفتردار . ودفتردارية . خزندار . خزندارية بمعنى الصراف أو الجهبذ ويقال له (المحاسبجي) في أصطلاح الأتراك . بيرقدار بيرقدارية . سنجقدار سنجقدارية ، ولا يخفى أن السنجق والبيرق من الكلمات الدخيلة . سلاحدار سلاحدارية . محفدارية (لأصحاب المحفات) » ، وغير ذلك كثير .

٤٠ — (الروزكارية أو الروزجارية) : فارسية ، تعني العمال المياومين ، أي الذين يتقاضون أجورهم مياومة وهي مركبة من : كلمة (كار) كسب ، عمل ، صناعة يرتزق بها ؛ و (روز) بمعنى اليوم . كثر أستعمال هذه الكلمة الأعجمية في أواخر العصور العباسية وأوائل عصور المغول في العراق ، ولم تعرف في صدر الدولة العباسية مطلقاً وكانوا يسمون الروزكارية (فَعَلة) محركة . جاء في (القاموس) : « والفعلة : صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوه » . ومن هذا النص يستنتج جواز أستعمال كلمة (عَمَلة) بهذا المعنى ، وهي معروفة في لهجة العراقيين الآن . ووردت كلمة الروزكارية كثيراً في كتب المؤرخين المتأخرين وفي أخبار سنة ٦٣٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أحضروا روزكارية لبلّ الطين » . وفي (كتاب مناقب بغداد) لأبن الجوزي : « كان الأستاذ يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبّات . والروزجارية بحبتين

إلى ثلاث حبات » . ولا تعرف هـذه الـكلمة الآن في لهجـة العراقيين ، والشائع كلمة (عملة) (وعمال) في اللهجة المذكورة

(ز)

٤١ — (زركش) : فارسـية ، تعني تارةً المصنوع بالذهب ، ومرة صناعـة التذهيب أو الذهب شاعت هذه الـكلمة كثيراً في عصر المغول ، ففي ترجمة عز الدين الحسن بن الحسين نزيل تبريز من (معجم ابن الفوطي) : « كان يتعانى صناعة النقش وخياطة الزركش [١] » ، وفي (كتاب الحوادث) : « جملة من زركش ومصاغ [٢] » ويكثر استعمال هذه الـكلمة في مصنفـات مؤرخي عصر المماليك والأتراك والمغول ، وهي الشائعة في لهجـة الإيرانيين ، ولا تعرف في لهجة عرب العراق اليوم

(س)

٤٢ — (الساذجيـة) : استعملت في (كتاب الحوادث الجامعة) بمعنى البساطة ، ففي أخبار سنة ٦٤١ من الكتاب المذكور ما يأتي : « له حكايات كثيرة تدل على الساذجية [٣] » ، ولم نرها مستعملة بهذه الصيغة ، أي بياء النسبة ، في كتـاب آخر وهي من قولهم (رجل ساذج) بمعنى غير متلون ، ومنها السـاذجية ولا بد لنا من القول : إن العرب لايعرفون من كلمات النسبة إلاّ المنسوب إلى بلده ، أو قومه ، أو حرفته ولما نقلت العلوم الى العربية في عهد الدولة العباسـية ، اُضطر النَّقلة المولدون إلى اُسـتعمال نوع جديد من صيغ النسبة في كلمات كثيرة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمصطلحات العلمية والفنية ، فقالوا : « قابلية ماهية . هوية . خاصية . عامية . أهلية جاذبية عرفية . فردية » إلى غير ذلك . ويقولون : (جراية خليفية) و (الحرية) نسبة إلى الحر ، لـكن ياء النسبة فيها مصدرية ، أي لإفادة المصدر . فالحر هو الرجل الكريم ، والحرية كرم الأصل أو الأخلاق ولفظة (الساذج) واردة أيضاً في الكتاب المذكور ، ففي أخبار سنة ٦٤٩ ما يأتي : « وفيها تُوُفّي محمد بن أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً ساذجا سليم الصدر [٤] » . هذا ، والساذج في الأصل ما لا يخالطه غيره ، وهو معرب (سادَهْ) ،

(١) المعجم (٤/مادة عز الدين) (٢) الحوادث الجامعة (١٩٤)
(٣) الحوادث الجامعة (١٨٩) (٤) المصدر المذكور (٢٥٦)

أي مالانقش فيه، وما يكون على لون لايخالطه غيره . ومن أقوال الفرس : (سادَه دِلْ) أي سليم القلب ، ويقولون (صاف سادَهْ) بهذا المعنى. ويستعمل هذا الأصل القارسي الآن في اللهجات العربية الشائعة في العراق ومصر والشام ، فيقولون (قماش سادَهْ) ، ولا يقولون (ساذج) ، وفي مصر يقولون (قهوة سادَهْ) اذا كانت بدون سكّر هذا ، وقد أستعمل بعض الترسلين لفظة (السذاجة) بمعنى السهولة وحسن الخلق ، وبعضهم أستعملها بمعنى البساطة فقالوا (ساذج بسيط) . ولا بد لنا من القول إن أستعمال كلمة البسيط وكلمة البساطة بهذا المعنى ، لا يعرف في الفصيح ، وإنما ورد في كلام المولدين ؛ لأن البسط خلاف القبض في اللغة ويقولون (بسط المتاع وبسط الفرش) أي نشرها ، والبسيط معناه الواسع في كلامهم ، ويقولون كتاب أو مصنف بسيط أي واسع كبير وفي (مفردات الراغب) : البسط النشر والتوسع ، تارة يتصور فيه الأمران ، وتارةً يتصور فيه أحدهما وأستعار قوم البسيط لكل شيء لا يتصوَّر فيه تركيب وتأليف ونظم . والانبساط معناه السرور ، و (المبسوط) في لهجات الشام ومصر خاصة المسرور ، ولذلك أصل في الفصيح . وأدعى بعضهم أنه مولد ، مع أنه ورد في الحديث وكثر أستخدام لفظة البسيط والبسائط بهذا المعنى الأصطلاحي أو المولد في كتب الفلسفة والكلام والتصوف والمنطق[1] ، فقالوا : « الجهل البسيط ، والجهل المركب ، والحقائق البسيطة ، والقضية البسيطة ، والقضية المركبة ، والجواهر البسيطة ، والعناصر البسيطة » ويقول بعض المتفلسفين : البسيط ثلاثة أنواع : (بسيط حقيقي) وهو ما لا جزء له أصلاً ، كالباري تعالى ، و (بسيط عرفي) وهو ما لا يكون مركباً من الأجسام المختلفة في طبائعها . و (بسيط إضافي) وهو ما تكون أجزاؤه أقلّ بالنسبة الي الآخر والبسيط من ناحية أخرى ، على ما يقولون ، قسمان : (روحاني وجسماني) . (فالروحاني) كالعقول والنفوس المجردة ، و (الجسماني) كالعناصر والجواهر الى غير ذلك . وبناء على كثرة أستعمال هذه المادة في هذه المباني المحدثة ، فلا معدى لنا من قبولها بمعناها المولد الحديث وخلاصة القول : شاعت كلمة البساطة وما أشتق من هذه المادة المولدة

(١) يراجع بحث عن البسيط والمركب ومدلول هاتين الكلمتين في مصطلحات الفلسفة وعلم الكلام في الصفحه (٩٨) من كليات أبي البقاء .

بهذا المعنى في جميع اللهجات العربية ، لا في العراق حسب ، فلا منـاص لنا والحالة هذه من أستساغتها ، لأتفاق جميع اللهجات على أستعمالها كما رأيت

٤٣ — (سبيلدارية وسـبيلداريات) : تكرر ورودهما في (كتاب الحوادث الجامعة) في مَعْـرِض البحث عن حجّ البيت فالمكلف بالحج إما أن يؤدي الفريضة بنفسه ، أو يستنيب شخصاً آخر يحج عنه أو عن غيره من الأشخاص أحياء أو أمواتاً ، أي أنه يحج في سبيلهم . وهذا ما يراد بلفظ (السبيلدارية) أما (السبيلداريات) فهي حجّات تؤدى بواسطة النواب بأجر يتفق عليه ، ورد في (الحوادث الجامعة) : « وقع التعيين على السـبيلدارية ، فرتب أبو القاسم بن كلاله التاجر في سبيل الخليفة المستعصم بالله [1] » ، أي أنه أستنيب في الحج عنه . وجاء أيضاً في الكتاب المذكور : « حجّ ... في سـبيل أم المستعصم [2] » وجاء في مكان آخر : « حجّ مراراً مع والده ، ومنفرداً ، متولياً بعض السـبيلداريات [3] » ، أي الحجّات التي تؤدى بطريق الأستنابة ، وهي - أي الاستنابة - معروفة في اللهجة العراقية الشائعة الآن . هذا ، وللفقهاء بحوث فقهية في قضـاء الحج نيابة عن شخص مكلف به حياً كان أو ميتاً ، مع بيان شرائطه وأحكامه ، يحسن مراجعتها في موضعها من الكتب الفقهية

كثر أستعمال هـذه الألفاظ في آخر عصر من عصور الدولة العباسـية . وهكذا شاعت العجمة في دار الخلافة ، لكثرة من يقطنها من الأعاجم مماليك ومستخدمين ، حتى تأثرت لهجة الخلفاء المتأخرين ولهجة رجال الديوان بهـذه العجمة الشائعة ، وكانت اللهجة العربيـة المحكية من أضعف اللهجات في ذلك الحين .

٤٤ — (سربوش ، ويقال أيضاً شربوش) : كلمة دخيلة من الفارسية ، معناهـا غطاء الرأس ؛ لأن (سَرْ) بالفارسـية تعني الرأس ، و (بوش) تعني الغطاء . ورد ذكرها كثيراً في كتب التـاريخ المصنّفة في العصور العباسـية الأخيرة وعصـور الأيوبيين والمغول

(١) الحوادث الجامعة (١٧٤) (٢) المصدر المذكور (٤٢٧)
(٣) المصدر المذكور (٢١٤)

والأتراك جاء في حوادث سنة ٦٠٤ من (الجامع المختصر) لأبن الساعي : « وكان يركب بالسربوش » . وجاء في أخبار سنة ٦٣٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « خلع عليه خلعة أحضرت من المخزن ، وهي قباء أطلس وسربوش » ، وفي أخبار السنة نفسها : « خلع عليه قباء أطلس وسربوش شاهي [1] » ، ولم يوصف السربوش بالشاهي في غير هذا المكان من كتاب الحوادث الجامعة أو غيره من كتب التاريخ . وفي أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « تقدم أن يرفع القضاة والمدرسون الطرحات والمدول الطيالسة ، وأرباب الأزر أزرهم ، وأصحاب المشادّ مشادّهم ، وأن يركب الزعماء بالأقبية البيض و (السرابيش) ، وأرباب الدولة كل منهم بقميص أبيض وبقيار [2] أبيض وغاشية » وهذه الجملة وردت في فصل عقده مؤلف (الحوادث الجامعة) في مَعْرِض وصف الأحتفال بنقل رفات المستنصر من مدفنه بدار الخلافة الى الترب بالرصافة ، وهو أحتفال كبير شارك فيه مختلف طبقات البغداديين وأرباب الدولة . ومن وصف هذا الأحتفال وما جرى فيه ، يستفاد أن العباسيين أتبعوا نظاماً خاصاً للألبسة في حفلات الدولة الرسمية هذا ، ويظهر أن السربوش كان شمار الزعماء والأمراء ورجال الديوان والدولة وقادة الجيش ، خصوصاً اذا كانوا من الأتراك ، كما أن العمائم كانت أزياء خاصة برجال الدين والقضاة في العصر المذكور . قال الملك الأمجد من بني أيوب :

له نظرات كرر الحقد شزرها ... لما ضمنته نفسه من سخائم

فما الفضل في أهل (الشرابيش) سبّة ... ولا العلم مخصوص بأهل العمائم

ويستفاد من ذلك أن زي أصحاب العمائم يختلف عن زي أصحاب الشرابيش . ويقول بعض الباحثين من الافرنج إن السربوش قلنسوة طويلة ، ويلبس بدل العمامة . وكان شارة للأمراء ، فلا يلبسه رجال العلم . وقد أُلغي أستعماله في مصر زمن المماليك البرجية ويقول المقريزي في (المواعظ والأعتبار [3]) : « وأما الخلع السلطانية ، فإن السلطان كان اذا أمّر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش ، وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث ، يحمل على الرأس من غير عمامة . وقد

---

(١) الحوادث (٧٩) (٢) راجع حرف الباء (٣) (٢/٩٩).

بطل الشربوش في الدولة الجركسية » يعني أستعمال رجال الدولة له ولكنه بقي مستعملاً لدى غيرهم من الطبقات . ولا شك أنهم تفننوا بعد ذلك وقبل ذلك في صنع الشرابيش ، فمنها أنواع ثمينة ، ومنها أنواع رخيصة ، ومنها نوع مطرز بالحرير أو منسوج بالذهب وهو خاص بالنساء ، أو بالعرائس منهن ، يتوجن به ليلة الزفاف كما يظهر من وصف بعض حفلات الزفاف بالشام في القرن العاشر ؛ إذ لا تجلى العروس ولا تزف إلّا وعلى رأسها شربوش مصنوع بدقة وعناية . وقد عقد أديب شامي فصلاً في وصف حفلات الزفاف في دمشق وما يحصل فيها من التبرج ، وذلك في أوائل المئة العاشرة ، ومما جاء في هذا الفصل قوله : « ثم تخرج العروس هي وماشطتها في شيء يقال له شربوش » والذي يظهر لي ، والعلم عند الله ، أنه وما في معناه مما ظهر في زماننا وتلبسه النساء على رؤوسهن ، يسمونه (المقنزع [1]) » . ومما يدل على أن الشربوش كان لباس رجال الجيش خاصة ، وأنه كان يربط على الرأس بكلاليب توضع على الرقبة ، ما رواه صاحب (كتاب فرحة الغري) من وصف سرية أرسلها أحد أمراء الحلة الى البادية بطريق النجف ، إذ قال أحد سكان المشهد ما يأتي : « خرجت بعد رحيلهم الى ذلك الموضع ، فوجدت كُلاّبي سربوش ملقاة في الرمل » ، وقال أيضاً : « خرجت معهم الى المقبرة ، واذا برجل تركي يفتش موضعاً لقيت الكلابين فيه ، فقلت لأصحابي : إن ذلك يفتش على كلاّبي سربوش ، وهما معي في جيبي » ، وقال أيضاً : « سلمت على التركي ، فقلت : ما تفتش ؟ قال : أفتش على كلاّبي سربوش [2] » هذا ما ورد عن السربوش في هذه الرواية ، ويستفاد منه أن السربوش كان زياً لرجال الجيش ومن اليهم في العراق في أواخر عصور العباسيين وعصور المغول بعد ذلك ، كما كان زياً لرجال الجيش والدولة في عصر المماليك الأوائل في مصر والشام . ولاشك عندنا أن كلمة شربوش حرفت بعد ذلك اا (طربوش) في اللهجات العربية . هذا ، وأحسن كلمة عربية تؤدي معنى السربوش ، (الكمّة) ، وهي من (كَمَّ الشيء) اذا أخفاه أوغطاه .

(١) (نسمات الأسحار في نبذ من كلمات الأولياء والأخيار) لعطية بن حسن الملقب بعلوان الحموي ، مخطوطة بعض مؤسسات الأوقاف بدمشق وراجع مادة (قنزع) في معجمات اللغة ، ففي مشتقاتها ما يقوم مقام كلمة (سربوش)

(٢) فرحة الغري ط النجف ، الثانية (١٢٥)

٤٥ — (سرخيل) : جاء في أخبـار سنة ٦٣٧ من (الحوادث الجامعة [1]) : « جعله سرخيل جماعة من المماليك » ، أي قائد جماعـة من فرسـانهم وقد مرّ أن كلمة (سـر) تعني الرأس بالفارسية ، يضاف اليها ما بعدها فيقال « سردار سرهنك . سرتيب سربوش ... الى غير ذلك » ، ولا يوجد هذا التركيب المزجي (سرخيل) في موضع آخر من هذا الكتاب ، ولم نعثر عليه في أمثاله من الـكتب التاريخية ، ولا تعرف هـذه الكلمة أيضاً في اللهجـات العربية والأعجمية الشائعة هذا اليوم

٤٦ — (سرهنكية) : لفظة فارسية ، تعني قديماً الأعوان المرافقين أوالجلاوزة ، ويعنى بها حديثاً في بلاد فارس رتبة عسكرية . وقد شاعت هذه اللفظة في بعض تواريخ الدول التركية والفارسية قديماً وحديثاً وفي الـكتب المعنية بتاريخ المغول ، مثل (كتاب الحوادث الجامعة) وغيره ، وكثر ورودها في (كتاب سيرة جلال الدين منكبرتي) للنسوي ، ومن ذلك : « أتاها بعض سرهنگية جنكز [2] » ، وفي هذه السيرة أيضاً : « كان مـن جملة سرهنگيته [3] » أي قواده ويكثر ورود هذه الـكلمة بصيغة الجمع ، ومفرده (سرهنگ) ، فقد ورد في الـكتاب المذكور [4] : « كان سرهنگـاً ، فلقبوه ملـكاً » ، الى غير ذلك . وفي أخبـار سنة ٦٦٨ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « لحقه السرهنگية ، فضربوه بالدبابيس » ، وفي هذا الخبر من الـكتاب المذكور : « انهزم كل من كان بين يديه من الـسرهنگية » هذا ما ورد في سـيرة النسوي وفي كتاب الحوادث الجامعة من موارد أستعمال هذه اللفظة ، ويستفاد من ذلك أنها كانت شائعة في دواوين الدول التركية والمغولية ، ولم تستعمل إلّا قليلاً في لهجة العراقيين ، ولا أثر لها في لهجهم هذا اليوم .

(ش)

٤٧ — (الشحنكية) : شحنة البلد هو المكلف بضبطها من جهة السلطان . وفي عصور الدول الأعجمية أو المستعجمة أختاروا صيغة النسبة للتعبير عن وظيفة الشحنة المذكور ، فقالوا (شحنكية) ، وشاع أستعمالها بهذا الشكل في أواخر العصور العباسية وما بعد ذلك من عصور

(١) (١٣٢) . (٢) (٩٧) (٣) (١٠٧) (٤) (١١٧)

المغول ، وأستعملت فيما يقابل (مديرية الشرطة) أو (مديرية الدرك) هذا اليوم قال في (الحوادث الجامعة) : « عزل أبن غزالة المدائني عن النظر بواسط ، وولي الأمير بكتير الناصري شحنكيها [1] » ، وقال في مكان آخر : « ولي الأمير سراج الدين سرابه الناصري شحنكية البصرة [2] » ، وفي موضع ثالث يقول مؤلف الكتاب : « أعيد تتارقيا الى شحنكية بغداد [3] » . ومما يدل أيضاً على شيوع أستعمال هذه الكلمة في أواخر عصور الدولة العباسية ، ما جاء في (الجامع المختصر) لأبن الساعي [4] عن الأمير خطلبا من أمراء الخليفة الناصر لدين الله : « أعطي دزدارية تكريت ، فبقي بها مدة ، ونقل الى شحنكية البصرة » هذا ، وكلة الشحنة معروفة في لهجة العراقيين هذا اليوم ، وفي لغة الدواوين أيضاً ، ويجمعوها على شحانٍ ، ولكنهم يعنون بها فريقاً من الوكلاء والنظار

٤٨ — (الشدّة بمعنى الحزمة) : الشدّة (بالفتح) : الحملة في الحرب شدّ عليه : حمل والشدّ : العدْو ، والشدّ : التقوية . هذا معنى كلمة الشدّ والشدّة في الفصيح أما في اللهجة العامية العراقية الشائعة الآن ، فان لفظة (الشدّة) تعني الحزمة ، وهم يقولون : « شدة عيدان شدة قصب . شدة حطب » وما إلى ذلك . وهذا الأستعمال ليس جديداً في لهجة العراقيين ، بل هو قديم ، عرفناه في لهجة أجدادهم الأولين ، وقد حافظوا على اللهجة المذكورة جيلاً بعد جيل ، ففي أخبار سنة ٦٤٨ من كتاب (الحوادث الجامعة) : « فيها أنفذ الخليفة الى الوزير شدة أقلام [5] » هذا ما ورد في الكتاب المذكور ، فكأنها أستعارة من الشد أي التقوية

٤٩ — (الشربة — بمعنى الجرّة) الشربة في الأصل الحسوة ، أو الجرعة من الماء ، والنخلة تنبت من النوى . والشربة أيضاً ، وتجمع على شَرَبات ، الحويض يحفر حول النخلة أو الشجرة يسع ريّها وفي الحديث : « إذهب إلى شربة من الشربات ، فأدلك برأسك » ، وفي حديث جابر : « أتانا رسول الله (ص) فعدل إلى الربيع ، فتطهّر ، وأقبل إلى

(١) الحوادث الجامعة (٨١) (٢) المصدر المذكور (٨٢)
(٣) المصدر المذكور (٤٣٣) (٤) الجامع المختصر (٤٢/٨)
(٥) الحوادث الجامعة ٢٥٤

الشربة » . فالربيع النهر ، والشربة المسقاة ، والجمع من كل ذلك شَرَبات هذا ما تعنيه كلمة شربة وشربات في أصل اللغة ، غير أن كلمة شربة تطلق في لهجة العراقيين الشائعة هذا اليوم على إناء معروف من الفخار ، يشرب منه ، ويجمعونها على (شراب) ، لا (شربات) . وليس هذا الاستعمال حديثاً ، فهو معروف في لهجة قدماء العراقيين من أبناء المئتين السابعة والثامنة ، وفي عصور العباسيين الأخيرة ومن الشواهد على ذلك ، ما جاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وحملوا اليها شَرَبات ومراكن » فالشربات بالتحريك هنا جمع شربة ، أو الفخارة كما كانت تسمى في بعض عصور الدولة العباسية ، ولها ذكر في بعض الكتب المصنفة إذ ذاك ، قال السمعاني [1] : الفاخوري والفاخراني : الذي يعمل الفخار والكيزان ، وهي أيضاً الجرة [2] التي يسمونها في مصر (قلة) وقلال قنا إحدى حواضر الصعيد ، مشهورة في الديار المصرية ، وهذه الأواني أعني الفخار والجرّة وما إليها تصنع من الطين والخزف قال السمعاني : « (الخزفي) نسبة الى بيع الأواني الخزفية » ، وقال أيضاً : « (الخزّاف) نسبة الى عمل الأواني الخزفية أو بيعها ، ويقال له (الخزفي) » أيضاً ، وأشتهر بالخزاف والخزفي جماعة على ما جاء في كتاب الأنساب . ويقول اللغويون في المِشْرَبَة كمِكْنَسة : إنها إناء يشرب منه ، وهي أيضاً شائعة في لهجة البغداديين الى اليوم ، ويجمعونها على مشارب ، ولكنها مخصوصة بما يصنع من الصفر أو النحاس دون الفخّار ، ويقال لهذه المشربة (مسخنة) في لهجة سكان الأقاليم الجنوبية من العراقيين ، ولا شك في فصاحة اللفظتين ، أعني المسخنة والمشربة بالمعنى المذكور .

٥٠ — (الشنقصة) : عراقية مولدة في عصر المغول ، أي أنها ليست من المولد القديم شاعت في لهجة العراقيين خلال المئة السابعة بمعنى الدس والمكر أو التصدي للضرر وعمل السوء

(١) أنظر القائمة (٨٤ — ٨٥) من كتاب الأنساب

(٢) في أخبار سنة ٦٤٦ من الحوادث الجامعة : « وجد الحفار جرة مملوءة دراهم يونانية » ، وتكرر ورود هذه اللفظة في الخبر المذكور

ونحو ذلك ووردت بهذا المعنى مرتين في (كتاب الحوادث الجامعة) : « كان قد أدخل نفسه في الشنقصة ، وآذى الناس[1] » ، وجاء في الكتاب المذكور أيضاً : « عزل شحنة بغداد ، وسبب ذلك أن نائبه رسم أساء السيرة ، وتعدّى الحدّ في الشنقصة وأنواع التأويلات[2] » ويعني بهذه العبارة (أنواع التأويلات) ما يعنون بقولهم اليوم التقارير ، أو الرفوع المؤذية . والشنقصة في لهجة عامة العراقيين هذا اليوم تعني تعليق الشيء منكساً أومقلوباً ، ويقولون أيضاً شنقص الجدار إذا دعمه بأخشاب أونحوها والمولدون يسمون الدعائم التي يدعم بها الجدار المائل للانهدام (بغلة[3]) . وفي العصر العباسي أستعملوا كلمة (الدستهايج والدستهانجات) لدعائم الحيطان وفي الفصيح : يقال لهذه الدعامات (الظائر) ، وهي أستعارة من (ظئر الولد) ، أي مربيته أو مرضعته وكذلك الرِّدء والدعامة والركن أيضاً و (الفرخ) في أصطلاح البنائين العراقيين ، يعني الدعامة ، والدست هايج أيضاً ، والبغلة ، وما إلى ذلك . والفرخ في هذا الموضع أصطلاح لطيف ، يغني عن جميع الكلمات المولدة والأعجمية ، وكأنها أخذت من قولهم أفرخ الزرع ، أي نبتت أفراخه وإذا رجعنا إلى مادة شقص في المعجمات ، وهي تجمع أكثر حروف الشنقصة ، وجدناهم يقولون (تشقيص الذبيحة) تفصيل أعضائها سهاماً معدّلة بين الشركاء . والمشقِّص : كمحدِّث ، القصاب فلينظر فيما إذا كان أصل الشنقصة من هذه المادة ، زيد عليها حرف النون جرياً على عادة العامة في التحريف .

هذا ، ولا تخلو الفصحى من كلمات تسدّ مسدّ لفظ الشنقصة العامي المذكور ، ومن ذلك

---

(١) الحوادث الجامعة (٤٢١) (٢) المصدر المذكور (٤٩٦)

(٣) ذهب بعضهم الى أن أصل الكلمة (بغلة) من الآرامية ، ولا دليل على ذلك ، فهي من كلام المولدين قال بعض الشعراء :

لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد أدعموه ببغله
هو كالقبر في المثال ، ولكن جعلوا وجهه على غير قبله

ويقول بعضهم : إن كلمة (دنكة) العامية بمعنى السارية أو الدعامة ، من الآرامية

(المِحال) ككتاب ، قالوا : هو الكيد والقوة والمكر ، وبه فسر قول عبد المطلب بن هاشم :

لا يَغلبنّ صليبهم ومِحالهمْ أبداً مِحالكْ

أي كيدك وقوتك قال قتادة : شديد المِحال شديد القوة ، أو شديد الإهلاك ، بالحق لا بالباطل كما يقول بعض المفسرين ، ويظهر أن المحال مفعلة من الحيلة . قال الفيروزآبادي : محل به ، مثلثة الحاء ، محلاً ومحالاً ، كاده بالسعاية الى السلطان وماحله : قاواه

(ص)

٥٠ — (صانع ـ بمعنى خادم) : الصانع لغةً هو الخالق أو الموجد ، وفي لهجة العراقيين هذا اليوم يعنى بها المستخدم أو الخادم ، وبهذا المعنى عرفت في لهجة العراقيين المولدة على عهد المغول ، ففي أخبار سنة ٦٥٣ من (الحوادث الجامعة) : « مرض صانع حمام » ، ويقصد المستخدم في الحمّام ، وهذه الكلمة شائعة بهذا المعنى اليوم في أنحاء الجزيرة العربية خصوصاً في نجد والحجاز

(ض)

٥١ — (الضمان — بمعنى الإجارة) : تعني كلمة الضمان في الأصل التعهد والكفالة . يقال « كفيل ضامن » ، وضمن الشخص : كفله ، وضمّنته الشيء : أودعته إياه ، وتضمّنه : أشتمل عليه ، وضمّنته الشيء تضميناً فتضمّنه عني : غرّمته ويجمعون الضامن على ضمّان وضُمَناء وتعني كلمة الضمان في لهجتنا الشائعة الإجارة ، أو عقدها ، فيقولون : « ضمن البستان أو الضيعة ، وضمّنه إياها مالكها » يعنون بذلك الإجارة أو الكِراء . ويقولون بهذا المعنى أيضاً إلتزمها ، والالتزام الضمان ، ومن ذلك التزام الأعشار وضمان الأعشار في مصطلحات أصحاب الدواوين على عهد الدولة التركية والضامن : الملتزم الذي يقوم بأستيفاء ضريبة من الضرائب ، أو رسم من رسوم الدولة ، ويجبيه لحسابه في مقابل تأدية مبلغ معين من المال يدفعه الى السلطة المختصة وكانوا يسمون هذا النوع من جباية بعض الضرائب والرسوم (قبالة) ، ويسمّون ضمّانه (المتقبلين) . وأُستعملت لفظة الضمان في عصر الإقطاع العباسي

وفي العصر المغولي بمعنى مال الإقطاع وكانت ضريبة العشر تستوفى عيناً ، ثم أعتادت السلطات الحكومية أن تقطعها لمن تشاء في مقابل مبلغ من المال ، وهو الضمان أو الالتزام ، ثم أطلق اللفظ على المال نفسه ، وبه أخذت الدولة العثمانية كما عهدناه في عصورها الأخيرة هذا ، وفي أخبار سنة ٦٧٦ من (الحوادث الجامعة) : « أنها - أي والي الوصل وشحنها - ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل [١] » ، وقد جاء في أخبار سنة ٦٨٦ من الكتاب المذكور : « سلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد [٢] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٦ أيضاً : « فيها عقد ضمان الأعمال الحلّية على مجد الدين إسماعيل إضافة الى نيابة الديوان [٣] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ : « ضرب الزين الحظائري ، وباع أملاكه وأسبابه ، وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة [٤] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٨ : « فيها تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق بإعادة الزين عميد بغداد الى التمغات ، بعد أن أستوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب [٥] » وقد جمعوا الضمان بهذا المعنى على ضمانات ، ففي أخبار سنة ٦٦٤ : « أطلق معظم الضمانات ، وأزال المكوس والضرائب » ومن ذلك يستفاد أن الأعيان التي يتعلق بها الضمان مختلفة ، فنها الضرائب ، ومنها الضياع والأعمال والمستغلات العائدة للدولة . ويسمى ضمان الأعمال ، كضمان الحلة وواسط والموصل ، إقطاعاً وهو لا يصح ولا يجوزشرعاً في أملاك الدولة أو الأمة أو بيت المال ؛ لأنه مما تتعلق به حقوق الأفراد ، ولأنه يؤدي الى تضخُّم الملكيات وحصرها بيد عدد معين من الناس وحرمان الجمهور من حقه في ذلك . ولما يرافق هذا النوع من الضمانات من اجحاف وتعسف ومظالم وما الى ذلك ، والإقطاع يصح أو يجوز في قول إذا كانت الأرض مواتاً وأنفق المقطعة له على إحيائها من ماله وللإمام في أي وقت من الأوقات أن يسترد هذا الإقطاع المحدد في سبيل منفعة من المنافع العامة ، فيبقى ملكاً للدولة والخلاصة : لا يجوز إقطاع الأرض والمستغلات التي تعود رقبتها لبيت المال على الوجه الذي كان متعارفاً في

(١) الحوادث الجامعة (٣٧٧)
(٢) المصدر عينه (٤٣٣)
(٣) المصدر عينه (٤٥٣)
(٤) المصدر المذكور (٤٥٤)
(٥) المصدر المذكور (٤٥٧)

بعض عصور الدولة العباسية والمغولية والتركية بعد ذلك ، وقد اتجهت أكثر الدول الحديثة الى إزالة هذا النوع من الإقطاع .

(ط)

٥٣ — (الطبق ـ دور الضيافة) : الطبق لغةً هذا الذي يؤكل عليه ، وغطاء كل شيء والطبق أيضاً من كل شيء ما ساواه ، أي طابقه وقد أستميرت كلمة الطبق بالمعنى الأول لمبرة تنسب الى الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، فإنه أنشأ في محال بغداد دوراً للضيافة يتناول الناس فيها طعام الإفطار في شهر رمضان ، وحبس عليها الضياع المغلة ، ووقف عليها الأوقاف ، فقال البغداديون (دار الطبق) و (مال الطبق) و (غلة الطبق) ، يعنون بذلك دور الضيافة المذكورة ، وعدّ هذا العمل من مآثر الخليفة المذكور ، واقترن ذكرها بعبارات الإكبار والإجلال ، فقالوا (الطبق الشريف) ، الى غير ذلك وفي أخبار سنة ٥٩٥ من (كتاب الجامع المختصر) لابن الساعي [١] : « في شوال رُدّ النظر في أملاك الطبق الشريف الى العدل علي بن رشيد الحربوي ، وكيل الخدمة الشريفة الناصرية ، فاستناب فيه الفقيه فخر الدين اسماعيل غلام ابن المنى ، وبسط يده فيه ، فظهرت منه جلادة ، ووفر حاصله معه » . ألا ترى كيف أضيفت الأملاك الى الطبق في عبارة ابن الساعي ؟ وهو يعني بها الضياع الموقوفة على تلك الدور المعدة للضيافة وجاء في أخبار سنة ٦٤٤ من (كتاب الحوادث الجامعة) ما يأتي : « ثم ردّ اليه — أي الى ابن النيار — النظر على الطبق ، وكان يتولاه نجم الدين محمد

---

(١) الجامع المختصر (٨/٢٠ — ٢١) هذا ، ويلاحظ أن هذا الخليفة العباسي كان معنياً بانشاء هذا النوع وغيره من أنواع دور الضيافة ، ومن ذلك انه أنشأ داراً لضيافة الحجاج قال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥ : « في المحرم منها تقدم الناصر لدين الله ببناء دار الضيافة لوجه الله تعالى بالجانب الغربي ، فبنيت على دجلة ، وصفت فيها الأطعمة الكثيرة ، وتقدم الى النواب بها أن لايردوا واحداً من الحاج ولا غيرهم من تناول الطعام وأن يدفع الى كل فقير عند عزمه على السفر دينار بعد أن يكسى ويعطى زاده » وقد ورد ذكر دور الضيافة الناصرية المذكوره في تأريخ الكامل لابن الاثير ، ولم يسم هذا المؤرخ اغفال هذه المآثر ، مع ما عرف به من سوء الظن بهذا الخليفة ، وقد حاول أن يتهمه بمكاتبة التتر ودعوتهم الى غزو الدولة الخوارزمية ، فانه — نعني ابن الأثير — أراد أن يلوم الناصر ، زاعماً أنه أبطل ما أنشأه من دور الضيافة ، وأنه نقض ما بناه أنظر كتاب الكامل لابن الأثير (١٢/١٨١)

ابن الطرّاح ، فعزله وعزل مشرفه ، واُقتنع بالكاتب ونائبي النظر والاشراف . وكان قد اُضطرب حال عقاره وضياعه ، وقلّ حاصله . فلما عاد أمره اليه ، توفر حاصله[1] »

هذا ، ولدور الضيافة والطبق هذه والضياع المحبسة عليها ذكرٌ في مادة (عُكْبُرا) من (مراصد الاُطلاع) ، ويستفاد من هذا الفصل الذي عقده صاحب (المراصد) عن (عُكْبُرا) فوائد تأريخية جليلة عن تحول نهر دجلة في ذلك العصر ، وتحول العمران معه من جهة الى أخرى ويستفاد منه أيضاً أن المستنصر حذا حذو والده الناصر ، فاُستخرج نهراً من (دجيل) ، وقفه على دور الضيافة التي أُنشئت في محالّ بغداد لتناول الناس طعام الإفطار فيها

٥٤ — (طيِّب ـ بمعنى معافى) : يقول العراقيون في لهجتهم الشائعة الآن (فلان طيب) ، يعنون أنه سليم معافى ، وهي لهجة نجدها في تضاعيف (كتاب الحوادث الجامعة) من ذلك قوله في أخبار سنة ٦٨٦ : « حجّ النـاس ، وعادوا طيبين ، وأخبروا بأمن الطريق ورخص الأشياء في مكة والمدينة[2] » يعني أنهم عادوا سالمين ، وليس هذا من معاني الطيب في كلام العرب ، فإن الطيب عندهم ضد الخبيث « الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات » . « أحل لكم الطيبات ، وحرّم عليكم الخبائث » .

ومن معاني (طاب) لذّ وزكا ويستفاد من كلام بعض اللغويين أن كلمة الطيب تعني ثلاثة معانٍ : الطاهر الحلال المستلذ ولم يذكروا المعافى بين معاني الكلمة المذكورة

(ظ)

٥٥ — (الظواهر ـ بمعنى العجائب) : الظاهر ـ لغةً ـ خلاف الباطن ، والظواهر : ضد البواطن ، وقريش الظواهر : النازلون بظهر مكة ومن أقوالهم « ظاهر الرواية . ظاهر المذهب . ظاهر اللفظ ظاهر الحديث ظاهر الشرع » والظاهرية : قوم من المحدّثين ، يأخذون بظواهر الأحاديث ، ولا يقولون بالقياس والأدلة العقلية والظاهري: صاحب هذا المذهب المعروف في الحديث[3] . وفي كلام المولدين أصبح لكلمة الظواهر معنى آخر ، فهي تعني عندهم

(١) أنظر الحوادث الجامعة (٢١١) (٢) المصدر المذكور (٤٥٣)

(٣) تجد في (كتاب الأنساب) للسمعاني بحثاً حسناً في المذهب الظاهري ، وسيرة صاحب هذا المذهب =

العجائب والخوارق . جاء في أخبار سنة ٦٧٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فتواترت بعد ذلك أخبار العوام رؤية المنامات وكثرة الظواهر » يعني العجائب . ويقول الكتاب المحدثون هذا اليوم : « ظاهرة طبيعية » « ظاهرة فلكية » « ظاهرة جوية » بمعنى قريب من المعنى الشائع في هذه اللهجة العراقية المولدة

= وأحوال أصحابه الظاهرية وقد جاء في هذه المادة من الكتاب ما هذا نصه : « هذه النسبة الى أصحاب الظاهر ، وهم جماعة ينتحلون مذهب داوود بن علي الأصفهاني صاحب الظاهر ، فانهم يجرون النصوص على ظاهرها ، وفيهم كثرة أما داوود ، فهو أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري ، أصبهاني الأصل سكن بغداد ، ثم رحل الى نيسابور ، ثم قدم بغداد ، وصنف كتبه بها وهو إمام أصحاب الظاهر ، وفي كتبه حديث كثير ، إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً وذكره أبو العباس ثعلب فقال : كان عقله أكثر من علمه وقد حكى عنه أحمد بن حنبل قولا في القرآن بدعه فيه ، فامتنع من الاجتماع به ، وقال ــ يعني ابن حنبل ــ كتب الي محمد بن يحيى الذهلي من نيسابور أنه ــ يعني إمام أصحاب الظاهر ــ زعم أن القرآن محدث ، فلا يقربني قال أحمد بن خلف بن كامل : في شهر رمضان سنة ٢٧٠ مات داوود ابن علي بن خلف الأصبهاني ، وهو أول من أظهر انتحال (الظاهر) ، ونفى (القياس) في الأحكام قولا ، واضطر اليه فعلا ، وسماه (دليلا) وكان أبوه علي بن خلف يتولى كتابة عبد الله بن خالد الكوفي قاضي أصبهان أيام المأمون » هذا ما قاله السمعاني عن الظاهرية ومذهبهم ، وعن إمام أصحاب الظاهر داوود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري ، ويلي ذلك في (كتاب الانساب) فصل عن ابنه محمد بن داوود بن علي بن خلف صاحب (كتاب الزهرة) ، وفي هذا الفصل يقول السمعاني عن صاحب هذا الكتاب محمد بن داوود : « كان عالماً ، أديباً ، وشاعراً ظريفاً وله في (الزهرة) أحاديث عن عباس بن محمد الدوري وطبقته ولما جلس في حلقة أبيه بعد وفاته يفتي ، أرسلوا اليه رجلا ، قالوا له : سله عن حد السكر ، فأتاه ، فسأله : متى يكون الانسان سكراناً ؟ فقال محمد بن داوود : اذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسره المكتوم فاستحسن ذلك منه ، وعلم موضعه من العلم » هذا ما رواه السمعاني في تعريف السكر عن محمد بن داوود الأصبهاني صاحب (كتاب الزهرة) ، وهو فيما نرى تعريف شاعر أو عاشق ، لا تعريف فقيه ، والسكر عند الفقهاء ما أذهب العقل والتمييز ، ويستدلون عليه بالنكهة والرائحة ، وللفقهاء في تحديد السكر أقوال . فالسكران عند بعضهم هو الذي لايفرق بين الأرض والسماء ، وعند آخرين أن يخلط كلامه ويغلب عليه الهذيان ، وعند قوم أن يختلج في مشيته وأن تتخاذل أقدامه ، وعند فقهاء آخرين أن تجتمع فيه كل هذه العلامات ، وما الى ذلك هذا ، وقد ختم السمعاني هذا الفصل عن صاحب (كتاب الزهرة) قائلا : « له أخبار ومناظرات مع أبي العباس بن سريج ، بحضرة القاضي أبي عمر بن يوسف ، مثبتة مسطورة لحسنها ومن جملة أشعاره :

أنظر الى السحر يجري في لواحظه ... وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كأنهن نمال دب في عاج

مات صاحب (الزهرة) هو والقاضي يوسف بن يعقوب في يوم واحد سنة ٢٩٧ » ، وراجع أيضاً مادة (الباطني) من (كتاب الأنساب) المذكور

(ع)

٥٦ — (العالَمُ ـ جمهرة الناس) : العالم في الأصل ما حواه بطن الفلك، وجمعه (عالَمُون) ، والعالم أيضاً : الخلق كله ، أي ما يشمل المواليد الثلاثة هكذا ورد في كلامهم وقد تغير مدلول كلمة العالم على توالي العصور ، فأصبحت تعني كثرة الناس فقط ، وهي معروفة في لهجة العراقيين الشائعة الآن وبهذا المعنى المولّد وردت كثيراً في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي حوادث سنة ٦٣٠ : « كان يأخذ نفسه بالرياضة والتخشن والتباعد عن العالم [١] » ، وفي حوادث سنة ٦٥٣ : « قتل خلق كثير ، وجرح عالم عظيم [٢] » ، وفيها أيضاً : « سأل الدويدار أن يكتب له أمان بعلم الخليفة ، ويقرأ في جمع من العالم » ، وفي وصف تشييع جنازة أبن وضّاح الشهرباني المتوفى سنة ٦٧٢ : « اجتمع له عالم لا يحصى » ، وفي أخبار سنة ٦٧٧ : « غلِّقتْ الأسواق ، واختفى أكثر العالم » ، وفي أخبار سنة ٦٩٠ : « وزادت دجلة بعد ذلك ، وانتفع العالم بما عمّهم من لطف الله ورحمته » ، الى غير ذلك هذا ، ومن الواضح أن كلمة العالَم الواردة في هذه الأقوال تعني كثرة الناس فقط ، ولا تشمل أكثر من ذلك ، كما هو مدلولها في كلام الفصحاء

جاء في (كتاب الفروق) للعسكري : قال بعض العلماء أهل كل زمان عالم ، وأنشد :

وخندف هامة هذا العالم

وفي كتاب الفروق أيضاً ما يحوي الفلك عالم ويقول الناس : العالم السفلي ، يعنون الأرض وما عليها ، والعالم العلوي : يريدون السماء وما فيها ، ويقال على وجه التشبيه : الانسان العالم الصغير ، ويقولون : الى فلان تدبير العالم ، يعنون الدنيا . وقال آخرون : العالم اسم لأشياء مختلفة ، وذلك أنه يقع على الملائكة والجن والإنس ، وليس هو مثل الناس ؛ لأن كل واحد من الناس انسان ، وليس كل واحد من العالم ملائكة وقال أيضاً : الفرق بين العالم والدنيا أن الدنيا صفة ، والعالم اسم ، تقول : العالم السفلي والعالم العلوي ، فتجعل العالم اسماً ، وتجعل العلوي والسفلي صفة ،

(١) الحوادث الجامعة (٣٨) (٢) المصدر المذكور (٢٩٥)

وليس في هذا إشكال[1] وفي (كليات أبي البقاء) تحت عنوان (العالم) : قال أبو حيان : العالم لا مفرد له كالأنام ، وأشتقاقه من العلم أو العلامة وقال غيره : من العلم ، لا العلامة ، لكنه ليس بصفة ، بل أسم لما يعلم به ، أي يقع العلم به ، مثل الخاتم أسم لما يتختم به ، والقالب لما يقلب به وفي آخر هذه الكلمة فصل في مدلول كلمة العالم وأنه يتناول الجن والإنس والملائكة لفخر الدين الرازي ، نقله صاحب الكليات

٥٧ — (عـدم) : من أقوال العراقيين في لهجهم الشائعة الآن (عدم الأشياء) بمعنى فقدانها ، وأصح منه أن يقال (عدم وجود الأشياء) ، ثم إن العدم يعني في الغالب فقدان المال خاصةً في كلامهم دون بقية الأشياء والأستعمال السابق المولّد في لهجة أبناء العراق هذا اليوم ، انتقل اليهم من لهجة أجدادهم قبل أكثر من سبعمئة سنة ، ففي (كتاب الحوادث الجامعة) : « أخبروا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك » كما يقول العراقيون ذلك هذا اليوم .

٥٨ — (عـيّن عليه) : تعـيّن عليه الشيء : لزمه بعينه هـذا ما راه في معجمات اللغة وفي كلام الفصحاء أما في لهجتنا الشائعة ، فيقولون (عـيّن عليه) اذا أختاره لعمل ، أو لمنصب ، ومن ذلك أشتقوا كلمة (التعيين) ، أي الوظيفة من خبز وطعام ومؤنة ، جاء في أخبار سـنة ٦٥٦ : « عُـيِّن على شهاب الدين بن عبد الله صـدراً في الوقوف[2] » . والأمثلة غير قليلة في (كتاب الحوادث الجامعة) من هذا القبيل

(ف)

٥٩ — (الفردة) : الفرد : ضـد الزوج ، ولا يقولون في هـذا المعنى (فردة) ، وفردة بالتاء لفظة مولدة بالمعنى المذكور وتستعمل لفظة الفردة في العراق اليوم بمعنى (رزمة) ، فيقال : « فردة قماش » وما الى ذلك ولفظة (بالة) أيضاً وهي الحزمة أو الرزمة الكبيرة من القماش أو المتاع تنضد وتحزم وفي المعجمات : (البالة) الجراب الضخم أو الصغير ، فارسية معربة ، ويزعم بعضهم أنها محرفة من قولهم (ضغث على إبّالة) ، والإبالة الحزمة الكبيرة من الحطب . فالكلمة

(١) الفروق للعسكري (٢١٧ — ٢١٨) (٢) الحوادث الجامعة (٢٣٣) .

على هذا عربية الأصل ، لا معربة . وفي أخبار سنة ٦٣٦ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أريته فردة السوار ، وقلت إن الفردة الأخرى عندهم[1] » ، وجاء فيه أيضاً : « وكان لها عند الصائغ فردة سوار[2] » وجاء في أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب المذكور : « أرسل صلاح الدين أبن أيوب صاحب دمشق وحلب ـ هو صلاح الدين الصغير ـ رسولاً معه فردة ركاب كبيرة من حديد ، ذكر أنها ركاب النبي (ص) ، وأنها عند بني أيوب يحفظونها كما حفظ بنو العباس البردة الشريفة، فقبلها الخليفة ، وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب. والفردة بهذا المعنى شائعة في اللهجة العراقية الآن بحيث يستفاد منها أن هذه اللهجة العراقية المعروفة اليوم كانت شبيهة بلهجة العراقيين الشائعة قبل أكثر من سبع مئة سنة وقد تقرأ صفحة أو صفحتين من بعض الكتب المؤلفة في المئتين السابعة والثامنة ، مثل كتاب (الحوادث الجامعة) وكتاب (فرحة الغري) لغياث الدين بن طاووس الى كتب أخرى ، فيخيل اليك أحياناً أنها كتبت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا [3]

وقال اللغويون : (فردة) ، أسم جبل ، وفي الحديث : « فمنكم المزداف صاحب العمامة الفردة » إنما قيل له ذلك لأنه كان إذا ركب لم يعتم معه غيره إجلالاً له وقال العسكري في (الفروق اللغوية) : الفرق بين الواحد والفرد أن الفرد يفيـد الأنفراد من القرن أي النظير ، والواحـد يفيـد الأنفراد أو الصفة ألا ترى أنك تقول فلان فرد في داره ، ولا تقول واحـد في داره ، وتقول هو واحد أهل عصره تريد أنه قد أنفرد بصفة ليس لهم مثلها ؟ [4] وقال أيضاً : الفرق بين الواحـد والمنفرد أن المنفرد يفيد التخلي والأنقطاع من القرناء ، ولهـذا لا يقال لله سبحانه وتعالى « منفرد » ومعنى المنفرد في صفات الله تعالى أنه المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك .

٦٠ — (الفرمان) : لفظة تركية بمعنى (البراءة السلطانية) أو (الأمر السلطاني) أو (تقليد) أو عهد بتولية منصب عالٍ كثر ورودها في كتاب (الحوادث الجامعة) وفي غيره من الكتب المصنفة في ذلك العصر ، وكانت معروفة في اللهجة العراقية الى أن تخلى الترك عن

---

(١) الحوادث الجامعة (١١٩) (٢) المصدر المذكور (١١٨)

(٣) أنظر (١١٨ — ١١٩) من المصدر المذكور ، والصفحات الآتية من كتاب فرحة الغري (١٢٥ ـ ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧) (٤) الفروق (١٤٤ ـ ١٤٥)

العراق بعد أنتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتجمع على (فرامين) قال أبن الفوطي في (معجم الآداب [1]) في رجمة نخر الدين عبد الله بن شمس الدين المعروف بقاضي هراة قاضي قضاة خراسان ، ما يأتي : « رأيته بتبريز سنة ٦٧٧ ، فوّض اليه الصاحب السعيد شمس الدين الجويني قضاء ممالك خراسان ، وكتب له بذلك (الفرمان) » وجاء في أخبار واقعة بغداد من (كتاب الحوادث الجامعة [2]) : « كان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها ، قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول ، وكتب لهم فرامين . فلما فتحت بغداد ، خرجوا » وفي أخبار سنة ٦٨٧ من الكتاب المذكور : « عرضا عليه ما معها من الفرامين ، فأمر أن ينادى في بغداد أن يحضر الى الديوان كل من معه فرمان وبايزه [3] » . وفي هذه الأيام قد تستعمل في بعض الأقطار العربية الأخرى كلمة (مرسوم) في موضع هذه الكلمة .

(ق)

٦١ — (قاعد ـ بمعنى جالس) : القاعد ـ لغةً ـ ضد الواقف ، أو القائم . وهي خاصة بمن يجلس عن أضطجاع أو سجود أو نحو ذلك غالباً ولا يقال قاعد للجالس مطلقاً . هذا ، وأقوالهم في الفرق بين القاعد والجالس لا تخلو من أضطراب ويستفاد من كلام بعض الأدباء واللغويين أن الفرق بين الجلوس والقعود هو أن القعود يعني أحياناً ضرباً من المكث واللبث بخلاف الجلوس ، ومن ذلك في التنزيل : « القواعد من النساء . ومقعد صدق . إنّا هٰهنا قاعدون » ، وقول الشاعر :

الى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكاع

وقالوا : « أديب قاعد وكاتب قاعد . وأخباري قاعد » أي حاذق أو ماهر . قال الحريري : يقولون للقائم : إجْلِسْ ، والأختيار ، على ما حكاه الخليل ، أن يقال : أُقْعُدْ ، وللنائم والساجد : إجلس وعلّله بعضهم أن القعود هو الأنتقال من علو الى أسفل ، ولذا قيل لمن أصيبت رجله مُقْعَد ، وأن الجلوس هو الأنتقال من سفل الى علو . ويستفاد من

(١) (٤ / مادة نخر الدين) ، واللباب (٨٨) (٢) (٣٢٩) ؛ (٣) (٤٥٤) .

أقوال بعض شراح (درّة الغواص) للحريري أن الجلوس والقعود مترادفان ، وأن الفرق بينهما معدوم وقد سوّى بينهما بعض اللغويين ، وعلى ذلك قول النحاة : « قعدت جلوساً » الى غير ذلك . وبخلاف ذلك يقول آخرون : لا يقال قاعد بمعنى جالس مطلقاً ، كما هو معروف الآن في لهجتنا الشائعة ، وهي منتقلة الينا من عصر المغول ، فكانت هذه الـكلمة تستعمل بمعنى الجالس اطلاقاً . وفي أخبار سنة ٦٦٨ من (كتاب الحوادث الجامعة [1]) : « عرض له رجل جمّال كان قاعداً بباب غلة ابن تومة » يعني أنه كان جالساً عن قيام ، والعرب لا تعرف ذلك قال اللغويون : القعود الجلوس ، أو هو القيام من الضجعة أو من السجود ، وقد فرقوا بين قولهم للقائم إجْلِسْ أو أُقْـعُـدْ كما رأيت وهنا فائدة يحسن أن يختم بها هذا البحث ، وهي : أن القعود يكون مصـدراً وهو شائع ، ويكون جمعاً لكلمة قاعد كما في قوله تعالى : « إذ هم عليها قعود » ، ومثله الجلوس . وأما الخروج ، فلم يرد إلا مصدراً ، وقيل : يجوز أن يكون جمع خارج ، وهو ضعيف .

٦٢ — (القلندرية) : نسبة الى قلندر ، لفظة أعجمية ورد ذكرها مرتين في كتاب الحوادث الجامعة ، ولم يشرح مؤلفه معنى هـذه اللفظة ، كما أنه لم يصف هذه الطائفة المنتمية الى الصوفية ، ولم يعرِّف طريقتهم ، ولم يشر الى أذكارهم وآدابهم إن كان لهم شيء من هذا القبيل ، ككثير من فرق الصوفية . ولا شك في غموض معنى لفظة (قلندر) أو قلندرية ، فهناك من يقول : إن قلندرية نسـبة الى رجل أو علم أعجمي هو قلندر ، ويقول ابن فضل الله العمري : إن معنى قلندري (حليق) ، والقلندرية المحلِّقون . ويستند هذا المؤرخ في زعمه الى ما اعتاده القلندرية من حلق اللحية والسِّبال .

هذا ، وليس لهذه المادة أصل في معجمات أئمة اللغة ولكن الزبيدي انفرد بإيرادها في مستدركاته بعد مادة قفندر ، فقال : « (قلندر) كسمندر لقب جماعة من قدماء شيوخ العجم ، ولا أدري ما معناه [2] » هذا ما قاله الزبيدي في (التاج) ومن أقوال عامة عصرنا في العراق « فلان قلندري » يعنون أنه جريء أو بطل . ووردت هذه اللفظة في (رحلة ابن بطوطة) مرة بصورة

(١) الحوادث الجامعة (٣٦٦)　　(٢) تاج العروس (٣/٥٠٤)

(قلندرية) ، وأخرى بصورة (قرندلية) ، والأخيرة خطأ . وقد عني رهط من مؤرخي الدولة الأيوبية ودول المماليك والمغول والأتراك من مصريين وشاميين بذكر هذه الطائفة المنتمية الى الصوفية ، فذكروا أن لهم عادات وأحوالاً غريبة ، ومن عاداتهم حلق اللحى والحواجب والشوارب ، ولهم زي خاص أعتبره بعض سلاطين المماليك من أزياء الشهرة الممنوعة ، وأفتاهم بعض الفقهاء بذلك وجاء في التواريخ المشار اليها نبذة عن أوضاعهم وعن بعض زواياهم وخوانقهم التي وجدت في فارس والعراق وآسية الصغرى ومصر والشام

وفي أخبار سنة ٦٤٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) فصل عنوانه (قتل خليل بن بدر الكردي [١]) جاء فيه ما يأتي : «كان أحد زعماء كردستان[٢] ، وخرج عن طاعة الخليفة ، والتجأ الى المغول وكان يلبس زي القلندرية ، ويزعم أنه من أتباع الشيخ أحمد بن الرفاعي ، وأظهر الإباحة ، فاُجتمع عليه خلق كثير وكان يشرب الخمر ، ويأكل الحشيش المسكر ، فخرج معه جمع كثير من المغول وغيرهم ، وقصد نواحي (اللحف) ، ونهب جماعة من رعية سليمان شاه[٣] وقتلهم ، ثم حصر قلعة زهاو[٤] ، وهي لسليمان شاه ، فخرج اليه في خلق كثير » هذا ما جاء في الحوادث الجامعة ، ويلي ذلك وصف للمعركة التي أنتهت بمقتل خليل بن بدر الخارجي المذكور وفي أخبارسنة ٦٥٨ من الكتاب المذكور : « حكي أن السلطان هولاكو لما مرّ بوطأة حرّان ، وقف له جمع من الفقراء القلندرية ، فقال لنصيرالدين الطوسي : ما هؤلاء ؟ قال : فضلة

---

(١) خليل بن بدر اللري ، وقيل الكردي ، من زعماء قبائل اللر على حدود العراق الشرقيه. له ذكر كثير في أخبار الفترة الأخيرة منعصور العباسيين ، وخاصة عصرالمستعصم آخر هؤلاء الخلفاء قال في جامع التواريخ : « هو الأمير حسام الدين خليل بدر (كذا) بن خورشيد البلوجي » أنظر جامع التواريخ (٢/٣٤٣)

(٢) في النسخة المطبوعة من الحوادث : (أرسنان) ، وهوغلط

(٣) سليمان شاه بن برجم أشهر زعماء التركمان وقبائل اليات في هذا العصر. وأمير هذه القبائل التي كانت منتشرة على حدود العراق الشرقية وبالخاصة خانقين اشتهر بوقائعه الطاحنة مع المغول وحلفائهم من (اللر) ، وأبلى بلاء حسناً في الوقائع المذكورة على صورة تركت هولاكو يحرق الأرم عليه وهو أحد الزعماء الذين رغب هولاكو في ارسالهم اليه وهو في همدان قبيل زحفه على بغداد ، فلم يجبه الخليفة الى ذلك فلما ملك المغول بغداد ، قتل فيمن قتل من هؤلاء الزعماء ، ولم يكتف هولاكو بذلك ، بل أنفذ برؤوسهم الى الموصل ، فعلقت هناك . ولهذا الأمير التركماني ذكر مفصل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٣٧٠ـ٣٧٤) وفي جامع التواريخ (٣٤٢) وفي طبقات ناصري بالفارسية ، وفي كتاب الحوادث الجامعة ذكر أكثر من مرة

(٤) في النسخة المذكورة (وهار) ، وهو تحريف (زهاو)

في العالم ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا . وسأله عن معنى قوله، فقال : الناس أربع طبقات بين إمارة وتجارة وصناعة وزراعة ، فمن لم يكن منهم كان كَلّاً عليهم[1] » . هذا نص الحوار الذي دار بين الطاغية هولاكو ونصير الدين الطوسي بشأن هذه الفرقة بحسب رواية مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) . وليس هذا محل مناقشة هذه الرواية من حيث صحتها أو سقمها ، ولكن يستفاد من ذلك أن فكرة التضامن العمراني أو التعاون الاجتماعي لم تكن مجهولة في عصر المغول ، فكانوا يقدرون الناس بما يحسنون من صنائع وأعمال مثمرة ثم إن عدّهم للإمارة من جملة الأعمال المثمرة ، يدل على أنهم أعتبروا مناصب الدولة أحياناً واسطة ، لاغاية . وفي حوادث سنة ٧٦١ من (كتاب البداية والنهاية) لابن كثير : « الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم ، وذلك محرم بالإجماع » ، وجاء في حوادث السنة المذكورة من هذا التاريخ ما نصه : « ورد كتاب من السلطان أيده الله الى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة بإلزامهم بزي المسلمين وترك زي الأعاجم والمجوس ، ولا تمكن أحد منهم من الدخول الى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع ، ومن لايلتزم بذلك يعزرشرعاً ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشـــة واقامة الحد عليهم بأكلها كما أفتى بذلك بعض الفقهاء والمقصود أنه نودي عليهم بذلك[2] » وفي (الضوء اللامع) ترجمة موجزة لعلي القلندري صاحب الزاوية . وقال المقريزي في (خططه)[3] : « القلندرية طائفة تنتمي الى الصوفية ، وتارة تسمي نفسها ملامتيَّة » ثم ذكر فرقاً بين الطائفتين ، ومن عاداتهم على ما قال حلق اللحى ، وقد منعهم السلطان حسن من ذلك . والواقع أن الفرق بعيد بين القلندرية والملامتيَّة هذا ، وما أحسن قول السراج الورّاق :

عشقت مَنْ ريقتُهُ قرقفٌ	وما له إذ ذاك من شارب
قلندرياً حلقوا حاجبـــاً	منـه كنون الخط من كاتب
سلطان حسنٍ زاد في عدله	فاختار أن يبقى بلا حاجب

نشأة القلندرية

يستنتج مما مرَّ أن القلندرية نشأت أولاً في بلاد فارس ، وذلك في أواخر عصور السلاجقة

(١) الحوادث الجامعة (٣٤٣) (٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٤/١٤)
(٣) أنظر المواعظ والاعتبار (٤٢٢/٢ — ٤٢٣)

تقريباً ، ثم أنتقلت من هناك الى بلاد الروم أو آسية الصغرى ، وكان فيها دولة للسلاجقة ، ثم ظهرت في مصر [1] والشام بين أواخر المئة السابعة وأوائل الثامنة ، ولم يكن للقلندرية إذ ذاك وجود في العراق ، ولم تعرف لها زاوية في أواخر عصور العباسيين إلى أوائل عصور المغول في هذه البلاد ، كما يستفاد من قصة الأمير خليل بن بدر اللري المنتمي إلى القلندرية والمتزّي بزيّهم ، فانه لم يكن من العراق [2] ، بل كان من اقليم لرستان ، وكما يستفاد أيضاً من قصة الفقراء القلندرية الذين وقفوا للطاغية هولاكو عند ما مرّ بوطأة حرّان من بلاد الجزيرة ، فالغالب أن هؤلاء فرقة من قلندرية الروم ، وقد أمر الطاغية بقتلهم كما مرّ

هذا ، والظاهر أن القلندرية ظهرت في العراق بعد أنقراض الدولة الأيلية أو الإيلخانية ، إذ ليس من الممكن أن يظهر لهم أثر في العراق بعد تلك الفعلة التي فعلها بهم هولاكو في وطأة حرّان . وليس لدينا تاريخ مضبوط عن مبدأ ظهور هذه الفرقة في العراق ، غير أننا نرجح أنهم ظهروا في هذه البلاد في عصر الجلائريين أو في النصف الأخير من المئة الثامنة وما بعد ذلك ، ووجد لهم ملجأ أو زاوية في الجانب الغربي من بغداد سمي (القلندرخانة) كما يستفاد من تضاعيف (تاريخ الغياثي) ، وربما كانت لهم بعض الزوايا في أماكن أخرى من العراق [3] .

٦٣ — (القنّارة) : يراد بالقنارة في لهجة العراقيين هذا اليوم خشبة ذات كلاليب معقفة ، يعلق القصاب عليها شاته وفي (شفاء الغليل) : قال أبو منصور : ليست من كلام العرب ، قال ابن حجاج :

---

(١) جاء في أخبار سنة ٦٧٨ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « طعنه في حلقه ، فحمل الى قبة القلندرية ، فمات من يومه ، ودفن بها » (١/ق ١/ ٦٥٥)

(٢) وردت فقرة جديرة بالملاحظة في قصة الأمير القلندري خليل بن بدر المروية في كتاب الحوادث الجامعة ، إذ زعم أنه من أتباع الشيخ أحمد الرفاعي ؟ مع أن الطريقة الرفاعية تختلف في جوهرها عن طريقة القلندرية ويؤيد ذلك ما رواه ابن بطوطة عن زاوية الصوفية الرفاعية التي زارها في جزيرة أم عبيدة جنوب الديار الواسطية

(٣) أنظر الصفحة (١٦٣) من مخطوطة تاريخ الغياثي نسخة خزانة مديرية الآثار القديمة ، فقد جاء فيها : « كانت دار الشفاء على جانب دجلة ، فبنى السلطان أحمد في وجهها (القلندرخانة) » ، وفي صفحة (٢٠٩) من النسخة المذكورة : « كان متولي البندنيجين أمير علي قلندر من قبل السلطان أحمد »

كأن ساقيها على عاتقي كراع شاة فوق قنّارة[1]

والقنّارة من الكلمات الشائعة على ألسنة العراقيين في المئتين السابعة والثامنة ، ففي أخبار سنة ٦٩٤ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « كان يسلك في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل ، وأحدث القنارة بواسط ، كما أحدثها بهاء الدين الجويني في أصفهان[2] » هذا ما ورد في الحوادث الجامعة ومن الكلمات الفصيحة بهذا المعنى كلمة صنارة أو سنارة (بالسين) ، وهي كلمة لاشك في عربيتها ، ففي (اللسان) : أنها الحديدة الدقيقة المعقفة ، والكلمة مخففة ، والعامة تشددها ، وتستعمل في شص الصائد ، لأنه يشبهها ، أو هو هي وزعم بعضهم أن الكلمة ـ أي سنارة أو صنارة ـ دخيلة ، أو معربة من السريانية وقال أبن فارس في (المقاييس) : « الصاد والنون والراء ليس بأصل ، ولا فيه ما يعوّل عليه ، لقلة الراء مع النون ، مع أنهم يقولون الصنارة حديدة بالمغزل وليس بشيء » ويقول بعض المعنيين بالبحوث اللغوية المقارنة : إن صنارة سريانية الأصل ، وإنها تعني في هذه اللغة شصاً يصاد به السمك . ويقول آخرون : إن مأخذها من الفصحى قال أبن الأعرابي : السنانير عظام في حلق الإبل . وعلى هذا ، لايستبعد أن تكون الصنارة مستعارة منها . ووجه الشبه هو النشوب في الحلق . هذا ، ويلاحظ أن كلاً من السنارة والقنارة معروفتان في لهجتنا العراقية الشائعة الآن .

(ك)

٦٤ — (الكارخانة) : كلمة فارسية ، مركبة من : (كار) بمعنى عمل ، كسب ، صناعة ، حرفة ؛ ومن كلمة (خانَه) بمعنى دار ، منزل ، محل . فقولهم « كارخانَه » تعني المعمل أو المصنع وعرفت هذه اللفظة في اللهجة العراقية على عهد الدولة الايلخانية المغولية ، وفي عصور الفرس والأتراك وأستعملت في اللهجة التركية الحديثة لمنزل الفجور . ووردت بمعنى المصنع في (كتاب الحوادث الجامعة) ـ في ترجمة أبن الدرنوس مستشار المستعصم العباسي ـ :

---

(١) شفاء الغليل (١٥٤) (٢) الحوادث الجامعة (٤٨٦)

« رتب بعد واقعة بغداد خادماً للديوان ، ثم نقل خادماً الى الكارخانة [1] » . وجاء في الكتاب المذكور أيضاً : « دخل تاج الدين الهمداني كاتب الكارخانة على علاء الدين صاحب الديوان[2] » . وقد قل أستعمال هذه اللفظة في لهجة العراقيين الحاضرة ، وحلت محلها كلمة العمل والمصنع .

هذا ، وكلمة (خانة) من الكلمات الفارسية التي دخلت في التركيب مع كلمات عربية وغير عربيّة ، فيقولون : (عباخانَهْ) أي مصنع العباءات ، و (أكَكخانَهْ) بمعنى المخبز ،

٦٥ — (الكارة) : الكارة في اللهجة العراقية الشائعة وزن معروف ، وأكثر ما توزن به تمور البصرة والكلمة شائعة في لهجة البصريين هذا اليوم . ولم تكن الكارة كذلك في قديم الزمان ، فالكارة لغةً الحمل الذي يحمله الرجل على ظهره قال الجوهري : الكارة مايحمل على الظهر من الثياب ، أو هي مقدار معلوم من الطعام وزاد صاحب (التاج) على هذا التعريف قوله : يحمله الرجل على ظهره ، ومن ذلك الكَور وهو لوث العمامة وتكويرها وشدها أو إدارتها على الرأس ويستفاد من موارد أستعمال الكارة في أواخر عصور العباسيين وأوائل عصور الدولة المغولية أنها وزن أو مقدار معلوم توزن به الغلات والحبوب ، وليس التمور فقط كما هو شائع اليوم ، ففي أخبار سنة ٦٨٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أحضر بعض أهل السواد كارة من الدخن بيعت بدرهم » يعنون مقداراً معيناً من هذه الغلة ، ومن ذلك قولهم هذا اليوم في اللهجة الشائعة : « كارة من الحشيش » . هذا ، والكار يعني (العمل) في الفارسية ، ويكثر أستعماله في لهجة العراقيين قديماً وحديثاً وفي حالة التركيب والإفراد ، وفي جنوب العراق نهر دارس يسمى (الكار) ورد ذكره في كتب التاريخ ، ومن ذلك تاريخ الكامل لابن الأثير . والكار لفظة يطلقها العراقيون على مجموعة كبيرة من السفن الشراعية الموسوقة بالبضائع والغلات .

٦٦ — (الكرّاثة) : علامة أوسمة من سمات الدولة ، تمنح لكبار رجالها ، وتحمل في الحفلات . وهي عبارة عن قطعة ذات أضلاع شبيهة بعيدان الكراثة البقلة المعروفة ، تنشر على شكل مروحة ،

(١) الحوادث الجامعة (٤٠٦ — ٤٠٧) (٢) المصدر المذكور (٤١٤)

وتوضع على الجبهة بين العينين ، ويلبسها بعض الملوك والأمراء ورد ذكر الكرائة في حوادث سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) في وصف حفلة تقليد العدل هبة الله بن المنصوري الخطيب نقابة نقباء العباسيين قال صاحب الكتاب : « كان من أعيان عدول مدينة السلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلمين بلسان أهل الحقيقة ، كان يصحب الفقراء دائماً ، وكان الموفق عبد القاهر[1] بن الفوطي من جملة تلامذته ، فعمل فيه أبياتاً طويلة لما أنتهى حالها إلى الديوان أنكر ذلك عليه ، ووكل به أياماً ، ولم يخرج إلاّ بشفاعته ، وأول الأبيات :

ناديت شيخي من شُدة الحرب   وشيخنا في الحرير والقصب

منها :

أُعطيتَ (كرائة) فنهن بها   عن طلب كان أشرف الطلب
لو أنها نجمة[2] خشيت على   دينك شركاً يكون عن كثب

وفي أخبار سنة ٦٤٤ من الكتاب المذكور : « خلع عليه ، وركب بالسيوف المشهورة والبسملة[3] بين يديه والكرّائة بين عينيه » وفي أخبار سنة ٦٥٣ كلمة عن وفاة أحد

---

(١) في النسخة المطبوعة « عبد الغافر » ، والصحيح « عبد القاهر »

(٢) أنكر كثير من اللغويين تأنيث هذه الكلمة قائلين انها لم ترد بهذه الصورة إلا في كلام المولدين المتأخرين ، واحتج لها آخرون بورودها في بعض الأشعار القديمة

(٣) ورد ذكر البسملة في البيت الثاني من أبيات قصيدة عبد القاهر بن الفوطي المذكورة :

في دسته جالساً ببسملة   بين يديه ان قام في أدب

والمقصود بالبسملة في هذا البيت وفي الحوادث الجامعة لو ح يكتب عليه كلمة بسم الله ، يعرض أو يحمل في الحفلات . قال الفيروز آبادي : (بسمل) قال بسم الله وقال الشارح الزبيدي : هو من الأفعال المنحوتة المركبة من كلمتين كـ (حمدل ، وحوقل ، وحسبل ، وغيرها) ، وهو كثير في كلام المصنف ، إلا أنه قيل إن (بسمل) لغة مولدة لم تسمع عن العرب الفصحاء ، وقد أثبتها كثير من أئمة اللغة كابن السكيت والمطرزي ، ووردت في قول عمر بن أبي ربيعة :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها   فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

ووردت أيضاً في كلام غيره وروي : « فيا بأبي ذاك الغزال المبسمل » ، وقد أشار اليه الشهاب في العناية وفي التهذيب : (بسمل) كتب بسم الله

حجاب الناطق : «كان معجباً بنفسه ، مغالياً في ملبوسه ومركوبه وعرض الطراز وطول الكرائة »

٦٧ — (الكشك أو الكوشك) : تركية الأصل ، كانت معروفة الى عصر قريب في اللهجة العراقية بمعنى (منظرة) ، أو منزل صغير ، أو هو بيت يبنى على شكل خاص ، عرّبته العرب قديماً بقولها (جوسق) . وشاعت كلمة الجوسق المعربة في عصور أزدهار اللغة العربية ، ولم تعرف كلمة الكشك إلا في عصور العباسيين الأخيرة ، وبعد ذلك في عصور المغول والأتراك ، وذكرت في كتب التاريخ المصنفة في تلك العصور ففي أخبار سنة ٦٣٥ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها خرج المستنصر بالله الى الكشك ، وظهر للأمراء ، وأمرهم بالمشورة » ويستفاد من هذا الخبر أن الخليفة لم يكن يظهر حتى لأمراء دولته ، إلا في الأحايين ولهذه اللفظة ذكر في سياق الأخبار المسرودة في (كتاب الحوادث الجامعة) أكثر من مرة ، طوراً بأسم الكشك ، وتارةً بأسم (كشك الملكية) ، ففي أخبار سنة ٦٤٣ : « فيها جرى معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام من دقوق (دقوقا) ساعياً على قدميه ، فوصل (كشك الملكية) ، ودخله وكان الخليفة هناك ، ومعه الشرابي ، وهو أستاذه ؛ ثم خرج من الكشك ، وعاد الى الوقف ، ثم رجع الى الكشك وقد بقي من النهار ساعة ونصف ، فقبل الأرض بين يدي الخليفة ، فتقدم له بخمس مئة دينار ، وأعطاه الشرابي ثلاث مئة دينار ، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير [1] » وفي أخبار سنة ٦٤٦ : « سعى علي بن الإربليّ من دقوق — دقوقا — الى بغداد ، فوصل بعد العصر ، وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة ، ودار حول الكشك شوطاً ، وخرج الى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله وأولاده ، وجلسوا في الكشك الى حين وصوله . وكان هذا المذكور مختصاً بخدمة الأمير مبارك ولد الخليفة ، فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة

(١) الحوادث الجامعة (٢٩١) ، ولاحظ تشويش النسخة وتداخل السنوات .

وذهب ، ودارَ من الغد في البلد بالطبول والبوقات ، فحصل له شيء كثير [1] » وهــــذا الـكشك الذي كان المستعصم يخرج اليه للاحتفال بالسباق بين السعاة أو المدّائين أو للاجتماع برجال دولته كما جاء في (الحوادث الجامعة) ، قديم ، أي أنه أقدم من عصر المستعصم ؛ فقد ورد ذكره في أخبار سنة ٥٥٧ من (تاريخ الذهبي [2]) : « فيها بني للخليفة كشك ، وآخر للوزير ، وأنفق عليهما مبلغ عظيم » ثم ورد ذكره في حوادث سنة ٦١٤ من (الكامل) لابن الأثير ، وذلك عند كلامه على غرق بغداد في الجانب الشرقي ، فقال : « فيها زادت دجلة زيادة عظيمة ، لم يشاهـــــد في قديم الزمان مثلها ، وأشرفت بغداد على الغرق ، فركب الوزير وكافة الأمراء والأعيان ، وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل (القورج) حول البلد ، وغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والـكشك ، وانقطعت الصلاة بجامع السلطان » . ويستفاد من ذلك تعيين موضع الـكشك المذكور ، وأنه لم يكن بعيداً عن ضواحي بغداد الشرقية القريبة من الباب المعروف بباب الحلبة

٦٨ — (الـكلّـچيّـة) : بجيم فارسية ، كلمة تركية مركبة من (كلّـه) مشددة بمعنى الرأس ومن أداة النسبة في اللغة المذكورة ، فهي تعني الرّواسين [3] أو باعة الرؤوس في أصل استعمالها ، ثم أطلقت في عصور المغول على فرقة خاصة من الحرس أو الشرطة ، فقد جاء في أخبار سنة ٦٦٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن هجوم البغداديين على دار الجاثليق واستغاثته بالجويني صاحب الديوان ما يأتي : « أمر الـكلچيّـة بكف العوام ، وركب الشحنة فأخذ نفراً من القوم » ، وفي أخبار سنة ٦٦٩ عن نهب البغداديين محال اليهود : « ركب جمـال الدين في جمع من الكلچية ، ومنعهم عن ذلك »

من ذلك يستفاد أن (الكلچية) ضرب من الحرس أو الجند وما الى ذلك ، على أن المناسبة ليســـت واضحة لنا في هذه التسمية ، فلعل شعار هذه الفرقة من الحرس كان صورة للرأس أو (الكَـلّـة) كما يسميها الأتراك ، وعلى أي حال فلا يعتبر هذا دليلاً قاطعاً على وجه هذه التسمية .

(١) الحوادث الجامعة (٢٣٥) (٢) نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد

(٣) ويسمى بائع الرؤوس (الرواس) و (الكوارعي) ، ولهما ذكر في كتاب الأنساب للسمعاني

ومن الجائز أيضاً ، أن هؤلاء الكلجية كانوا يحملون شمارهم على ما يلبسونه في الرؤس وقد جاء في أخبار سنة ٦٧٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن وفاة أبن الدرنوس « كان في مبدأ أمره يعمل في الكلّة مع أرباب تنانير الآجر » ، ثم فسر صاحب الحوادث هذه المهنة فقال : « وهو الذي ينقل اللبن الى التنور » فلعل أصحاب هذه المهنة كانوا يحملون اللبن على رؤوسهم الى تنانير الآجر ، أو مفاخر الطابوق كما تسمى أيضاً في بغداد هذا وكان في بغداد موضع معروف يسمّى (الكلچية) ، أزيل منذ عهد قريب

٦٩ — (الكَلَك) : كلمة شائعة في اللهجة العراقية ، ويجمعونها على أكلاك ، ويسمى صاحبها (كَلاّكاً) في العراق الى الآن وهي قِرَبٌ ، تنفخ ، وتوضع عليها المرادي من أخشاب الحور أو نحوه ، على شكل مربع أومستطيل ، ينقل عليها الناس والغلّات والبضائع ، منحدرةً في النهر واختلف المعنيّون بالبحوث اللغوية في أصل الكلمة ، فمن قائل إنها آشورية أو أكدية ، ولا دليل لهم على ذلك سوى أن هذا المركب عرف عند الأكديين والآشوريين ؛ ومن ذاهب إلى أنها فارسية ، وقال بعضهم إن أصلها من الآرامية ومما يعزز رأي من يرى أنها آشورية أو أكدية أو آرامية أن هذا المركب لا يعرف في بلاد فارس ، وإنما عرف قديماً في العراق وعلى كل حال ، فان معجمات اللغة العربية خالية من مادة (كلك) . والعرب يسمون هذا المركب (رمثاً) أو (طوفاً) ، وجمعها أرماث وأطواف . وجاء في اللسان : الأطواف ، الأرماث التي يركب عليها فوق الماء ، والواحد طوف . وجاء في سفر الملوك من التوراة : « وأنا أسيرّها أطوافاً » ولهذا المركب أو لنوع من أنواعه أسم ثالث في العربية هو (العامَة) ، قال أئمة اللغة : العامة ، هو الطوف الذي يركب في الماء . وقالوا : المستعام مركب في البحر وفي المحكم : العامَة هنة تتخذ من أغصان الشجر ونحوه ، يعبر عليها النهر ، وهي تموج فوق الماء ، وفي (التهذيب) : جمع العامة عامات ويلاحظ أن تعريف العامة كما جاء في (المحكم) ، لا ينطبق على الكلك .

هذا ، وكانت لفظة الكلك بمعنى الطوف أو الرمث شائعة في لهجة العراقيين خلال القرنين

السابعة والثامنة ، ووردت في الكتب المصنفة في تلك العصور ، وذكرت مرتين في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب المذكور : « فيها حملت القصعة المعروفة بـ (قصعة فرعون) من سر من رأى الى بغداد في الكلك ، ورفعت تحت دار الخليفة » ، وفي أخبار سنة ٦٥٤ من الكتاب نفسه : « فيها غرقت بغداد ، وكانت السفن والأكلاك تسير في الريحانيين من دجلة ، وتصل الى باب العامة » . وفي (كتاب گلشن خلفا [١]) : « أن خسرو باشا هيأ من الموصل ظروفاً لعبور آلتون صو ، فعبره ، وخيم العسكر المنصور في شهرزور » ويعني المؤلف أن هذا القائد عمل أكلاكاً لعبور النهر المذكور سنة ١٠٣٨ على عهد السلطان مراد

٧٠ — (كمّل — كمّل الشيء وكمّل العدد بمعنى أتمه) : عربية فصيحة مدونة ، وهكذا أشتقوا من مادة الكمال هذا الفعل المضاعف ، وأسماً للمفعول ، فقالوا : تكمّل العدد ، أي تم ؛ وعددهم مُكَمَّلٌ أي تام . وفي عصور الدولة العباسية الأولى شاع أستعمال كلة التمام ومشتقاتها ، مثل تم وتام ، أكثر من أستعمال كلة التكمل ومشتقاتها ، خلافاً لما وقع في أواخر العصور العباسية وعصور المغول بعد ذلك في العراق وبغداد ففي أخبار سنة ٦٧٩ من (الحوادث الجامعة) : « عمل الجويني جسراً مكملاً بسلاسله [٢] » ، وفي أخبار سنة ٦٩٣ من الكتاب المذكور أيضاً : « تكمّل معهم زيادة على ثلاثين ألف أسير [٣] » ، وفي أخبار سنة ٦٨٧ منه : « لما تكمّلت الأموال في الخزانة ، توجه الأمير بها الى السلطان [٤] » ويكثر العراقيون في لهجتهم الشائعة اليوم من أستعمال الأفعال والأسماء المشتقة من هذه المادة على تلك الطريقة المستعملة في (كتاب الحوادث الجامعة) ، وهو أستعمال صحيح لا أعتراض عليه وان كان الأفضل فيما نرى أن نقول (تكامل) العدد بدل (تكمّل) وهذه صنعة (كاملة) عوضاً عن (مكمّلة) .

٧١ — (الكنبثة) : وردت هذه الكلمة أكثر من مرة في (الحوادث الجامعة) ، ويستفاد من موارد أستعمالها أنها قبيبة صغيرة أو شبه مظلة أو سقيفة تبنى على سطح البيت وفيها

(١) (٧٥) من النسخة المطبوعة
(٢) الحوادث الجامعة (٤١٣)
(٣) المصدر المذكور (٤٧٦)
(٤) المصدر عينه (٤٥٤ — ٤٥٥)

منافذ الى داخله ، وقال آخرون : كنبثة الدار أعلى ما فيها المعقود على حجرة واسعة ، وليس في أصل مادة (كنبث) من المعجمات ما يناسب معنى الكلمة المصطلح عليه ، فالكنبث بالضم الصلب الشديد والمنقبض البخيل . وهاك بعض الموارد التي أُستعملت فيها الكلمة بمعناها الأصطلاحي المحدث ، ففي أخبار سنة ٦٧٥ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « فيها تكرر وقوع النار في أسواق بغداد ومنازلها ، ولم يعلم سبب ذلك ، إنما كان الإنسان يرى النار في (كنبثة) داره أو خصّها » ، وفي أخبار سنة ٦٨٣ من الكتاب المذكور خبر خلاصته وفاة شهاب الدين علي بن عبد الله وكيل الديوان جاء فيه : « كان سبب موته أن أحيل عليه بعض المغول ، فأختفى منه ، ليحصل له ما أحيل به ، فكبس داره ، فأرتقى الى سطحها ، فسقط من الكنبثة ، فمات ، وعمره أربع وسبعون سنة »

٧٢ — (الكنبوش) : كلمة فارسية ، مركبة من : (كون) بمعنى دبر ، و (بوش) بمعنى غطاء فمعناها غطاء المؤخر ، يعنون مؤخر الفرس . استعملت بمعنى برذعة أو غاشية ، وتجمع على غواشٍ ، وهي السروج ، أو الأغطية المذهبة التي توضع على ظهور الخيول فوق البرذعة وكان الخلفاء المتأخرون والملوك والسلاطين من بني أيوب والمماليك يخرجون في المواكب وبين أيديهم سروج وغواش من أديم مخروز بالذهب ، تحمل بين أيديهم في المواكب والحفلات المذكورة . وقد يراد بكلمة الكنبوش ما يراد بكلمة (جل) ، ويجمع على جلال ، وذلك في قول بعض الباحثين وقد كثر أستعمال المؤلفين والمؤرخين في أواخر العصور العباسية وفي عصور الدول الأيوبية والمماليك والمغول لهذه الكلمة . وجمعت كنبوش على كنابيش ، كما جمعت سربوش على سرابيش ، وبقيار على بقايير ويقول بعضهم : إن المغاربة أطلقوا هذه الكلمة على غطاء للوجه من الذقن الى الخيشوم ، يتقون به برودة الهواء والرطوبة ، جاء في أخبار سنة ٦٣١ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أعطاه المستنصر فرساً بمركب ذهباً وكنبوش إبريسماً » ، وفي حوادث سنة ٦٥٩ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « قدم له فرس أشهب ، في عنقه مشدة سوداء ، وعليه كنبوش أسود » ، وقال القلقشندي ، وهو يتحدث عن رسوم السلطنة وآلاتها

في دولة الأيوبيين ودولة المماليك التركية وعن بيت الركاب دار : « ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش والأجلال والمخالي ، وفيها من السروج الموشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنابيش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش وغير المزهرة »[1] هذا ما ورد في بعض كتب التاريخ عن الكنبوش ومردُّ هذه العناية بصناعة الكنابيش في الدول ، الى الوضع البارز الذي توضع عليه من هيكل الفرس ، فإنه ، كما لا يخفى ، مطمح أعين النظارة

(م)

٧٣ — (المحفدارية) : المِحفة بالكسر في أصل اللغة مركب للنساء كالهودج ، إلا أنها لا تقبب قال في (التاج) : يعني والهودج يقبب ، نقله الجوهري وقال غيره : المحفة رحل يحف ، ثم تركب فيه المرأة وقال ابن دريد : سميت بها لأن الخشب يحف بالقاعد فيها ، أي يحيط به من جميع جوانبه ، وهودج محفف بديباج : أي محاط به ، وحُفَّتِ الجنة بالمكاره : أحيطت بها فالمحفدارية هم أصحاب المحفّات المعنيون بشؤونها في الأسفار ، أو الركوب ، جاء في أخبار سنة ٦٤٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « حضر في محفة لعجزه عن المشي » ، وفي أخبار سنة ٦٤٢ من الكتاب نفسه : « خلعوا على كل من كان في خدمها ــ يعني أم الخليفة ــ من النواب والأتباع والفراشين و (المحفدارية) والحمالين والسقائين والحداة والساقة والنفاطين والحراس[2] » ويعد المؤرخون المتأخرون من المصريين مثل ابن فضل الله العمري[3] في (كتاب التعريف بالمصطلح الشريف) المحفةَ من أدوات الملك ولوازمه ولا تزال هذه الكلمة — أعني المحفة — معروفة في لهجة العراقيين ، ولكنها تستعمل لمركب ينقل

(١) صبح الأعشى (٤/١٢) ، وانظر (٥٢ — ٥٤) من الكتاب

(٢) الحوادث الجامعة (١٩٢)

(٣) عد ابن فضل الله العمري المحفة من آلات السفر الملوكية في فصل ، جاء فيه : « واتخذ من المحفة مهداً ، يجد به راكبه الراحة ، ويقطع به البر وكأنه مركب يشق به البحر سباحة ، لا يعرف ممتطي صهوته بعد المدى وقد حملت على البغال فهي تمور موراً ، ويجوب به الفلاة فلا تعرف نجداً أو غوراً » التعريف (٢١١)

عليه المرضى أو الجرحى في ميدان الحروب ، أو القمدون هذا وفي لهجة المولدين المصريين يقولون : (مِحارة) بكسر الميم وبالحاء والراء المهملتين لهودج صغير ، تشبيهاً له بمحار الصدف ، قال الورّاق :

بات عيشي على المحـ ـارة عيشاً منغّصا

وفي (المقتضب) لابن السيد : محار الصدف حين يعرى من اللحم ، واحده (محارة)[1] .
وفي (قاموس) الفيروز آبادي : « المحارة (بالفتح والتخفيف) الصدفة ونحوها من العظم ، وشبه الهودج » والمحارة معروفة شائعة في لهجة العراقيين هذا اليوم بمعنى الصدفة ، ولا يعنون بها الهودج ، إلا أنهم يلفظونها بالتشديد قال الزبيدي : المحارة شبه الهودج ، والعامة يشددون ، ويجمع بالألف والتاء هذا ، وفي الميم من كلمة محارة قولان ، فمن اللغويين من يقول إنها زائدة ، ولذلك يقيدونها في مادة (حور) ، ومنهم من يقول إن ميمها أصلية ، قال الزبيدي في (التاج)[2] : المحارة ، الصدفة ، وهذه عن الأصمعي قال الأزهري : ذكر الأصمعي وغيره هذا الحرف في (حور) ، فدل ذلك على أنها مفعلة من حار يحور ، وأن الميم ليست بأصلية وخالفهم الليث فوضع المحارة في باب (محر) ، قال : ولا نعرف (محر) في شيء من كلام العرب

٧٤ — (المخلّط والمخلّطون) : المخلط لفظة مولدة ، معروفة الى هذا اليوم في لهجة العراقيين ، وتعني خليطاً من الفواكه المجففة ، فهي كلمة فصيحة ، وإن لم تدون في المعجمات . شاعت في أواسط عصور الدولة العباسية ، ووردت كثيراً في كتب التأريخ ، ولكنها لا توجد في مادة (خلط) من معجمات الأئمة ومن كتب الأدب والأنساب والتأريخ التي وردت فيها هذه اللفظة ، كتاب (نشوار المحاضرة) للتنوخي[3] وقال السمعاني في مادة (المخلطي) : « وهذه النسبة لمن يبيع المخلط ، وهو الفاكهة اليابسة من كل جنس اذا خلط بعضها ببعض ،

(١) شفاء الغليل للخفاجي (١٩٤)
(٢) مادة محارة ، لا مادة حور ، وتراجع في هذا الباب مادة محر وحور ومحارة من معجمات اللغة
(٣) (١/٩٨ — ٩٩)

فيقال لمن يبيع هذا : (المخلطي) » ثم سمى السمعاني بعض من ينتسب الى ذلك ، وأرّخ وفاته سنة ٥٠٨ ، ومعنى ذلك أن الـكلمة كانت شائعة في لهجة الناس مســـتهل المئة السادسة . وانتقلت هذه الكلمة من تلك العصور الى عصور المغول ، ووردت أكثر من مرة في (كتاب الحوادث الجامعة) وغيره من كتب التأريخ ففي أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة [١]) : « حمل اليها من البصرة ستة عشـر جملاً عليها حلواء وأقراص ماء الليمون ومخلّط وبسر مطبوخ » ، وفي (رسالة ابن فضلان) المرفوعة الى الخليفة الظاهر سـنة ٦٣١ عن أحوال أهل الذمـة ببغـداد : سميت بعض حرف اليهود كالطبابة بفروعها ، الى أن قال ابن فضلان [٢] : « منهم أرباب المعـايش من المطارين والمخلطين والـكسارين أصحاب المـكاسب الظاهرة والارتفاقات الـكبيرة بأموال التجار المسلمين [٣] » .

هذا ، ومما يؤيد قول القائلين إن التجارة بالمخلّط كانت محتكرة عند اليهود في العراق ، ما جاء في أخبار سنة ٥٧٣ من (تأريخ الذهبي [٤]) ، وهو يذكر حادثة وقعت في المدائن بين المسلمين واليهود بقوله : « خرجوا ، فنهبوا المخلطين ، لأن أكثرهم يهود » ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في أخبار سـنة ٦٨٧ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « وقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل ، فاختفوا ، وتحصنوا في بيوتهم ، فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين » ، وقـال العماد الحنبلي : « والمخلطون هم باعة المخلط [٥] »

٧٥ — (المراكن) : المراكن جمع مركن كمنبر ، جاء في (القاموس) : المركن آنية

---

(١) الحوادث الجامعة (١٩٢)

(٢) محيي الدين محمد بن يحيى ، يعرف بابن فضلان البغدادي ، قاضي القضاة المدرس بالمستنصرية ، له ترجمة حســنة في معجم ابن الفوطي (٥/ق ٢/ مادة محيي الدين / ٤٢) ، وفي شذرات الذهب (٥/١٤٦) يقول ابن الفوطي : « توفي سنة ٦٣١ ، قلد قضاء القضاة ، وولي تدريس المدرسة النظامية والنظر في وقوفها. ولما ولي الظاهر بأمر الله ، أقره على ولايته شهراً ، ثم عزله ، فلزم بيته لايخرج إلا لصلاة جمعة » هذا ما قاله ابن الفوطي وكان والده يحيى بن الفضل مدرساً بمدرسة دار الذهب قبل ذلك ، وله ترجـمة في الشذرات (٤/٣٣١)

(٣) أنظر رسالة ابن فضلان هذه في كتاب الحوادث الجامعة (٦٧ ــ ٧٠)

(٤) مخطوطة مكتبة الأوقاف ببغداد . (٥) الشذرات (٤/٢٢ ــ ٢٣)

معروفة . قلنا : وهي كذلك الى الآن شائعة في لهجة العراقيين ، خصوصاً في الأرياف ، لعلبة من الخشب يحفظون فيها اللبن غالباً وجاء في (التاج) : المركن : شبه تور من أدم ، يتخذ للماء . وقيل : هي الإجّانه التي تغسل فيها الثياب ونحوها ، ومنه الحديث : « كانت مجلس في مركن لأختها زينب » . والجمع مراكن ومراكين يقال : زرعوا الرياحين في المراكين . أما (التور) ، فاليك ما يقول الزبيدي عنه في (التاج) : إناء صغير ، وعليه أقتصر الزمخشري في (الأساس) ، قيل : هوعربي ، وقيل : دخيل وفي (التهذيب) : التور إناء معروف يشرب منه ، مذكر وفي حديث أمّ سلمة أنها وضعت حَيْساً في تور هو إناء من صفر أو حجارة كالإجانه ، وقد يتوضأ منه قال الزمخشري : مررت بباب العمرة على أمرأة تقول لجاريها : « أعيريني تورتك » . جاء في أخبار سنة ٦٤٢ من (كتاب الحوادث الجامعة[1]) : « حمل اليها من البصرة شربَاتٍ ومراكن » . ولفظة مركن ومراكن ، من الألفاظ الفصيحة التي أحتفظت بها اللهجة العراقية ، ولكنها لا تعرف في جملة من اللهجات العربية الشائعة اليوم .

٧٦ — (المزاوير) : جمع مزوَّرة ، بصيغة المفعول ، حساء يطعمه المريض قالوا : إنها مولدة ، وقال الفقهاء : هي ما يطبخ خالياً من الأدهان ، وقال كشاجم :

شيخ لنا من مشايخ الكوفَه نسبتُهُ للمريض موصوفه

لو حوّل الله قلبه غنماً ما طمع الناس منه في صوفه

يقول الخفاجي : « إن نسبته مزورة لا أصل لها ، وهذا من أبيات المعاني[2] » . ومن رأينا أن المزورة مشتقة من التزوير ، لخلوها من الدهن ، فهي (مرقة كذابة) ، كما يقول العراقيون هذا اليوم . جاء في (الحوادث الجامعة[3]) : « حتى صار الطباخون في الأسواق يعملون (المزاوير) » . والخلاصة ، فالكلمة ــ اعني المزورة ــ عربية الأصل ، وأشتقاقها من التزوير ، أي التلبيس ، موافق للأصول ، فلا معنى لردها ، والمناقشة في جواز أستعمالها ، بحجة عدم وجودها في

(١) الحوادث الجامعة (١٩٢) (٢) شفاء الغليل (١٨٦) .

(٣) الحوادث الجامعة (٤٠٧) .

المعجمات اللغوية ؛ إذ أن ما فات مصنفي المعجمات من الكلمات الفصحى أكثر من الكثير وقد عُني الباحثون المتأخرون في موضوع الكلام على الألفاظ والمواد التي لم يرد لها ذكر في معجمات أئمة اللغة وهي أقسام ، صححوا استعمال أكثرها ، وأجازوا أخذه خصوصاً تلك الكلمات التي وردت في كلام فصحاء العرب ممن يحتجون بأقوالهم فملاك الأمر في استعمال هذه الكلمات ، ليس ذكرها في المعجمات ، بل ورودها في كلام الفصحاء ، ومثل ذلك المصطلحات والكلمات التي ولدها المتأخرون ، وهي عربية المادة ، ولها أصل في اللغة ، واستعملت في معانيها الجديدة على سبيل المجاز حتى صارت كالحقيقة ، وبعض الكلمات المعربة والدخيلة ، ويدخل في هذا الباب بعض أساليب النظم والتأليف المحدثة التي لم يعرفها العرب المتقدمون

هذا ، والقياس أن تجمع المزورة على (مزورات) ، مثل مدورة ومدورات ومصورة ومصورات ، وجمعها على مزاور كما جاء في (كتاب الحوادث الجامعة) ، غير صحيح ، أو مخالف للأصول بلا ريب .

٧٧ — (مس ـ بمعنى النحاس) : كلمة فارسية الأصل معربة ، تعني النحاس ، وهي معروفة الى هذا اليوم في اللهجات الفارسية بهذا المعنى ، ووردت أكثر من مرة في كتاب (الحوادث الجامعة) ، ومن ذلك : « يسرقون الذهب ، ويجملون عوضه المس[1] » ، وفي حوادث سنة ٦٦٦ : « أمر بضرب فلوس من المس ، ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها ، كلّ أربعة وعشرين فلساً بدرهم[2] »

(ن)

٧٨— (الناموس) : الناموس في الأصل مُختَبَأ الصائد وقُترته ، ومن ذلك قيل لصاحب السر ناموس . ويزعم بعضهم أنها من اليونانية ، ككثير من الكلمات التي تختم بحرف السين ، وفي ذلك ما فيه من التكلف هذا بعض ما يعنى بلفظة ناموس لغةً والكلمة شائعة في اللهجة العراقية الآن بمعنى الشرف والالتزام بالقواعد والأصول والمحافظة على العادات الحميدة ، وبهذا

(١) الحوادث الجامعة (٦٧) (٢) المصدر المذكور (٣٥٨)

المنى وردت في بعض كتب المؤرخين والأدباء من أبناء المئة السابعة والثامنة جاء في (سيرة جلال الدين منكبرتي [1]) : « جزع لموته جزعاً خرق فيه الناموس » ، معناه الأصول المتبعة في التجلد والصبر عند المصائب ، وقال الموفق عبد القاهر بن الفوطي من قصيدة داعب بها شيخاً صوفياً تقلد بعض مناصب الدولة سنة ٦٣٠ :

لو كانت الأرض كلها ذهباً ... أعرض عنها إعراض مكتئبِ

أسفر ذاك (الناموس) مختتلاً ... عن راغب في التراث مستلبِ [2]

وفي أخبار سنة ٦٧٢ من (كتاب الحوادث الجامعة) عن تأبين الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري : « كان شيخاً جواداً مواصلاً لكل من يسترفده ، وأشتهر ذكره في البلاد بالكرم ، وكان حسن السيرة عظيم الناموس [3] » ، وفي أخبار سنة ٦٩٤ نبذة عن سيرة فخر الدين بن الطرّاح صدر الحلة وأستقلاله بواسط وما اليها جاء فيها : « كان جواداً سخياً كريماً ، ذا ناموس عظيم وسياسة ، تخافه الأعداء وسائر الرعايا [4] » ، هذا وتعني كلمة الناموس البعوض في لهجة أبناء الأرياف من العراقيين ، ومن ذلك (الناموسية) المعروفة والمصريون يستعملونها بهذا المنى أيضاً ، قال الخفاجي [5] : ناموس بمعنى بعوض بلغة أهل مصر ، ومنه الناموسية ، ويستعملونه بمعنى التحجب ، وله وجه ، ولكنه لم يسمع من العرب والناموس ، كما في (شرح اللباب) للسيرافي : ما يقعد فيه الصائد ، وأتُّسِعَ فيه حتى قيل (للسِرار) ناموس ، ومنه قول ورقة إنه كان يأتيه الناموس الذي كان يأتي سيدنا موسى ، عليه الصلاة والسلام ، يعني الوحي والسِرار . والعوام تستعمله لنوع من البعوض ، وكنت أظنه من كلام العوام حتى رأيت

---

(١) (٢٤١)

(٢) راجع أخبار السنة المذكورة من الحوادث الجامعة .

(٣) الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري من أعيان عصر المغول في الثلث الأخير من المئة السابعة ، من نظراء علاء الدين الجويني ونصير الدين الطوسي وبهاء الدين بن الفخر عيسى الإربلي المنشي أنظر ترجمته في الحوادث الجامعة (٣٧٦ — ٣٨١) ، وراجع عنه كتاب الآداب السلطانية لابن الطقطقى (١٢ — ١٣)

(٤) أنظر سيرة ابن الطراح في كتاب الحوادث الجامعة (٤٨٤ — ٤٨٥) .

(٥) شفاء الغليل (١٩٨ — ١٩٩) .

الجرمي ذكره في (كتاب الأبنية) هذا ما قاله الخفاجي وقال بعض اللغويين: الجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

٧٩ — (نفر) النفر: في الأصل الناس كلهم، وما بين الثلاثة والعشرة، جمعه أنفار. وقال بعض اللغويين: النفر والرهط والقوم ألفاظ معناها الجمع، لا واحد لها من لفظها، والنسبة الى نفر نفري قال الزجاج: النفير جمع نفر هذا ما تعنيه كلمة نفر في أصل اللغة، غير أن هذه الكلمة أستعملت في عصور المغول وعصور الأتراك ومن اليهم من الدول الأعجمية بمعنى الجندي العادي الذي لا رتبة له في الجيش، أو بمعنى الفرد، أو الشخص الواحد من الناس، والتثنية نفران في لهجهم ويطلقون هذه الكلمة على الإنسان فقط في اللهجة العامية الشائعة، مع أن هذه اللفظة في الأصل لا تختص بالإنسان. قال الحريري في (الدرة): يقولون هم عشرون نفراً وثلاثون نفراً، فيوهمون فيه؛ لأن النفر إنما يصح على الثلاثة من الرجال الى العشرة، ولم يسمع عن العرب أستعمال النفر فيما جاوز العشرة بحال وعند أهل اللغة أن الرهط بمعنى النفر أنه لايتجاوز ذلك [1] هذا ما قاله الحريري، ولم يرتضه الخفاجي شارح الدرة، وله عليه ملاحظات قال فيها ما يأتي: «ما ذكره — يعني الحريري — وان كان مشهوراً، ففي أقوال العلماء وأهل اللغة ما يخالفه، ولا يختص بالرجال ولا بالانسان، لقوله تعالى: (قل: أوحي إلي أنه أستمع نفر من الجن) وفي (المجمل): النفر والرهط يستعمل الى الأربعين وقد فسر النفر بمعنى القوم، ومنه قوله تعالى: (وأعز نفراً). هذا ما قاله الخفاجي [2]، ونقل بعد ذلك أقوالاً لبعض المفسرين في معنى الكلمة، إلى أن قال في ختام البحث ناقلاً عن صاحب (مطالع اللغة): «لم يرد النفر بمعنى الرجل، والأنفار بمعنى الرجال». وخلاصة القول: تغير مدلول هذه الكلمة، وأصبح بين معناه في الفصحى ومعناه في اللهجة العراقية الشائعة فرق لايستهان به، والشواهد على ذلك من موارد الأستعمال غير قليلة؛ ففي أخبار سنة ٦٣٥ من (كتاب الحوادث الجامعة):

(١) درة الغواص ط الأستانة (٣١)

(٢) شرح الخفاجي على الدرة (٨٣ — ٨٤)

« نهض على بدر الدين لولو صاحب الموصل نفران من الباطنية ليقتلاه [1] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٣ من الكتاب نفسه : « فيها وقع بين أهل محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين فتنة ، أفضت إلى محاربة شديدة ، استظهر فيها أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة ، وطردوهم إلى باب المحلة ، وركبهم السيف ، وداهمهم الليل فازدحموا للدخول ، فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفراً [2] » ، وفي أخبار سنة ٦٧٦ : « فيها تحاكم نفران عند القاضي ببغداد في ثلاثة فلوس » ، وفي أخبار سنة ٦٩٠ من هذا الكتاب : « ركب جمال الدين في جماعة من الجند والكلچية ، ومنعوا الدوام عن ذلك ، وحبسوا جماعة منهم ، وقتلوا نفرين ، فسكنت الفتنة [3] » فكلمة نفرين هنا تعني شخصين في ذلك العصر ، ومازالت تستعمل بهذا المعنى في لهجة العراقيين المعاصرين وفي مصطلحات الأتراك العسكرية وفي لهجة فريق من عامة العرب الى هذا اليوم وقد وردت في عبارة (الحوادث) كلمة « الكلچية » أكثر من مرة ، وهي كلمة تركية تعني الرواسين في الأصل [4]

٨٠ — (النقرة) : كلمة فارسية ، تعني الفضة . يقول السيوطي : « إن أول ظهور الدراهم النقرة في خلافة المستنصر العباسي ، وهي نوع من الدراهم ، تضرب من سبائك الفضة ، وأول من ضربها المستنصر العباسي المذكور سنة ٦٠٢ [5] » . وعرف القلقشندي الدراهم النقرة في (صبح الأعشى) فقال : « الفضة النقرة عبارة عن سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر ، ومنها كانت تضرب الدراهم النقرة [6] » . وفي سيرة جنگيز : « لما أستولى على بخارى ، قال : أريد منكم الفضة النقرة التي باعها إياكم خوارزم شاه ، فإنها لي ، ومن أصحابي أخذت [7] » وقد عنى بالنقرة هنا سبائك الفضة . وفي أخبار سنة ٦٦٠ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أبطلت الدراهم السود في الموصل ، وكانت نحواً من أربعين درهماً بدينار ، وضرب بها دراهم نقرة وفلوس » وفي حوادث سنة ٦٦٦ من

(١) الحوادث الجامعة (١٠٣) (٢) المصدر المذكور (٢٩٨)
(٣) المصدر عينه (٤٦٥) (٤) راجع عنها حرف الكاف من هذا المعجم
(٥) أنظر كتاب الأوائل للسيوطي (٩٩) (٦) صبح الأعشى (٣/٤٤٢ ، ٤٦٦)
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٣٦٤)

الكتاب المذكور : « أمر الجويني بضرب فلوس من المس ، ليتعامل بها الناس » أما الدراهم السوداء ، فإن هذه الكلمة لا تدل على دراهم معينة ، لأنها أنواع شتى ، وكل درهم مهما يعتبر في العرف ثلث درهم نقرة بحسب تعريف القلقشندي [1] وفي أخبار سنة ٦٨٢ من الكتاب المذكور : « أبطلت الفلوس النحاس ، وضرب عوضها فلوس فضة ، وجعل كل أثني عشر فلساً بدرهم ، وسميت (دناكش) ، ثم أبطلت في سنة ٦٨٣ ، وأعيدت الفلوس المس ، وتعامل الناس بها : كل ثلاثين فلساً بدرهم [2] » ، وفي أخبار سنة ٥٨٣ من (كتاب السلوك) للمقريزي [3] : « أمر السلطان صلاح الدين أن تبطل النقود التي وقع الأختلاف فيها ، وتضرر العامة ، وأبطل الدراهم السوداء ، فسرّ الناس بذلك » ، وفي أخبار سنة ٦١١ من الكتاب المذكور : « فيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية ، ثم بطلت بعد ذلك وفنيت [4] » .

ورد ذكر الدراهم النقرة أكثر من مرة في وصف المدرسة الناصرية والقبة التي كمل إنشاءها السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٣ كما جاء في (نهاية الأرب) للنويري [5] وفي أخبار سنة ٦٩٥ من (كتاب السلوك [6]) : « بيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة » ، وفي (نهاية الأرب) للنويري عن أخبار المدرسة الناصرية [7] : « ويجعل من يختاره نقيباً عليهم ، ويقرر له ما شاء ، ويصرف لكل واحد من المدرسين ومعيديه وطلبته والنقيب في كل شهر من شهور الأهلّة ألف درهم نقرة » هذا ما ورد في كتب التاريخ المذكورة عن الدراهم السوداء ، والدراهم النقرة وعن الفلوس النحاسية ، وهي مصطلحات لا أثر لها اليوم في اللهجة العراقية .

والخلاصة : يعنى مؤلف (الحوادث الجامعة) كثيراً بسرد الأخبار المتعلقة بالنقود وضربها

---

(١) صبح الأعشى (٣/٤٦٦) (٢) الحوادث الجامعة (٤٣٠)
(٣) السلوك (١/٩٩) (٤) السلوك (١/١٨٠)
(٥) نهاية الأرب (٣٠/٣٤٨) وما يليها من مصوّر نسخة المكتبة الأهلية ، أو دار الكتب المصرية .
(٦) السلوك (١/ق٣/٨١٣)
(٧) وصفت المدرسة الناصرية التي كمل إنشاؤها سنة ٧٠٣ في نهاية الأرب (٣٠/٣٤٩ وما بعدها) من نسخة دار الكتب المصرية

وأسمارها من دراهم ودنانير وفلوس ، خصوصاً ما وقع من ذلك في عصور المغول [1] .

٨١ — (النوبة — مجموعة الآلات الموسيقية) : النوبة ـ في الأصل ـ الفرصة ، والدولة ، والجماعة من الناس ، وواحدة النوب تقول : جاءت نوبتك أي فرصتك ، وناوبه عاقبه ، وتناوبوا على الماء تقاسموه ، وأنتابهم أنتياباً أتاهم مرة بعد أخرى هذا هو معنى النوبة بالفتح في أصل اللغة ، ثم أطلقت هذه الكلمة في أواخر عصور العباسيين وفي بعض الدول الأعجمية على مجموعة من الآلات الموسيقية التي يعزفون بها في أوقات ومواعيد رسمية معينة قال أبن الساعي عن أبن المكشوط : « كان يخدم ناظراً في النوبة المكيّة بين يدي زعيم الدين ابن جعفر [2] » . هذا ما قاله أبن الساعي، ولم نعرف على التحقيق ماذا أراد بقوله «النوبة المكيّة» أأراد النوبة الموسيقية، أم نوعاً آخر من النوبات ؟ وهي تحتاج الى مزيد من التحقيق وفي أخبار سنة ٦٣٤ من كتاب (الحوادث الجامعة) نبذة عن الأحتفال بزواج مجاهد الدين الدوادار ، جاء فيها : « في عشية هذا اليوم نفذ له أحد عشر طبلاً ، وإحدى عشرة قصعة ، وزوج صنج ، برسم طبل النوبة » ، وفي أخبار سنة ٦٧٥ من (كتاب السلوك [3]) : « وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها ، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم ، فنهوا عن الضرب بالآلات وعن الغناء أيضاً ، وقيل لهم : هذه الهيأة لا تتفق عندنا ، وما هذا موضع الغناء ، بل موضع الشكر » . ويقولون أيضاً في هذا المعنى : « ضربت البشائر والطبول » يعنون ما يضرب عادة من طبول النوبة وما يعزف به من الآلات ، جاء في أخبار سنة ٦٣٠ من كتاب (الحوادث الجامعة) نبذة عن فتح إربل ، ورد فيها : « كتب الشرابي على جناح طائر الى الخليفة بصورة الحال ، فحصل الأستبشار بذلك ، وضربت الطبول على باب النوبي » . وخيل النوبة هي التي تربط قرب قصر الأمير أو الملك أو الخليفة ليركب منها حين يريد الركوب . وتسمى أيضاً فرس النوبة ، جاء في حوادث سنة ٦٦٠ من (كتاب السلوك) للمقريزي : « وأرسل لهم خيل النوبة [4] » . ولهذا اللفظ

(١) راجع أخبار سنة ٦٨٤ من الكتاب المذكور ، وانظر صفحة (٧٠) من الكتاب نفسه

(٢) الجامع المختصر (٨/٧٤) . (٣) السلوك (١/ق١/٦٣٠) .

(٤) السلوك (١/ق١/٤٦١) .

معانٍ أصطلاحية أخرى في بعض اللهجات العربية الشائعة ، فهي تعني أحياناً فرقة من الحرس تتناوب الوقوف لحراسة قصر الملك أو دار الحكومة . والنوبة عند المغنيين أسم لآلات الطرب اذا أخذت معاً ، وربما أطلقها المصريون على الطربين بها مجتمعين ، ويقال لها (النوبجية) في اللهجة التركية والنوبة أيضاً الوقعة الحربية ، ومن ذلك قولهم « انتصر في النوبة الفلانية » .

نوبة ذي القرنين :

هذا ، وقد عني الخوارزميون كالسلاجقة من قبلهم بأمر هذه النوبات الموسيقية السلطانية ، وأصل ذلك عندهم ، فيما يقال ، أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما عزم على المسير الى العراق ، وخالف على الخليفة الناصر ، ضرب لنفسه « نوبة ذي القرنين » ، وهي في وقتي الشروق والغروب ، بعدما كانت تضرب خمس نوبات في أوقات الصلوات الخمس ، ففرّقها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب دور سلطنتهم ، فلذلك كان نور الدين يضرب بدمشق النوب الخمس ، وكانت آلات النوبة عند الخوارزميين من الذهب والخلاصة : لما كانت مجموعات الآلات الموسيقية تضرب على التعاقب والتناوب ، أطلقوا أسم النوبة على الفرقة أو المجموعة على سبيل المجاز والأستعارة

٨٢ — (النوكرية) : كلمة فارسية ، تعني الخدم أو الحاشية والأعوان . شاع أستعمالها بهذا المعنى في العراق من بعد عصر المغول ومفردها نوكر ، جاء في حوادث سنة ٦٦٣ من (كتاب الحوادث الجامعة) : « أعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته في بغداد ، ورتب هشتكاري نوكره [١] » يعني خادمه ، وفي حوادث سنة ٦٦٥ : « نوكرية هوشتكاري [٢] » ، وفي رسالة علاء الدين الجويني الى أهل بغداد سنة ٦٨١ : « وقد نفذ ملك الأمراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين والنوكرية ، ليشافهوكم بما شاهدوا [٣] » وتستعمل هذه الكلمة في الزمن الحاضر كثيراً في بعض الحواضر العراقية التي يكثر فيها عدد الجالية الفارسية بمعنى الخدم . وجاءت كلمة نوكر (وجمعت على نوكران ، والنسبة اليها نوكري) أكثر من مرة

(١) الحوادث الجامعة (٣٥٣) (٢) المصدر المذكور (٣٥٧)
(٣) المصدر عينه (٤٢١) .

في (تأريخ مبارك غازاني) تأليف رشيد الدين الطبيب وزير المغول [1] .

(ﻫ)

٨٣ — (الهور) : الهور بمعنى البحيرة ، أو البطيحة ، أو المستنقع الواسع وتكثر الأهوار والبطائح في جنوب العراق وحيث تتبطح مياه الرافدين ومن أشهرها أهوار العمارة وهور الحمّار . والكلمة فصيحة معروفة الى الآن في اللهجة العراقية بهذه المعاني ، وزعم بعضهم أنها معربة ، وفي (القاموس) : « الهور البحيرة تفيض ـ وفي نسخة : تغيض ـ بها مياه غياض وآجام فتتسع ، جمعه أهوار » ولا تعرف هذه الكلمة في بقية اللهجات العربية الشائعة اليوم حتى في مصر التي تكثر فيها البحيرات ، فالهور هو البحيرة هناك . وقد وردت هذه الكلمة في بيت للشاعر العراقي مزيد المعروف بالحشكري النعماني الذي أمر علاء الدين الجويني بقتله سنة ٦٦٦ بحجة إلحاده في قصة غريبة [2] ، وهو القائل :

وكأنما (الهور) الطفوف وأهله الشـ ـهداء وأبن معية أبن زياد

وقد رويت قصة هذا البيت في (عمدة الطالب [3]) لابن عنبة النسّابة .

(و)

٨٤ — (الوفر) : الوفر من المال والمتاع ، الكثير الواسع ، أو العام من كل شيء ، جمعه وفور ، وقد وفر المال والنبات كثر ، ونعمة وافرة واسعة ، ووفر عرضه لم يبتذله ، والوفرة الجمّة أو الشعر المجتمع على الرأس ، والجزاء الموفور الذي لم ينقص منه شيء هذا هو معنى الكلمة في الأصل وفي اللهجة العراقية الشائعة ، أطلقت اللفظة على « الثلج » ، فقالوا : سقط وفر كثير ، ونزل الوفر من السماء ، يقصدون الثلج ، ولا يعرف ذلك في لهجة عربية أخرى ويدعي بعضهم أنها كلمة عراقية بهذا المعنى ، شاعت خلال المئتين السادسة والسابعة في العراق ، وما زالت معروفة الى اليوم في لهجة أبناء هذه البلاد ومن أقدم الشواهد على ورودها في لهجهم بمعنى

---

(١) أنظر الصفحات الآتية من التأريخ المذكور ، طبع انكلتره (٧ ، ١٥ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٣٠)

(٢) راجع الحوادث الجامعة (٣٥٩ ـ ٣٦٠)

(٣) العمدة (١٤٧ـ١٤٨) ، وتجد للشاعر المذكور ترجمة في (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي .

الثلج ما جاء في ترجمة محيي الدين السهروردي من (تاريخ الدبيثي) المؤرخ الواسطي المعروف في عصر المستنصر ، وهذا نصه : « أنشدني ـ أي السهروردي ـ من نفسه ، ونحن جلوس بداره ، وكان الوفر ينزل :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من فقد الكرامِ
وقام يُميط هـذا الشيب عنه وينثر ما أماط على الأنـامِ

وفي أخبار سنة ٦٦٧ من (الحوادث الجامعة) : « سقط في بغداد هذه السنة وفر كثير ، كان سمكه في السطوح دون الشبر[١] » ، وفي أخبار سنة ٦٧٤ من الكتاب المذكور : « وقع ببغداد وفر كثير على الأرض مقدار شبر[٢] » هذا ، ولا بد لنا من القول إن كلمة (الوفر) بمعنى الثلج لا تعرف في لهجة الشاميين والمصريين ولهجات غيرهم من أبناء الأقطار العربية كما قلنا . وقد يحتج لتخريج هذ الأستعمال العراقي بأن الوفر هو الكثير الواسع العـام من المال ، ولا يخفى أن الثلج اذا تسـاقط كان عاماً غامراً يشمل وجه البسيطة

(ي)

٨٥ — (اليارغو) : لفظة مغوليـة ، استعملت في عصر المغول بمعنى المحاكمة أو إجراء التحقيق ، ووردت أكثر من مرة بهـذا المعنى في (كتاب الحوادث الجامعة) ، ففي أخبـار سنة ٦٦٢ : « عمل له يارغو ، وقوبل على أمور نسبت اليه[٣] » ، وفي أخبار السنة نفسهـا : « فلمـا وصلوا ، وعمل اليارغو ، لم يثبت على الصاحب علاء الدين ما نسب اليه[٤] » . فكلمة اليارغو هنـا تعني هيأة تحقيق أو محـــكمة ما . ووردت هـذه الكلمة في مختلف صيغ الإفراد والجمع والنسبة ضمن (تاريخ مبارك غازاني) لرشيد الدين الطبيب[٥] . وقد هجرت هذه

---

(١) الحوادث الجامعة (٣٦٢) (٢) المصدر المذكور (٣٨٤)
(٣) المصدر عينه (٣٥١) (٤) المصدر عينه (٣٥٢)
(٥) راجع الصفحات الآتية من التاريخ المذكور (٥ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٩ ، ١٨٠ ، ٢٩٨) .

اللفظة وأمثالها من الالفاظ المغولية والتركية والفارسية ، وزالت بزوال ظل الدولة المغولية

٨٦ ـ (اليرليغ) : لفظة مغولية ، معناها المرسوم السلطاني ، ففي أخبار سنة ٦٥٦ من (تاريخ مختصر الدول) لأبن العبري : « وصل اليه من خدمة قاءان باليرليغ والبوايز[١] » ، وفي أخبار سنة ٦٥٩ من (الحوادث الجامعة) : « وصل صاحب الديوان شمس الدين الى بغداد ، ومعه يرليغ يتضمن براءة أخيه علاء الدين[٢] » ، وجمعت هذه الكلمة على (يرليغات) ويقول بعضهم إن اليرليغ مرسوم خاص بالبراءة ويفهم من (رحلة أبن بطوطة) في بلاد خوزستان أن هذه اللفظة كانت معروفة في تلك البلاد في أثناء زيارته لها ، وأنها تعني المرسوم أو القانون وعلى كل حال فان هذه الكلمة من الكلمات المغولية المماتة في لهجة أصحاب الدواوين العراقية بعد عصر المغول .

محمد رضا الشبيبي

(١) تاريخ مختصر الدول (٤٨٣) (٢) الحوادث الجامعة (٣٤٦)





٥ — آلهة آشورية منحوتة فوق الصخور الجبلية قرب دهوك في معلثايا

النشاط الآثاري في العراق
وأثره في تفهم الحضارة البشرية [1]

إن موضوعنـا ، النشاط الآثاري في العراق وأثره في تفهم الحضارة البشرية ، مهم جداً وهو يهم كل مثقف ، ويتصل بنا نحن بصورة خاصة ؛ لأن العراق يزخر بعدد كبير من مواطن الآثـار .

فنحن في مديرية الآثار القديمة العامة ، تمكنـا الى الآن من معرفة ما لايقل عن ستة آلاف موقع أثري ، تختلف في أزمنة سكناها وأدوار حضـارتها ، وأقدمها في شمالي العراق حيث سكن الإنسـان الـكهوف الجبليـة في العصور الحجرية ، وبنى أكواخـه على الهضاب المتاخمة لسلاسل الجبال عندما تعلم الزراعة قبل زُهاء عشرة آلاف سنة .

أما في جنوبي العراق ، فقد بدأت أقدم المستوطنـات في الألف الخامس قبل المسيح ، في قُرى نمت مع الزمن الى مدن توفرت فيها أسـاليب المدنية في عهـد السومريين ، ومن السومريين الى الأكديين فالبابليين فالـكشيين ، والى الآشـوريين فالـكلدانيين فالأخمنيين فالفرثيين فالساسانيين فالعرب وقـد تطورت الحضارة في ربوع وادي الرافدين ، وأرتقت في مضامير الفن والعلم والصناعة والعمران بجهود هذه الأقوام .

إن هذه الأدوار الحضارية العراقية ، سواء ما كونته هي أو ما أقتبسته من حضارات وادي النيل ووادي السند ، تحوي كثيراً من أصول الحضارة القائمة اليوم . وجل معلوماتنا عن أصول الحضارة ، ناتج عن النشاط الآثاري ، والأهتمام بالآثار ، بالتنقيب عنها في مواطنها ، ودرسها ، ومقارنتها ، وأستنطاقها .

ولـكن الأهتمام بشؤون الآثار أمر حديث بالنسبة الى العراق ، وأذكر لـكم حادثاً يدلـكم

---

(١) محاضرة للدكتور ناجي الأصيل ، ألقاها في دار المجمع العلمي العراقي

على مدى ما كانت عليه معرفتنا بالآثار قبل زهاء ثلاثين عاماً أتذكر أنه في سنة ١٩٢٨ ألفت لجنة من معالي الأستاذ نصرة الفارسي ممثلا لوزارة العدلية ، ومعالي السيد يوسف ابراهيم ممثلا لوزارة المالية ، وأنا ممثلا لوزارة المعارف ، كان الغرض منها أن تضع مع الأستاذ سدني سميث مدير المتحف العراقي يومئذ قانوناً للآثار ، ولم يكن بيننا من هو مختص بالآثار ، وأطلعنا سدني سميث على رقم من الطين عليها كتابة مسمارية ، قال إنها تخص أعمال أحد الملوك القدماء ، ولم نكن بطبيعة الحال نعرف محتوياتها لولا ما ذكره لنا

أما في الزمن الحاضر ، فلدينا في مديرية الآثار مختصون بعلوم الآثار وفنونها ، وقد ساهمت هذه المؤسسة الوطنية في الكشف عن ماضي العراق ، وأصبح لدينا أيضاً معهد يضم مئة طالب وطالبة يدرسون حضارات العراق وآثاره ولغاته القديمة فالتقدم الذي حصل في العراق بالاهتمام بالآثار ، كبير جداً ، ولكن هذا لا يعني أننا وصلنا الى درجة الكمال ، أو قاربناها . ونأمل أن يستمر اهتمامنا بالآثار أكثر فأكثر ، وأن تزداد الرغبة في درس تاريخ العراق .

ولقد تطور علم الآثار تطوراً كبيراً في الثلاثين سنة الأخيرة ، فأصبح يضم فروعاً كثيرة من المعرفة ولا يخفى أن هذا العلم كان قد بدأ في طور التكوين قبل زهاء مئة عام ، فلم يكن المنقبون الحفارون يومئذ علماء آثار ، بل كانوا رواداً ، عملوا في استظهار التحف الأثرية المطمورة في المدن المندرسة ولا شك أن حملة نابليون على مصر وما حصل عنها من نقل بعض الآثار الى أوربة ، قد أدهشت الأوربيين وأثارت إعجابهم بالحضارات القديمة ، فازداد الاهتمام بأماكن الآثار ، وتوسع فشمل غير مصر من أقطار الشرق القديم والبلدان التي ورد ذكرها وأسماؤها في التوراة وتواريخ الإغريق والرومان ، ومن جملة تلك البلدان نينوى وبابل وكالح وآشور وغيرها

والمرحلة الأولى من التنقيب في العراق كانت مرحلة الاستكشاف وجمع الآثار ، والذين قاموا به كانوا من القناصل الأجانب الانكليز والفرنسيين ، وفي مقدمهم (بوتا Botta) الذي نقب في نينوى عام ١٨٤٢ ثم حفر في خرسباد ، ومن بعده (لايرد) الذي كانت نمرود مسرح

حفرياته من سنة ١٨٤٣ إلى سنة ١٨٤٩ ومن ثم نقل أعماله التنقيبية الى نينوى ، وجاء بعدها آخرون كثيرون ، منهم : (دي سارزاك) الفرنسي الذي حصر تنقيباته بخرائب مدينة لكش السومرية بقضاء الشطرة ، و (جون بيترس) من جامعة بنسلفانيا في نفر . وقد نقلوا الآثار التي حصلوا عليها الى أوربة ، حيث عرضت في متاحف لندن وباريس ومدن أخرى وهذا ولد إعجاباً ورغبة في القوم في البحث عن الآثار ، كما أن بعض الآثار ، وأكثرها من الرقم الطين التي حصلت عليها الحكومة العثمانية من حفريات نفر ، نقلت الى متحف استانبول

وقد دامت مرحلة الأستكشاف حتى نهاية القرن الماضي ، وفيها جرى نقل مجاميع كثيرة من الآثار من العراق الى أوربة ، وخسر العراق تحفاً لا تثمن ولكن ما خسره العراق ، كسبه العالم ؛ إذ أن ما نقل من الآثار أدى الى إرسال بحوث للتحري ، والى دراسات واسعة أوصلتنا الى مفتاح لقراءة الكتابات القديمة المسمارية فالآثار قطع من الأحجار أو المعدن ، صامتة لا تنطق ، والكتابات هي لسان الآثار ، فأفاد دور الأستكشاف فائدة كبيرة من حيث جمع الآثار وبداية التعرف عليها ، إلا أن العراق قد فقد شيئاً كثيراً من آثاره

ثم أنتقل هذا الأهتمام الى مرحلة دراسة الأماكن الأثرية دراسة جدية منتظمة ، وكان المنقبون الألمان هم الذين بدؤوه ، إذ كانوا مهندسين معماريين ، فكانوا ، مثلاً ، إذا وجدوا في أثناء التنقيب معبداً أو قصراً أو أي بناء آخر ، يتوسعون فيه ، ويعنون بتصاميمه ودقائق ريازته ، فكان ذلك بداية البحث العلمي الصحيح للآثار نذكر من هؤلاء (كولدواي) الذي نقب في بابل من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٧ ، و (أندريه) الذي حفر في أشور من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩١٤ ، و (هرسفلد) في سامراء في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى .

وقدم بعد الحرب الأولى من البريطانيين المختصين بالآثار (ليونارد وولي) الذي أشتهر بتنقيباته في أور في جنوبي العراق من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣١ ، و (ستيفن لنكدن) في كيش من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٢٨ ، والبعثة الأمريكية من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو في خفاجي وتل أسمر في ديالى وتبه كورة في شمالي الموصل .

وفي هذه الأثناء توسعت قراءة الكتابات المسمارية ، وأزداد عدد الباحثين فيها ، وكثر كذلك عدد المنقبين عن الآثار ، فأصبح لعلم الآثار ، بفضل هذه الجهود ، ركنان أساسيان للتعرف على الحضارات القديمة ، هما : الآثار المكتشفة ، والكتابات التي أصبح من الممكن قراءتها ، وهما مصدران جديدان أصيلان للبحث في الحضارات الأولى .

والمرحلة الثالثة هي التي حصلت بالتعرف على عصور ما قبل التأريخ ، وهذه بطبيعة الحال فتحت ساحة جديدة من العلم كانت لها قيمها في التعرف على نشوء الحضارات وأصول مظاهرها ، وأستعان علم الآثار في هذه المرحلة بعلوم أخرى .

ولم يكن في مصر والعراق يومئذ من قد تنبه لأهمية هذه الأستكشافات الأثرية ، والدراسات الأولية لنشوء الحضارة ، فقد كانت الفكرة الغالبة أن الحضارة وجدت دفعة واحدة مكتملة . وأذكر أنني في سنة ١٩٤٦ ، عند زيارتي لبعض الأبنية الأثرية في مصر بجوار هرم الصقارة ، سمعت أحد المشتغلين بالآثار يقول إنها أول بناية من نوعها وقد كان معالي الأستاذ السهوري وزير المعارف يومئذ ، حاضراً ، فقال متسائلاً : « إن هذه البناية متكاملة جد التكامل من حيث الريازة والتصميم ، فكيف يمكن أن تكون أول بناء ؟ ينبغي وجود أبنية أخرى أقدم منها ! » وشبيه بذلك ما كان يعتقد الناس أن الزقورة ، أي البرج المدرج السومري ، نشأت دفعة واحدة نشوءاً متكاملاً ، ولكن الحقيقة التي أثبتها علم الآثار هي عكس ذلك فقد نشأت بشكل معبد على مصطبة واحدة ، ثم مصطبتين فثلاث ، وشمخ بناؤها وضخم ، حتى صارت كالزقورة التي نشاهدها قائمة الآن في أور ، وجرى هذا التطور في طراز بنائها خلال ألف عام أو أكثر .

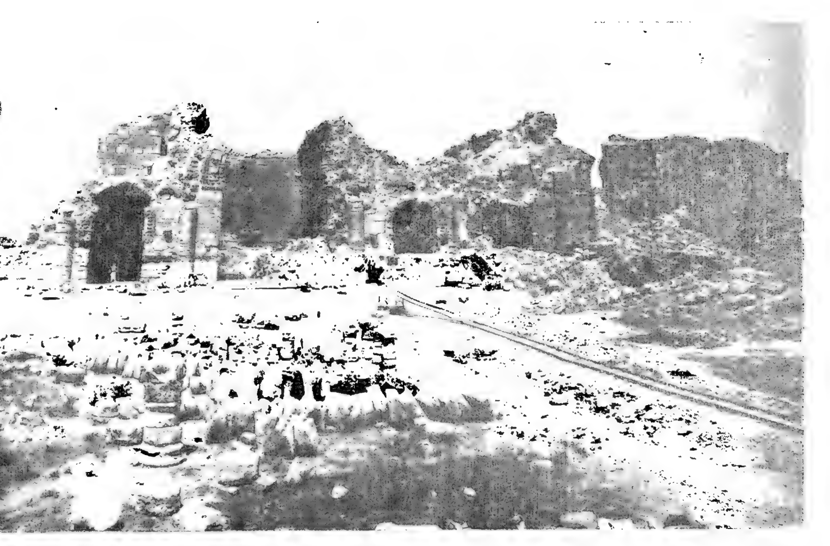
والذي نشاهده في بداية الألف الثاني قبل الميلاد في جنوبي العراق من مدن متكاملة ، من حيث الخطط والريازة ومن حيث نظمها ودساتيرها وعقائد أهلها وصلاتهم الأجتماعية والأقتصادية وروابطهم الماشية ، لم تولد وهي بهذا المستوى الراقي من التنظيم والعمران ، فقد أستطاع علماء الآثار أن يبرهنوا أن تلك المدن المتكاملة نشأت صغيرة بدائية ، ونمت رويداً



٤ — لوح من الحجر وجد فى الحضر يمثل ثلاث إلاهات فوق أسد وسطاهن اللات



٢ — مخطط مدينة الحضر يشاهد فيه السوران الداخلي والخارجي وموقع المعبد الكبير في وسط المدينة



٣ — جبهة المعبد الكبير فى الحضر

روبداً ، حتى بلغت هذا الشأو .

والمرحلة الرابعة في علم الآثار هي البحث في آثار العصور الحجريـة في الـكهوف الجبليـة والمستوطنات الهضابية وقد أزداد الأهتمام بهذا الموضوع بعد الحرب العالمية الثانيـة ، فجرى التنقيب في موقع جرمو بالقرب من جمجمال وكهف شاندر في قضاء الزيبـار وغيرهما ، للوقوف على الأطوار الأولى لحياة الإنسان في العراق .

فإن الصفحات الـكثيرة من تاريخ الإنسان أصبح في وسـع المتتبع أن يطلع عليهـا من فصلها الأول المبتدئ بالعصور الحجرية ، فما يليه من فصول أخرى ، هي : عصور ما قبـــل التـأريخ ، فالعصـر السومري ، فالأكدي ، فالبابلي ، فالآشوري ، فالكلداني ، فالأخميني ، فمجيء الأسـكندر الـكبير الى العراق ، فالعصر الساسـاني ، وتختتم بفصلها الخاص بالعرب . وهذه صفحات أصبحت معروفة بدرجة كبيرة بفضل علم الآثار

ومما يدعو إلى الأعتزاز والفخر أن مديرية الآثار القديمة العامة قد ساهمت مساهمة فعالة في هذا المضمار ، وكانت بداية مساهمتها في عام ١٩٣٦ ، فقد أوفدت هيآتها للحفر في سامراء وفي واسط وأزداد نشاطها الآثاري بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت نتائجه مرضية واسعة ، فقد شمل عقرقوف وتل حرمل وأريدو والحضر والـكوفة والنبي يونس ودوكان ، وكل منها يمثـل صفحة من صفحات التاريخ المهمـة كما أن في هذه المدة زارت العراق بعثات أجنبية كثيرة ، للتنقيب في عدد من الأماكن الأثرية ، ومنها : البعثة البريطانية التي تنقب في نمرود ، والبعثة الأميركية التي تحفر في نفر ، والبعثة الألمانية التي تواصل حفرياتها في الوركاء وتوجد الآن بعثة من اليابان للتنقيب في العراق لأول مرة ، وهي تحفر في موقع تلول الثلاثات القريب من تلعفر بلواء الموصل .

إن هذه المشاركة من قبل المعاهد الأجنبية في البحث عن الآثار في العراق ، أمر مفيـد جداً ؛ لأنه يمثل الأهتمام العالمي بالحضارات العراقية القديمة ، فان العراق في الواقع فيه مواضع أثرية تمثل الحضارة البشرية في مختلف أدوارها وصفحاتها

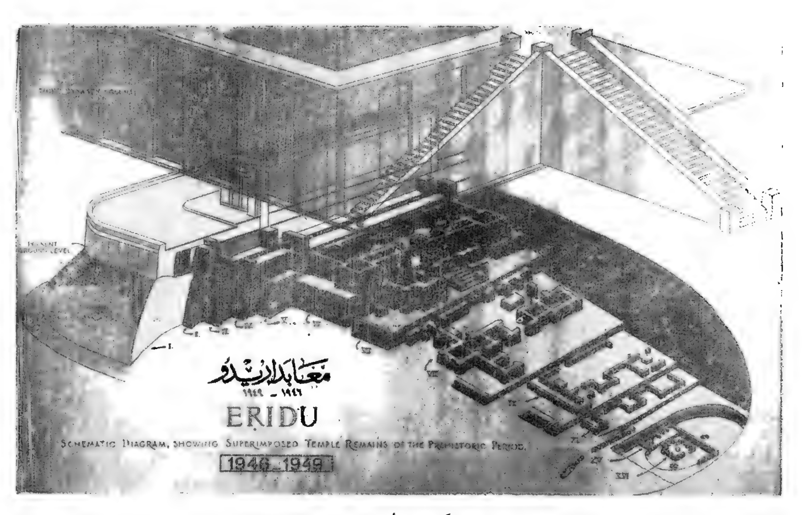
وأريد أن أتكلم الآن بصورة مختصرة على بعض الصفحات التي أشتغلت بها مديرية الآثار ، فساهمت في تفهم الحضارة البشرية ، ومها الصفحة المكتشفة من قبلنا في موقع أريدو المعروف الآن بتل « أبو شهرين » في جنوب غربي أور ولقد كان المتقد أن السومريين جاؤوا الى العراق من الخارج ، ولكن أصبح الآن ، بنتيجة تنقيباتنا في أريدو ، من الأمور الثابتة أنهم كانوا من سكان العراق الأصليين ، وأن حضارهم لها جذور تمتد إلى الحضارات السابقة في العراق .

وتحت الزقورة المشاهدة في (مخطط معابد أريدو) ، التي شيدها في أريدو ملوك سلالة أور الثالثة ، وجدنا (١٦) معبداً ، أقدمها من ٤٥٠٠ سنة قبل المسيح . وهذه المعابد تمثل ألفي سنة من تاريخ الحضارة ، لم يكن الشطر الأول منها معروفاً من حفريات (ليونارد وولي) في مدينة أور ، ولا من تنقيبات غيره في مدن الجنوب الأخرى .

ووجدنا في أريدو كوخاً مشيداً بالقصب والطين تشييداً محكماً ، ومقبرة واسعة من أقدم الأزمنة المعروفة في جنوبي العراق : قبورها ذات أتجاه واحد ، هوالجنوب الشرقي حيث البحر ، مرصوفة رصفاً منسقاً .

ولا يسلم شيء من أيدي الآثاريين حتى الهياكل البشرية ، فإنها تفيد في معرفة شكل الإنسان . فالهياكل البشرية المكتشفة في أريدو ـ ومنها نموذج معروض في المتحف العراقي ـ أثبتت بنتيجة دراسة أختصاصي أمريكي لها ، هو الأستاذ (كارلتون كون) ، أن سكان أريدو من بداية الألف الرابع قبل الميلاد ، لم يكونوا يختلفون في شيء ملحوظ عن أهل العراق الجنوبي في الزمن الحاضر ، وهذا أكتشاف خطير ولا شك . وقد توصل إلى ما يشابه ذلك السير (آرثر كيث) الذي درس الهياكل العظيمة المكتشفة في المقبرة الملكية في أور من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد .

وهذا يعني أن كل التطورات والانقلابات والتبدلات التي حصلت في خلال الستة آلاف سنة الأخيرة الممثلة لصفحات التقدم الانساني كافةً ، كانت تطورات أخلاقية فكرية أجتماعية



١ — مخطط المعابد المكتشفة فى أريدو من عصور ما قبل التاريخ

دينية أقتصادية أكثر منها تطوراً جسمانياً في الهيكل العظمي . ويدل هذا على أن سكان العراق قديماً وحديثاً ، على أختلاف أصلهم ، قد تأثروا بعوامل البيأة الطبيعية الواحدة ، ومازجت بين نفوسهم مؤثرات الوطن الواحد ، الأمر الذي ساعد على مواصلة سير الحضارة في هذه البلاد خلال العصور ، وهي محتفظة بطابعها العراقي العام مع وجود المميزات والخصائص التي تمثل الأدوار الثقافية الخاصة

والشيء الثاني الذي ساهمت فيه مديرية الآثار مساهمة عظيمة ، كان في الحضر ، ويخص أكتشافاً جديداً لحضارة بمقوماتها المختلفة . ومن حسن الحظ أن الحضر من المدن الكبيرة القليلة التي لم ينقب فيها الأجانب والشيء المهم أن سكان الحضر في تاريخها كله ، مدى القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، قوم عرب في سياهم وثقافتهم ومن حيث هيآتهم التي نشاهدها في تماثيلهم ، الا أن الكتابة لديهم كانت الآرامية ، التي كانت لغة المراسلة والكتابة لدى أقسام الشرق القديم يومئذ على أختلافهم ، واللغة التي كان يتكلم بها السيد المسيح

فالمعابد الكبرى التي تشاهد وسط « مخطط الحضر » ، والمعابد الأخرى التي حفرنا فيها وهي أصغر من المعابد المركزية ، هي التي ألقت ضوءاً كثيراً على صفحة من صفحات حضارة كانت مجهولة في الماضي

ولما كان سكان الحضر عرباً ، يهمنا كثيراً معرفة حضارتهم ؛ لأن ذلك جزء من حضارة العرب قبل الإسلام بعدة قرون ، فمثلا نحن نعلم أن اللات كانت من أشهر معبودات العرب قبل الإسلام ، غير أن كل ما نعلمه عنها هو ما ورد عنها في القرآن الكريم ، ولم نكن نعرف شكلها وزيها وصفاتها . ولكن لحسن الحظ وجد في معبد من معابد الحضر لوح عليه صورة اللات ، فلات الحضر لها جميع مميزات أثينا إلهة اليونانيين ، لها خوذة أثينا ورمحها ودرعها والمدوسة على صدرها ، بحيث صادف مرة أن زارنا أحد المختصين بدراسات الإغريق فقال عندما شاهد هذا اللوح : « إن هذه هي « أثينا » ، فما الذي يجعلها تكون هي اللات ؟ » . إن في هذه الصورة شيئاً يجعلها تختلف عن أثينا اليونانيين ، وهو : أن فنان الحضر أراد أن

يجمع بين فكرة أثينا وما كانت عليه المعتقدات العراقيـة القديمة ، فجعل لات الحضر واقفـة على أسـد مثلما كانت تصور بعض الآلهة الآشورية على أسـد أو حيوان آخر ، ومنها الممثلة في المنحوتات الآشورية في معلثايا قرب دهوك ، هـــذا الى وجودها في معبد خصص باللات في الحضر .

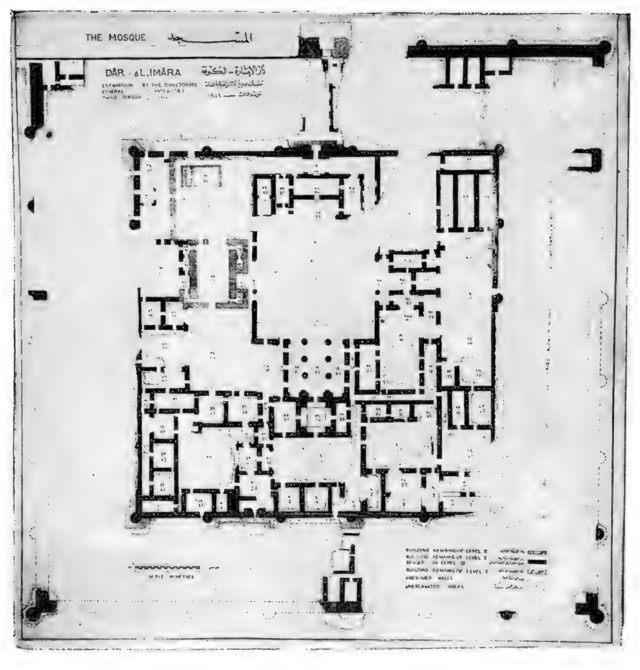
ويظهر أن الحضر كانت مصدراً لتصدير التماثيل ، وليس من المستبعد أن التماثيل والأنصاب التي كانت في الحجاز كان مصدرها الحضر ، ونأمل أن تتوضح بالاستمرار على التنقيب في الحضر صفحات أخرى من تاريخ العرب في الجاهلية

وفي الحقيقة أن من يقرأ الشعر الجاهلي يجـد أن العرب كانوا على قسـط وافر من الحضارة والثقافة ، وأن لفظة الجاهلية لم تطلق عليهم إلا لجهلهم التوحيد الالـهي

وقـد كان لهم في الحضر معابد أخرى غير معبد اللات ، فالمعبـد الكبير القائم في وسط المدينة كان مخصصاً بعبادة الشمس ، وكانت معابـد أخرى للقمر والكواكب الخمسـة المعروفة ولبعل شمين سيد السماء وأترعتا زوجه ، ولعل من كثرة المعابد في هذه المدينة وتماثيل الآلهة فيها أنها كانت لأهل الجزيرة من عرب العراق بمثابة كعبة الجاهلية في بلاد العرب .

وأريد أن أقول كلمة أخرى عن حفرياتنا في الكوفـة التي أستمرت أربعة أشهر في هـذا العام ، وأظهرت ثلاث طبقات بنائيـة في مكان دار الإمارة الأولى ، وأقدمها يعود الى الفاتح الكبير سعد بن أبي وقاص ونستطيع أن نقرأ شيئاً كثيراً عن منشأ الريازة العربية في صدر الإسلام وتطورها في العصر العباسي بدراسة تصاميم هـذه الطبقات الثلاث ، فهي ذات أهمية من حيث التعرف على الريازة ومن حيث أسلوبها العربي في صدر الاسلام

فـدار الإمارة التي بناها سـعد في الكوفة ، لم نجد منها حتى الآن إلّا جوانب في الطبقة الأولى المكتشفة ، ونأمل أن نكشف بالأستمرار على التنقيب عن أجزاء أخرى من هذا البناء العظيم الذي تدل بقاياه على دقة في العمل وعظمة في التصميم ، وعلى البساطة والفخامة في الريازة العربية الأولى ، تلك الصفحات الملحوظة في المساجد الأولى أيضاً التي لولا التنقيب لكانت



١ — مخطط للبقايا المـكتشفة من دار الامارة بالـكوفة يتوسطه البهو والقبة

معلوماتنا عنها قليلة محدودة فالطبري مثلاً لا يذكر عن بناء مسجد الكوفة غير أوصاف عامة ، منها : أنهم جاؤوا بشخص ، فرمى سهماً الى الشرق فالغرب والى الشمال والجنوب ، فكانت حدود المسجد مثتي ذراع في مثلها .

ودار الإمارة التي تشاهد في هذا المخطط ، ضلعها الشمالية وهي الضلع القبلية للمسجد ، وأمتدادها الى الشرق ، وفي وسط الضلع البوابة الكبرى لدار الإمارة ، وتؤدي هذه الى غرف ، ومنها الى فناء واسع يتصل به بهو عظيم يقوم على أعمدة ، وفي هذا البهو باب يؤدي الى قبة عالية تقوم على بناء مضلع ، وهذه القبة هي من مميزات دار الإمارة الأولى

والأخيضر الموجود قرب كربلاء أعتقدَ قسم من الباحثين أنه بناء ساساني ، وإنما هو إسلامي ذو مسجد ومحراب ، وعناصره الريازية ملحوظة في دار الإمارة بالكوفة .

هذه كلمة وددت أن ألقيها على حضراتكم لأجل أن أحث منكم الشوق الى تتبع الآثار في العراق ، ولا سيما بعد أن أصبحت لدينا مجلة هي أول مجلة عربية تعنى بالآثار ، كونت لنفسها مكانة فريدة في البيآت العلمية في العالم ، وذلك بفضل الجهود المستمرة التي يبذلها المنتمون الى مديرية الآثار العامة والأساتذة الأجانب المنقبون الباحثون في هذا الحقل الكبير من المعرفة الإنسانية

ناجي الأصيل

الثقافة العقلية والحال الاجتماعية
في عصر الرئيس أبي علي بن سينا

إذا كان العالم النافع للبشرية ، يشبه الشجرة الزكية ، ذاتَ الثمار الطيبة الشهيّة ، فكما يصف الواصف منبتَها ، وشكلها وثمرها ، كذلك يفعل المؤرخ المصري في وصف العالم النافع ، فيذكر منشأه ، وبيأته (أي موضع ربيته) ، وعصرَه ، من حيث الثقافة العقلية والحال الاُجتماعية ، فقد أصبح من الثابت أن الإنسان ذا الشأن ، في أمّة من الأمم ، وفي بلد من البلدان ، لم يمكنه أن يبلغ ذلك الشأن ، لو لم تكن بيأته ، مضافةً الى مواهبه ، صالحةً لبلوغه ما بلغ ، ولو لم يكن زمانه مُؤاتياً له على التقدّم فكم قابليات للعلم ، وملكات للفن ، وقرائحَ للشعر ، وشعورٍ بالإصلاح ، خُنقت في مهدها ، ووئدت في طفولتها ؛ لأن الزمان والمكان لم يطوّعا لها ، ولا أسعفاها في الشدائد ، بل عَبَسا لها ، وتولّيا عنها ، فآل أمرُها الى الزوال والاُضمحلال .

وعلّامة الدنيا الرئيس أبو علي بن سينا ، لا يشذّ في وجوده العلمي ، فضلاً عن وجوده الاُجتماعي ووجوده السياسيّ ، عن هذا القانون العام . فلو لم تُضَف الى مواهبه الطبيعية ، مساعدة الزمان والمكان ، لم يكن قطُّ في التاريخ أبنُ سينا ، هذا الفيلسوف العظيم .

وقد وددتُ أن أصوّر عصره ، تصويراً ثقافياً عقلياً ، وتصويراً أجتماعياً ، لأكشف عن الأسباب التي أعانت مواهبه على النبوغ ، وساعدت على أنتشار علمه في الخافقين ، وأدت إلى سلامته من أذى المتعصّبين ، وعدوان المتدين والمتقمين بأسم الدين ، لمصلحتهم الذاتية لا للدين ؛ وأردتُ أن أُوضح أموراً غامضة ، من سيرة أبن سينا ، يمرُّ بها الباحثون مرور الماجر المتزاور ، وفي قلبه شوق إلى الوصال . فلماذا أنتقل والد أبن سينا من بلخ إلى بخارى؟

وما كان مذهبُ ابن سينا ؟ وأيّ فقه درس من المذاهب المعروفة يومئذ ؟ وعلى من درس الفقه ؟ ولماذا صار فيلسوفاً ؟ فهذه الأسئلة وغيرُها لم تلق من الباحثين أجوبةً شافيةً ولا كافية ، لنُقصانٍ في البحث ، وتقصير في الفحص ، وقلّة في المراجع التاريخية .

من المعلوم أن الشيخ الرئيس ابن سينا ، ولد في الثلث الأخير من القرن الرابع للهجرة ، وكانت أُمهاتُ كتب العلم اليونانية ، ومنها كتب المنطق والهيأة والهندسة وغيرها من الرياضيات ، في ذلك العصر ، من الكتب المترجمة الى العربية ، المبثوثة في أقطار العالمين ، وكانت النهضة العلمية قد آتت ثمراتها ، بالانتقال من الترجمة إلى التأليف ، ومن الدراسة الى التصنيف ، ومن الاستيعاب الى الاختصار ، وأحياناً من الاختصار إلى الشرح والبيان ، فألّفت كتب في الفلسفة وآلتها التي هي علم المنطق ، وفي علم الهيأة والطب ، والموسيقى والطبيعيات ، والحيوان والنبات ، واستذاقت الخاصة طعم العلوم العقلية ، واستفادوا منها في تثقيف العقول ، وتحرير البحوث ، والتحرُّر في السلوك الى الحق والخير ، اللذين هما قِوام الفلسفة ، ولم يمنع من انتشار تلك العلوم غَلاء كتبها ، فقد كانت النسخة المجلدة الكاملة من كتاب « المجسطي » في الهيأة لبطليموس القلوذي بعشرين ديناراً [1] ، وكان ذوو النفوس الشريفة ، القادرون للعلوم حق قدرها ، يشعرون بصعُوبة طلبها على الناس ، بسبب غلاء الكتب ، فأسّسوا دوراً للعلم والحكمة ، وقفوها على الطلاب ، ورادةِ المعرفة ، كدارالعلم لأبي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، العالم الرياضي ، الفقيه الشافعي ، المتوفى سنة ٣٢٣ هـ [2] ؛ ومثلِ دار علم ، أنشأها بالبصرة ، رجل سكت التاريخ عن ذكر اسمه ، ونطق بكريم فعله . ولما شاهدها ملك الملوك عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة البويهي ، قال : « هذه مكرُمةٌ سُبِقنا إليها » [3] ودار العلم لأبي منصور عبيدالله بن محمد المعروف بابن شاه

---

(١) المكافأة وحسن العقبى لابن الداية (ص ١٤١) طبعة مطبعة الاستقامة بمصر

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٩٧/٦) طبعة مرغليوث

(٣) المنتظم (٥٣/٩) والكامل (١٢٢/١٠) من الطبعة الأوربية

مردان الوزير بالبصرة أيضاً[1] ، وكذلك دار علم أبي علي بن سوار الكاتب من أهل البصرة[2]

فهذه ثلاث دور للعلم كانت بالبصرة وحدها ، ولا شك في أن إخوان الصفا ، أصحاب الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا ، أستفادوا كثيراً من الكتب الموقوفة بدور العلم بالبصرة في تأليف رسائلهم الفلسفية ، ولذلك ولأسباب أخرى أختاروا البصرة مقراً لهم ، وموضعاً لدراسهم وتأليفهم وليس بشيء جديد أن نقول إن الرئيس ابن سينا اطلع على تلكم الرسائل ، واستفاد منها ، فقد صرح البيهقي بذلك في تاريخه للحكماء[3] وفي سنة ٣٨١ ﻫ على عهد الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي أنشأ الوزير أبونصر سابور بن أردشير الشيرازي دار علم ببغداد ، في محلة بين السورين من كرخ بغداد ، وجعل فيها اثني عشر ألف مجلد ، في مختلف العلوم والآداب والأشعار[4] ، فصارت دار العلم السابورية كعبة للعلماء والأدباء ، من مختلف الأقطار والأصقاع ، بحيث شد الرحل اليها من الشام رجل أعمى ، مثل أبي العلاء المعري ، وخلد ذكرها بقوله في حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من أشجار دار العلم المذكورة :

وغنت لنا في دار سابور قينة ... من الورق مطراب الأصائل ميهال

رأت زهراً غضاً فهاجت بمزهر ... مثانيه أحشاء لطفن وأوصال

وسار ذكر دار العلم السابورية في البلاد ، فبلغ الفاطميين بمصر ، فأنشؤوا مثلها على عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وهي دار العلم المشهورة بالقاهرة يومئذ ، وقد بنيت سنة ٤٠٠ ﻫ[5] بعد دار العلم السابورية بتسع عشرة سنة ومنها دار علم أبي منصور بهرام بن مافنه الكازروني

(١) الكامل (١٠/١٢٢) ، وكشف الظنون (ص ٦٢٢) من طبعة نظارة المعارف التركية

(٢) فهرست ابن النديم (ص ١٩٩) من مصر

(٣) ص (٥٢) بتحقيق العلامة المرحوم محمد كرد علي

(٤) المنتظم (٧/١٧٢) وبين السورين من معجم البلدان ، والوفيات (١/٢١٧) من طبعة ايران ، ومختصر مناقب بغداد (ص ٢٨)

(٥) النجوم الزاهرة (٤/٢٢٢)

وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي ، أسسها بفيروز أباد من كورة فارس قرب شيراز ، ووضع فيها تسعة عشر ألف مجلد ، أكثرها من أمهات الكتب ، ومنها أربعة آلاف ورقة بخط ابن مقلة الكاتب المشهور ، وكانت ولادة أبي منصور بهرام سنة ٣٦٦ هـ ، ووفاته سنة ٤٣٣ هـ [1] . ومنها دار كتب أبي جعفر الهلبي الهمذاني بهمذان ، جمَع فيها أثني عشر ألف مجلد [2] ، وليس من شك في أن الرئيس ابن سينا اقتبس من كتبها ، واستعان على تأليفه وتدريسه بما فيها أيام إقامته بهمذان ومنها دار كتب عضد الدولة التي وصفها البشاري المقدسيّ في كتابه « أحسن التقاسيم [3] » ، وأمرُها مشهور ، وذكرها سائر ، وخبرها مستفيض .

فدور العلم هذه ، والتي يُسعفنا الحظ بالوقوف على تاريخها ، والتي لا تمسُّ بحثنا كدار علم فخر الملك ابن عمار بطرابلس الشام ، كان لها أثر كبير في إشاعة العلوم ، وتسهيل البحوث الثقافية ، وتيسير التأليف والتصنيف ؛ والإفاضةُ في بيان فضلها ، إفاضة في البديهيات التاريخية ، إلا أننا لا نرى بُداً من ذكر الدول التي ساعدت على نشر العلوم ، وازدهرتْ حرية البحث في أيامها ، وأيّدت العلماء بأموالها وجاهها ، وأصبحت ملجأً للخائفين منهم ، وملاذاً للمطرودين ، وموئلاً للحائرين ، ومُغنيةً للمفتقرين فأول هذه الدول الدولة السامانية بما وراء النهر ، وبعض خراسان ، أسسها السامانيون وكانوا من أحسن الملوك سيرة ، يغلب عليهم العدل والدين والعلم ، ويَعْتقدون أن العلم لا يتقدمُ ولا ينمي إلا في ظل الحرية والتسامح ، وللمنصور بن نوح ابن نصر بن إسماعيل الساماني ألّف أبو بكر الرازي كتابه « المنصوري » المشهور في الطب [4] وكان لهم دار كتب عظيمة ببخارى ، ذكرها الشيخ الرئيس في إملاء سيرته ، وأشار الى ما فيها من كتب علم الأوائل ، أي الفلسفة والعلوم المساعدة عليها ، والى كتب الفقه والعربية والشعر ، وأعلن باستفادته منها فوائدَ علميةً جزيلةً جليلة [5]

(١) المنتظم (٨/٦٥ ، ١١١)
(٢) تاريخ بغداد للبنداري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٤ ورقة ٦٧ »
(٣) ص ١٣٣ ، ٤٤٨ (٤) الوفيات (٢/١٩٣) من طبعة العجم
(٥) نكت في أحوال الشيخ ابن سينا (ص ١٥) من منشورات المعهد الفرنسي

ولاننس أن الملك نوح بن نصر الساماني ، كتب سنة ٣٥٠ هـ الى أبي سعيد الحسن السيرافي النحوي القاضي المشهور بكتاب يسأله فيه عن مسائل ، تزيد عدتُها على أربع مئة مسألة في النحو والأدب ، وكان كتابه مقروناً بكتاب وزيره أبن البَلْعَمي البخاري ، وكان البلعمي الكبير أبوه وهو أبو الفضل محمد بن عبيد الله وزير الملك إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكان واحد عصره في العقل والرأي ، وتكريم العلم وأهله ، وألّف كتاب « تلقيح البلاغة » ، وكان معاصراً لمجدد الشعر الايراني أو مُبدعه أبي عبد الله جعفر بن محمد الروذكي السمرقندي ، وكان مُجلُّ هذا الشاعر ويُبَجِّلُهُ ويقول : ليس للروذكي في العرب والعجم نظير ، بمثه على ذلك تعصبه لأمته ولغته وكلاهما توفي سنة ٣٢٩ هـ [١] .

ومما قدمنا يظهر لنا أن حب العلم ونشره ، وجمع الكتب لم يكن مقصوراً على السامانيين ، بل كان ذلك معروفاً عند وزرائهم ، كأبي الفضل البلعمي المقدم ذكره . وبذكرنا الوزراء ، يخطر بالبال أسم الوزير أبي عبد الله أحمد بن محمد الجيهاني ، وزير الأمير السديد منصور بن نوح ثم الأمير الرضا نوح بن منصور ، فهو مؤلف كتاب « آيين نامه » ، وكتاب عهود الخلفاء ، وكتاب الزيادات على كتاب « أبي العباس عبد الله الناشيء الأكبر » في المقالات ، وكتاب المسالك والممالك ، وهو الكتاب الذي سلخه أبن الفقيه الهمذاني وسرقه [٢] ، وقد طبع بأوربة ، في المكتبة الجغرافية العربية . وكفى هذه الدولة العادلة العالمة فخراً ، أن نشأ في كنفها أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف المظيم الشهير .

وكانت الدولة السامانية نفسُها ، ملجأ الأحرار ، ومحط الأبرار ، وملاذ الأدباء والشعراء ، فاليها التجأ الأمير أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني ، الشاعر الكبير ، وكانت همته تسمو الى طلب الخلافة والإمامة ، ويُمنّي نفسه بالسير الى بغداد في جيوش من إيران [٣]

(١) الأنساب للسمعاني في « البلعمي » و « الروذكي » ، و « بلعم » من معجم البلدان ، وكشف الظنون في « تلقيح البلاغة »
(٢) معجم الأدباء (١/ ٥٩ ، ٦٣)
(٣) يتيمة الدهر (٤/ ١٤٩ ـ ١٦٠) من طبعة الصاوي

كما فعل بنو العباس أجدادُهُ أيام تأسيس دولتهم ، وكان ثلاثة من الأُمراء العباسيين قد التجؤوا إليها قبله ، الأول من ذرية المهدي ، والثاني من ذرية المستكفي ، والثالث من ذرية الواثق ، وهو الأمير أبو محمد عبد الله بن عثمان [1] وفي بلاد السامانيين وحدها أُستطاع أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي ، المعروف بالمتيم الشاعر ، نزيل بخارى ، أن يقول قصيدته التي يصرّح فيها بما لا يجوز للمسلم التصريح به ، ويخاطب زوجته وقد عذلته على تركه الصلاة ، وذلك حيث يقول :

تلومُ على تركي الصلاة حليلتي ... فقلتُ : أعزبي عن ناظري ، أنتِ طالق !

فوالله لا صَلَّيتُ لله مفلساً ... يصلّي له الشيخ الجليل وفائق

وفائق الذي ذكره الشاعر ، هو عميد الدولة أبو الحسن بن عبد الله الرومي الأصل السامانى بالولاء ، ولي للسامانيين أكثر مدن خراسان نيفاً وأربعين سنة [2] ، إلى أن يقول المتيمُ الإفريقي :

ولا عجبٌ إن كان نوح مصلياً ... لأنَّ له قسراً تدين المشارق

لماذا أُصلّي ؟ أين باغي ومنزلي ؟ ... وأين خيولي والحِلىٰ والمناطقُ ؟

وأينَ عبيدي كالبدور وجوهُهُم ؟ ... وأين جواريَّ الحسان الرقائق ؟

أُصلي ولا فتراً من الأرض تحتوي ... عليه يميني ، إنَّني لمنافق ؟ !

فانَّ صلاةَ النيء الحال كلَّها ... مخاريق ليست تحتهنَّ حقائق

تركت صلاتي للذين ذكرتُهم ... فمن عاب فِعلي فهو أحمق مائقُ

بلى ، إنْ عليَّ الله وسَّع لم أزلْ ... أُصَلّي له ما لاح في الجوِّ بارق [3]

---

(١) المرجع المذكور الى (ص ١٧٩)

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي (٤/١٤٥) من نسختنا الخطية ، والأنساب للسمعاني في « الخاصة » ، وغيرهما

(٣) اليتيمة (٤/١٤٦) طبعة الصاوي أيضاً ، ومعجم الأدباء (٢/٨٠) طبعة مرغليوث ، والمحمدون من الشعراء للقفطي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ ورقة ٣ »

ولا نودُّ أن نطيل الوقوف على الدولة السامانية ، فلننتقل إلى الدولة الخوارزمشاهية الأولى ، فانها من الدول التي أحتضنت العلوم في عصر أبن سينا ، وكانت قصبتهـا كُركانج مركزاً من مراكز العلم ، كما كانت بخارى في الدولة السامانية ، إلا أن كركانج لم تبلغ مبلغ بخارى وإنْ نبغ فيها مثل أبي الريحان البيروني العلامة الذي يُغني ذكر أسمه عن كل بسط في سيرتـه ، وإن كان فيهـا مثل الوزير أحمد بن محمـد السـهيلي الخوارزمي وزير خوارزمشاه علي بن مأمون وأبنه مأمون الثاني أبن علي ، وإلى هـذا السهيلي التجأ الرئيس أبو علي بن سينا كما ذكره في إملاء سيرته ، قال : « ودعتني الضرورة الى الإخلال ببخارى ، والأنتقال الى كركانج ، وكان أبو الحسين السهيلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً [١] » . وكان أبو الحسين السهيلي يجمع بين آلات الرئاسـة ، وأدوات الوزارة ، وفضائل العلم والأدب ، وله كتاب « الروضة السهيلية » في الأوصاف والتشبيهات ، وبالتماسه ألّف الفقيه الحسن بن الحارث الحسّوني الكتاب الموسوم بالسهيلي في فقه المذهبين الحنفي والشافعي وقد خرج السهيلي من خوارزم سنة ٤٠٤ ، ودخل بغداد فاستوطنها ، وأكرمه فيهـا الوزير فخر الملك أبو غالب محمـد بن خلف الواسطي وزير سلطان الدولة فناخسرو بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي . ولما قتل الوزير المذكور ، خرج السهيلي هارباً ، فالتجأ إلى الأمير غريب العقيلي أمير تكريت وسامراء وغيرهما ، وتوفي عنده بسامراء سنة « ٤١٨ هـ [٢] »

وقبل أن نعرج على دولة بني بُويه ، نذكر من الحكماء الذين كانوا بخوارزم في عصر أبن سينا ، مثل أبي الخير الحسن بن بابا البغدادي المولد الخوارزمي الدراسة الغزنوي الخاتمة ، وهو الذي قال فيـه الشيخ أبن سينا : « فأما أبو الخير ، فليس في عداد هؤلاء ، ولعل الله يرزقنـا لقاءه ، فيكون إما إفادة وإما أستفادة [٣] » .

ولما دان شرقي إيران والعراق والجزيرة لسلطة بني بويه ، ودخلت الخلافة العباسية في

---

(١) نكت في أحوال الشيخ (ص ١٦) (٢) معجم الأدباء (٢/ ١٠٢) .

(٣) تاريخ الحكماء المعروف بتتمة صوان الحكمة للبيهقي « ص ٢٦ — ٧ » طبعة دمشق

حمايتهم ، أخذت العلوم تزدهر أزدهاراً سريعاً ، حتى صارت أيامها من أزهر العصور العلمية الإسلامية ، وذلك لتوفر الحرية الدينية والحرية الفكرية والحرية القلمية وكانت هذه الحريات قبلهم مزمومة مكمومة ، وقد عوقب عليها قبلهم بالموت ، كما جرى على الحسين[1] أبن منصور الحلاج لشذوذه في التحرّر ، فظهرت الأقلام الحرّة ، وصرحت النفوس الكاتمة ، وتنفست الصدور المحرجة ، وأعترف بسلطان العقل ، فنُفّذ حكم المعقول في المنقول ، وكان المنقول قبل ذلك مقدساً ، كائنة ما كانت حقيقته ، من حيث الصحة والأختلاق ، والإمكان والأستحالة ، ولم يخش جماعة ممن غلبت عليهم الرُعونة والحماقة أن يصرحوا بالإلحاد متحدّين بذلك الرأي العام ، ومنهم أحمد النهرجوري أحد الشعراء من الطبقة الوسطى ، فقد كان معالناً بالإلحاد غير كاتم له ، وكان قوي الطبقة في الفلسفة وعلوم الأوائل ، متوسطاً في علوم العربية ، وقد أدرك أوائل القرن الخامس ، وعاصر أبن سينا ، وتوفي سنة ٤٠٣ [1] .

وفي أيام بني بويه ظهر أفاضل العلماء ، وفحول الشعراء والكتاب ، ومهرة الفقهاء ، وفوقة الحكماء والفلاسفة ، ونطاسيو الأطباء ، وأستعاد الأعتزال قوته ونشاطه ، وأتسع وشاع ؛ وكان ملوك بني بويه ووزراؤهم ، وأعيان دولتهم الآخرون ، يميلون إلى العلوم ، ويرغبون في الحكمة ، ويعملون على نشر المعارف . وقد ذكرنا من الملوك عضد الدولة ، صاحب دار الكتب العظيمة التي وصفها المقدسي البشاري ، وأومأنا اليها آنفاً ، وما عسى الواصف أن يصف من الثقافة العقلية في دولة من وزرائها أبو الفضل بن العميد ، وأبنه أبو الفتح بن العميد ، والصاحب بن عباد ، وسابور المذكور مؤسس « دار العلم » بالكرخ ، وأبو منصور بهرام ابن مافنه مؤسس دار الكتب بفيروز أباد ، وخازن من خزان دور كتبها أبو علي أحمد بن محمد مسكويه [2] ؟ وأمير من أتباعها شمس المعالي قابوس بن وشمكير الذي أراد أن يستخلص

(١) طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ص ٣٠٧)

(٢) معجم الأدباء (٢/٨٨) طبعة مرغليوث

أبا الريحان البيروني لنفسه ، ويرتبطه في داره ، على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه مِلكه ويشتمل عليه مُلكه اُعترافاً منه بجلالة العلم ، فلم يوفّق [١] .

وفي أيام البويهيين ألّفت أمهات الكتب في العلوم والفنون وتتمثل حرية الأقلام الصادرة عن الحرية الفكرية في مثل كتاب « الشافي » للشريف المرتضى ، و « المغني » لقاضي القضاة في الدولة البويهية أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسدابادي الشافعي ، المتوفى بالريّ سنة ٤١٥ وقد عاصر اُبن سينا وتتمثل تلكم الحرية أيضاً في أنّ هذا القاضي الكبير كان شافعياً في الفروع ، معتزلياً في الأصول [٢] . ولا نرى حاجة إلى ذكر كتب اُبن الباقلاني ، والشيخ المفيد ، وأبي حيان التوحيدي ، ومسكويه المقدم ذكره ، والماوردي الشافعي أقضى قضاة الدولة العباسية ، فكلها تمثل الحرية الفكرية .

في هذا العصر وفي هذا المجتمع ولد الرئيس أبو علي بن سينا ، ولوكان لبيأته اُتصال بغير هذه الأقطار ، لوصفنا الحال الثقافية فيها ، كدولة بني حمدان في شمالي سورية ، وهي الدولة التي قصدها أبو نصر الفارابي وألقى عصا ترحاله في كنفها ، وذلك هو الفخر العظيم والمجد الجسيم . أجل ، إن الرئيس أبا علي بن سينا ولد في ذلكم العصر وذلكم المجتمع ، وكان والده من أهل بلخ بخراسان ، واُنتقل الى بخارى قبل أن يُولد أبو علي ، فلماذا اُنتقل ؟ اُنتقل لأنّ بلخ كانت مقر الأمير ناصر الدولة سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية [٣] ، ولأن خراسان كانت من مناطق المذهب الشافعي وكان هذا المذهب يزداد قوة كلّما اُتجه من خراسان نحو الغرب ، ويتضاءل كلّما اُتجه نحو الشرق ، وفي بلخ يلتقي هو والمذهب الحنفي وجهاً لوجه . وكانت ما وراء النهر ومنها بخارى ، من مناطق المذهب الحنفي ، إلا مدينة خِيْوَة أي خَيوَق من نواحي خوارزم ، فان أهلها كانوا شافعيين [٤] ، وإلا الشاش مما وراء نهر سيحون فقد أشاع فيها مذهب

(١) معجم الأدباء (٦/٣٠٩) طبعة مرغليوث
(٢) تاريخ بغداد للخطيب (١١/١١٣) ، وكتاب « أبي جعفر النقيب » (ص ٥ ــ ٦)
(٣) الكامل في حوادث سنة ٣٨٧ هـ (٤) « خيوق » من معجم البلدان

الشافعي الإمامُ أبو بكر محمد بن علي القفال الشاشي المشهور ، المتوفى فيها سنة ٣٦٦ هـ [١]

فمعنى الانتقال من بلخ إلى بخارى يومئذ ، هو الانتقال من المنطقة الشافعية إلى المنطقة الحنفية . وكان آل سبكتكين منذ عهد السلطان محمود الغزنوي من أنصار المذهب الشافعيّ ، المؤيدين للعقيدة الأشعرية ، لا المذهب الحنفي الذي يحكم العقل في المشكلات الدينية ، ويميل أحياناً الى الاعتزال ، ويقول بالرأي والقياس في الأحكام وكان سبكتكين حنفياً كأكثر المماليك الذين يُرَبَّون في تلك المناطق ، إلا أن التقاء المذهبين في بلاده أثَّر في نفسه ، ولم يظهر في عقيدته ، بل ظهر على عهد ابنه السلطان محمود ، فانتقل من المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي [٢] ، وصار من المتحمسين له ، ولا سيما بعد علمه بأن خلفاء بني العباس قد أخذوا بمذهب الشافعيّ ، وهم أئمته ومصدرُ سلطته الدينية في مملكته وكانت بخارى أقلّ أخذاً بمذهب الاعتزال من كركانج ، لقربها من خراسان المنطقة الشافعية [٣] اللا اعتزالية .

إنتقل والد ابن سينا من المملكة الغزنوية الى المملكة السامانية ، لغلبة المذهب الحنفي على ولاية الدولة السامانية ، ولما في هذا المذهب من التسامح الديني في دراسة العلوم العقلية ، حتى لنستطيع أن نصرّح بأن المذهب الحنفي من أعظم الأسباب في تقدم الفلسفة عند المسلمين . وكان الباعث على طلب الهجرة الى بلاد التسامح أن والد الشيخ الرئيس كان ممن أجاب داعي المصريين الفاطميين الإسماعيليين ، كما ذكره ابنه الرئيس في إملاء السيرة ، ودخل في المذهب الإسماعيلي ، وكانت دعاية ذلك المذهب قد بلغت تلك البلاد [٤] وسيرة داعي الدعاة هبة الله بن موسى الشيرازي تصور لنا قوة تلك الدعاية ، وطرائقها وحقائقها [٥] ، فقد كانت متدرعة بدرع من العقل ، ومتذرعة بذريعة من النقل ، بحيث نشأ في أكنافها مثل أبي العلاء المعري الفيلسوف الشاعر ، وغيره من أهل الأفكار الحرة وقد ذكر الشيخ الرئيس أنه لم يمل الى العقيدة الإسماعيلية ،

---

(١) « الشاش » من المعجم المذكور (٢) الوفيات (٢/٢٠٣) من طبعة بلاد العجم .
(٣) معجم الأدباء (٦/١٥٥)
(٤) نكت في أحوال الشيخ (ص١٤ ، ١٥) ، وتتمة صوان الحكمة (ص ٥٦) من طبعة دمشق
(٥) سيرة المؤيد داعي الدعاة ، طبعة مصر ١٩٤٩

التي أعتقدها أبوه وأخوه وصرّح بكراهته لها ، وباح بنفوره منها ، فلا يصحُّ أن ينسب الى مذهب الإسماعيلية فان كان السبب وجود ذكر النفس والعقل في كتبه ، فكلُّ الفلسفة تتناول النفس والعقل . وان كان السببُ النصَّ التاريخي ، فليس فيه ما يدل على تمذهبه بالإسماعيلية أبداً .

والظاهر أن الأضطهاد المذهبي كان شديداً في خراسان ، وخصوصاً بعد وصول الدعوة الإسماعيلية المصرية اليها ، وقد جرَّب الإسماعيلية هناك حظهم فأُخفقوا وخابوا ، وذلك أنّهم أرسلوا داعياً من دعاتهم ، اسمه عبد الله بن علي العلوي التاهرتي ، من أهل مدينة تاهرت في أقصى المغرب ومن ذرية الحسن المثنى ، أرسله الحاكم بأمر الله الفاطمي الى السلطان محمود الغزنوي ، يدعوه الى المذهب الإسماعيلي وكان معه قسم من تصانيف الإسماعيلية ، ففوّض السلطان محمود أمره ومناظرته الى أهل نيسابور ، وهمُ جَمْرة الشافعية وجمهورهم إذ ذاك ، فاُجتمع في محفله أئمة الفرق ، واُنبرى الشيخ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر النيسابوري المعروف بالبغدادي لمناظرة العلوي التاهرتي ، فقطعه وألزمه الحُجَة ، بحيث سكت ولم يستطع الجواب . ثم رُفع أمره إلى الخليفة القادر بالله العباسي ، فأمر بقتله ، فقتل بنواحي بُسْت بعد سنة « أربعمئة » للهجرة بقليل[1] ، وكان من نتائج هذه المناظرة ظهور كتاب « الفَرْق بين الفرق » لعبد القاهر البغدادي ، فهو بمثابة تذكار لاُنتصار الشافعية الأشعرية على المذهب الإسماعيلي والمذاهب الأخرى غير المعترف بها

وأنا لا أشكُّ في أنَّ جماعة ممن تمذهبُوا بالإسماعيلية ، هاجروا من خراسان الى ما وراء النهر ، خوفاً من ظهور أمرهم ، وخشية أن يُقتلوا كما قتل التاهرتي . ولم يعد الإسماعيلية الى خراسان ، إلا بعد علو أمرهم واُستحكام قوّتهم .

إذن نشأ الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في موطن تغلب عليه الحنفية ، وكان والدهُ من أصحاب التصرف والولاية فيه[2] ، كان حنفياً ثم اسماعيلياً ، ولم يمنعه مذهب أبيه الباطنيّ

(١) الأنساب في « التاهرتي » ، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (ص ١٣٩ ، ٣٠١) من طبعة بلاد الهند ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٦/٤)

(٢) النكت في سيرته (ص ٩)

الإسماعيلي السري أن يكون كشبان أهل بخارى المتفقهين ، فاشتغل بالفقه الحنفي وبعلم المناظرة المعتمد على علم الكلام الذي هو من فلسفة الاسلام ، وقد ساعده هذا المذهب على التوفّر على العقليات ، ولعله لولا ذلك لم يكن فيلسوفاً على ما أظن وكان أشهر الفقهاء الحنفيين ببخارى يومئذ أبو محمد اسماعيل بن الحسين بن علي البخاري المعروف بالزاهد ، فقد كان إمام عصره في الأصول والفروع ، وروى الحديث النبوي عن الشيوخ الثقات ، وحدّث به . وممن روى عنه الحديث محدث بغداد في عصره عبد العزيز الأزجي ، والقاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني الأصل البغدادي الحنفي . وكان الشيخ اسماعيل الزاهد هذا قد قرأ هو الفقه الحنفي على أبي بكر محمد بن الفضل الكاري البخاري الحنفي المتوفى ببخارى سنة ٣٨١ هـ ، وعلى أبي حفص الصغير . وتوفي اسماعيل الفقيه الزاهد أستاذ ابن سينا سنة ٤٠٢ هـ [1] ، أي قبل وفاة ابن سينا بست وعشرين سنة وقد ذكر الشيخ ابن سينا شيخه الحنفي هذا ، في إملاء سيرته بقوله : « وكنت قبل قدوم أبي عبدالله الناتلي أشتغل بالفقه والتردد فيه الى إسماعيل الزاهد ، وكنت من أحزم السائلين ، وقد ألفت طرق المطالبة ، ووجوه الاعتراض على المجيب ، على الوجه الذي جرت عادة القوم به » . وذكر دراسته للفلسفة وقال : « وأنا مع ذلك مشغول بالفقه ، وأناظر فيه وأنا يومئذ من أبناء ست عشرة سنة » ، إلى أن قال : « وقدمت على الأمير بكر كانج وهو علي بن مأمون ، وكنت إذ ذاك على زيّ الفقهاء بطيلسان وتحت الحنك ، فرتبوا لي مشاهرة تقوم بكفاية مثلي [2] » .

فالشيخ أبو علي بن سينا لو لم تغلب عليه الفلسفة لكان فقيهاً حنفياً كبيراً ، وذلك لدراسته الفقه الحنفي دراسة تامة ، مع علم الكلام وفن المناظرة اللذين هما من أظهر الميزات للمذهب الحنفي . ومما يؤيد هذه الحقائق التاريخية تعاطيه الشراب ، أي النبيذ على ما هو معروف من جواز شربه على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وفي ذلك يقول : « وأرجع بالليل الى داري ،

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ٣١٠ — ١) ، والمنتظم لابن الجوزي (٢٥٨/٧) ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (١٤٧/١ — ٨) ، والفوائد البهية للكنوي (ص ٤٦)
(٢) نكت في أحوال الشيخ (ص ١٠ ، ١٢ ، ١٦)

وأحضر السراج بين يدي ، وأشتغل بالقراءة والكتابة فمها غلبني النوم ، أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب لكيما تعود إليَّ قوتي ، ثم أرجع الى القراءة[1] » . والظاهر أنه أستفاد من تساهل المذهب وتسامحه في ذلك الى أقصى حدّ ، حتى قال صاحبه أبو عبيد الجوزجاني : « كان يجتمع كلَّ ليلةٍ في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان غيري يقرأ من القانون نوبة ، فاذا فرغنا حضر المغنون على أختلاف طبقاتهم ، وهُيّيء مجلس الشراب بآلاته ، فكنا نشتغل به[2] » فهذا الشراب الذي أشار اليه أبن سينا وصاحبه أبو عبيد إنما هو « الطلاء » وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وهو « مَي پُخته » ، وعرّبته العرب فقالوا « ميبختج[3] » ، وإليه أشار العلامة جار الله الزمخشري بقوله :

وإنْ حنفيــاً قلت قالوا بأنّني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرَّم

ونحن لا نريد بهذا القول أن ننزه أبن سينا من كونه قد شرب الخمر ، بل نَقِفَ عند النصوص التاريخية ومعاني الألفاظ الواردة فيها ، وإلا فقد عثرنا على أبيات له لم يذكرها كلها أحد من المعاصرين ، تثبت عليه شرب الخمر ، إن صدق الراوي لها . قال أبو علي بن سينا في نعت الخمر :

دمُ الدَّنِّ في شرع الندامى مُحلَّلُ ... ومن أجلها ثغرُ الكؤوس يُقبَّلُ

غدتْ كعبةَ اللذات قبلةُ دنِّها ... ونحن نُلبِّي عندَها ونُهلِّلُ

فلو لم تكن في حيِّز قلت إنها ... هي العلّةُ الأولى التي لا تعلَّلُ[4]

وهذا شعر فيلسوف ظريف قد ذهب في الحرية كل مذهب ، وما أحراه أن يكون من شعر أبن سينا ، ما دام فيه مثل قوله « هي العلة الأولى التي لا تُعلَّلُ » ! فانه أصطلاح فلسفي ظاهر .

وفي الحق أن الشيخ أبن سينا أنغمس في الحكمة والفلسفة من الفرق الى القدم ،

(١) النكت المذكورة (ص ١٣)

(٢) نكت سيرة الشيخ (ص ١٩) (٣) الصحاح للجوهري في مادة « ط ل ي »

(٤) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي (٢٤٦/٤) من نسختنا الخطية

وأصبح مـذهبه الحنفيّ وفقهُـه مثل الخيال لحادث من الحوادث البعيدة الزمان ، وأُرتفع عن أن يقال إنه من أهل المذهب الفـلاني ، والـمذهب الفلاني . أما أن بعض فلسفته يوافق بعض فلسفة الاسماعيلية ، فذلك لأن كلتا الفلسفتين تلتقيان أحياناً في مورد واحد ، وتفترقان من معين واحد . وأنا أرى أنه آلت حاله الى أن صار « لا مذهبياً » ، ولذلك رُمي بالمبدّعات بل المـكفرات ، قال شهاب الدين أبو اسحاق ابراهـيم بن عبـد الله الحموي المعروف بأبن أبي الدم الحموي القـاضي الشافعي المؤرخ المتوفى سـنة ٦٤٢ هـ في كتابه « الملل والنحـل » : لم يقُم أحد من فلاسفة الإسلام مقام أبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا ، وكان أبو علي أقوم الرجلين وأعلمهم ، إلى أن قال : وقـد أُتفق العلماء على أن أبن سينا كان يقول بقدم العالم ، ونفي المعاد الجسمانيّ ، ولا ينكر المعاد النفساني ، ونقل عنه أنه قال : إن الله لايعلم الجزئيات بعلم جزئي ، بل بعلم كلّـي . فقطع علماء زمانه ومَن بعدهم من الأئمة ، ممن يُعـتَبر قولهم أصولاً وفروعاً ، بـكفره ، وبـكفر أبي نصر الفارابي ، من أجل أعتقاد هذه المسائل ، وأنها خلاف أعتقاد المسـلمين [1]

والقول في التكفير وعدمه ، والتبديع وضده ، ليس من بابة بحثنا هذا . وإنما ذكرنا هذا القول، لأن الحديث ذو شجون . والذي يعنينا هو أن نرسم هذه الخطوط الخاصة لسيرة الشيخ أبي علي مما كان مجهولاً أو كالمجهول ، فقد جاء في سيرته أنه ألف في الحـكمة كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشـرين مجلدة ، وكتاباً في الأخلاق أسمه « البرّ والإثم » ، ألفهما لرجل كان في جواره ببخارى يقال له « أبو بكر البرقي [2] » ، فهذا الشيـخ كان حنفياً أيضاً ، وهو أبو بكر أحمد بن محمـد البرقي الخوارزمي الحنفي ، إمام أبن إمام ، من ذرية علماء فضلاء ، كانوا بكركانج ، وأنتقلوا الى بخارى وسكنوها ، وكان أبو بكر منسـوباً الى البرق الذي هو ولد النعجة ، تعريب « بره » الفارسية ، قال أبن ماكولا الأمير النسـابة : هو أحد الفضلاء ، المتقدمـين في الأدب وعلم التصوف ، والـكلام على طريقتهم — يعني الحنفية ، وله كرامات

(١) لسان الميزان (٢/٢٩٣) (٢) نـكت في أحوال الشيخ (ص ١٩)

مشهورة ، وشعره كثير جيد ، ورأيت له ديوان شعر أكثره بخط تلميذه ابن سينا الفيلسوف ، وقد مات في المحرم سنة ٣٩٦ هـ [١] .

وكانت وفاة والد أبي علي سنة ٣٩٢هـ على التقدير لا على التحقيق ، وكان حكم آل سامان قد اضمحلّ وانحلّ قبل ذلك بسنتين ، وبسطت الدولة الغزنوية ذراعها اليمنى إلى خراسان ، واستولى « إيلك خان » على بخارى قاعدة ملك السامانيين [٢] ، فأقام أبو علي بن سينا في مملكته زهاء ثلاث سنين . ولو كان المستولي على بخارى محمود الغزنوي ، لأجفل أبو علي إجفال الظليم ، ولهرب كهرب موسى الكليم ، لئلا يقع في منطقة نفوذ للمقيدة الأشعرية ، التي أوردت العلويّ التاهرتي مورد الموت . فلفقدان الحرية الدينية في الدولة الغزنوية لم يهاجر أبو علي اليها ، بل انحاز إلى كركانج ، وهي من المناطق الحنفية ، كما أشرنا إليه سابقاً ، وأقول بعبارة أخرى : هي من مناطق الحرية ، وقد ذكرنا التجاءه إلى الأمير علي بن مأمون ووزيره أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي المدفون بسامرا بالعراق . وأثرُ ذلك الاضطهاد الديني من الدولة الغزنوية ، واضح في أن السلطان محموداً الغزنوي لما استولى على خوارزم ، قبض على أبي الريحان البيروني ، وعلى أستاذه الشيخ عبد الصمد الحكيم ، فاتّهم عبد الصمد بالكفر والقرمطة أي مذهب الاسماعيلية ، وسقاه كأس الموت مُترعة الى أصبارها ، وهمّ بأن يُلحق به أبا الريحان ، فقيل له إنه إمام وقته في علم النجوم ، وإن الملوك لايستغنون عن مثله ، فأخذه معه . وتتمة الخبر معروفة في السير [٣] .

وقد حدثت بين الرئيس أبي علي بن سينا وأبي الريحان مناقضات ومناظرات ، ولم يكن الخوض في بحار المعقولات من شأن أبي الريحان ، وسأله أبو الريحان عن أمور ، وأجابه أبو علي ، فاعترض البيروني على الأجوبة ، وتفوه بكلمات فيها سوء أدب وسفاهة ، وأجاب أبو عبد الله المعصومي الحكيم تلميذ أبي علي عن اعتراضات أبي الريحان ، وقال يخاطبه : لو اخترت يا أبا

(٤) الجواهر المضيئة (١ ، ٩٧ ، ج ٢ ص ٢٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤) ، والمشتبه (ص ٣٥) ، وكشف الظنون في « ديوان البرقي »

(٢) الكامل في حوادث (٣٨٩) .   (٣) معجم الأدباء (٦/٣١١) .

الريحان لمخاطبة أبي علي الحكيم ألفاظاً غير تلك الألفاظ ، لكان أليق بالعقل والعلم [1] .

ولعل الشيخ الرئيس ابن سينا أُنزعج من بلاد خوارزم وغادرها ، لوجود مثل العلامة البيروني ممن يشوبون علمهم ببذاءة ألسنتهم ، مع وضوح فضلهم ، واستغنائهم عن ذلك ، ووجوب التزامهم لدائرة اختصاصهم وقد ظن الشيخ الرئيس أن البلاد تتغير وتتطوّر في زمن قليل كما يتغير ذهن الإنسان ويتطور عقله ، فقصد نسا وأبيورد وطوس وجاجرم ، وهي من مدن خراسان ، وخراسان مباءة العقيدة الأشعرية ، فلم يكن من الطبيعي استقراره فيها ، فاضطر الى قصد جرجان بين طبرستان وخراسان للالتجاء الى أميرها شمس المعالي أبي الحسن قابوس بن وشمكير الجيلي المقدم ذكره في مقالتنا هذه ، فحال القدر دون لقائه إياه في الإمارة ، فعطف زمام راحلته نحو مملكة بني بويه حيث حرية الفكر وحرية القلم وحرية العيش ، فنال جميع ما يريد من تقدم ووزارة ولذة ومتعة ، وكأن تلك النفس العالية التي أضناها السهر والسفر في طلب العلوم ، وحرمها لذائذ الحياة ، أحست بقرب الارتحال ، فأسرفت في اللذة التي من شأنها أن تهدم الجسم هدماً ولو اعتدل الرئيس في سيرته الأخيرة ، لازداد التراث العلمي الذي تركه ، مع اعترافنا بعظمه وضخامته ، وهو مع كل ذلك قد طلب بعلمه الخير والحق ، وكان إنساناً واسع الآفاق ، وفيلسوفاً بعيد الغور ، وحكيماً دائم الإشراق ، وطبيباً خالد الذكر والعلم . وكان له أثر بالغ في تقدم الثقافة العقلية ، والمعالجات الطبية في الشرق والغرب . وقد درس عليه تلامذة ، فكانوا من العلماء الأعلام ، كالشيخ بهمنيار ، قال شمس الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن الأكفاني ، العالم الفيلسوف المتوفى في القرن الثامن للهجرة : قرأت كتاب « الاشارات » للرئيس أبي علي بن سينا على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الشرواني بالقاهرة ، وقال لي : قرأته بشرطه على شارحه خواجه نصير الدين محمد الطوسي ، قال : قرأته على الإمام أثير الدين المفضل الأبهري ، قال : قرأته على الشيخ قطب الدين ابراهيم المصري ، قال : قرأته على الإمام المعظم فخر الدين محمد الرازي ، قال : قرأته على الشيخ شرف الدين محمد المسعودي ، قال :

(١) تتمة صوان الحكمة (ص ٧٣ ، ١٠٢) من طبعة دمشق

قرأته على الشيخ أبي الفتح عمر المعروف بالخيام ، قال : قرأته على الشيخ بهمنيار تلميذ الرئيس أبي علي ، قال : قرأته على مصنفه الشيخ الرئيس [1] .

وفذلكة القول : أن الأعصار والأمصار ، التي عاش فيها الشيخ الرئيس ، كان لها أثر عظيم في نبوغه ، وأتساع دراســـته ، وتبحُّره ، وأنتشار علومه والفضل في ذلك يعود الى الدولة السامانية والدولة البويهية ، كما يعود الى نضج العلوم في عصره ، فكان الرئيس كصاحب البستان الناضج الثمار ، يقطف منها ما يشاء حين يشاء ، ويغرس فيه ما يُريد في إبان الغراس . فلو ظهر مثلاً في الدولة الغزنوية ، لم يظهر له أثر ، ولقُتل ، أو عطلت ملكاته العقلية كما عُطلت ملكات غيره فيها في ذلك المصر ، فيجب علينا أن نذكر بالخير والإجلال والتكريم والتبجيل هذا العلامة المتقن الفَهِم ، والفيلسوف المتبحر الانساني ، والانسان المهذب المثقف ، ذا العقل العظيم الإدراك ، المستبطن لغوامض العلوم العقلية والعلوم العملية بذهن دراك قدير منير .

وقولنا : إن الشيخ الرئيس ، لو ظهر في غير ذلك العصر وغير ذلك المصر ، لقُتل ، أو خنقت ملكاته ، مؤيد بما جرى قبله وما جرى بعده من حوادث الأتهام بالزندقة ، وإباحة الدماء ، كالذي لقي فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي الشاعر الوزير ، وعين القضاة أبو المعالي عبد الله بن محمد الميانجي الصوفي الحكيم الشافعي تلميذ عمر الخيام ، فانهما قتلا متهمين بالزندقة ، في الثلث الأول من القرن الســـادس للهجرة ، في أيام الدولة السلجوقية بإيران والعراق [2] ، قتلها على التحقيق وزيران حسودان جاهلان ، معروفان بسوء السيرة ، وضعف الديانة ، وموت الأمانة ، وعدم الصيانة ولم يقتصر القدر على إحلال الهلاك بعين القضاة الهمذاني في الدنيا ، بل أصحبه الشقاء بعد مماته ، فقد هدم الصفويون قبره قبل سنة ٩٨٤ بقليل ، وله رسالة « شكوى الغريب عن الأوطان الى علماء البلدان » كتبها في أيام حبسه ببغداد وقد نقل تاج الدين السبكي في طبقاته أقوال أبي سعد أ بن السمعاني في سيرته ، وفيها

(١) الوافي بالوفيات (٢/١٤٢ — ٣)

(٢) الوفيات (١/١٧٥) وتلخيص معجم الألقاب (٤/١٧١) وتاريخ الحكماء للبيهقي (ص ١٢٣) .

إشارة إليها ، قال : « وكان جماعة من العلماء كتبوا خطوطهم بإباحة دمه ، نسأل الله الحفظ من إطلاق القلم بما يتعلق بالدماء من غير بحث ، والمسارعة الى الفتوى بالقتل ، فقبض عليه الوزير أبو القاسم الأنساباذي ، وحمل إلى بغداد مقيداً . ورأيت رسالته التي كتبها من بغداد الى أصحابه وإخوانه بهمذان ، التي لو قرئت على الصخور لانصدعت من الرقة والسلاسة ، فرُدَّ الى همذان وصلب فيها » . ولما قدم الى الخشبة ليصلب ، قال : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون [1]) . وقد طبعت هذه الرسالة بأوربة ، وفي خزانة كتب المجمع نسخة منها

وقد حفظ الله تعالى الرئيس أبا علي من مثل تلكم الخاتمة المحزنة الفاجعة ، وبقي ذكره مقروناً بالتعظيم والتكريم أبد الآبدين .

مصطفى جواد

(١) النواقض: لمعين الدين أشرف المعروف بمرزا مخدوم الحسني « نسخة الأوقاف ٣٩٥٦ الورقة ١٢٣ » و « ميانة » من معجم البلدان ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٣٧/٤)

تدوين الشعر الجاهلي

بين أيدينا شعر لنيف وثمانين شاعراً [1] ، وردت أسماؤهم في كتب اللغة والأدب ، ذكر أنهم جميعاً عاشوا قبل الإسلام ، وأنهم نظموا ذلك الشعر وقد عرف هـذا الشعر بالشعر الجاهلي ، تمييزاً له عن الشعر الإسلامي المتأخر عنه ، وعرف أصحابه بالشعراء الجاهليين . ويختلف هذا الشعر طولاً وقصراً ، فمنه الذي يتألف من عشرات الأبيات ، ومنه ما هو قصير قد يكون بيتاً واحداً أو يكون جملة أبيات .

وهو كله بهذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم ، المعروفة بيننا باللغة العربية الفصحى ، وليس فيه ما هو بلهجة عربية أخرى ، لا من اللهجات التي اندرست آثارها قبل ظهور الإسلام بأمد مثل المعينية والقتبانية والأوسانية والحضرمية والثمودية والصفوية ، ولا من اللهجات التي أدركت الإسلام وعاصرته مثل الحميرية ولهجات القبائل الأخرى التي كانت تتكلم عند ظهور الإسلام بلهجة تختلف بعض الاختلاف عن لهجة القرآن الكريم .

وليس في هذا الشعر الجاهلي بيت واحد يستطاع أن يثبت أنه كان مدوناً في الجاهلية ، وأن رواة الشعر وحفظته وجدوه مكتوباً بأبجدية جاهلية ، فنقلوه عنها . ولم يتجاسر ، على ما أعلم ، راوٍ من رواة الشعر أو حافظ من حفاظه على الادعاء أنه نقل ما عنده من شعر جاهلي من ديوان جاهلي ، أو من قراطيس جاهلية ، أو من مادة مكتوبة أخرى تعود أيامها الى الجاهلية . فكل ما وصل الينا من هـذه البضاعة ، هو من عهـد الكتابة والتدوين ، وعهد التدوين لم يبدأ إلا في الإسلام .

وعدم وصول شعر جاهلي الينا مدون في أيام الجاهلية ، أو منقول عن مكتوبات جاهلية ،

---

(١) كارلو نالينو : تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية (ص ٥٥) القاهرة ١٩٥٤ .

ثم عدم ادعاء أحد من قدماء الرواة أنه قد نقل من دواوين أو قراطيس جاهلية ، يحملنا على القول بعدم تدوين الجاهليين لشعرهم وبعـــدم أهتمامهم بتسجيله . فلمَ وقع ذلك ؟ ولمَ أحجم الجاهليون عن تدوين شعرهم ، وهو تراثهم الخالد وسجلهم وديوانهم الذي به حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله ، وغريب حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وآثار صحابته والتابعين [1] ؟ وتراث هذا شأنه ، وهذه منزلته في نفوس الناس على ما ورد عنهم بالتواتر ، ولا بد أن يدوّن ويخلد ليكون في الإمكان الرجوع اليه والأخذ منه ، يكاد يكون من المستحيل محافظة الذاكرة على حفظ شيء منه بنصه وبحرفه أجيالاً دون أن يتطرق الى المحفوظ شيء من التغيير والتبديل والتقديم والتأخير والتحريف . وإذا كان النّساخ على شدة حرصهم ومزيد عنايتهم في الضبط والتدقيق في النقل والنسخ ، لا ينجون من الوقوع في أخطاء ، فهل يعقل عدم وقوع رواة الشعر وحفاظه في أغلاط وأخطاء ؟ وإذا فرضنا عدم وقوع ذلك ، أو استحالة وقوعه من الجيل الأول منهم وهم الرواة الذين كانوا يلازمون الشعراء ، فهل نجت الأجيال التي جاءت من بعدهم من مثل هـذه الأخطاء ؟ وهل عصم الله رواة الشعر من آفات النسيان ، بأن جعل لهم حافظة قوية تمتاز عن حافظة غيرهم من الإنس ، فهي لا تخطيء أبداً ؟

ولـكن ما ذهبنا اليه من عـدم تدوين أهل الجاهلية لشعرهم ، تنفيه روايات أخرى تزعم أن الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم ، وأن الملك النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعـار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان ، أو ما صار منه [2] . وروايات تقول إن العرب كانت شديدة العناية بشعرها ، مبالغةً في المحافظة على الجيد منه ، حتى إنهـا

---

(١) السيوطي : المزهر (٢/٤٧٠) ، الجمحي : طبقات الشعراء (ص ١٠) ، الدينوري : الأخبار الطوال (ص ٣٣٢) ، الألوسي : بلوغ الأرب (٣/٨٢) ، « عن ابن عباس : اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب » ، المزهر (٢/٣٠٢)

(٢) طبقات الشعراء (ص ١٠) ، المزهر (٢/٤٧٤) ، تأريخ العرب قبل الإسلام (١/١٣ وما بعدها)

أختارت القصائد الشهيرة منه ، فأمرت بكتابتها بماء الذهب على القباطي وبتعليقها على الكعبة ، إعجاباً بها واشادة بذكرها ، وقد بقي بعضها الى يوم الفتح ، وذهب ببعضها الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام وقد عرفت تلك القصائد بالمذهبات وبالمعلقات وبالسموط [1] . وروايات أخرى تفيد أن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يقرؤون ويكتبون ، كالذي جاء عن عدي بن زيد العبادي الشاعر الحيري النصراني ، وعن المرقش الأكبر من أنه كان قد تعلم الكتابة من رجل من أهل الحيرة ، فصار يكتب أشعاره ، وكالذي يظهر من بيت لابن مقبل يفيد أن عرب أواسط جزيرة العرب كانوا يدونون أشعار الشعراء في أيام الرسول [2] .

وقد ورد في الأخبار أيضاً أن الراوية النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي الأخباري المعروف ، كان يقول : « كنت أستخرج أخبار العرب ، وأنسابهم ، وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى ، وتأريخ نسبهم ، من كتبهم بالحيرة [3] » ؛ وأن النعمان ملك الحيرة كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطُّنُوج ، وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار [4] .

وثبت لدينا قطعاً ، من كتب بعض رجال الكنيسة ومن الموارد الاسلامية التي تحدثت عن فتوح العراق ، أن عرب العراق كانوا يكتبون ، وكانوا يتدارسون ، وكانوا يراجعون الكتّاب لتعلم الفارسية أو العربية فيه ، وأن كثيراً من أطفالهم كانوا يحسنون القراءة والكتابة ، كما وردت في الموارد الإسلامية نصوص قيل إنها كانت مدونة على جدران الكنائس والبيع ، زُعم أنها نقلت عن الأصل نقلاً تاماً ، وأن من نقلها إنما نقلها نصاً ، أي أنها كانت مدونة بهذه اللهجة العربية التي نزل بها القرآن الكريم . ومعنى هذا أن كتابات أهل الحيرة ، كانت

---

(١) الزهر (٢/٤٨٠) .
(٢) تجد الموارد مفصلة في تأريخ العرب قبل الإسلام (١/١٣)
(٣) تأريخ الطبري (٢/٣٧)
(٤) ابن جني : الخصائص (١/٣٩٣) ، تاج العروس (٢/٧٠) .

بهذه اللهجة العربية الفصيحة ، لهجة كتاب الله والشعر الجاهلي والإسلامي ، وبهذه الأبجدية التي كتب بها القرآن الكريم .

غير أننا لم نعثر حتى الآن على نص كتابي عربي في المناطق التي كان يسكنها العرب الجاهليون في العراق ، لا في الحيرة ولا في الأنبار ولا في عين التمر ولا في موضع آخر من المواضع التي كان ذوو أكثريها عرباً والنصوص الخمسة ، التي أشرت اليها آنفاً المدونة بحروف نبطية وبلهجة عربية شمالية، متأثرة بالإرمية ، قد عثر عليها كلها في بلاد الشأم فَلِمَ بخلت الحيرة والأماكن العراقية الأخرى علينا ، فلَمْ تترك لنا شيئاً مدوناً ، نكوّن منه فكرة علمية عن التدوين عند عرب العراق قبل الإسلام ؟

إن أخذنا بروايات أهل الأخبار وآمنا بصحة هذه النصوص التي زعم الأخباريون أنهم نقلوها عن أناس قرؤوها ، أو أنهم هم أنفسهم قرؤوها قراءة ، وجب علينا الإقرار بأن عربية أهل الحيرة هي هذه العربية الفصيحة ، بها كانوا يكتبون ، وبها كانوا ينطقون ، وأن أبجديتهم هي هذه الأبجدية العربية المعروفة غير أننا لتجاربنا السابقة مع روايات أهل الأخبار ، ولعلمنا بمبلغ علمهم بما كان قبل الإسلام ، لا نستطيع أن نؤمن بما زعموه ، ولا أن نقرر ما قرروه . فبطون كتبهم مملوءة بنصوص وبقراءات زعموا أنهم وجدوها مكتوبة على قبور جاهلية ، وعلى وجوه معابدهم وكنائسهم وهي في نظرنا مصنوعة منقولة ، لا شك في ذلك ولا شبهة ، لِما فيها من أمور أقل ما يقال فيها إنها من المصطلحات والتعابير التي ظهرت في الإسلام ، وإن أكثره من القصص المعروف الوارد عند أهل الكتاب ، قيل بأسلوب بدائي غير متقن ، وحمل على القدماء بطريقة ساذجة تتحدث بصورة واضحة عن فساد الصنعة والوضع ، أفلا تكون هذه النصوص المذكورة من نوع هذه النصوص ؟

ثم إننا لا نجد في مؤلف من المؤلفات الإسلامية التي وصلت الينا ما يفيد أن أحداً قد نقل شيئاً من مدون جاهلي ، أو قرأ فيه ، خلا ما ورد عن ابن الكلبي من أنه استخرج أنساب

آل نصر وتأريخ من حكم منهم ومدد أعمارهم وما الى ذلك من بيع الحيرة [1] ولكن ابن الكلبي في الأخبار ، مثل حمّاد في الشعر ، متّهم ، اتّهم بالتدليس وبالوضع ، ثم إنه لم يشر الى نقوله ولم يثبّتها ، وفي أكثر ما ذكره عن ملوك الحيرة آثار التردد والأخذ بالرواية لا النقل ، وهذا ما يحملنا على الشك في صحة ذلك القول لو كان لابن الكلبي نقل من كتب قديمة ووقوف على تواريخ مدونة جاهلية عربية عن الحيرة ، لكان ما ذكره وما دونه عن المناذرة شيئاً آخر غير هذا الذي بين أيدينا ، ولأشار في أثناء كلامه على هذه التواريخ الى أسماء الموارد التي نقل منها والى عناوين تلك المؤلفات على الأقل .

ثم لمَ انفرد ابن الكلبي بمراجعة البيع والأديرة ، يستخرج منها ما يشاء من تواريخ آل نصر ، دون أن يجاريه في ذلك أخباري آخر ؟ وقد كان بالكوفة كما نعلم نفر آخرون من الأخباريين ومن عشاق التأريخ قبل الإسلام ، وكل ما له صلة بالعرب وبالفتوح وبالأيام وبالقبائل أفلا يحملنا انفراد ابن الكلبي بهذه البيع ، واستئثاره وحده بها على الشك في صحة هذه الدعوى التي زعمها ، أو نسبت اليه ؟

وأنا لا أريد هنا الشك أصلاً في وجود شيء حيري مدوّن ، فقد كان الحيريون أصحاب مكاتب ومدارس ومؤلفات وهذا أمر ثابت لا يتطرق الشك اليه وإذن فلا بد أن تكون لهم كتابات ومدونات ، وتركة كتابية بقي قسم منها على الأقل في الإسلام فأين ذهبت تلك الكتابات ؟ ولِمَ لَمْ يقف أحد عليها فينقل منها ؟ وهل نقل أحد منها دون أن يكلف نفسه الإشارة الى المورد الذي نقل منه جرياً على طريقة أكثر المؤلفين في النقل ، مع تجنب الإشارة الى المورد الذي نقل منه ؟

الحق أن موضوع انصراف الناس عن الاستفادة من الموارد العربية الجاهلية الكتابية ، التي يتركها أهل الحيرة ان كانت موجودة حقاً ، موضوع محير غامض ، وسيبقى على غموضه هذا حتى يعثر المنقبون على كتابات كافية من أيام الجاهلية ، وعندئذ يستطيع الباحث إبداء رأي

---

(١) تأريخ الطبري (٣٧/٢)

علمي واضح فيه فلو كان لأهل الحيرة كتب مدونة بهذه الأبجدية التي كتب بها الكتاب المسلمون الأوائل القرآن الكريم ، وبهذه اللغة التي نزل بها الوحي ، لما ركها العلماء قطُّ ، وأعرضوا عنها إعراضاً قاسياً ، ومالوا الى الشيَبَة ورجال البادية يطلبون منهم أخبار الماضين من بدوٍ وحضرٍ فليس من المعقول أبداً أن يترك عالم باحث متعطش الى العلم الكتبَ ، وهي مرجعه في كل وقت ، لا يلتفت اليها ولا يحفل بها ، ليأخذ من أفواه أناس لا يعرف مبلغهم من العلم ولا درجتهم ومنزلتهم في الصدق والرواية وليس لهذا الإعراض من تفسير الا افتراضنا أن تدوين أهل الحيرة وعرب العراق عامة ، لم يكن بهذه اللهجة العربية التي نكتب بها ، ولا بهذه الأبجدية التي دون كتاب الله بها أولا ، وإنما كان بلهجة عربية أخرى ، أو بلغة بني إرم وبأبجدية بني إرم ، خاصةً أننا رأينا النصوص العربية الشمالية الخمسة التي عثر عليها في بلاد الشأم مدونة بلهجة عربية شمالية متأثرة الى حد كبير بلهجة بني أرم ، ومكتوبة بالأبجدية النبطية المتأخرة ، وأن اختلاف هذه اللهجة أو اللغة عن عربية القرآن الكريم ، واختلاف أبجديتها عن أبجديتها ، هو الذي حال بين أولئك العلماء وبين الاستفادة من تراث أهل الحيرة المكتوب

ومما يؤيد هذا الافتراض ويقوّيه ، أن لغة الثقافة في عهد ظهور الإسلام وما قبله ، كانت بلغة بني إرم وبقلمهم في العراق وفي بلاد الشأم ، حتى أن اليهود وغيرهم ممن كان لهم قلم خاص بهم في الماضي ، تركوا أقلامهم القديمة الى القلم الإرمي والى خطوط متأخرة نبعت من أصل هذا القلم فلا يستبعد أن يكون أهل الحيرة وبقية عرب العراق في ضمن من فعل ذلك ، ولا سيما أن معظمهم كانوا من المتنصرة ، وكانت ثقافة نصارى الشرق الأدنى ثقافة إرمية ، ولغتها الدينية والثقافية هي ثقافة بني إرم ولغتهم . وبهذه اللغة كتب علماء الدين والعلم في ذلك العهد وفي عهود الإسلام وقد تكون النصرانية هي التي حالت بين متنصرة العرب وبين استعمال المسند والخطوط المشتقة منه ، مثل الصفوية والثمودية ، باعتبار أن تلك الخطوط هي خطوط العرب الوثنيين ، وأن استعمالها من آثار الوثنية ورمز يشير اليها ، وأن قلم بني إرم هو قلم الأناجيل والكتب الدينية النصرانية التي كتبها رجال الدين ، فهو أولى بالكتابة لدى النصراني

من ذلك القلم الوثني ، ثم لقدسية هذا القلم ولقدسية تلك اللغة ثم إن الذين كانوا يلقنون الخط ويعلمون الكتابة ، هم من طبقة رجال الدين ومن المتدينين ، فهم لا يرغبون في تعليم الأطفال إلا بهذا الخط ، حتى صار الخط العام الشائع بين الناس ، كما صار الخط العربي الخط الرسمي للعرب وللمسلمين عامةً فيما بعد

ولكننا حتى لو أخذنا بهذا الافتراض وقلنا به ، لا ننجو من أسئلة عويصة قد توجه الينا ، منها : ألم تبق في أهل الحيرة بقية ظلت تقرأ وتكتب بهذا القلم الحيري في الإسلام ؟ ثم ألم يدخل في الإسلام كثير من أهل الحيرة كانوا يقرؤون ويكتبون وعلى جانب من العلم ؟ وكان في مقدورهم نقل ما عندهم من علم بأحوال العرب وبشعرها وأدبها الى العربية على الأقل ؟ فما الذي حال بينها وبين ذلك ؟ آلإسلام ، أم موانع أخرى غيره ؟

أما الإسلام ، فلا يمكن أن يكون هو الذي فرّق بين العرب وبين تلك الكتابات ، أو بينهم وبين التعريب والنقل ، ولا سيما تعريب ما كان خاصاً منه بالشعر وبأيام العرب وأخبارها وأنسابها ، ونقله فالإسلام نفسه ، هو الذي دون الشعر الجاهلي ، وسجل أخبار الجاهلية وأيامها وأنسابها وما الى ذلك مما يتعلق بتأريخ العرب قبل الإسلام ، وهو الذي نظر الى الشعر القديم على أنه ديوان العراب وسجل مآثرهم ومفاخرهم .

ثم إن الى خلفائه يرجع الفضل في العناية بجمع الشعر الجاهلي ، وتدوينه ، وتدوين أخبار ما قبل الإسلام ولو كان الإسلام يمحو كل شيء جاهلي ، لأمر بإغفال ذكر الأصنام واطراح الشعر الذي قاله المشركون في هجاء الرسول على الأقل . فليس الإسلام إذن هو الذي حال بين العرب المسلمين وبين الاستفادة من الكتابات الجاهلية ، بل لا بد من وجود أسباب أخرى حالت بين العرب وبين كتاباتهم فيما قبل الإسلام .

ونحن نأسف جداً على عدم وصول مرجع قديم الينا يمكن أن نستخرج منه تأريخاً علمياً واضحاً لتطور الشعر الجاهلي ، وحياة رجاله وصلاتهم بالآخرين ، وكيفية جمعه وتدوينه ، ومن قام بذلك في الجاهلية وفي الإسلام . نعم ، نجد في مقدمات كتب الشعر وفي كتب الأدب

واللغة شيئاً يتصل بهذا الموضوع ، غير أننا إذا ما تتبعنا تأريخ ورود هذا المدّون المذكور وأرتفعنا به حتى نصل به الى أصله ، نجده كله نقلاً أخذه التأخرون عن المتقدمين ، والمتقدمون عن طبقة أقدم ، حتى نصل الى مرجع واحد هو آخر سلسلة السند أخذوه دون أن يشيروا في الغالب الى المورد الذي نقلوا منه ، فتعددت طرق وروده في الكتب ، وكثرت رواياته فيها كثرة حملت المتأخرين على أعتبار الخبر الواحد أخباراً متعددة ، والرواية جملة روايات ، مع أنه في الأصل خبر آحاد ، صار في حكم المتواتر ، لوروده في موارد عديدة أهملت الإشارة الى الأصل . وتلك طريقة سار عليها المتقدمون ، أضاعت علينا ويا للأسف ثروة كبيرة من التراث العقلي عند العرب ، لضياع الأصول القديمة ، ومن الممكن الوقوف على نماذج عديدة منها بمراجعة نصوص كتب القدماء أو مطابقتها ومقابلتها بعضها ببعض ، مطابقة المتأخر منها بالمتقدم حتى نصل الى الأصل .

وما نجده في الكتب المذكورة عن الشعر الجاهلي ، مما ينطبق عليه هذا القول ثم إنه نتف مبعثرة ، بين نتفة وأخرى فجوات يصعب سدّها ، لبعدها أو سعة شقوقها ، وهي بمجموعها لا تكفي لتكوين رأي علمي مقبول في الموضوع

والشيء الوحيد الذي يمكن أن نقوم به الآن لتكوين رأي في تطور تدوين الشعر الجاهلي في الإسلام وكيفية جمع شتاته ، هو اللجوء الى كتب التراجم والأدب والشعر ، لأستخراج أسماء الرواة وحفظة الشعر القدماء ممن قاموا بجمع ذلك الشعر وروايته ، وترتيب تلك الأسماء بحسب التسلسل الزمني ، مع تسجيل ما رواه كل واحد منهم وما نسب اليه وأسانيد الرواية المدونة في مقدمات كتب الشعر وفي أبتداء الروايات والأخبار التي تخص الشعر ، هي مورد مهمّ جداً لمن يريد الوقوف على تدوين الشعر الجاهلي وعلى كيفية جمعه في الإسلام ، فعلينا توجيه أنظارنا اليها ، لنستعين بها إذن في تدوين هذا التأريخ وفي تصحيح كثير من الأخطاء الواردة عن هذا الشعر .

وتستلزم هذه الدراسة البحث عن كل ما يمكن الحصول عليه من الموارد ، للأستعانة بها في

هذا التبويب والترتيب . فعلى قدر عدد الموارد سيتوقف علمنا بتطور تدوين الشعر الجاهلي ، وبكيفية جمعه وظهوره ، ويهمنا من الموارد الموارد القديمة بصورة خاصة . وقد طبع من هذه بعض في مطابع أوربة ، وطبع بعض آخر في مطابع العالم العربي ، فمن اليسير ترتيب ما جاء فيها وتنظيمه . غير أن هذا المطبوع جزء من كل ، وفرع من أصل ، ولن يعبر جزء عن خصائص كل تعبيراً كاملاً إلا بالحصول على أكبر عدد ممكن من الأجزاء . وقد أشار القدماء الى أسماء مجاميع في الشعر الجاهلي ، جمعها متقدمو رواة الشعر وحفظته ، لم يصل خبرها الينا ، ومنها طائفة لم تعش زمناً طويلا ، ولم تعمر كثيراً ، فذهبت في الهالكين . وفي هذا الهالك أثمن الشعر وأغناه ، وأثمن روايات وأسانيد روايات ، لو كان قد كتب لها البقاء ، لكانت خير عون لنا ولا شك في كتابة هذا الفصل وأمثاله عن الشعر الجاهلي . وليس لنا ، وقد كتب علينا أن نحرم هذه الثروةَ القيمة ، إلّا أن نوجّه أنظارنا الى كلّ مكان ، لعلنا نعثر على شيء من هذا الضائع ، لنستفيد منه في تضخيم كمية الباقي من الشعر العربي القديم وفي توسيع معارفنا برواة الشعر وبحفظته في أيام صدر الإسلام

وما علينا في هذا المكان إلا أن نبدأ بقراءة أسماء قدماء الرواة وترتيبها على وفق الطريقة التي أشرت اليها ، وأقصد بالرواة هنا الرواة الذين عرفوا بانصرافهم الى رواية الشعر وحفظه وتدوينه واتخاذهم روايته حرفة وعملاً رئيساً لهم في حياتهم وإذا فعلنا ذلك وعملناه ، فسنقف في النهاية حتماً عند حافظ عدّ من أوسع الرواة القدماء في أيامه حفظاً للشعر ، وأكثرهم رواية له ، فنعتوه بالراوية ، ولزمه هذا النعت في حياته وبعد موته ، حتى صار لايعرف إلّا به ، وهذا الرجل الذي أقصده هو حماد الراوية .

ولا يعني تقديمنا حمّاداً على غيره في رواية الشعر خلوّ الأرض في أيامه من رواة آخرين ، ونفي وجود رواة آخرين عند العرب قبل أيامه ، فقد أخرجت الكوفة والبصرة في أيامه جملة رواة للشعر عرفوا باشتغالهم برواية الشعر وبسعة علمهم بشعر العرب القديم وقد اشتهروا أيضاً وتركوا لهم أسماء ما زالت باقية معروفة . وقد كان للعرب رواة قبل حمّاد ، بل كان أكثر شعراء

الجاهلية في الابتداء رواة اختصوا بشعر شاعر واحد فحفظوا كل شعره ، ومنهم من لازمه ورافقه في حلّه وترحاله . وكان منهم من حفظ شعر جملة شعراء ، أو شعر شعراء قبيلة كاملة ، أو جملة قبائل ، فهم دواوين حيّة متحركة ، إن أردت منها شعراً ، فما عليك إلا أن تسأل فتجاب جواباً مسموعاً ، فلا تحتاج إلى فتح صحيفة أو بحث عن فهرست . إنما قدمنا حمّاداً لسبب آخر ، هو إحاطته بشعر شعراء الجاهلية ، وحفظه له ، واملاؤه على الآخرين ، وتدوينه في مدونات هي أول مدونات للشعر ظهرت في الإسلام على ما يذكره أهل الأخبار . فاستحق هذا التقديم على غيره ، لصلته هذه بتدوين الشعر الجاهلي ، ولإحاطته بأكثره

ومن حق حمّاد أن يطالبنا بإدخال اسمه في قائمة الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين ، فله في كتب الأدب والأخبار شعر متين جميل ، شعر يؤهله لأن يكون في تلك الطبقة ، ثم إنه أضاف الى الشعر الجاهلي ما شاء الله أن يضيف وهذا الذي أضافه ، هو من الشعر المتين الرصين الذي يصوّر شاعرية حمّاد وتمكنه من فنون الشعر ، يضاف الى ذلك كله بديهته السريعة في نظم الشعر ، ولا تكون لأحد هذه البديهة ما لم يكن شاعراً مطبوعاً متمكناً من الشعر محيطاً باللغة ماسكاً بزمامها يصوغ منها ما يشاء بكلام موزون رصين فمن حقنا ومن حقه أيضاً إدخاله في زمرة الشعراء المتصدرين للشعر في أواخر عهد الأمويين وأوائل خلافة العباسيين .

وحمّاد هذا هو واحد من جماعة ظهرت في العصر الأموي المتأخر وفي العصر العباسي الأول ، وعنيتْ بالشعر العربي القديم وبلهجات العرب وأيامها وأنسابها ، وهي من أصل غير عربي فأبوه أبو ليلى المعروف بميسرة أو سابور « شابور » هو من سبي الديلم ، سباه مكنف ابن زيد الخيل الطائي أو ابن عروة بن زيد الخيل ، ووهبه لابنته ليلى تخدمها خمسين سنة ، حتى إذا ماتت بيع بمئتي درهم ، فاشتراه عامر بن مطر الشيباني وأعتقه ، فصار ولاؤه مذ ذلك الحين في بني شيبان [1] . وليس في الذي بين أيدينا شيءٌ مهم عن بدء حياة حمّاد وقد اختلف من تعرض لأمر مولده في سنة ولادته ، فذهب بعضهم إلى أنها كانت في سنة خمس وسبعين

(١) الفهرست (ص ١٣٤ وما بعدها) ، ابن خلكان (١/٢٠٥) ، في ترجمة حماد

للهجرة [1] ، وذهب آخرون الى أنها في سنة خمس وتسعين ، والفرق بين الرقمين كما ترى ليس بقليل . كذلك أختلفوا في سنة وفاته ، فذهب بعضهم الى أنها كانت سنة ١٥٦ للهجرة ، وذهب آخرون الى أنها كانت بعد ذلك بسنوات [2] . ولا نجد في كتب الأخبار شيئاً عن طفولة هذا الراوية ونشأته ، ولا عن كيفية تثقفه وتعلمه العلم في الكوفة احدى عاصمتي العلم في العراق يومئذ ومنافسة البصرة في علوم العربية والدين

ويعدّ الهيثم بن عدي ، وهو من الأخباريين المعروفين ، من أخبر الناس وأعلمهم بأحوال حمّاد ، فقد كان راويته . وقد أستفاد من أخباره عنه أكثر من تعرض لأمره ، ومنهم أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني في الفصل الذي كتبه في حمّاد [3] . وقد أضاف الأصبهاني أخباراً أخرى وردت في موارد أخرى عن حمّاد الى هذا الذي أستقاه من روايات الهيثم ، وكون من مجموع ذلك هذا الفصل الذي دونه عنه ومن حسنات هذا الفصل أنه أحتفظ بالطابع العربي القديم في أسلوب تدوين الخبر ، وأعني به ذكر السند ، فأفادنا بذلك كثيراً ، إذ عرفنا على رجال عاصروا حمّاداً ، أو أدركوا أيامه ، فرووا ما رووه عنه ومنهم من كان يتحامل عليه حسداً له ، لكونه من أهل صنعته وحرفته ومنافسيه في هذا الميدان ، ويظهر هذا التنافس واضحاً في أقوالهم فيه ، كما نجد لوناً من المديح والمبالغة في الإطراء في طابع بعض الروايات يجب الأنتباه اليه أيضاً ومناقشته ، وهو يرجع في سنده الى حمّاد نفسه أو أشخاص عرفوا بحبهم وبتحمسهم له

والرواة الذين ينتهي سند الأصبهاني بهم في فصله هذا في حمّاد ، هم أناس معروفون مشهورون ، فيهم العالم والراوية والشاعر ، ومنهم من هو صاحب جملة مؤلفات ، وهم :

---

(١) الفهرست (ص ١٣٤)

(٢) ابن خلكان (٢٠٧/١) ، وورد في لسان الميزان « ومات حماد الراوية سنة ٦٤ » ، (٣٥٣/٢) الترجمة رقم ١٤٢٤ ، فلعله قصد سنة ١٦٤ للهجرة وهي في سني خلافة المهدي وفي الروايات أنه توفي في خلافة المهدي ، أو أنه قصد مولده ، فيكون بذلك قد أضاف اليه عمراً طويلا

(٣) « أخبار حماد الراوية ونسبه » ، وتجدها في الجزء السادس من طبعة دار الكتب المصرية في الصفحة (٧٠) وما بعدها .

الأصمعي ، ولقيط ، ومروان بن أبي حفصة ، وأبو عمر الشيباني ، وإبراهيم بن عمرو العامري ، وحماد بن إسحاق عن إسحاق أبيه ، ومحمد بن أنس ، والعتبي ، وأحمد بن أبي طاهر ، وأبو عثمان اللاحقي ، وبشر بن المفضل بن لاحق ، وأبو عبد الله الفهمي ، وأبن النطاح ، وصالح بن سليان ، والمفضل الضبيّ ، والسعيدي ، وأبو إياد المؤدب ، وخلف الأحمر ، والسوّر المنزي ، والمدائني ، واسحاق الموصلي ، والطِرِمّاح . وكل هؤلاء من أعيان أهل الأدب وعلوم اللغة في ذلك الزمان

ومما يؤسف عليه حقاً ، هو أن حمّاداً الراوية ، أو غير حمّاد ممن رووا عنه ، لم يشيروا الى الموارد التي أخذ حمّاد منها هذا الفيض من الشعر ولو ذكر حمّاد أو غيره سند حمّاد ومورده عن القدماء ، لأفدنا ولا شك بذلك كثيراً ، إذ يكون في مقدورنا التوصل الى معرفة الأشخاص الذين كان لهم فضل حمل هذه الثروة العظيمة من ذلك الشعر ومما يؤسف عليه أيضاً هو أن معظم دواوين الشعراء الجاهليين لا يرتفع سندها الى رواة يتقدم عهدهم على عهد حمّاد ولو ارتفعت ، لأستفدنا منها بالطبع كثيراً في معرفة أسماء رواة الشعر الجاهلي وحفاظه وجامعيه وكتبته قبل أيام حمّاد ، ولعرفنا بذلك شيئاً عن الموارد التي أخذ منها هذا الراوية ذلك الكنز الثمين

والبحث في الأسباب التي حملت حمّاداً على الاهتمام بحفظ الشعر وجمعه ، من الأمور الضرورية اللازمة بالنسبة الى دراستنا هذه ، غير أننا لا نجد في المؤلفات التي وصلت الينا شيئاً يفيدنا في هذا الباب . نعم ، نجد في كتاب الأغاني رواية ينتهي سندها بأبن النطّاح ، هذا نصها : « كان حمّاد الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على رجل ، فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حمّاد ، فأستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيّام الناس ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ [1] » . غير أني أعتقد أن هذه الرواية صادرة من منافسي حماد ومبغضيه [2] ، ولهذا

(١) الأغاني (٦/٨٧)

(٢) The Mufaddaliyat, by Charles James Lyall, Vol., II, oxford, 1918, P. XIII

يجب نقلها بحذر ، إذ لا نجد في الأخبار الواردة عنه ما يؤيدها ويسندها ، لا اشارة ولا تلميحاً ، ولا يعقل وقوع ذلك من مثل حمّاد .

وكلّ من تحدث عن حمّاد من مبغض ومحبّ ، مجمع على سعة حفظ حمّاد للشعر وإحاطته به وحفظه هذا الشعر هو الذي وسمه بسمة عرف بها طَوالَ حياته وبعد وفاته ، حتى صار لا يعرف إلّا بها ، هي : « الراوية » ، فقيل له حماد الراوية .. ولو جرّد حمّاد من هذا النعت ، لما صار في الإمكان التعرف عليه قيل إن الخليفة الوليد بن يزيد قال لحماد الراوية : بم أستحققت هذا اللقب ، فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلّا ميزت القديم منه من المحدث فقال : إنّ هذا العلم وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد . فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من أستخلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسع مئة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمئة ألف درهم [1] »

وفي الأغاني خبر آخر منسوب الى شاعر معروف ، هو مروان بن أبي حفصة ، وهو من الشعراء المشهورين في العصر العباسي ، فيه ما في الخبر المتقدم من إشادة بسمة حفظ حمّاد وبسعة علمه بالشعر ، وهذا نصه : « دخلت أنا وطريح بن اسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، وهو في فُرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حمّاد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد

(١) الأغاني (٦/٧١) ، ابن خلكان (٥/١٢٠ وما بعدها) .

أنشده ، قلت : ما كلام هـذا في مجلس أمير المؤمنين ، وهو لحنـة لحـانة ؟ فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا ابن أخي ، إني رجل أكلم العامـة فأتكلم بكلامها ، فهل روي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر كلّـه إلّا شعر ابن مقبل ، فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل ، قال : أنشد ، فأنشدته قوله :

سل الدار من جَنْـبي حِـبَرٍ فواهبٍ ... إذا ما رأى هَضْـبَ القَـليب المُـفجع

ثم جزت ، فقال لي : قف ، فوقفت ، فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حمّـاد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب يقال : راءى الموضمان إذا تقابلا [1] » .

وللهيثم بن عدي خبر آخر من هذا النوع يشيد فيه بعلم حماد بالشعر وبسمة حفظه له [2] . وهناك أخبار أخرى في سمة حفظ حمّـاد للشعر ، مدونة في كتب الأدب ، قد يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع [3]

وقد عرف حمّـاد كذلك بسـعة علمه بالعربية ، فقالوا إنه « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسـابها ولغاتها » وورد عن الهيثم بن عـدي قوله فيه : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمّـاد [4] » ، والهيثم كما قلت راويته وصاحبه . وروي أن عمرو بن العلاء كان يقـدم حمّـاداً على نفسه ، وكان حماد يقدم عمراً على نفسه [5] ، وعمرو بن العلاء نفسه من شيوخ علماء العربيـة في ذلك العهد غير أن هنالك أخباراً تزعم أنه كان « قليل البضاعة من العربية » ، وأنه كان لحاناً ، وأنه « حفظ القرآن الـكريم من المصحف ، فصحف في نيف وثلاثين حرفا [6] » ، وأنه قرأ « الغاديات ضبحا » (بالغين المعجمة) ، فسمي به الى عقبة بن

(١) الأغاني (٧٢/٦) ، (٢) المصدر نفسه

(٣) الأغاني (٢٠٩/٢ وما بعدها) ، (٤٥/٧ ، ٥٦ وما بعدها) .

(٤) « قال الهيثم : ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد » ، الأغاني (٧٠/٦ ، ٧٣)

(٥) « حدثني أبو عمرو الشيباني ، قال : ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه » ، الأغاني (٧٣/٦)

(٦) ابن خلـكان (٢٠٧/١) .

مسلم بن قتيبة الباهلي ، فامتحنه بالقراءة في المصحف ، فصحف في عدة آيات [1] . ولا يستبعد وقوع اللحن منه ، إذ كان من الموالي ، وقد وقع اللحن من عرب خلص ومن أنبل الأسر العربية ومن بعض كبار رجال الدولة في ذلك العهد . غير أن في هذا الوارد عن قلة بضاعته في العربية وفي كثرة لحنه وتصحيفه في القرآن الكريم ، مبالغات وزيادات ، وضعها عليه حساده ومنافسوه ولا شك [2] ؛ إذ لا يعقل وقوع مثل هذه الأغلاط الشنيعة من رجل وصل الى الخلفاء برواية الشعر وبتفسيره وتفسير غريبه ، وعرف بين العلماء بسعة علمه بلغات العرب ، حتى كانوا يلجؤون اليه في حل مشكلها وغريبها . ولو كان على مثل ما ذكر من اللحن في الكلام والتصحيف فيه ومن قلة بضاعته في العربية ، لما وصل الى الوليد بن يزيد والى هشام [3] والى خلفاء آخرين ، وقد كانوا لا يختارون في الشعر واللغة إلا الفطاحل القديرين . قال المدائني : « وكانت ملوك بني أمية تقدمه ، وتؤثره ، وتستزيده ، فيفد عليهم ، ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون صلته [4] »

---

(١) ابن خلكان (٥/١٢٩) « حاشية رقم ١ » ، « طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعي » ، « حدثني محمد بن الهيثم المقرىء الكوفي قال : جاء حماد الراوية الى الكميت ،فقال : أكتبني شعرك قال : أنت لحان ولا أكتبك شعري » الموشح للمرزباني (ص ١٩٥) « القاهرة ١٣٤٣ »

(٢) يذكر الأخباريون رواية ينتهي سندها الى حماد تفيد أن الخليفة هشاماً لم يكن يرتاح من حماد ، لانصراف حماد الى الوليد ، وأن حماداً اختفى عن الناس وانزوى خوفاً على نفسه من هشام حين انتقلت الخلافة اليه غير أن هشاماً طلبه ، فجيء به اليه ، ليسأله عن شعر خفي عليه وخفي على كل أحد ممن كانوا عند الخليفة وما كان في وسع أحد غير حماد معرفة صاحبه فلما أحضر الى الخليفة ، وألقى عليه الشعر ، قال في الحال : إنه للشاعر عدي بن زيد العبادي ، وإنه من قصيدة سرد بقية أبياتها عليه فسر الخليفة بذلك كثيراً ، ومنحه جاريتين ومالا كثيراً . ابن خلكان (٥/١٢١ وما بعدها) وفي هذه الرواية خطأ ، اذ ذكر أن الوالي الذي أرسل الخليفة اليه أن يقبض على حماد ويرسله اليه ، هو يوسف بن عمر ، وهو مما يتعارض مع أيام حكم هشام ، اذ كان الوالي خالد بن عبد الله القسري المصدر نفسه وفي الخبر تكلف ظاهر واضح ، وهو على كل حال من الأخبار المنسوبة الى حماد

(٣) إرشاد الأريب (٤/١٣٧) « طبعة مرجليوث »

(٤) ويمكن حمل قول يونس بن حبيب : « العجب لمن يأخذ عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر » ، (الجمحي : طبقات ص ١٥ هذا المحمل ، وقد كان من البصريين) « فانى نشك في أن الروايات التي تزعم أنه كان لحاناً إنما نشأت من التأثر بالخصومة واللدد ، وأن كلمات يونس تعبر عن قصد السوء من قبل البصريين في خصومهم الكوفيين » ، يوهان فك : العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، تعريب الدكتور =

وقد كان الخليفة الوليد بن يزيد يعطف على حمّاد كثيراً ، ويشمله برعايته ، ويجالسه ، ويتباحث معه في الشعر . وقد كانت إحاطة حمّاد بالشعر هي السبب في تقديمه الى الخليفة ، إذ كان الوليد من العاشقين للشعر ومن الواقفين عليه والمعروفين بسعة العلم به ، وكان هو نفسه شاعراً مجيداً [1] . وقد ذكر عنه أنه كان يمتلك ديواناً فيه أشعار الفحول ، أو جملة دواوين جمعت أشعار العرب وفي الفهرست لابن النديم إشارة الى وجود هذه الأشعار لدى الوليد ، غير أنها لا تخلو ويا للأسف من إبهام وغموض ، هذا نصها : « قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة ، قال أبو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ورد الديوان الى حمّاد وجنّاد [2] » ولو أفصح ابن النديم وتوسع في تفسير هذه الجمل ، لأفادنا كثيراً في شرح ما خفي علينا من موضوع تدوين الشعر الجاهلي وكيفية ابتداء أمره في الإسلام .

ولم أجد في الدواوين التي وصلت الينا أو في كتب الأدب اشارات الى اقتباس رواة الشعر وحفظته وجماعه والمعنيين به من هذا الديوان ، ولا وصفاً ما لمحتوياته وما كان بين دفتيه من قصائد وأشعار . ولو وصل الينا شيء من هذا ، لأفادنا ولا شك كثيراً في التعرف على ذلك الديوان الملكي الذي يجب أن نعدّه أول ديوان شعر عربي وصل خبره الينا بكل تأكيد حتى الآن .

ولم أجد في الكتب المطبوعة التي تحدثت عن حمّاد ما يفيد اشتغال حمّاد بتدوين الشعر وإثباته في دواوين . وفي الفهرست عبارة تقطع بعدم ورود كتاب ولا ديوان كان من تأليف حمّاد أو جمعه ، إذ يقول : « ولم يُرَ لحمّاد كتاب ، وإنما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب

= عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١ (ص ٦٢ وما بعدها) . وقد جعل يوهان فك سنة وفاة يونس بن حبيب (١٥٥ للهجرة) ، أما صاحب الفهرست فيذكر أنها سنة (١٨٣ هـ)

(١) جمع شعر الوليد بن يزيد ورتبه المستشرق الايطالي ف جبريالي ، ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م بعنوان « ديوان الوليد بن يزيد » ، وقدم له الأستاذ خليل مردم بك .

(٢) الفهرست (ص ١٣٤) ، في ترجمة عوانة بن الحكم .

بعده [١] » . ويفهم بالطبع من كلام أبن النديم هذا أن حمّاداً كان راوية حسب ، يروي للناس ما حفظه من شعر دون أن يعتني هو نفسه بإثباته لما يحفظه في حروف وكلمات غير أنه يجب الأحتراز كثيراً في الأخذ برواية أبن النديم هذه ؛ إذ لا يعقل إهمال حمّاد ترتيب ما كان يحفظه من شعر كثير ، وتدوينه وإملاءه وقد أهمل أبن النديم أسماء كتب عديدة لمؤلفين معروفين ، كما ذكر أسماء علماء لم يشر الى مؤلفات لهم ، مع أن غيره أشار الى مؤلفاتهم فلا أستبعد أن يكون قول أبن النديم هذا من هذا القبيل

ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده ، ما ورد في مختارات أبن الشجري عن أبي حاتم السجستاني من وجود كتاب لحمّاد الراوية ، إذ قال : « قال أبو حاتم : هـذا آخرها ، وفي كتاب حمّاد الراوية زيادة » ، وقوله : « قال السجستاني : وفي كتـاب حماد الراوية زيادة بعـد هذا البيت أربعة أبيات ، كتبنها ليعرف المصنوع [٢] » وقد أورد أبن الشجري قولي السجستاني عند ايراده شعر الحطيأة . وكان السجستاني قد أشار الى كتاب حمّاد هذا ، لوجود أبيات فيه لم يجدها في رواية الأصمعي التي أعتمد عليها لشعر الحطيأة وقد أورد تلك الزيادات ، ذاكراً أنها مع ذكره لها من المصنوعات المردودات [٣]

وقـد ذكر بعض من ترجم لحماد ومن بحث في المعلقات جملاً تفيدنا في التعرف على الأشعار التي أشتغل بها حمّاد . ذكروا أن أبا جعفر أحمد بن محمد النحاس قال في أثناء كلامه على المعلقات السبع : « إن حمّاداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الـكعبة » [٤] . وإذا صح هذا الخبر فانه يكون أقدم ما وصل الينا من نقد عن جمع هذه المعلقات .

(١) الفهرست (ص ١٣٥) « أخبار حماد »

(٢) مختارات ابن الشجري : القسم الثالث (ص ١٢ ، ١٦) ، « تحقيق محمود حسـن زناتي » ، القاهرة ١٩٢٦

(٣) المورد المذكور

(٤) إرشاد الأديب (٤/ ١٤٠) . وقد ترجمت المعلقات الى الفارسية ، ترجمها وشرحها رشيد الدين ، وطبعت في سنة ١٢٦٤ هـ

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس [١] صاحب الخبر المتقدم ، هو نفسه من شارحي الملقات السبع ومن المعروفين بسمة العلم بعلوم العربية وبالشعر ، فله كتاب في أخبار الشعراء وآخر في معاني الشعر ، وقد عرف شرحه للمعلقات السبع بـ : « كتاب شرح السبع الطوال [٢] » ، ومنه نسخة مخطوطة في خزانة كتب آل باش أعيان في البصرة ، وقد صورها المجمع العلمي العراقي على « فلم » في جملة ما صوره من المخطوطات ، وحفظه في خزانة كتبه .

ويلاحظ أن رواة الملقات السبع وشارحيها ، سكوت في إرجاع سند روايتها الى حمّاد وهذا مما يحملنا على التفكير في الأسباب التي حملتهم على إغفال اسمه وعدم الإشارة اليه في مقدمات الملقات : هل تعمدوا ذلك ؟ أو لم يتعمدوه ؟ وإنما أهملوه لأن حمّاداً لم يكن في نظرهم الجامع الحقيقي لها ، وإنما كان راوياً لها ، رواها للناس ، ولم يُملها عليهم في مجالس معينة أو يجمعها لهم في مجموع ، ولهذا أهملوا الإشارة الى اسمه ، وأن ما ذكره النحاس عن جمعه لها لم يكن يقصد به المعنى المفهوم ؟ أو أنهم أهملوه لكي لا يتعارض ذلك مع ما استقر في أذهانهم من أنها كانت مكتوبة بالذهب ، وأنها كانت معلقة على الكعبة قبل الإسلام .

والملقات هي من أشهر ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ويرى « بروكلمن » أن لفظة « الملقات » هي التي أوحت الى أهل الأخبار قصة تعليقها على الكعبة في الجاهلية ، وعدّها القصائد المختارة من الشعر الجاهلي والمذهبات [٣] وهو يرى أن جامعها حمّاداً هو الذي أشاع عنها ذلك القصص والعلماء مختلفون في القصائد التي تعد من الملقات وفي عددها ، ولكنهم متفقون على خمس منها ، هي معلقات امرىء القيس وطَرَفة وزُهير ولَبيد وعَمْرو بن كلثوم

(١) توفي سنة ٣٣٧ للهجرة بمصر ، إرشاد الأريب (٢/٧٢)

(٢) إرشاد الأريب (٢/٧٣)

(٣) « وكانت الملقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته » ، خزانة الأدب (١/١١)

أما بقيتها ، فنهم من يعد من بينها معلقة عنترة والحارث بن حلزة ، ومنهم من يدخل فيها [1] قصيدتي النابغة والأعشى وقد أضاف بعض العلماء القصيدتين اللتين أختارها المفضل الضَّبِّيُّ ، وهما قصيدتا النابغة والأعشى ، الى المعلقات السبع التي هي من أختيار حماد ، فجعلها تسع معلقات . ويرى « نولدكه » أن لولاء حمّاد لبكر بن وائل علاقةً بعدم إدخال حماد قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري في جملة المعلقات ، وفي إدخاله قصيدة عمرو بن كلثوم في جملتها [2] .

ويفهم من خبر مذكور في (خزانة الأدب) أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر فطرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة [3] . ومعنى هذا الخبر هو وجود المعلقات قبل أيام عبد الملك وفي الكتاب خبر آخر هو أن بعض أمراء بني أمية أمر من أختار له سبعة أشعار ، فسماها المعلقات [4] ، ولم يعين المورد الشخص الذي أمر بأختيار تلك الأشعار ، ولا الشخص الذي قام بالأختيار ولعله قصد الوليد وحمّاداً ، فاليهما ينصرف الذهن ، لما للوليد من ولع بالشعر ، ولما لحمّاد من علم به وقد رأيت النحاس وقد نسب الى حمّاد أختيار المعلقات ، وأن الأخباريين قد أشاروا الى وجود ديوان شعر مختار لشعراء العرب كان عند الوليد .

وسند رواية البغدادي صاحب خزانة الأدب ، عن طرح عبد الملك شعر أربعة شعراء وإثباته شعر أربعة غيرهم في محلهم ، هو خبر منسوب الى ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة ، أي بعد وفاة حمّاد بأمد ، خلاصته : أن أول شعر علق في الجاهلية شعر أمرىء القيس ، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أُحدِر ، فعلقت الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا أن عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة . وقد رجح الرافعي ذاكر هذا الخبر رواية

---

(١) الرافعي : تاريخ آداب العرب (٣/١٨٦)

Brockelmann, I, S. 18, cha. J. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry, London, 1885.

(٢) Brockelmann, I, S. 18.

(٣) خزانة الأدب (١/٦١) (٤) المصدر

أبي جعفر النحاس عن المعلقات على رواية أبن الكلبي ، وذهب الى أن خبر طرح عبد الملك شعر الشعراء الأربعة وإثباته شعر أربعة شعراء آخرين خبر موضوع ، مؤيداً رأيه هذا بإغفال أكثر العلماء المعروفين لتلك الرواية وعدم اشارتهم اليها في أثناء كلامهم على المعلقات [1].

وهناك علماء آخرون غير أبي جعفر النحاس قاموا بشرح المعلقات وبتفسير غريب ما ورد فيها [2] ، طبع بعضها ، وما زال بعض آخر ينتظار الطبع [3] ومن هذه الشرح المطبوعة : شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد (علي) بن الحسين الزوزني المتوفى سنة ٤٨٦ للهجرة . وقد تناول شرحه معلقات الشعراء : أمرىء القيس وطرفة بن العبد البكري وزهير بن أبي سُلمى ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحارث بن حلزة اليشكري ، ولم يشر الزوزني في مقدمة شرحه الى سند تلك المعلقات ، كما أهمل الخطيب التبريزي « ٥٠٢ هـ » هذا السند كذلك [4] .

وإهمال رواة المعلقات ونساخها وشرّاحها لسندهم ، خسارة كبيرة بالنسبة لنا ، اذ حرمنا معرفةَ أقدم رواة تلك المعلقات وتتبعَ سلسلة الرواة حتى حمّاد وما قبل حمّاد والغريب أن أغلب من شرح تلك المعلقات أو من دونها وجمعها ، لم يصل سنده بحمّاد ، مع أن حمّاداً هو الجامع لها على ما يظن ، كما أنه لم يسق سنده الى غير حمّاد ممن عاشوا في ذلك العهد وعرفوا برواية الشعر الجاهلي .

وقد عرفت المعلقات أيضاً بالسبع الطوال وبالسموط وبالسبعيات ، والتسميتان الأوليان هما

(١) الرافعي : تاريخ آداب العرب (٣/١٨٧)

(٢) شرح ابن كيسان المتوفى سنة ٣٢٠ للهجرة ، ومنه نسخه برقم ٨٠٠ في المكتب الهندي بلندن : Loth, Catalogue of the Arabic mss. In the Library of the India : راجع India office office, London 1877.

وشرح المصري ، ومنه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، وهي برقم : Paris 3278 ، ونسخ خطية أخرى . راجع : Brockelmann, I, S. 18. F.

وشرح أبي علي الثعالبي المتوفى سنة ٣٥٦ للهجرة ، وأبي بكر البطليوسي والدميري ، (الرافعي : تأريخ آداب العرب ٣/١٩٣)

(٣) Brockelmann, I, S. 18. f.

(٤) شرح القصائد العشر ، القاهرة ١٣٦٩

من تسميات حماد [1] . ويلاحظ أن علماء الشعر مغرمون بعدد السبعة ، وأن نظام انتقائهم للأشعار قائم على سبع فالمعلقات سبع ، والمجمهرات سبع ، ومنتقيات العرب والمذهبات التي هي للأوس والخزرج خاصة سبع كذلك ، وعيون المراثي سبع ، ومشوبات العرب وهي التي شابهن الكفر والإسلام سبع كذلك ، والملحمات سبع أيضاً ومجموع هذه الاختيارات تسع وأربعون [2] . وهي حاصل هذه المجموعات السبع التي تتألف كل مجموعة منها من سبعة أشعار .

وهذا التقسيم السبعي لا بد أن يكون له أساس ، فليس من المقول أن يكون اعتباطياً وعلى غير أساس . والمعروف أن التقسيم السبعي ، أو النظام السبعي ، تقسيم قديم يعود الى سنين طويلة قبل الميلاد فالسماوات والأرضون سبع ، والكواكب السيارة سبعة ، والأنغام الموسيقية سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة وقد يكون هذا التقسيم هو الذي حمل حماداً على اختيار السبع المعلقات ، وحمل غيره على بقية الاختيارات .

والذي أراه أن حماداً إنما أخذ اختياره من هذه الآية : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم [3] » وقد ذهب المفسرون الى أن السبع المثاني هي السبع الطوال ، وهي السور السبع من أول القرآن [4] ، ولاسيما أن رأي علماء الشعر أن المعلقات السبع هي السبع الطوال من الشعر الجاهلي ومن هذا أطلق حماد على اختياراته « السبع الطوال [5] » .

ولا بأس هنا من إيراد رأي خلص اليه (الرافعي) عن المعلقات السبع ، أورده بنصه للوقوف عليه ، قال :

« خلص لنا مما تقدم أن حماداً هو أول من اختار السبع الطوال وشهرها بين الناس ، وأن ابن الكلبي هو الذي ذكر خبر تعليقها على الكعبة ، وهو قد علل ذلك بأن العرب

(1) الرافعي : تأريخ آداب العرب (٣/١٨٩) (2) المصدر نفسه (٣/١٩٠) .
(3) سورة الحجر الآية ٧٨
(4) تفسير الطبرسي (٣/٣٤٤)
(5) الرافعي : تأريخ آداب العرب (٣/١٨٩) .

ينظروها في الوسم ، ثم ينزلوها أو يسقوها ، وأن من عدا ابن الكلبي ممن هم أوثق في رواية الشعر وأخبارهم لم يذكروا من ذلك شيئاً ، بل جملة كلامهم ترمي الى أن القصائد لم تخرج عن سبيل ما يختار من الشعر ؛ وأن المتأخرين هم الذين بنوا على خبر التعليق ما ذكروه من أمر الكتابة بالذهب أو بمائه في الحرير أو في القباطي ؛ وأن العرب بقيت تسجد لها ١٥٠ سنة حتى ظهر الإسلام ، مع أن امرأ القيس لم يفته الإسلام بأكثر من مئة سنة ...

وأعجب شيء أنك لا ترى في كلام أحد من الصدر الأول من لدن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما يشير الى ذلك الخبر ، مع أنهم تكلموا في الشعر والشعراء وفاضلوا بينهم ، وورد في الحديث كلامهم عن امرىء القيس وعنترة ، وكل ذلك مما يدل على أن ذلك التعليق إنما كان بحبل التلفيق [1] »

ولحماد ولموضوعنا هـذا عن الديوان الذي كان عند الوليد ولدواوين الشعر ، صلة وعلاقة بموضوع ديوان شعر جاهلي زعم أنه كان في الجاهلية فلما كان الإسلام ، انتقل ذلك الديوان أو ما كان منه الى بني مروان ، فصار اليهم ، وكان السبب في تفوق أهل الكوفة على غيرهم في الشعر ولأهمية هذا الخبر أسوق ما ورد عنه بنصه للوقوف عليه .

وأبدأ برواية ذكر سندها على هذا النحو : « حكى ابن جني قال : أخبرنا أبو صالح السليل ابن أحمد بن عيسى بن الشيخ قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال : حدثنا محمد بن يزيد بن ربّان قال : أخبرني رجل عن حماد الراوية قال : أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، يعني الكراريس ، فكتبت له ، ثم دفنها في قصره الأبيض فلما كان المختار بن الوليد ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة [2] ».

ويلاحظ أن الراوية الأخير لهذا الخبر ، وهو محمد بن يزيد بن ربّان ، أهمل ذكر اسم

(١) الرافعي : تأريخ آداب العرب (٣/١٩١ وما بعدها)

(٢) تاج العروس (٢/٧٠)

الرجل الذي أسند الخبر الى حماد ، ولم يشر اليه ، ولهذا الإهمال بالطبع أهمية عند نقدة الأخبار والروايات

وأثنّي على هـذا الخبر بخبر رواه الجمحي في أسـباب هلاك أكثر الشعر الجاهلي وذهابه ، وقـد أشار في آخره الى وجود ديوان شعر جاهلي كان عنـد النعمان بن المنذر . والخبر مقطوع السـند ويا للأسف ، وأرى أنه حاصل خبرين : خبر منسـوب الى عمر بن الخطاب ، وخبر آخر أدخل فيه أرى أنه مأخوذ من ذلك الخبر الذي أشـرت اليه آنفاً ويرجع سنده الى حماد ، أدخله الجمحي أو غيره في نهايـة ذلك الخبر ، لِما له من علاقة به ، فصار كأنه جزء منه قال الجمحي :

« وقال ابن عوف عن ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم أصح منه ، فجاء الإسـلام ، فتشاغلت عنـه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يكلوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم منه أكثره . وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه [1] » .

وقد سكت الخبر الأول كما نرى من نصه عن الجهة التي دخل الديوان المزعوم في ملـكها ، أما الخبر الثاني ، فقد نص على انتقاله الى آل مروان ، غير أنه لم يشر الى كيفية انتقاله اليهم والى من انتقل اليه ، وقد سكت الخبران عن مصيره النهائي وكأنهما لم يشيرا لا تصريحاً ولا تلميحاً الى أحد قرأ فيه أو نقل منه ، لا من الخلفاء ولا من الرواة والعلماء ، ولا أي أحد آخر لا في زمان الأمويين ولا في زمان العباسـيين ولا في الأزمنـة الأخرى فأين ذهب يا ترى ذلك الديوان ؟ ولِمَ لَمْ ينقل منه أحد ؟ ولم لم يشر الى وجوده شخص آخر غير حماد ؟

(١) الجمحي : طبقات الشعراء (ص ١٠) ، السيوطي : المزهر (٢/٤٧٣) .

ولم أعثر حتى الآن على خبر آخر يفيد علم أحـد من المتقدمين على حمّاد بوجود ديوان شعر جاهلي مدون ، ولا بنقل أحد من الرواة حتى حمّاد نفسه من هـذا الديوان أو من أي ديوان آخر يعود تأريخه الى أيّام الجاهلية مع أن بين عشاق الكتب من كان يقتني الكتب والقراطيس القديمة ، ويهالك في المحافظة عليها وفي العناية بها ، وبينهم من كان يملك ما شاء الله منها وقد قص أبن النديم الورّاق المتهالك في البحث عن الكتب قصصاً عن القراطيس والكتب القدمة وعن أستهتار الناس بجمع الخطوط العتيقة [1] ، ولم يشر الى عثوره هو أوغيره على صفحة واحدة مكتوبة قبل الإسلام ، لا في الشعر ولا في النثر . ولو كان قد سمع بهذه الأوراق ، لما تركها تمر في سبيلها ، فلا يراها أو يسمع عنها ممن وقف عليها ورآها على الأقل

ولا يعقل بالطبع تصور أنفراد حمّاد وحده بمعرفة أمر ديوان النعمان بن المنذر ، دون سائر الرواة وعشاق الشعر ، وبينهم من كان لا يقل حرصاً ولا تتبعاً له عن حمّاد ولا يعقل أيضاً تصور بلوغ الحرص والأنانيـة بآل مروان درجـة تجعلهم يضنون حتى بالتلويح وبإراءة ذلك للديوان الجاهلي بعضهم بعضاً ولو كان لآل مروان ذلك الديوان حقاً ، لأفتخروا بوجوده لديهم ولا شك ، ولعرضوه على الناس ، ولما أستعانوا بالرواة من حماد وأمثاله ليرووا لهم الشعر الجاهلي وليجمعوا لهم ذلك الشعر ، وحمّاد نفسه شاهد على ذلك ثم كيف يسكت جماع أهل الكوفة عن هـذا الديوان ، فلا يشيرون في أخبارهم ورواياتهم عن الشعر الجاهلي اليـه ، ولا يلحقون به سندهم في روايتهم للشعر ؟

إن سكوت الرواة وعلماء الشعر عن أمر هذا الديوان ، وأقتصار خبر وجوده على الروايتين المرويتين عن حمّاد ، يحملاننا على الشك في هذا المروي عنه وعلى التريث ولو مؤقتاً في تصديقه ، حتى يقوم دليل جديد مقنع بوصول شيء من مكتوبات أهل الحيرة الى الإسلاميين تمكننا من إبداء رأي علمي واضح في هذا الموضوع .

وهـذه الأخبار المرويـة عن المعلقات وعن الديوان الجاهلي المزعوم وعن ديوان الأنصار

---

(١) القفطي : إنباه الرواة على أنباء النحاة (١/٧ وما بعدها) « القاهرة ١٩٥٠ » .

وعن ديوان الشعر الذي كان عند الوليد على اُضطرابها وعلى ما فيها من تكلف واُفتعال ، تفيدنا كلها فائدة واحدة ، تفيدنا في اثبات أن العناية بتدوين الشعر الجاهلي والشعر عامة إنما بدأت في العهد الأموي بهذا النفر من خلفاء بني أمية الذين عرفوا بشدة حرصهم على سماع الشعر وبولعهم وهيامهم فيه ، وأن هذا الولع هو الذي أوحى الى رواة الشعر جمعه وتدوينه في دواوين ، وأن هذا التدوين بدأ منذ منتصف القرن الثاني للهجرة (١) .

وبمناسبة كلامي على ولع أكثر الخلفاء الأمويين بالشعر العربي القديم ، لابد لي من الإشارة الى أن طلب أشراف الناس وسادهم فى ذلك العهد لهذا الشعر كان شديداً . وهذا ما صير رواية الشعر من الحرف النافعة التي كانت تدر أرباحاً طيبة لأصحابها تزيد على الأرباح التي يحصل عليها الشاعر من شعره وقد كسب حماد من حرفته هذه مالاً حسناً . غير أن الإلحاح في طلب هذا الشعر والإغراء الذي أبداه عشاقه للرواة ، أفسد الرواة ، وحملهم على وضع الشعر وحمله على القدماء ، للحصول على الأجر ، ولنيل الحظوة ، ولإظهار العلم وسمة الحفظ وقد زاد في هذا الوضع المنافسة الشديدة التي كانت بين الرواة ، فخلقت هذه الظروف وأمثالها شعراً جديداً منحولا حسب على ملاك شعر الجاهليين

وقد حشر حماد نفسه في جملة رجال هذه الطبقة ، فذكر أنه كان ينظم الشعر وينسبه الى القدماء ، وأنه كان قديراً بارعاً في هذا الشأن ، حتى كان من الصعب على العلماء بالشعر أنفسهم اكتشاف ما صنعه من القديم وقد ذكر أن الأصمعي قال فيه : « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » . يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وقال المفضل الضبي : « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبداً » . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطيء في رواية أم يلحن ؟ قال : « ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب

W. Ahlwardt, The Divans of The Six Ancient Arabic Poets, Paris 1913, P, I. (١)

وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ [1] » .

ولدينا خبر آخر روي عن جماعة من الأدباء والمؤدبين في أيام الخليفة المهدي ، زعموا « أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبيّ الراوية ، فدخل ، فمكث ملياً ، ثم خرج الينا ، ومعه حمّاد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حمّاد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حمّاداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حمّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل فسألنا عن السبب ، فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيت زهير بن أبي سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعدّ القول في هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً ، إلّا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يروي في أن يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح هرم وقال : « دع ذا » ، أوكان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : « دع ذا » ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم فأمسك عنه . ثم دعا بحمّاد ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر　　　أقوين مذ حجج ومذ دهر ؟

(1) ارشاد الأريب (٤/٠ ١٤) « تحقيق مركليوث » ، الأغاني (٦/ ٨٩)

قفر بمندفع النحائت من ... ضفوى أولات الضال والسدر

دع ذا وعدّ القول في هرم ... خير الكهول وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من أستحلافك عليه ثم أستحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . قال له : أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها الى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها فأمر فيـــه وفي المفضل بمـا أمر به من شهرة أمرهما وكشفه [1] » .

ويروي الأخباريون قصة طريفة ، إن صحت فإنها تدل على مبلغ حذق حماد وقوته في الشعر وعلى أنه كان ذا ذاكرة عجيبة غريبة ، وصاحب القصة كما يذكرون هو الشاعر المعروف الطرماح بن حكيم يذكرون أن الطرماح قص على أبنه هذه القصة ، قال : أنشدت حماداً الراوية في مسجد الكوفة — وكان أذكى الناس وأحفظهم — قولي :

بان الخليط بسحرة فتبددوا

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ! إن هذا الشعر قلته منذ أيام ، ما أطلع عليه أحد ، قال : قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلّا فعليّ وعليّ ، فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال : لله علي بكل حصاة من هذا الحصى مئة حجة إن كنت أبالي ، فقلت : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع ثم أنصرفت [2] » .

ويروون عنه قصة أخرى في أفتعاله وصنعه الشعر ، فزعموا أنه قدم « البصرة على بلال بن أبي بردة ، فقال : ما أطرفتني شيئاً ؟ فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيأة مديح أبي

---

(١) الأغاني (٦/٨٩ وما بعدها)

(٢) الأغاني (٦/٩٤ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية »

موسى فقال : ويحك ! عدح الحطيأة أبا موسى ولا أعلم به ، وأنا أروي للحطيأة ؟ ولكنْ ، دعها تذهب بين الناس [1] » . ولدينا قصص آخر روي في هذا الموضوع .

غير أن علينا باُعتبارنا من المؤرخين أن نحترز احترازاً شديداً في تقبل كلّ ما يروى من الأخبار ، ولا سيما في المسائل الشخصية ، وفي القضايا التي تكتنفها الخصومات في مثل هذه الحالة . فقد كان لحمّاد خصوم كثيرون من أهل هذا الشأن ، وقد حسدوه على تقدمه وشهرته ، كما كان هو يحسد غيره ولا شك إن تقدم عليه والإنسان مهما تقدم ورفع ، فإنه لا يستطيع أن يجرد نفسه من العاطفة ، ولا سيما عاطفة الدفاع عن النفس وإثبات الشخصية والتنافس مع الآخرين . وقد كان المفضل الضبي في جملة خصوم حمّاد ، وهو كما سنرى من رؤوس رواة الشعر في تلك الأيام ، وهو نفسه لم يكن من الناجين من هذه التهمة التي اُتّهِمَ بها حماد

غير أن هذا لا يعني أن حمّاداً كان صادقاً في كل ما قاله وفي كلّ ما رواه ، فوضعه للشعر ، وصنعه له ، وحمله على القدماء : من المسائل المتواترة التي لا سبيل الى نكرانها ، إنما أريد هنا أن أنبه على ضرورة التأني والتقصي في أثناء مجابهتنا لمثل هذه الأخبار ، لنخرج ما قد ولغ أو زيد فيه ، حتى يكون حكمنا حكماً محايداً أو قريباً من الواقع .

وكما اُستدعى خلفاء بني أمية حمّاداً للاُستفادة منه في الشعر ، كذلك اُستدعاه خلفاء بني العباس الأوائل ، كالمهدي والمنصور ، ليروي لهم ما كان يحفظه من الشعر والأخبار ، وليتحدث اليهم فيما أشكل عليهم منغريب الشعر وقد اُستدعاه الخليفة المنصور مرة ، فأحضر من البصرة . غير أن صلاته بهم لم تكن على ما يظهر على نحو صلاته بالأمويين ، حيث حسب عليهم فكان الخلفاء منهم والأمراء يتبسطون اليه في الحديث ، ويعطفون عليه ، ويقدمونه على غيره أما صلاته ببني العباس من خلفاء وأمراء ، فقد شابها طابع الكلفة والرسميات ، وكان يشعر من قلبه أن قلوبهم لم تكن معه ، وأن صلاته الوثيقة بالأمويين لا تسمح لبني العباس

(١) طبقات الشعراء (ص ١٥) ، الأغاني (٨٨/٦ وما بعدها) ، الأغاني (١٧٥/٢) « تحقيق دار الكتب المصرية »

بالتودد وبالعطف عليه مهما كانت حاجتهم الى علمه وأدبه والى خزائنه المحفوظة في رأسه من ثروة الشعر . وحسبك دليلاً على ما أقول قول حمّاد لصديقه وزميله مطيع بن إياس ، وكان مطيع قد طلب منه زيارة جعفر بن أبي جعفر المنصور للتعرف عليه : « دعني ، فإن دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خير ! [1] » .

وكما اتّهم حمّاد بالدسّ والوضع ، اتّهم في دينه وفي عقيدته كذلك ، فحشر في المجّان ، وذكر في الزنادقة وفي المتّهمين في دينهم وفي المتحللين في القضايا الخلقية من أمثال حمّاد عجرد وحمّاد بن الزبرقان وبشار بن برد ووالبة بن الحباب وأبان اللاحقي وحفص بن أبي بردة ويزيد بن الفيض وحميد بن محفوظ ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمان وأبن المقفع ويونس أبن أبي فروة وعمارة بن حمزة [2] وعبد الكريم بن أبي العرجاء وصالح بن عبد القدوس ويحيى أبن زياد الحارثي وعلي بن جليل الشيباني [3] ، ورووا عنه قصصاً في تحلله وفي مجونه وفي خروجه على العرف الأخلاقي العام [4] .

ويعدّ أبن كناسة أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي (٢٠٧ هـ) في جملة الرجال الذين أتصلوا بحمّاد ورووا عنه ، ونجد في الأغاني جملة أخبار رويت عن حمّاد في الشعر والأخبار . وأبن كناسة نفسه من علماء أيامه بالعربية وأيام الناس والشعر ، وقد سمع هشام بن عروة وسليمان الأعشى ، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن إسحاق الصاغاني [5] . كذلك

(١) الأغاني (٦/ ٨١ وما بعدها) ، « كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس ، وكان منقطعاً اليه ، وله منه منزلة حسنة . فذكر له مطيع بن إياس حماداً الراوية ، وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم فقال له : دعني ، فان دولتي كانت في بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خير » الأغاني (٨/ ٢٥٣)

(٢) لسان الميزان (٢/ ٣٥٣) .

(٣) لسان الميزان (٣/ ١٧٣) ترجمة رقم ٦٦٩

(٤) « كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وحماد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون بالزندقة » الأغاني (٦/ ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤)

(٥) الأغاني (١/ ١٣٥) « تحقيق دار الكتب المصريه » .

كان أبو أيوب المديني في جملة من رأى حماداً وروى عنه [١] .

ومن أصحاب حماد : سالم بن أبي السمحاء [٢] ، والشاعر عمار بن عمرو بن عبد الأكبر المعروف بذي كناز وهو من الشعراء المجان الماقرين للشراب المتهتكين القائلين للشعر الطريف المضحك المستخدمين للسخف فيه لأجل الإضحاك [٣] ، وأبن عياش [٤] ، والحسين بن يحيى [٥] ، ومعاوية بن بكر الباهلي [٦]

هذا ، ولما كان الأستمرار في سرد أسماء من كانوا على أتصال بحماد أو رووا عنه ، مما يخرجنا عن صلب الموضوع ويبعدنا عنه كثيراً ، وكنت أنوي التحدث عن هؤلاء بقدر ما كان لهم من علاقة بجمع الشعر الجاهلي وتدوينه ، آثرت هنا الأكتفاء بأسماء من سردت ، وإحالة من يريد المزيد من ذلك على كتب الأدب ، وأخص منها كتاب الأغاني ، ففي سنده أسماء من أخذ عنه وأتصل به . وقد أفادنا هذا السند في الواقع كثيراً ، وهدانا الى معرفة أمور كثيرة لم يكن في أستطاعتنا الوقوف عليها لولا تلك الأسانيد

ولم يكن حماد في الواقع بدعاً في قومه في صنع الشعر وتلفيقه ونسبته الى قدماء الشعراء ، إذ شاركه في ذلك نفر آخرون من مشاهير حفظة الشعر ورواته ، ومنهم خلف بن حيان المعروف بالأحمر « وكان من أفرس الناس لبيت شعر » وكان هو نفسه شاعراً متمكناً منه قديراً ، عارفاً به . قيل إنه « يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم » ، وقد نسب اليه كتاب عنوانه : « كتاب الفرب وما قيل فيها من الشعر [٧] » .

ومنهم أيضاً المفضل الضبي ، وبزرج بن محمد العروضي ، وآخرون .

---

(١) الأغاني (٣/٢٦٦)
(٢) « عن سالم بن أبي السمحاء وكان صاحب حماد الراوية » الأغاني (٥/٢٦٢)
(٣) واجع قصة حماد مع الوليد في آخر يوم لقيه ، وانشاده بعض شعر هذا الشاعر له الأغاني (٧/٦٦ وما بعدها ، ٦٧ وما بعدها)
(٤) الأغاني (٧/٦٧) (٥) الأغاني (٨/٢٨٥)
(٦) الأغاني (١١/٧) (٧) الفهرست (ص ٧٤) .

ونجد في ثنايا كتب الأدب وفي كتب الشعر أشعاراً كثيرة منحولة وضعت قديماً على ألسنة الجاهليين ، وضعت لأن الناس كانوا يومئذ في شوق عظيم وتعطش الى سماع أشعار من قبلهم ، كانوا يقبلون عليها أكثر من إقبالهم على شعر معاصريهم من الشعراء ، ويجزلون عليه العطاء أكثر من إجزالهم لسماع شعر شاعر معاصر ، إلا ما قد يكون منه في المدح وهذا مما حمل حماداً وخلفاً الأحمر وغيرهما على صنعة الشعر وحمله على الشعراء الجاهليين ، فنالوا من ذلك مالاً وشهرة ، ربما لا ينالونها لو هم نسبوا ذلك الشعر الى أنفسهم ومن هنا زادت كمية الشعر المنسوب الى الجاهليين وكثرت ، بعد أن ذهب منه شيء كثير قال محمد بن سلام الجمحي : « ومما يدلّ على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بأيدي الرواة المصححين لِطَرَفة وعَبِيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان ما يروى من الغثّ لهما ، فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ويروى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر ، وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذلك . فلما قل كلامهما ، حُمل عليهما حمل كثير[1] » .

وقد كان إقبال الناس على الشعر القديم يزداد كلما كان ذلك الشعر غريباً والواقع أن هذه الغرابة كانت نوعاً من المحك والحزر ، وعليها وعلى سبك الشعر وجزالته كانت تتوقف سمعة الراوية وشهرته واقبال الناس عليه حكي أن الأصمعي ، وهو عالم من علماء العربية كبير ، عمل قطعة كبيرة من أشعار العرب ، غير أن العلماء لم يرضوا بها ، لقلة غريبها واختصار روايتها[2] . فاذا كانت هذه هي وجهة نظر العلماء الى نوع الشعر ، فكيف تكون وجهة نظر عشاق الشعر القديم وطلابه بالنسبة اليه ؟ وقد كانوا يومئذ يتفاخرون برواية ذلك الشعر ، ويتظاهرون بفهمه ، لأنه دليل الثقافة والترفع وطريقة من طرائق الترف إذ ذاك . واستقدام الرواة للاستماع اليهم ، نوع من أنواع التفاخر والتباهي ، وعلامة من علامات حسن الفهم

---

(١) المزهر (٢/٤٧٤)

(٢) الفهرست (ص ٨٣) مادة : « أخبار الأصمعي »

والجاه . ثم ، ألا يدفع هذا الإقبال على الأسماع الى الشعر الغريب الرواة الكبار المتأنقين الفهمين المتعطشين الى الحصول على المال والاسم والجاه على الانتحال والذهاب الى البادية ألتماساً للشعر الغريب .

ولابن سلام رأي في سبب تلفيق (بعض) الشعر وإضافته الى الشعراء المتقدمين ، هو في الواقع بعض أسباب التلفيق ، وليست كلها قال : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار ، وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بالهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال .

أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلام ، قال : أخبرني أبو عبيدة : أن داوود بن متمم[1] بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة ، فنزل النحيت ، فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته ، وكفيناه ضيقه فلما نفد شعر أبيه ، جعل يزيد في الأشعار ويصفها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك ، علمنا أنه يفتعله[2] » .

والبحث في أسباب إقدام حماد وأمثاله على وضع الشعر وحمله على القدماء ، بحث طويل ، قد يخرجنا سرده عن صلب موضوعنا هذا ، له أسباب ومغريات فقد كان الطلب للشعر القديم كبيراً ، وكان البذل للحصول عليه كثيراً ، وكان ربح الراوية القدير المتجر به العارف بنظم الشعر لا يقل عن ربح الشاعر العظيم إن لم يزد عليه في أكثر الأحيان ثم إن الشاعر المعاصر

(١) وفي نسخة من طبقات الشعراء : « .. أن ابن دؤاد بن متمم ... » (طبعة مطبعة السعادة بمصر ص ٢٣) ، وظاهر أن كلمة ابن قبل دؤاد زائدة

(٢) الجمحي : طبقات الشعراء (ص ١٤)

لا يقدر إلا في مدح أو ذم ، أما في غير ذلك فتقديره بعد موته في الغالب . والراوية مطلوب في كل وقت ، مرغوب فيه ، وسوقه رائجة فاذا غنت مغنية بيتاً قديماً ، أراد السامعون معرفة صاحبه ، وأكثر الناس خبرة بأصحاب الشعر القديم هم الرواة ، وهم قلة ، لما يجب أن يكون في الرّاوية من خصائص تجعله من نوادر الرجال فالذكاء الخارق ، والعلم بالشعر وبأساليبه ، والتمكن من العربية بمفرداتها وبلهجاتها وبالقبائل وبأيام العرب وبأمثال ذلك ، هي من اللوازم التي لا تتهيأ لكل إنسان ، ولذلك لم يكن أمثال هؤلاء الرواة إلا أفراداً نص العلماء على أسمائهم نصاً . وقد نالوا في أيامهم شهرة لم تكن أقل من شهرة أفذاذ الشعراء ، وقد تدرّب عليهم فحول الشعراء ، وتخرج أعاظم شعراء العرب في الإسلام . فرواية الشعر إذن وحفظه وصنعه ، لم تكن حرفة سهلة يسيرة ، ولا منزلة صغيرة بالنسبة الى منزلة الشاعر ، إنها لا تقل في السمو عن أرفع منزلة وصل اليها الشعراء في ذلك العهد .

وبعد ، فقد أصبحنا على يقين ، وقد انتهينا من أمر حمّاد الراوية ، من وجود دواوين الشعر في أيامه ، ومن قيام حمّاد نفسه بجمع الشعر في دواوين ولست أشك في أن جملة : « فنظرت في كتابي قريش وثقيف [1] » التي وردت في خبر ينتهي سنده بحماد نفسه ، ويخص موضوع زيارة قام بها للوليد بن يزيد بناء على استدعاء الخليفة له ، إنما تعني كتابين جمع فيهما شعر قريش وشعر ثقيف . فسياق الحال ، يدل على ذلك ، فحمّاد راويـة للشعر ، والوليد عاشق من عشاق الشعر ، فلا يمكن أن يكون الكتابان في غير الشعر . وقد رأيت أنه قد كان عند الوليد ديوان جمع أشعار العرب وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، أمر هو بجمعـه ، أو أنه كان من جمع حمّاد وجناد [2] .

ونحن نأسف جداً على إهمال الرواة أسماء مؤلفي كتابي قريش وثقيف ، كما نأسف على تلك العبارة الغامضة التي أوردها أهل الأخبار عن ديوان الوليد .

ونسب الأخباريون الى معاصر من معاصري حمّاد ، اسمه برزخ بن محمد العروضي الكوفي ،

---

(١) الأغاني (٦/٩٤) (٢) الفهرست (ص ١٣٤) .

الـكذبَ والوضع والدس ونحل الشعر[1] وقد كان هذا المتهم من مشاهير حفاظ الشعر ورواته في الـكوفة ، وقد أُتهم بالتهمة التي رمي بها حمّاد ، فقيل إنه وضع أشعاراً ونسبها الى قبائل العرب . وقد أقبل الناس عليه لـكثرة حفظه ، فساء ذلك حماداً وجناداً ، فدسّا عليه أناساً أفسدوا عليه الناس حتى تركوه ولم يكن حقد حمّاد على هذا الراوية لـكذبه ووضعه على ما أعتقد ، إنما كان لانصراف الناس وإقبالهم عليه ، ولـكثرة مشتري بضاعته الذين كانوا يتوافدون عليه لأخذ الشعر منه وحفظه ، وهذا مما غاظ منافسه حمّاداً ، وهو مثله بل أعظم منه في تجارة الشعر ، نخاف على نفوذه ومنزلته من منافسة هذا التاجر له وبرزخ من الموالي كذلك ، من موالي بَجِيلةَ أو كِنْدَة ، يذكر أنه حدث عن أقوام لا يعرفهم الناس ، وأنه كان « يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئاً ، ثم يحدث به عن رجل آخر بعد ذلك ، ثم يحدث به عن آخر ، فتركه الناس حتى كان يجلس وحده » ويذكر أنه روى « شعراً لأمرئ القيس ، فقال له جنّاد : عمن رويت هذا ؟ قال : عنّي ! وحسبك بي ! فقال له جنّاد : من هذا أُتيت ياغافل ! » ، وأنه ألف كتاباً في العروض « ينقض فيه العروض في زعمه على الخليل ، ويبطل الدوائر والألقاب والعلل التي وضعها ونسبها إلى قبائل العرب »[2] . ويكاد يقع الإجماع على أتهامه بالـكذب ، وعلى جفاء الناس له ونفرهم منه ، مما يدل على صعوبة فيه وخشونة أبعدته عن مواطنيه .

وكل ما نسب اليه من مؤلفات ، كتاب في العروض ، العلم الذي أُختص به وأشتهر فيه . وقد عرف كتابه الذي نقض به على الخليل عروضه بعنوان « كتاب النقض على الخليل وتغليطه في العروض »[3]

---

(١) إنباه الرواة (١/٢٤٢ وما بعدها) ، « كان برزخ حافظاً راوية ، وكان كذاباً كثيراً ما يحدث بالشيء عن رجل ثم عن غيره وكان يونس النحوي يقول : ان لم يكن برزخ أروى الناس ، فهو أكذب الناس . وكان منقطعاً إلى الفضل بن يحيى وهو من الـكوفيين . كذا قرأت في أخبار علماء الكوفة بخط أبي الطيب أخي الشافعي » الفهرست (ص ١٠٧) « أخبار برزخ العروضي »

(٢) ياقوت : الارشاد (٢/٣٦٦)

(٣) الفهرست (ص ١٠٧) ، الارشاد (٢/٣٦٧)

وأما جناد ، أبو محمد جناد بن واصل الكوفي مولى بني أسد [1] ، فقد كان على حدّ وصف ابن النديم « أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها » ، غير أنه « لم يكن له علم بالنحو » ، و « كان يلحن كثيراً » [2] ورمي الشخص باللحن سبة على الشخص كبيرة ، وهي تحط من قيمة الشخص كثيراً ، خاصة إذا كان من رواة الشعر ومن المشتغلين بالأدب وبعلوم العربية وقد رأينا حمّاداً وقد رمي باللحن أيضاً وبقلة بضاعته في العربية

وهو يعد من علماء الكوفيين القدماء ، وقد ذكروا أنه كثير الحفظ في قياس حمّاد الراوية ، وأن أهل الكوفة كانوا يلجؤون اليه حين يشكون في شعر وحين يعزب عنهم أسم شاعر فيجدونه حافظاً وبما أرادوه عارفاً غير أنهم مجمعون على أنه كان لحاناً ، « كثير اللحن جداً ، فوق لحن حمّاد » وقد ذكروا أمثلة على لحنه ، وعلى عدم وقوفه على العروض ، فكان يخطئ فيه ويخلط في الأشعار [3] وممن كان ينتقص علمه ويرى قلة بضاعته في العربية وفي الشعر أيضاً ، يونس بن حبيب المتوفى سنة « ١٨٣ » للهجرة ، وهو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء . وكان من المتحاملين كذلك على حمّاد ، ومن ممثلي مدرسة البصرة ، ولهذا يكون لتحامله على الرجلين بعض الأثر من التعصب للبصريين .

وقد أخذ الثوري على أهل الكوفة روايتهم عن حمّاد وجناد وأتكالهم عليهما ، وهما رجلان « كانا يرويان ولا يدريان ، كثرت رواياتهما ، وقلّ علمهما » ، ومن ثم فسدت روايتهم عن الرجلين . غير أن علينا أن نكون حذرين في تقبل هذه المؤاخذة على الكوفيين في رواية الشعر ، فقد كان الثوري من جماعة الأصمعي حتى كان ينسب اليه وكان من أهل الأدب ، وقد كان الأصمعي يحمل على حمّاد ، فلا يستبعد تحزب التلميذ لأستاذه ، وتأثره به ، فقال ما قاله عن الرجلين بداعي العاطفة والتعصب للبصريين المنافسين للكوفيين .

---

(١) الفهرست (ص ١٣٥) ، « ويقال أبو واصل مولى بني عاضدة » ، الارشاد (٤٢٥/٢)

(٢) « من رواة الأخبار والأشعار ، لا علم له بالعربية وكان يصحف ويكسر الشعر ، ولا يميز بين الأعاريض المختلفة ، فيخلط بعضها ببعض » الارشاد (٤٢٥/٢) .

(٣) الارشاد (٤٢٥/٢ وما بعدها) .

وأما خلف الأحمر ، فرأس مثـل حمّـاد من رؤوس رواة الشعر وحفظته وقد رمي بمثـل التهمة التي أتهم بها حمّاد ، وهي وضع الشعر وأنتحـاله وحمله على قـدماء الشعراء وهو مثل حمّاد أيضاً في رِسّه وأصله ، فقد كان أبوه المعروف بحيّان من أصـل غير عربي ، إذ هو من أهل فرغانة ، وقد أوقعه حظّه في الأسر أيام فتوحات قتيبـة بن مسلم لخوارزم في سنة ٩٣ للهجرة ، فصار في ملك بلال بن أبي بردة قاضـي البصرة ، وتزوج من أمرأة عربيـة من مازن من بطون تميم ، كان ثمرها هذا الراوية الخطير ، الذي لا نعرف سـنة ولادته أما سنة وفاته ، فقد كانت حوالي سنة ١٨٠ للهجرة ، أي بعد وفاة حمّاد بأمد وقـد رثاه أبو نواس رثاء يدل على مبلغ تقديره له وإعجابه به [١]

وقد درس خلف على علماء زمانه في البصرة : عيسـى بن عمر الثقفي المتوفى سـنة ١٤٦ للهجرة ، وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر من أئمة النحو في البصرة ومن أسـاتذة الخليل ابن أحمد الفراهيدي صاحب علم العروض ، ومن قدماء المؤلفين ، له كتابان : كتاب الجامع ، وكتاب المـكمل ؛ وهما في النحو ، وقد فقـدا قبل أيام أبن النـديم بأمد طويل [٢]

وأما أبو عمرو زبّان بن العلاء ، فقد كان من الأعلام في القرآن ، وعنه أخذ جماعة من مشايخ القراء البصريين [٣]

وقد أختص خلف بالفروع التي أختص بها حمّاد بالـكوفة ، وبذلك جعل البصرة تنافس

---

(١) الإرشاد (٤/١٧٩) « تحقيق مارجليوث » ، يرى آلورت Dr. Ahlwordt أن ولادته بين سنتي ١١٠ و ١١٥ للهجرة ، المفضليات : تحقيق جارلس لايل ، الجزء الثاني (ص XIX) القسـم الانكليزي

(٢) وقد رثاه الخليل بن أحمد ، وأشار الى كتابيه في هذين البيتين :

بطل النحو جميعاً كلـه   غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهـذا جامع   فهما للنـاس شمس وقمـر

« وقد فقد الناس هذين الـكتابين مذ المدة الطويلة ، ولم يقعا الى أحد علمناه ، ولا خبر أحد أنه رآهما » ، الفهرست (ص ٦٣) « أخبار عيسى بن عمر الثقفي »

(٣) الفهرست (٤٢) « أخبار القراء السبعة وأسماء رواياتهم وقراءتهم » .

الكوفة فيها . اختص بالشعر القـديم ، وباللغة ، وبشيء آخر مهم جداً هو وضع الشعر وحمله على ألسنة القدماء ، فصار في هذا الباب بطل البصرة وممثلها ، كما كان حماد بطل الكوفة وزعيم الوضاعين وقد امتاز خلف على الأصمعي العالم البصري ومعاصره بقدرته على نظم الشعر ، إذ كان هو نفسه شاعراً متمكناً في الشعر أما الأصمعي ، فلم يكن مثله فيه ، فلم يكن شاعراً ، وإن كان من علماء اللغة والأدب والنحو ومن حفظة الشعر ورواته ، وله مؤلفات تعدّ من أمهات الكتب في هذه الفنون . ويذكر العلماء أنه عمل قطعة كبيرة من أشعار العرب ، غير أن العلماء لم يرضوا عنها ، لقلة غريبها واختصـارها . وهو معدود في نقاد الشعر البارعين [1]

وهناك روايات تنسب الصدق الى خلف ، ثم لا تكتفي بذلك حتى تجعله أعرف الناس وأعلمهم بالشعر [2] وروايات تذكر أنه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وأنه تعلم ذلك من حماد [3] ، تعلم منه باتصاله به في الكوفة وفي البصرة ، فقد زار حماد البصرة مراراً ، وروى فيها ، كما زار خلف الأحمر الكوفة ، واتصل بحماد وأخذ عنه وجالسه وخالطه وروى عنه .

وهناك رواية ذكرها الأصبهاني عن هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان رفيع بن سلمة المعروف بدماذ ، وهو من أصحاب أبي عبيدة ، عن أبي عبيدة ، عن خلف ، هذا نصها : « قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ، وأعطيه المنحول ، فيقبل

---

(١) توفي بالبصرة سنة ٢١٣ وقيل ٢١٧ للهجرة ، الفهرست (ص ٨٢) « أخبـار الأصمعي » ، « وقال أبو الطيب عبدالواحد اللغوي : كان خلف يضع الشعـر وينسبه الى العرب ، فلا يعرف ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه ، فأبى » الإرشاد (١٧٩/٤)

(٢) « وقال الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي .. وقال ابن سـلام : أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدق لساناً ، وكنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحب » ، إرشاد (١٧٩/٤)

(٣) « خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء الى حماد الراوية ، فسمع منه ، وكان ضنيناً بأدبه » الإرشاد (١٧٩/٤)

ذلك مني ، ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حمق » [1]

ويصعب في الواقع تصديق هذه الرواية المنسوبة الى خلف الأحمر ، فلم يكن حماد بإجماع المنافسين له على شيء من الغفلة والحمق ، حتى نصدق ما ورد في هذا الخبر الآحاد ، بل نرى من الأخبار الواردة عنهم العكس ، نرى فيه الفطنة والخبث الى آخر أيامه ثم إنه كان أقدم وأشهر وأعرف وأحفظ من خلف الأحمر ، وهو في معرفة الشعر وتمييزه أمرس من صاحبه خلف ، فلا يعقل فوات ما نحله خلف القدماء على حماد وقد كان الرواة أنفسهم يتعجبون من مقدرة حماد على التميز بين الصحيح والفاسد من الشعر ، وعلى إحاطته بأساليب الجاهليين في نظم القريض ، وعلى إتقانه تلك الأساليب ، حتى صار من الصعب على عشاق الشعر التميز بين ما كان يضعه حماد على ألسنة الشعراء الجاهليين وبين ما كان من نظمهم حقاً . ولهذه الأسباب يصعب التصديق بهذا الخبر ، ورأيي أنه من مورد كان يتحامل على حماد ، ويتعصب لخلف ولجماعته البصريين .

وهناك خبر آخر يرويه بعض الأخباريين ، فيه طعن وسخرية بعلم أهل الكوفة وفهمهم للشعر ، وفيه مدح وتفخيم لعلم خلف بالشعر ، وإن كان لا يخلو من تجريح لخلف نفسه ، غير أنه تجريح في نظرنا أما في نظر رواة الخبر وفي عرف ذلك الزمان ، فقد كان من نوع المديح والإطراء لشطارة الرجل وحذقه ومهارته في ذلك الفن . فهو مدح إذن ، وإطراء وتعريض بأهل الكوفة وأستهزاء بهم ليس فوقه استهزاء ، وضعه رجل فيه دعابة وتعصب وتحامل على الكوفيين . أما الخبر ، فهو :

« كان خلف أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، وأخذ اللغة عن أبي عمرو ، ولم يُر أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه . وكان به يضرب المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ثم نسك ، فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً ، على أن يتكلم في بيت شعر شكّوا فيه ، فأبى ذلك ،

(1) الأغاني (٦/٩٢) « طبعة دار الكتب المصرية »

وقال : قد مضى لي في هذا مالا أحتاج الى أن أزيد فيه وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد . فلما تقرأ ونسك ، خرج الى أهل الكوفة ، فعرّفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة فبقي ذلك في دواوينهم الى اليوم » [1] .

ومن الشعر المصنوع الذي نسب صنعه الى خلف ، وزعم أن الكوفيين تمسكوا به ورووه على علمهم بصنع خلف له وحمله له على ألسنة القدماء ، ما رواه أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي عن رواة أهل الكوفة وعن مقدار علمهم بالشعر ، قال : « رواة غير منقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دُواد الإيادي قالها خلف الأحمر وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، اليها يرجعون ، وبها يفتخرون [2] » وذكر الأصمعي أيضاً أن خلفاً الأحمر « وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً ، وعلى غيرهم ، عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة [3] »

ونسب بعض الأخباريين الى خلف أفتعال القصيدة المشهورة :

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم فإني الى قوم سواكم لأمْيَلُ

فذكروا أنها من عمله وصنعه ، وأنها له ، وأنها لم تكن من نظم الشنفرى [4] .

كما نسبوا اليه صنع هذا الشعر :

إنّ بالشعب الى جنب سلع لقتيلاً دمه ما يطلّ

فذكروا أنه هو قائله ، وأنه نحله أبن أخت تأبط شراً [5] .

غير أن هناك من العلماء من نسب قصيدة الشنفرى الى حماد [6] .

---

(١) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية ، القاهرة ١٩٥٦ (ص ٤٥١)

(٢) الموشح : (ص ٢٠١ وما بعدها) (٣) مصادر الشعر الجاهلي (ص ٤٥٢)

(٤) الأمالي (١/١٥٦) (٥) العقد الفريد (٦/١٥٧) ، الأغاني (٦/٨٧)

(٦) كارلو نالينو : تأريخ الآداب العربية (ص ٥٨)

وكما أولد خلف الأشعار ، أولد الناس أشعاراً ثم حملوهـا عليـه وقد أشار الجاحظ الى رجز حمـل على خلف الأحمر وعلى الأصمعي ، وذكر أنهم أولدوه على لسانَيْ هذين الراويتين (١)

وكانت في خلف الأحمر بعض غلظة على ما يظهر من خبر رواه الأصمعي عنه ، فقد ذكر أنه حضر مأدبة « وأبو محرز خلف الأحمر وأبن مناذر معنا ، فقال له أبن مناذر : يا أبا محرز إن يكن امرؤ القيس والنابغة وزهير ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءةً مرقاً ، فرمى به عليه فملأه ، فقام أبن مناذر مغضباً ، وأظنه هجاه بعـد ذلك (٢) » . وهناك أخبار أخرى تؤيد هذا الرأي (٣)

وقد كان لخلف خصوم ومنافسون شأن كل رجـل معروف مشهور ، هم من أهـل صنعته خاصة ومن هؤلاء أبو محمد يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي صاحب أبي عمرو بن العلاء ومؤدب المأمون (٤) ، فكانت بينهما مهـاجاة وقد أورد ياقوت الحموي بيتين من نظم اليزيدي في هجاء خلف ، فيهما دفاع عن الكسائي العالم الشهير ، وكان خلف قد تحامل عليه وعاب عليه علمه ، كما أورد أبياتاً من قصيدة قالها خلف في هجاء اليزيدي ، قال إنها أشتهرت بين الناس ، وتداولتها الأفواه والأسماع ، لما فيها من تعريض باليزيدي (٥)

ولما كان خلف الأحمر راوية من رواة الشعر ، فقـد كان من الطبيعي أن يتصـل بالشعراء ليروي عنهم ، وأن يتصل به الشعراء لشهرته ليحدث عنهم وبجـد في كتب الأدب أخبـاراً عديدة تتحدث عن اتصاله بالشعراء

وكان من بين هؤلاء الشعراء بشار بن برد ، وتذكر الأخبار أنه كان يعظمه ويحترمـه ، ولعله فعل ذلك خوفاً من سلاطة لسانه ، فقد كان بشار سليط اللسان هجاء ، بدليل ما ذكره

(١) الحيوان (١٨١/٤)
(٢) الموشح (ص ٢٩٦) ، الأغاني ، (١٧/١١) ، الإرشاد (١٧٩/٤)
(٣) الموشح (ص ٣٦٦ وما بعدها) ، « حدثني عمر بن شبة ، قال : أنشد أبو عبيدة خلفاً الأحمر شعراً له ، فقال له خلف : يا أبا عبيدة ، اخبأ هذا كما تخبأ السنور خرءها » ، الموشح (ص ٣٦٨)
(٤) ابن خلكان (٣٠٤/٢)
(٥) الإرشاد (١٨٠/٤ وما بعدها)

ابن سلام ، وهو من المعجبين بخلف المادحين له ، من أن خلفاً حدثه بأنه سمع بأسم بشار قبل أن يراه وسمع ببيانه وبسرعة جوابه وجودة شعره ، وأن رأيه فيه لم يكن حسناً . فقال لقوم من أصحابه : « والله لآتينه ولأُطَأطِأَنَّ منه » فلما أتاه وتأمله ، وجده أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة ، فقال : لعن الله من يبالي بهذا ! ووقف يتأمله لينال منه . وبينما هو في ذلك ، إذ جاءه رجل ، فقال : إنّ فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ، فسكت وأطرق فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشد أبياتاً بأعلى صوته وأنخمه ، فيها هجاء مرّ وإفحاش قبيح أخاف خلفاً وأسكته ، ويقال إنه قال على أثره لمن كان حوله : « فأرتعدت والله فرائصي ، واقشعر جلدي ، وعظم في عيني جداً ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدني من شرك [1] » .

وكما كان لحماد مؤيدون رفعوه ودافعوا عنه ، كذلك كان لخلف مؤيدون ومدافعون ، ومن هؤلاء : محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » « ٢٣١ هـ » ، فهو متعصب له مطرٍ عليه [2] ، متحامل على حماد [3] ويعد الجاحظ في جملة هؤلاء كذلك [4] .

وقد أشار ابن النديم الى كتاب لخلف الأحمر ، أسماه : « كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر [5] » ، وذكر ياقوت الحموي له كتابين : ديوان شعر حمله عنه أبو نواس ، وكتاب جبال العرب [6] .

وتعد المفضليات مورداً مهماً من موارد الشعر الجاهلي ، وهي من هذه الناحية تفوق المعلقات ، وإن كانت لا تفوقها في الشهرة عند طلاب الشعر وعشاق الشعر الجاهلي [7] . وهي في الأصل اختيارات راوية من رواة الشعر وعالم من علماء اللغة معروف مشهور ، هو أبو عبد الرحمان « أبو العباس » » المفضل بن محمد بن يعلى الضبي المتوفّى سنة « ١٧٠ »

---

(١) الإرشاد (٤/١٨٠) ، الأغاني (٣/١٩٠ وما بعدها) .

(٢) طبقات فحول الشعراء (ص ٢١) . (٣) المصدر نفسه (ص ٤٠ وما بعدها)

(٤) البيان والتبيين (٤/٢٣ وما بعدها) ، « تحقيق عبد السلام محمد هارون »

(٥) الفهرست (ص ٧٤) (٦) الارشاد (٤/١٧٩)

(٧) Brockelmann, I, S. 19.

للهجرة [1] تقريباً ، وكان رأساً من رؤوس مدينة الكوفة في أيامه في الشعر وفي العربية ، ومن ممثليها الكبار في هذه العلوم وقد أدرك حماداً وخلفاً الأحمر ، واختص بما اختص به الراويتان خرج على ما يقال مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن فيمن خرج معه على الخليفة أبي جعفر المنصور ، فعفا عنه ، وألزمه المهدي ابنه فعمل للمهدي هذه الأشعار المختارة التي عرفت بالمفضليات نسبةً الى صاحبها ، وبالاختيارات لاختيار المفضل لها من سائر الشعر ، وهي تسميها القديمة على ما يظهر من دراسة الروايات الواردة عنها وقد سماها ابن النديم بـ « كتاب الاختيارات » وهي ثمانية وعشرون ومئة قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه [2] ، مما يدل على أن رواة المفضل قد اختلفوا في الرواية ، وأنهم لم يرجعوا في أخذهم لها الى أصل مكتوب ، وأنهم لم يكونوا قد اشتركوا جميعاً وفي وقت واحد في مجالس إملاء المفضل ، ولولا ذلك لم يقع اختلافهم هذا في عدد القصائد وفي التقدم والتأخير

وينحدر المفضل من أصل عربي ، فهو من بني ضبّة ، وهو يختلف بذلك عن خلف وحماد . وقد كان أبوه محمد بن يعلى من الواقفين على أخبار خراسان ، فكان مورداً للمؤرخين الذين بحثوا في فتوحات المسلمين لتلك الأرجاء وقد ذكره الطبري في مواضع عديدة من تأريخه في أثناء كلامه على فتوحات خراسان ما بين سنتي ٣٠ و ٩٠ للهجرة وقد عين الحجاج يعلى جد المفضل والياً على الري . فهو من أسرة كان لها في السياسة العربية شأن ، وحفظت عن الحوادث أخباراً وأشعاراً .

---

(١) ويكنى بـ « أبي العباس » على رواية أخرى ، الفهرست (ص ١٠٢) ، ولم يذكر ابن النديم سنة وفاته ، ولم تعرف سنة وفاته بوجه أكيد .Brockelmann, I, 19

(٢) الفهرست (ص ١٠٢) « أخبار المفضل الضبي » ، وهناك رواية أخرى رواها القالي تختلف عن الرواية التي ذكرتها في موضوع أمر الخليفة المنصور للمفضل في اختيار تلك القصائد للمهدي ، ورواية ثالثة ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه مقاتل الطالبيين (ص ١١٩) « طبعة طهران » ، المفضليات (Vol .II, P. XIV) الترجمة الإنكليزية ، « وقال أبو عكرمة : مر أبو جعفر المنصور بالمهدي ، وهو ينشد المفضل قصيدة المسيب التي أولها : أرحلت . .. فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ، ثم صار الى مجلس له وأمر بإحضارهما ، فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال ، لكان ذلك صواباً ! ففعل المفضل » ، ذيل الأمالي والنوادر (طبعة دار الكتب المصرية) (ص ١٣٠ وما بعدها) .

وقد قضى المفضل معظم أيام حياته في الكوفة ، الى أن وافاه أجله في سنة ١٦٤ أو ١٦٨ أو ١٧٠ للهجرة [١]

وليست هذه القصائد التي يضمها كتاب المفضليات كلها من جمع المفضل وترتيبه على ما جاء في بعض الموارد ، وليس في هذه القصائد المطبوعة في المفضليات إلا سبعون قصيدة هي من أختيار المفضل أما بقيتها ، فهي زيادات وإضافات وضعت على تلك القصائد [٢] . وليس للمفضل منها على ما جاء في مورد آخر إلا ثمانون قصيدة هي التي أخرجها للمهدي وأما ما تبقى منها ، فهي من أختيارات الأصمعي ، وهي أربعون قصيدة من مجموع عشرين ومئة [٣] فيكون ثلثاها على وفق هذه الرواية من أختيار المفضل وأما الثلث الباقي ، فمن أختيار الأصمعي [٤] .

ويدل هذا الأختلاف أن رواة المفضليات لم يعتمدوا في روايتهم للكتاب على النسخة الأم ، وهي النسخة التي أختارها المفضل للمهدي وإلا لما حدث أختلاف بين الروايات في ترتيب القصائد وفي عددها ، أو أن المفضل نفسه لم يدون أختياراته تلك في كتاب ، وإنما أختار ما أختاره دون تدوين ، فكان يمليه على المهدي مجلساً مجلساً ، حتى أكمل تلك الأختيارات ، وأنه ألقى أختياراته هذه على من كان يحضر مجلسه طلباً للشعر في مجالس أيضاً ، فمن هنا حدث هذا الأختلاف . وقد كان يكتفي بإلقاء المختار على طلابه دون شرح أما الشرح المطبوع ، فليس من شرح الضبيّ وتفسيره ، وإنما هو من عمل رواة آخرين ورد ذكرهم في مقدمة الكتاب ، وليس للمفضل فيه إلا الأختيارات [٥]

والشرح المطبوع هو من صنع أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وجمعه ، وقد أخذه من موارد متعددة أشار اليها في الكتاب . وقد رواه عنه أبنه أبو بكر محمد بن القاسم

(١) « مات هذا في سنة مئة وثمان وستين » ، لسان الميزان (٨١/٦) ، Lyall, The Mufaddaliyat, Vol., II, P. XI. ff.

(٢) مقاتل الطالبيين (ص ١١٩) « طبعة طهران » ، المفضليات (Vol., II, P. XIV) ، « الترجمة الإنكليزية »

(٣) ذيل الأمالي (ص ١٣٠) ، « طبعة دار الكتب المصرية »

(٤) المفضليات (Vol., II, P., XIV) ، « الترجمة الانكليزية »

(٥) راجع النص العربي للمفضليات (طبعة لايل) (ص ١)

الأنباري ، وعنه أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز . وفي جملة من أعتمد عليه أبو محمد صاحب هذا الشرح من شيوخه ، عامر بن عمران أبو عكرمة الضبيّ ، وقد أملى عليه القصائد المختارة المنسوبة الى المفضل « إملاء ، مجلساً مجلساً ، من أولها الى آخرها ؛ وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي [1] » كما كان في جملتهم أبو عمرو بندار الكرخي ، وأبو بكر العبدي ، وأبو عبد الله محمد بن رسم ، والطوسي ، وأبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح من هؤلاء ، وأمثالهم جمع الأنباري هذا الشرح ، وفيهم من هو من الكوفة وفيهم من هو من أهل البصرة وهم من أتباع الأصمعي ، ولهذا نجد رواياته تتداخل فيه من أبيات شعر أو قصائد لم يختَرْها المفضل ، ومن شرح أو تفسير لكلم غريب .

فالمفضليات وإن نسبت الى المفضل ، غير أنها في الواقع من جمع الأنباري المذكور ، وقد جمعها من أفواه جملة رجال ، كل واحد منهم له فيها عمل ويد وفق الأنباري بين تلك القصائد والأشعار وبين هذه الروايات والمعارف الواردة عن الشعر ، وأخرج منها هذا الكتاب الثمين الكبير .

وللمفضل بن محمد الضبي أقوال حفظت في كتب أخرى غير هذا الكتاب ، فنجد أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب يذكره في مواضع من كتابه ، ويذكر نتفاً من روايات مسندة اليه [2] ، كما نجد الأصبهاني يورد له أخباراً في الشعر في مواضع عديدة من كتابه الأغاني ، ونجد غيرهما من رجال الأدب يشيرون اليه . وفي الموارد التي أشاروا اليها ما يدلّ على علم واسع له في الشعر وعلى إدراك في النقد .

والاستمرار في البحث في عمل الضبي ، وفي بقية من جمعوا الشعر الجاهلي ، مما لا يتسع له المجال في هذا الجزء ، فلنقف الآن عند هذا الحد ، على أن نعود الى الموضوع في جزء تالٍ .

جواد علي

---

(١) المفضليات (ص ١) « النص العربي » « تحقيق لايل »

(٢) جمهرة أشعار العرب : القاهرة ١٩٢٦

العمود الخالي *

الهند هي التي أعطتنا الطريقة البارعة للتعبير عن كل الأعداد بعشرة رموز ، ولكل رمز قيمة موقعية وقيمة مطلقة فكرة مهمة وعميقة وهي من السهولة بحيث نتجاهل مزيتها الحقيقية ولكن هذه السهولة نفسها وتيسيرها العظيم لجميع العمليات الحسابية ، وضعت علم الحساب في الصف الأول من الاختراعات المفيدة ويزداد إعجابنا بعظمة هذا الإبداع حين نعلم أنه فات عبقرية أرشميدس وآپولنيوس ، وهما اثنان من أعظم رجال الماضي القديم .

لابلاس

ترن في أذني ، وأنا أكتب هذه السطور ، الأرجوزة القديمة :

Reading 'Riting 'Rithmatic
Taught to The tune of a hickory-Stick

« القراءة والكتابة والحساب
تُعَلَّمُ على إيقاع عصا الخيزران ».

وأرى في هذا الفصل أن أروي لكم قصة احدى الراءات الثلاث [1] ، تلك التي كانت أقدمها وأشدها مراساً عند الجنس البشري .

إنها ليست قصة إبداع لامع أو عمل خارق أو تضحية نبيلة ، لكنها قصة التعثر الأعمى والاكتشاف بالمصادفة والنبه . قصة تخبط في ظلام وحجب للنور . قصة مشحونة بالتجاهل والتحيز ، وبالرأي الصائب يطمسه التعصب للتقاليد ، وبالفكر طالت عبوديته للعادة ، وبالاختصار قصة البشرية .

(*) هذا هو الفصل الثاني من كتاب « العدد لغة العلم » تأليف الدكتور Tobias Dantzig استاذ الرياضيات في جامعة مريلاند في الولايات المتحدة

(١) يطلق في الانكليزية أحياناً على القراءة والكتابة والحساب اسم الراءات الثلاث ؛ لأن أسماءها كانت تبدأ بحرف الراء كما يتبين من الشعر الانكليزي المثبت في صدر البحث .

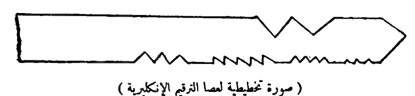
٢

إن كتابة الأعداد ، قديمةٌ في الأرجح قدمَ الملكية الخاصة ، ولا شك ، الا القليل في أنها نشأت عن رغبة الإنسان في أن يسجل قطعانه وبضاعته فالحزوز في عصا أوشجرة ، والخدوش على الحجارة والصخور ، والإشـــارات على الطين ، كانت أقدم الصور لهذا الجهد في تسجيل الأعداد برموز مكتوبة والبحوث الأثرية تتتبَّعُ مثل هذه التسجيلات الى أزمنة واغلة في القدم ، فقد وجدت في كهوف الإنسان قبل التاريخ في أوربة وإفريقية وآسية . فالترقيم — أي كتابة الأعـداد — قديم قدم اللغة المكتوبة في أقل تقدير ، بل هناك ما يشير الى أسبقيته ، ويحتمل أن كتابة الأعداد هي التي أوحت بكتابة الأصوات .

وأقدم التسجيلات التي يظهر فيها الاستعمال المنظم للأرقام المكتوبة ، هي التي خلفهـا السومريون والمصريون ، وكلها تنتهي في قدمها إلى عهد واحد يقع حوالي سنة ٣٥٠٠ ق . م . ونحن حين نفحصها ندهش للتشابه الكبير بين القواعد المستعملة فيها . وهناك بالطبع احتمال حـدوث اتصال بين الشعبين بالرغم من المسافات الفـاصلة بينهما . على أن ما هو أكثر احتمالاً أنهما اتبعا في وضع الترقيم أيسـر السبل ، أي أن كتابتيهما تفرعتا عن عملية الحز الطبيعية . (أنظر الشكل) :

	1	2	3	4	5	9	10	12	23	60	100	1000	10000
SUMERIAN 3400 B.C.	Y	YY	YYY	YYYY	YYY YY	YYYYY YYYY	<	<YY	<<YYY	<<< <<<	Y–	<Y–	<<Y–
HIEROGLYPHICS 3400 B.C.	I	II	III	IIII	IIIII	IIIIIIIII	∩	∩II	∩∩III	∩∩∩∩∩∩	𓍢	𓆼	𓂭
GREEK	α'	β'	γ'	δ'	ε'	θ'	ι'	ιβ'	κγ'	ξ'	ρ'	,α	,ι

(الترقيم القديم)



(صورة تخطيطية لعصا الترقيم الإنكليزية)

وسواء أكان الترقيم بالخط المسماري للبابليين القدماء أو بالهيروغليفية على أوراق البردي المصرية أو بالأشكال الغريبة في السجلات الصينية القديمة ، فاننا ـ في الحقيقة ـ نجد في كل مكان مبدءاً جُمَليّاً واضحاً ، فكل عدد حتى التسعة هو مجموعة شطب ، ويستعمل المبدأ نفسه بعد التسعة للوحدات ذات الصنف الأعلى ، مثل العشرات والمئات ... الخ حيث تمثل برموز خاصة

٣

إن عصا الحساب [١] الإنكليزية ، وهي من أصل غامض ولكنه في الأرجح قديم جداً ، تحمل من غير شك الصفة الجُمَلية أيضاً . (وتجد صورة تخطيطية للعصا في الشكل السابق) . فكل حزة أو ثلمة ، تمثل باوناً استرلينياً (الدينار الإنكليزي الذهب) . أما الثلم الأكبر ، فتمثل ١٠ باونات أو ١٠٠ باون ... الخ .

ومن العجب أن أستعمال هذه العصيّ أستمر في انكلترا عصوراً كثيرة بعد أقتباس الترقيم الحديث الذي جعل أستعمالها مضحكاً ، فقد كانت في الواقع مسؤولة عن حادث خطير في مجلس العموم . وقد وصف چارلس دكنز هـذا الحادث بسخرية منقطعة النظير في خطبة خطبها في الإصلاحات الإدارية بعد الحادث ببضع سنين ، فقال :

« أدخلت قبل أجيال ، في ديوان وزارة المالية ، طريقة همجية في إمساك الحسابات على عصيّ ذوات حزوز أو ثلم ، وسجلت الحسابات تماماً كما كان روبنسن كروزو يسجل تقويمه في الجزيرة المنقطعة . جمهور من المحاسبين ومسّاكي الدفاتر والمسجلين ، ولدوا وماتوا ، ولكن الأسلوب الحكوميّ حرص على هذه العصيّ ذوات الثلم كأنها أعمدة الدستور . وأستمر حفظ حسابات المالية على شظايا معينة من خشب الدردار ، تسمى Tallies ففي زمن جورج الثالث

(١) Tally Stick

سأل أحد أصحاب النفوس الثائرة : هل الاستمرار على هـــذا التمسك المنيد بمادة بالية أمر واجب ، على تيسر الأقلام والحبر والورق وألواح الكتابة وأقلام الرصاص ؟ وهلا يجب اجراء تغيير ما في ذلك ؟ لكن الجمود في الأساليب الحكومية أحمرّ غضباً ، لمجرد ذكر هذه البدعة الجريئة ! واستمرت الحال حتى عام ١٨٢٦ حيث أمكن إلغاء هذه العصيّ وفي عام ١٨٣٤ وجـــد أن قد تراكم منها كميات عظيمة ، فكان لا بد من التساؤل عما يجب عمله بهذه القطع الخشبية القديمة البالية المتعفنة التي نخرها الســـوس . وكانت هذه القطع الخشبية مخزونة في وستمنستر وكان من الطبيعي أن يخطر ببال كل من له مسكة من العقل ألّا شيء أسهل من السماح للبائسين المجاورين لوستمنستر بحملها واتخاذها وقوداً ولكنها لم تكن نافعة يوماً ما ، فأرادها موظفو الحكومة الجامدون ألا تكون نافعة إطلاقاً ، فصدر أمر بإحراقها سراً . وحدث أنها أحرقت في أتون بمجلس اللوردات ، ولكن النار سرت من الأتون المملوء بهذه العصي الممسوخة الى خشب البناء نفسه ، وسرت منها الى مجلس العموم ، فاستحال المجلسان إلى رماد ، فاستدعي المعماريون لتشييد غيرها ، ونحن حتى الآن في المليون الثاني من النفقات » .

٤

يقابل هذه الجملية الصرفة لأقدم التسجيلات ، الترقيم الترتيبي وتمثل الأعداد فيه بأحرف الهجاء بتماقبها المنطوق به وأقدم شاهد على هذه القاعدة هو الترقيم الفينيقي ، وقد نشأ في الأغلب من الحاجة الى الاختصار الذي اقتضاه تفقد التجارة المتنامية ولا شك في أن الترقيمين العبري واليوناني ، إنما نبتا من أصل فينيقي ، فقد تم اقتباس النظام الفينيقي بجملته ، ومنه حروف الهجاء ، حتى لقد احتفظ بأصوات هذه الحروف [1]

ونرى من الجهة الأخرى في الترقيم الروماني الذي بقي الى اليوم ارتداداً واضحاً الى الطرق

---

(١) يقصد المؤلف أن الحروف الفينيقية ترمز لأمرين ، فهي من جهة حروف هجاء تتألف منها الكلمات وتمثل أصواتاً مفيدة ، وهي من جهة أخرى ترمز لأرقام تسجل بها الأعداد ، والذين اقتبسوها قبلوا هذين التمثيلين معاً

الجُملية القديمة . على أن التأثير اليوناني فيه ، يظهر من الرموز الحرفيـة التي اُقتبست لبعض الوحدات ، مثل X للعشرة و C للمئة و M للألف ولـكن الاُستعاضة بالحروف عن رموز الـكلدانيين والمصريين التي كانت أكثر جمالاً ، لا يعني العدول عن الفكرة .

•

لقد وجـــد نشوء الترقيمات القديمة التعبير النهائي عنه ، في النظام الترتيبي اليوناني ، والنظام الجُمْلي الروماني . ولـكن أيهما الأفضل ؟ لوكان الغرض من الترقيم لا يتعدى التسجيل المختصر للمقادير ، لما كان لهذا السؤال خطر أما وليس هذا هو الموضوع الأساسي ، فالسؤال الذي يفوقه جداً في الخطورة هو : ما مـــدى صلاح النظام للعمليات الحسابية ؟ وأية سهولة عنحها إياها ؟

فمن وجهة النظر هذه يصعب اُختيار إحدى الطريقتين ، فكلتاهما عاجزة عن إبداع حساب يتمكن الرجل المتوسط الذكاء من اُستعماله . ولذلك لم يحدث تقدم يذكر في فن الحساب منذ فجر التاريخ حتى ظهور الترقيم الموقعي .

وذلك لا يعني اُنعدام المحاولات لاُستنباط قواعد للعمليات الحسابية بهذه الأرقام . ويتجلى مبلغ صعوبة هذه القواعد في الإعجاب الشديد الذي كان ينظر به الى كل حسّاب في تلك الأيام . فالرجل الماهر بهذا الفن ، كان يعدّ موهوباً بقوى تكاد تكون خارقة للطبيعة . وقد يفسر لنا ذلك سبب اُهتمام رجال الدين بالحساب منذ أقدم العصور . وستتاح لنا الفرصة فيما بعـد لنبحث بتفصيل أكثر هذه العلاقة بين الرياضيات القديمة وبين الشمائر والأسرار الدينية ، وذلك لايصدق على الشرق القـديم وحده حيث نسـج العلم حول الدين ، بل إن الاغريق المتنورين لم يحرروا أنفسهم بالـكلية من تقديس العدد والهَيأة .

ولا تزال هـذه الروعـة محتفظة بالبقاء بعض الاُحتفاظ حتى اليوم ، فالرجل الاُعتيادي يشخّـص القابلية الرياضية بسرعة التعامل بالأرقام « أنت رياضي ! إذن لن تجد مشقة في حساب ضريبة دخلك . » أيّ رياضي لم يخاطب بمثل ذلك لا أقل من مرة واحدة في حياته ؟ بل ربمـا

أنطوت هذه الكلمات على سخرية لا شعورية أوَ ليس أشد الرياضيين تبحراً هو أبعدهم عن جميع المشكلات التي تصاحب ضريبة الدخل ؟

٦

هناك قصة تاجر ألماني في القرن الخامس عشر لم أوفق للتثبت من صحتها ، ولكنها تمثل الوضع القائم يومئذ بصورة لا أ تمكن معها من مقاومة الإغراء بنقلها كان للتاجر ولد عزم على ما يظهر أن يثقفه ثقافة تجارية عالية ، فاستشار أستاذاً في جامعة ، وسأله عن البلد الذي يحسن أن يبعث أبنه اليه ، فأجابه : « اذا كان منهج الرياضيات للشاب سيقتصر على الجمع والطرح ، فيحتمل إمكان حصوله على هذه المعلومات في إحدى الجامعات الألمانية » ، واستمر في حديثه فقال : « أما فيما يخص الضرب والقسمة ، فقد تحسنا كثيراً في إيطالية » التي هي في رأيه القطر الوحيد الذي تمكن فيه دراسة مثل هذه العلوم العالية .

والواقع أن عمليات الضرب والقسمة كما كانت تمارس يومئذ ، لا تتشابه مع العمليات الحديثة ذوات الاسم نفسه ، إلا في القليل التافه ، فالضرب مثلاً كان سلسلة من التضعيف ، وهو الاسم الذي كان يطلق على استخراج مثلي المدد وبمثل ذلك كانت القسمة تجري بالتنصيف ، أي باستخراج نصف المدد ويمكن تكوين فكرة واضحة عن مستوى الحساب في القرون الوسطى بمثال سأستعمل فيه الرموز الحديثة :

اليوم	في القرن الثالث عشر
٤٦	
١٣	٤٦ × ٢ = ٩٢
١٣٨	٤٦ × ٤ = ٩٢ × ٢ = ١٨٤
٤٦	٤٦ × ٨ = ١٨٤ × ٢ = ٣٦٨
٥٩٨	
	٣٦٨ + ١٨٤ + ٤٦ = ٥٩٨

بدأنا نفهم لماذا تمسكت البشرية ، في إصرار ، بوسائل كالمعداد ، بل حتى بالعصي ذوات الحزوز . فالحسابات التي يجريها طفل اليوم ، كانت تستدعي خدمات اختصاصي ، وما لا يحتاج اليوم الى أكثر من بضع دقائق كان يتطلب في القرن الثاني عشر أياماً من العمل المعقد .

وقد اتخذت الزيادة الكبيرة في سرعة تعامل الرجل الاعتيادي اليوم بالأعداد دليلاً على نمو العقل الإنساني وحقيقة الأمر أن الصعوبات التي كانت تجابهه يومئذ ، هي من مستلزمات الترقيم المستعمل ، وهو ترقيم لا يقبل القواعد السهلة الواضحة . واكتشاف الترقيم الموقعي الحديث ، أزال هذه العقبات ، وجعل الحساب في متناول أغبى الناس

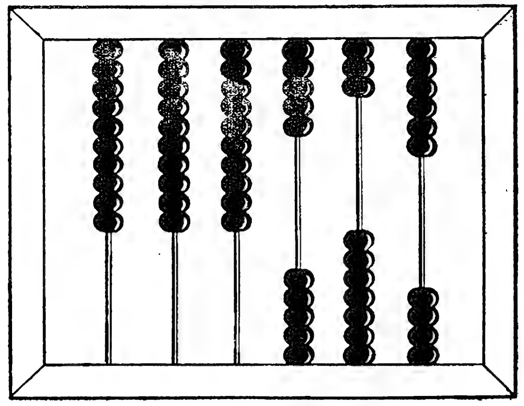
٧

إن التعقيدات المتزايدة في الحياة ، وفي الصناعة ، والتجارة ، وملكية الأرض ، واقتناء العبيد ، وفي الضرائب والتنظيم العسكري : كل ذلك استدعى إجراء حسابات على شيء من التعقيد أوسع من نطاق طريقة استعمال الأصابع . وكان الترقيم الصلب الذي لا مرونة فيه عاجزاً عن سد الحاجة . إذن ، كيف تسنى للإنسان في أثناء خمسة آلاف سنة من الحياة المتحضرة ، التي سبقت الطريقة الحديثة في الترقيم ، أن يتغلب على هذه الصعوبات ؟

الجواب عن ذلك أنه كان عليه أن يستعين ، منذ البداية ، بالوسائل الآلية التي هي واحدة من حيث الأساس ، وإن اختلفت أشكالها باختلاف الزمان والمكان . ويمكن تمثيل الخطة بالطريقة العجيبة لإحصاء الجيش في مدغشقر ، فقد كان على الجنود أن يجتازوا واحداً وراء الآخر ممراً ضيقاً ، وأن تسقط حصاة عن كل واحد ، فإذا بلغ العدد عشرة ، أسقطت حصاة على الكومة التي تمثل العشرات ، ويستمر العد ، فاذا تجمع عشر حصيات في الكومة الثانية ، ألقيت حصاة على الكومة التي تمثل المئات ، وهكذا حتى يكمل عد جميع الجنود .

ومن هذه المرحلة لا توجد إلا خطوة واحدة للعد على اللوح الحاسب أو للمعداد الذي وجد بالفعل بشكل أو آخر في جميع البلدان التي كان عندها أسلوب للعد . والمعداد ، في صورته العامة ، يتألف من لوح مستو مقسم الى سلسلة من الأعمدة المتوازية ويمثل كل عمود صنفاً

مستقلاً من المراتب العشرية ، كالوحدات والعشرات والمئات .. الخ ، واللوح مزود « طقماً » من العدادات (الخرز أو الأزرار) تستعمل لبيان وحدات العدد من كل صنف مثال ذلك لتمثيل العدد ٥٧٤ على المعداد ، أن توضع ٤ عدادات على العمود الأخير الأيمن ، و ٧ على العمود الذي يليه ، و ٥ على العمود الثالث .



(صورة تخطيطية للوح الحاسب أو المعداد)

والأنواع الكثيرة من المعداد ، لا تختلف فيما بينها ، إلا في تركيب الأعمدة وشكل العدادات . فالأنواع اليونانية والرومانية ، كانت عداداتها منثورة . أما « السوان بان » الصينية الحالية ، فلها كرات مثقوبة كالخرز منظومة في قضبان دقيقة من الخيزران والسزاتي Szezety الروسية كالمعداد الصيني ، تتألف من إطار ركبت عليه أسلاك معدنية تنزلق عليها الأزرار المعدادة . وفي أغلب الظن أن لوح الرمل الهندي القديم ، كان أيضاً نوعاً من المعداد في فكرته ،

إذ يقوم مقام المدادات فيه إشارات قابلة للمسح مكتوبة على الرمل .

وأصل كلمة Abacus المـداد غير محقق ، فبعضهم يعزوها الى كلمة Abac السامية ، ومعناها الغبار والتراب ، ويعتقد آخرون أنها من الكلمة الإغريقية Abax ومعناها اللوح .
وكانت هذه الآلة شائعة الاستعمال عند الإغريق ، وقد ذكرها هيرودتس وپوليپوس ويذكر هذا الأخير عند تعليقه على بلاط فيليب الثاني ملك مقدونية العبارة الموحية الآتية : « وكحجارة المداد التي قد تساوي قيمها في لحظة قنطاراً من الذهب ، وفي أخرى قطعة من النحاس ، كذلك حاشيةُ الملك : كانت نظرة الملك ترفعها في لحظة الى قمة السعادة ، وتخفضها الى موضع الرثاء في أخرى »

ولا يزال لوح الحساب هذا قيدَ الاستعمال حتى اليوم في المناطق الريفية في روسية ، وفي أنحاء الصين حيث تستمر على مزاحمة وسائل الحساب الحديثة أما أوربة الغربية وأمريكة ، فقد بقي فيها المداد مجرد تحفة ، لا يراها إلا القليل من الناس في المصورات وقليل من يعرف مدى انتشار استعمال المداد في وطنه قبل بضع مئين من السنين فهو بطريقةٍ ما ، كان يساعد على حل المشكلات التي تستعصي على الترقيم السقيم

٨

ومن يتأمل تأريخ الحساب الى حين اختراع مبدأ الموقع ، تتملكه الدهشة من ندرة الإبداع فيه لقد شاهدت هذه المدة الطويلة التي تناهز خمسة آلاف عام سقوط حضارات كثيرة وقيام غيرها ، وقد خلّف كل منها تراثاً في الأدب الفني والفلسفة والدين ولكن ماذا كان محصّل التقدم في ميدان الحساب أقدم فن مارسه الإنسان ؟ الجواب : ترقيم لا مرونة فيه ، بلغ من ركاكته أن جعل التقدم مستحيلاً على وجه التقريب ، ووسيلة حاسبة بلغ من ضيق نطاقها أن الحسابات حتى الابتدائية منها كانت تستدعي خدمات خبير وأدهى من ذلك أن الإنسان استعمل هذه الوسائل آلاف السنين من غير أن يحدث تحسيناً واحداً يستحق الذكر في الآلة ، أو يضيف فكرة مهمة واحدة الى النظام .

ربما كان هــــذا النقد صارماً ، فليس من العدل أن نحـكم على إنجازات عهد بعيد بمقاييس زماننا ذي التقدم المتســـارع والفعالية المحمومة ، ومع ذلك إذا قورن بالنمو البطيء للآراء في العصور المظلمة ، نجد أن تاريخ الحساب يعطي صورة عجيبة للركود المقفر

وإذا نظرنا بهذا الضوء ، نجد أن اختراع الهنـدي المجهول الذي أُكتشف مبدأ « الموقع » في العصور الأولى بعد الميلاد يتخذ ضخامة الحدث العالمي . ولم تكن هـــذه الفـكرة تحولاً أساسياً عن الطريقة المألوفة حسب ، بل نعلم الآن أنه لولاها لما أمـكن حدوث تقـدم في علـم الحســاب والفـكرة مع ذلك من السـهولة بحيث لا يصعب إدراكها حتى على أغبى طالب علم ، وبنيان اللغة العـددية يوحي بها الى حـد ما . والواقع يظهر أن أول جهد لترجمـة عمل اللوح الحاسب الى لغة الترقيم ،كان يجب أن ينتج عنه أُكتشاف فكرة الموقع

ومما يحيرنا على الأخص أن عظماء الرياضيين في عصر الإغريق الـكلاسيكي لم يعثروا عليها أكان ذلك بسـبب أُحتقار الإغريق للعلوم التطبيقيـة ، حتى أنهم كانوا يتركون تعليم أولادهم للعبيـد ؟ فإن كان الأمر كذلك ، فكيف نفسـر إذنْ أن أمة أعطتنا علم الهندسة على هذه الدرجة من الرقي عجزت أن تبـدع جبراً ولو بدائيـاً ؟ كذلك أليس من العجيب أن الجبر ذلك الحجر الأساسي في الرياضيات الحديثة ، نشأ في الهند أيضـاً حوالي الزمن الذي ظهر فيه الترقيم الموقعي ؟

إن الفحص الدقيق لتكوّن نظامنا الترقيمي الحديث ، قد يلقي ضوءاً على هـذه الأسـئلة . فمبدأ الموقع يتألف من إعطاء الرقم قيمة تعتمد لا على العضو الذي يمثله في التتابع الطبيعي فقط ، بل عليه وعلى الموقع الذي يحتله بالنسبة الى الرموز الأخرى في المجموعة فالرقم ٢ مثلاً معـان مختلفة في الأعداد الثلاثة ٣٤٢ ، ٧٢٥ ، ٢٦٩ . فهو في الحالة الأولى يمثل أثنين ، وفي الحالة الثانية يمثل عشرين ، وفي الحالة الثالثة يمثل مئتين . والواقع أن ٣٤٢ هي تعبير مختصر لثلاث مئـات ، زائداً أربع عشرات ، زائداً وحدتين

ولكن تلك هي بالضبط خطة اللوح الحاسب حيث تمثل عليه ٣٤٢ بالصورة الآتية :

ويلوح لنا — كما بينت سابقاً — أنه يكفي أن تترجم هـذه الخطة الى لغة الأرقام ، لينتج عنها من حيث الجوهر ما لدينا الآن •

هذا صحيح ! ولكن هناك صعوبة واحدة ، وهي أن أية محاولة لعمل تسجيل ثابت لعملية أجريت على اللوح الحاسب سيلاقي العقبة التي تجعل تسجيلاً مثل = ≡ يجوز أن يمثل أياً كان من الأعداد ٣٢ ، ٣٠٢ ، ٣٢٠ ، ٣٠٠٢ ، ٣٠٢٠ ، وغيرها ولتجنب هـذا الغموض يصبح من المهم ايجاد طريقة لتمثيل هذه الثُّغَر ، أي أن ما تمس الحاجة اليه هو « رمز للعمود الخالي »

ولذلك نرى أن التقدم غير ممكن ما لم يخترع رمز للصنف الخالي ، رمز للاشيء وهو الصفر الحديث والعقل الإغريقي المادي لم يتمكن أن يتصور الخلو كعدد ، فضلاً عن أن يمنح الخلو رمزاً . كذلك لم ير الهندي المجهول في الصفر رمزاً للاشيء ، فالكلمة الهندية للصفر هي سُونْيا Sunya وهي تعني الفارغ أو الخالي ، ولا تتضمن معنى لا شيء أو العدم . وجميع الظواهر تشير الى أن اكتشاف الصفر جاء بالمصادفة عند محاولة القيام بتسجيل ثابت لا غموض فيه ، لعملية أجريت على اللوح الحاسب

أما الكيفية التي أصبحت بها كلمة سونيا الهندية تسمى اليوم Zero أي الصفر ، فهي من أمتع الفصول في تاريخ الثقافة . ذلك أن العرب حين اقتبسوا الترقيم الهندي في القرن العاشر الميلادي ترجموا كلمة سونيا الهندية بكلمتهم العربية (صفر) ، ومعناها في تلك اللغة فارغ . فلما أدخل الترقيم الهندي — العربي في ايطالية لأول مرة ، منحوا الصفر صبغة لا تينية ، فسموه Zephirum زفيروم حدث ذلك في أوائل القرن الثالث عشر ، وطرأ على الكلمة في القرن الذي عقب ذلك سلسلة من التغيرات أنتهت الى كلمة Zero زيرو الإيطالية .

وفي حوالي ذلك التاريخ كان جردانس نمراريوس Jordanus Nemararius يدخل النظام العربي الى ألمانية ، فاحتفظ بالكلمة العربية بتعديل طفيف ، فصارت Cifra سفرا . أما الاستمرار مدة من الزمن على استعمال كلمة سفرا ومشتقاتها للدلالة على الصفر في البيآت العلمية في أوربة ، فواضح ، حتى أن گاوس Gauss العظيم ، وهو آخر رياضيي القرن التاسع عشر ممن ألفوا باللاتينية ، كان لا يزال يستعمل كلمة سفرا Cifra بهذا المعنى . ونقلت هذه الكلمة في اللغة الانكليزية الى كلمة سايفر Cipher وحافظت على المعنى الأصلي للصفر .

ويتمثل موقف عوام الناس من هذا الترقيم الجديد أن كلمة Cifra أستعملت بمعنى إشارة سرية أو لغز ، بعد إدخال الترقيم في أوربة بزمن يسير ، ولكن ذلك أندثر في العصور التالية والفعل decipher ، ومعناه حل اللغز ، بقي رمزاً لتلك الأيام الخالية

وشاهدت المرحلة الثانية في هذه التطورات أنتشاراً أوسع لفن الحساب . ومما هو جدير بالذكر أن الخدمة الأساسية التي يؤديها الصفر لم تخفَ على الجماهير ، فالواقع أنهم شخصوا النظام كله بأغرب أجزائه ، أي السفرا Ciphra ، ويفسر ذلك لنا كيف أن هذه الكلمة ، بصيغها المختلفة زيفر Ziffer شيفر Chiffer .. الخ ، أخذت معنى الترقيم ، وما زالت تحتفظ به الى اليوم في أوربة .

ولقد سبب هذا المعنى المزدوج — سفرا العامية ومعناها الترقيم وسفرا العلمية ومعناها الصفر — بلبلة كبيرة ، وذهبت محاولات العلماء لإحياء معنى الكلمة الأصلي سدى ؛ لأن جذور المعنى العامي كانت قد تغلغلت عميقاً ، وكان على العلماء أن يخضعوا للمعنى العامي ، وأستقر الأمر أخيراً على أستعمال الكلمة الايطالية Zero في المعنى الذي تستعمل به اليوم .

وأعطيت كلمة الكوريثم Algorithem مثل هذه الأهمية ، فالمصطلح كما هو مستعمل اليوم يعني أية عملية كانت من العمليات الرياضية التي تتألف من عدد غير معين من الخطوات الحسابية التي يستعمل في كل منها نتيجة الخطوة السابقة لها على أن هذه الكلمة كانت فيما بين القرنين

العاشر والخامس عشر مرادفة للترقيم الموقعي ونعلم الآن أنها لم تكن إلا تحريفاً لكلمة الخوارزمي ، وهو أسم الرياضي العربي — في القرن التاسع — الذي نُقِلَ كتابه الى اللاتينية ، وكان هذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا الموضوع وصل الى أوربة

١١

أما الآن وقد أصبح الترقيم جزءاً من حياتنا اليومية ، فقد يظن أن تفوّق هذه الطريقة وقوتها على التعبير بأختصار ، مع السهولة والجمال اللذين منحهما للحسابات ، كان يجب أن يضمن الترحيب بها والأنتشار السريع لها ولكن الحقيقة أن التحول اليها لم يكن فورياً ، بل أستغرق عصوراً عديدة فالصراع بين أنصار المداد المدافعين عن التقاليد القديمة ، وأنصار الخوارزمي الذين يدعون الى الإصلاح ، أستمر من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر ، ومر بجميع العهود الأعتيادية الرجعية المقاومة للتجدد الملي ففي بعض الأماكن حرّم أستعمال الأرقام العربية في الوثائق الرسمية ، وفي أماكن أخرى حرم أستعمالها بتاتاً ، وكما هي العادة لم ينجح المنع في محقها ، ولكنه كان عاملاً في أنتشار أستعمالها سراً . وتشهد على ذلك سجلات إيطالية في القرن الثالث عشر حيث كان يستعمل التجار الترقيم العربي « شفرةً » سرية .

ولكن رد الفعل نجح في وقف تقدم هذا النظام الجديد وتحسينه لأمدٍ ما ، فلم يحدث في أثناء أعصر الأنتقال هذه إلا النزر اليسير مما له قيمة جوهرية أو أثر خالد في فن الحساب . فالشكل الخارجي للأرقام وحده مرّ بسلسلة من التغيرات لم تكن يراد بها التحسين ، بل لأن الكتب في تلك الأيام كانت تنسخ باليد . والواقع أن الأرقام لم تتخذ شكلا ثابتاً إلا بعد أستحداث الطباعة . ويمكن أن نضيف ـ على سبيل الأستطراد ـ أن أثر الطباعة كان من القوة في تثبيت أشكال الأرقام بحيث أن الأرقام من حيث الجوهر كان لها اليوم المظهر الذي كان لها في القرن الخامس عشر .

١٢

ولا يمكن تحديد التاريخ الذي تم فيه النصر الحاسم لأنصار الخوارزمي ، ولكننا نعلم أن أنتشار الترقيم الجديد كان في أوائل القرن السادس عشر أمراً لا جدال فيه . ومنذ ذلك التاريخ سار التقدم من غير عائق ، حتى إنه في غضون المئة سنة التي جاءت بعده كانت جميع قواعد العمليات للأعداد الصحيحة والكسور الأعتيادية والعشرية قد بلغت بالفعل المدى والصيغة اللتين تعلم بهما في مدارسنا اليوم .

وبمرور قرن آخر أصبح المدادون وكل ما ناضلوا عنه نسياً منسياً ، حتى إن بعض أمم أوربة أخذت تدعي أن الترقيم الموقعي كان من مبتدعاتها القومية مثال ذلك أننا نجد في أوائل القرن التاسع عشر أن الأرقام العربية كانت تسمى في ألمانية دوتيش Deutsch (أي ألمانية) ، تمييزاً لها عن الرومانية التي عدوها من أصل غريب .

أما المداد نفسه ، فلم يكن له من أثر في أوربة الغربية في القرن الثامن عشر . أما عودة ظهوره في أوائل القرن التاسع عشر ، فقد حدثت في ظروف عجيبة فقد أسر الرياضي پونسليت Poncelet وهو أحد قواد نابليون ، في الحملة الروسية ، ولبث في الأسر في روسية سنين عديدة ، . فلما سرّح ، جلب معه فيما جلب من نفائس التحف مداداً روسياً ، فكان ينظر الى طرفة پونسليت هذه مدة طويلة من السنين بعد ذلك أنها تحفة من أصل « همجي » . وتاريخ الثقافة يزخر بمثل هذه الأمثلة عن فقدان الذاكرة لدى الأقوام ، بل كم من المثقفين في عصرنا هذا يعرفون أن العد على الأصابع كان قبل زمن لا يزيد على أربعمئة سنة هو وسيلة العد الوحيدة عند الرجل الأعتيادي ، وأن اللوح الحاسب لم يكن إلا في متناول الحسّابين المحترفين في ذلك الزمان ؟

لقد قدر لهذا الصفر الهندي الذي وضع على أغلب الأحتمال ليرمز عن العمود الخالي في اللوح الحاسب أن يكون نقطة التحول في تطور لولاه لكان التقدم في العلوم الحديثة وفي الصناعة والتجارة مستحيلاً ، فإن أثر هذا الأكتشاف المظيم لم يكن بوجه من الوجوه مقتصراً على

علم الحساب ، إذ بتمبيد الطرق لفكرة تعميم العدد أدّيت خدمة أساسية لكل فرع من فروع الرياضيات بالفعل وسيلمع أكتشاف الصفر في تاريخ الثقافة على الدوام كشيء من الإنجازات الفريدة للجنس البشري .

اكتشاف عظيم ! نعم . غير أنه كالكثير من الاكتشافات القديمة التي كان لها تأثير عميق في حياة الإنسان ، لم يكن ثمرة البحث الشاق المتعب ، ولكن هبة المصادفة العمياء .

ترجمة : محيي الدين يوسف

الكلمات العربية الشائعة
في اللغة الانكليزية[1]

ـ ١٢٦ ـ NADIR	نقطة في الأفق تقابل السّمت تحت رأس الراصد مباشرة . حضيض . محلّ ، أو زمن حلّ به كساد عظيم . فرنسية : (كذلك) إسبانية : (كذلك) . « نَظير » أي نظير السمت
ـ ١٢٧ ـ NARCISSUS	« نَرجس » معربة عن اليونانية
ـ ١٢٨ ـ NATRON Nitre Mitric Nitrify Nitrite, etc.	البورق الأرمني فرنسية (كذلك) اسبانية : (كذلك) . « نَطرُون » معربة عن اليونانية
ـ ١٢٩ ـ ORANGE	« برتقال » وهو الثمر المعروف . فرنسية : orange ايطالية : orancia إسبانية : noronje « نَارَنج » (كان البرتغاليون يستوردون هذه الثمرة من الشرق ، ولكننا سميناها بالاسم الذي عرفناهم به) . عن : نارنك الفارسية ـ العربية ، ومعناها اللون الناري . المسعودي :

(١) تابع المنشور في الجزء الأول من المجلد الرابع (٢٢٠ — ٢٣١)

« شجر النارنج : جلب من أرض الهند بعد الثلاث مئة (للهجرة) ، وزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام ، حتى كثر في دور الناس بطرطوس وغيرها من الثغر الشامي ... وفلسطين ومصر ، وما كان يعهد ولا يعرف » .

– ١٣٠ – QUINTAL, KENTLE

ثقل يساوي مئة رطل (شائع في أجزاء كثيرة من أوربة) .

فرنسية ، اسبانية : (كذا)

« قِنطَار » (يرى بعضهم أنها من الكلمة القديمة اللاتينية Centum أي مئة)

فقه اللغة : القنطار أثنا عشر ألف أوقية — مما نسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية . (اللاتينية)

– ١٣١ – RAZZIA

غارة حملة لنهب الرقيق من الشواطئ الأوربية يقوم بها المغاربة .

فرنسية (كما تقدم)

« غَزْوة »

– ١٣٢ – REALGAR

الزرنيخ الأحمر ، ويستعمل كصباغ وفي ألعاب النار .

إسبانية : Rejalgar إيطالية : Risigallo .

« رَهْج الغار » (تراب الغار) ويعرف بالرهج الأحمر [1] (الرهج هو الغبار) الهمداني ص ٨١

---

(١) منهاج الدكان : « رهج الفأر ، فنه مغربي ، ومنه هندي ، يقتل الفأر ويقطع اللحم الميت ويسمى الزرنيخ بسم الفأر » ، ابن البيطار : بولاق رهج الفار (أيضاً) .

ـ ١٣٣ ـ RBAM	عشرون ملزمة ، أو ٤٨٠ (٥٠٠) كاغدة (يسمى بالدارج بنداً من ورق) شــــفاء الغليل : الزرمة ما يجمع فيه الثياب هولندية : Riem ايطالية : Risma إسبانية : Resma .
ـ ١٣٤ ـ RICE	« الرزّ » فرنسية : Riz اسبانية : arroz . ايطالية : Riso . ربما كانت معربة عن اليونانية oruzo . هندية
ـ ١٣٥ ـ RISK Yiness	١ — مغامرة محفوفة بالمخاطر ضياع سلمة سوء حظّ . (اسم فعل) (هذا اللفظ كثير الشيوع في اللغة الانكليزية) ٢ — علاوة الصرّاف لسد العجز المفاجيء وثَمَّ تراكيب وجمل مثل run the r., take the r, r. money . فرنسية : (Rispue (Rispuer ايطالية : Risco إسبانية : Riesgo « رِزْق »
ـ ١٣٦ ـ ROC	طائر خرافي شرقي قطعة الشطرنج الخاصة (رخّ) . إسبانية : Roque . برتقالية : Roch « رخّ »
ـ ١٣٧ ـ SAFFRONY	نبات أصفر الزهر ، جذره كالبصل ، يستعمل للتلوين والنكهة في السوائل والمعجنات فرنسية : Safran . اسبانية : Azafran . « زعفران »

(Saffon Cake.. وهي كعكة مشهورة عند الإنكليز) .

– ١٣٨ – SAFFRANIN

مادة صابغة مأخوذة من الزعفران ، لونهـا أصفر مائل الى الحمرة ، أو ما يشبه فحم القطران .

« زَعْفَراني »

– ١٣٩ – SAHARA Saharic Saharian

كل صقع مجدب (تطلق بصورة خاصة أيضاً على الصحراء الليبيـة العظمى) .

« صحراء »

– ١٤٠ – SAHIB

(في الهند) لقب تعظيم وشرف .

هندية : صاهب .

« صاحب [1] » .

– ١٤١ – SALEP

طعام مغذ ، من جُذيرة بعض نباتات الفصيلة السحلبية .

نبات السحلب تركية : سالب

« ثعلب » أصلها « خصى الثعلب » اختصرت من اللفظ التركي .

– ١٤٢ – SELUKI

كلب أنيق ، خفيف الحركة ، دقيق الأنف ، يستخدم في الطـّرد وصيد الغزلان .

« سَلُوقي » نسبة إلى مدينة سلوق . سلوقية

– ١٤٣ – SANAD

إذن . تفويض أمر . نية كفالة

هندية : سناد (وتعني عنـدهم الإمضاء أو التوقيع) .

« سَنَد »

(١) يميل الدكتور داوود الجلبي الى أنهـا مـأخوذة عن لقب الصاحب بن عباد ، الذي كان يلازم (يصاحب) أستاذه

ـ ١٤٤ ـ
SANDAL

خشب ذو رائحة طيبة (أصفر وأحمر وأبيض) ، يكثر في مليبار بالهند .
لاتينية مصحفة : Sandalum إسبانية : Sandalo
« صندل »
شفاء الغليل : « أصله سنسكريتي »

ـ ١٤٥ ـ
SARABAND

رقصة إسبانية (أخذها الأوربيون عنهم) بطيئة في ثلاث فترات .
(بنود) تصاحبها مقطوعة موسيقية إيقاعية
فرنسية : Sarabande إسبانية : (لحن أيضاً : أنظر فارمر — تأثير الموسيقى العربية) Zarabanda .
« سربند » محرفة عن زرفكند ، أو زير أفكند [1] . وهو من المقامات الموسيقية العربية (الكافي في الموسيقى) لابن زيلة ، وهو مخطوط في المتحف البريطاني

ـ ١٤٦ ـ
SARACEN

الاسم العام الذي كان الرومان واليونان يطلقونه على بدو العرب الساكنين في بادية الشام . العرب والمسلمون أيام الغزو الصليبي .
العرب المسلمون
لاتينية : Saracen . برتغالية : Sorraceno يونانية متأخرة Sarakenos . قطالونية : Sarrahi . فرنسية : Sarrasin . برتغالية : Sarraceno . إسبانية : Sarracin Sarraceno . و Sarsener هو نسيج حريري رقيق (ثياب شرقية)
« شرقيون » . (ورد ذكرهم عند ابن بطوطة باسم السرجيون —

(١) فارمر تاريخ الموسيقى العربية « زمربند » ، وهي القطعة الموسيقية التي يلعب فيها المزمار دوراً رئيساً .

« ... ويسـموهم (أي اليونان والروم) العرب في بادية الشـام (بالسرحيين) ، ويعلل ذلك الأسم بأنه من سرح أي رعى الإبل والماشية ، رعاة سرحيون (المصادر الفرنسية تجعل مصدرها كلمة « إسماعيليون » وهم من فرقة الإسماعيليـة التي كانت تشن هجماتهـا على الصليبيين الغزاة . وكلا التسميتين ضعيفة النسبة في رأيي.

– ١٤٧ – نوع من النسيج الرجراج الأطلس الحرير

SATAN

فرنسية

« شَيْطان » معربة عن العبرانية

– ١٤٨ – ثمرة شـبيهة بالبرقوق أو الإجاص ، تنمو في شـجرة أسمها العلمي

SABESTAN

Cordia myxa كانت تستعمل لأغراض طبية .

« سَبَسْتَان » معربة عن الفارسية (أصلها سَكْ بستان ، ومعناها ثُدْيُ الـكلبة [1]) : البستان ١/١٠٤٣

– ١٤٩ – أوراق شجرة من نوع الأقاسيا ، تستعمل بعد تيبيسها بمثابة ملين .

SENNA

« سَنَـا » (ومنها سنامكي أي السنا المنسوب الى مدينة مكّة) .

– ١٥٠ – قطعة نقد ايطالية ، شاعت في أوربة في القرون الوسطى . حلية مستديرة كان نبلاء القرون الوسطى يضعونها على صدورهم .

SEQUIN, ZECCHIN, ZECHIN

ايطالية : Zecchino من (Zecca).

« سكّة » وهي النقود الجديدة .

– ١٥١ – مركب خفيف مكشوف ، وزورق كبير .

SLOOP, SHALLOP.

فرنسية : Chaloupe دي أ كويلاز Sloop . إسبانية Cholupa .

---

(١) الأصمعي : ومن الشجر « المخاطة » ، وهي التي تسميها الفرس « السبستان » ويراه الدكتور داوود الجلبي مخطئاً

ايطالية Scialuppa

« جَلْبَة ، جَلَبة » وهي السفينة العظيمة أبن بطوطة ٢ / ١٥٨ ، الإدريسي ، أبن جبير ، القريزي

فقه اللغة : هي السفينة الصغيرة ، قال الليث : هي سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية ، تستخف لحوائجهم

ـ ١٥٢ ـ SHERBET

شراب مرطب شرقي ، من عصير الفواكه ممزوجاً بالماء (يستعمل الإنكليز في هيئته بصورة عامة روح الفواكه مركزة)

فرنسية : Sorbet (وهي الجرعة المسكرة) تركية فارسية : شربت

« شربة » من شرب

ـ ١٥٣ ـ SHROFF

بدّال نقود من برع في فرز الدراهم الجيدة عن الرديئة فنّ تمحيص النقود (Shroffage)

« صَرَف صَرّاف صَرافة »

ـ ١٥٤ ـ SHRUB

عصير فواكه منعش مشوب ببعض كحول

« شرَاب »

ـ ١٥٥ ـ SICCA

قطعة النقود الجديدة التي لم تبل بالتحاتّ ، لذلك فهي أعلى قيمة من التي مرّ عليها زمن طويل في التداول

إسبانية : Ceca

« سِكَة »

ـ ١٥٦ ـ SICE, SYCE

مروض الخيل سائس

هندية : سايس .

« سائس » .

- ١٥٧ - SIMOOM

رياح جافة خانقة كثيرة الغبار ، تهب باستقامة ، ولا تدوم طويلاً ، كثيرة الحصول في الصحراء الغربية .

« سَمُوم » (ريح السموم) .

- ١٥٨ - SIROCCO, SCIROCCO

الاسم الإيطالي لريح الصحراء عندما تصل الى سواحل أوربة . الريح الدافئة المالحة التي تقبل في الشتاء حاملة أمطاراً .

ايطالية : Sciroco .

« شرقية » ريح شرقية

- ١٥٩ - SOFA

متكأ ذو مساند مرتفعة وقفاً يتسع لجلوس عدة أشخاص أوالاضطجاع عليه قطعة من أثاث (شائعة جداً في البيت الانكليزي) .

اسبانية وفرنسية : Sofà .

« صفّة » ، المسعودي عن ابن بسّام : « وفي صدره ... صُفّة ، وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان » أنظرهما في المقدسي ، وأسامة بن منقذ في الاعتبار .

- ١٦٠ - SPINACH SPINAGE

وهو الخضر المعروف يطبخ ويؤكل .

فرنسية : Epinard أسبانية : ESpinca .

(تشير بعض المعجمات والمراجع إلى أنها لاتينية من : Spina ومعناها - شوكة -) .

« اسفناج » معربة عن الفارسية (اسفاناج) .

(أنظر مادة Spinas في معجم الدكتور سمتص ص ١٠٥١)

ـ ١٦١ ـ صودا وهي المادة المعروفة

SODA اسبانية : Soda . ايطالية (من لاتينيـة متأخرة) Sodà . ومعناها الشديد أو الصلب .

« صُدَاع » من صدع أي شقّ أو فلق [١]

ـ ١٦٢ ـ « سُكَّر » معربة من السنسكريتية Cakara (فارسيتها : شكر)

SUGAR يونانية Sakkaron

إسبانية : Azucar .

ـ ١٦٣ ـ نبات شجرة السماق ، وهو من فصيلة Rheus تستعمل أوراقه طبياً

SUMACH ولاستخراج مواد صابغة .

اسبانية : Zumaque .

« سُمّاق » أنظر هذه الكلمة عند الفيروزأبادي المقدسي ١٨١ يقول إنه من منتوج سورية . ياقوت ، وابن حوقل ، يتكلمان على السماق الذي ينمو في سنجار

ـ ١٦٤ ـ ماء مشبع بالسكر ، يعطر ويمزج بالأدوية ، ويتناول كدواء (مثبت

SYRUP في قوانين الصيدلية العالمي)

إسبانية : Jarabe .

SIRUP « شربة ، شروب »

(تجدها في سائر اللغات الأوربية) أدّيشير يفسرّها بـ (سَيْر

---

(١) يرى الدكتور داوود الجلبي أنها من السوداء ، وهي داء المرة السوداء

المرتوي) بأعتبار آب هو الماء وأراها بعيدة غير مستساغة

ـ ١٦٥ ـ الأقمشة المائية ، خاصة الحريرية منها الأقمشة الحريرية أو القطنية

TABBY المقلمة يقال (الهرة العتابية tabby cat) أي السمراء منها أو الرمادية المخططة بخطوط داكنة المرأة الثرثارة

فرنسية : Tabis

إسبانية : Attiabi, Tabi, Atavio

« عتّابي » نسبة الى العتابية ، وهو حيّ من أحياء بغداد القديمة ، اشهر بنسج الأقمشة العتابية وتصديرها ابن حوقل ٢٦١ : « العتابي والموشى وسائر ثياب الابريسم » الاصطخري ١٩٩ : « العتابي وسائر الثياب الحرير »

(ربما كانت من فعل طبث)

ـ ١٦٦ ـ مسحوق سيليكات المغنيسيوم

TALC فرنسية : Talc . أسبانية Talca

من الفارسية ، معرب (تلك) أبن البيطار : « يعمل منه مضاوي للحمامات ، ويقوم مقام الزجاج » المحيط ٣/٣٥٩ : وهو حجر براق ، يتشظىّ إذا دق صفائح وشظايا ، يتخذ منها مضاوي للحمامات بدلا من الزجاج [١]

---

(١) في المسعودي (وهي لخالد بن يزيد بن معاوية الـكيمياوي ٤/١٩١)

خذ الطلق مع الأشق وما يوجد في الطرق
وشيئاً يشبه البو رق قدره بلا خرق
فان أحببت مولاك فقد سودت في الخلق

والفظة فارسية الأصل

ـ ١٦٧ ـ
TALISMAN

تميمة سحر تعويذة شيء زعيم بعمل الأعاجيب (في التنجيم) .
حاجة سحرية مصنوعة أو محفورة تنفع صاحبها

فرنسية : Talisman برتغالية : Tolismôo أسبانية :
Talismà قالنسية : Tolisme

« طلّسم » معربة من اليونانية Telesma . ومعناها شعيرة دينية ، سنة ، مذهب [١] .

ـ ١٦٨ ـ
TAMARIND

شجرة تنمو في المناطق الحارة ، لها ثمرة قشرها ينقع ، ويستخرج منه شراب منعش .

فرنسية : Tamarin

« ثمر الهند ، تمر هندي »

ـ ١٦٩ ـ
TAMASHA

حفلة أو رواية تمثيلية منظر طريف يستوقف النظر . عرض جميل

اسبانية : Tamiz

« طماشة » عامية عربية ، مأخوذة من الفارسية (طماشا) وهي المشاهدة والنظر . وهي معروفة دارجة في العامي من الكلام الموصلي

ـ ١٧٠ ـ
TAMBOUR

طبل (الطبل ذو الصوت الضخم على الأخص) طار خشبيّ يشد عليه الحرير للتطريز . (في الهندسة) حجرة أسطوانية في عمود الجزء المدور في أيّ بناء نوع من السمك يصدر منه أصوات شبيهة بقرعات الطبل

فرنسية : Tambour أسبانية Atembor Tambor . برتغالية :

---

(١) قال ابن الرومي : وفي لطفك طلسم لحالي أي طلسم

Tambor

« طنبور » (وهو إما الآلة الضخمـة الشبيهة بالعود ، وإما الطبل نفسه)

* إن لفظة TABOR هي الطبـل الصغير ، وعلى الأخص المستعمل لمصاحبة الزمار (فرنسية Tabour) فارســـية طنبور وطنبار ، وأصلها « دُنبَـه بره » أي إلية الخروف لشبه الآلة به .

ـ ١٧١ ـ
TAMBOURIN
TAMBOURINE

طبل طويل العنق شائع في البروفنس وجنوب فرنسا (أنظر أعلاه) .

ـ ١٧٢ ـ
TARE

علاوة تضاف الى وزن صندوق أو رزمة أو أية بضاعة تمهيداً لطرحها منه ، فيها بعض الوزن الحقيقي أو المعتاد أو المقارب . وزن العجلة أو السـيارة بدون وقود . وزن الوعاء الذي توزن فيـه البضائع .

فرنسية : Tare أسبانية : Atarjea (أنظر دوزي 2 P. 31, tom)

« طَرْحٌ » من طرح الطرحيّة

ـ ١٧٣ ـ
TARIFF

قائمة الـكمرك . الضـرائب التي يجب دفعها على الصادر والمستورد . القانون الذي يقرر ذلك . الضريبة الـكمركية الواجب دفعها على صنف معين من البضاعة كمرك الأستيراد تضعه بلاد للموازنة مع ضرائب الـكمرك التي تؤخذ مما تصدره هي الى البلاد الثانية .

ايطالية : Tariffa (وتعني أيضاً دفتر الموازنة Rate book) . اسبانية : Lotorif, Tarifa . برتغالية : Tarifa .

« تعريفة » ، « تَعرْيف » .

ـ ١٧٤ ـ TARRAGON	نبات من فصيلة الشيح ، يستعمل في السلطة أو في عمل نوع من الخلّ . « طرّخون » « طراخنة » ، معربة عن الفارسية ترخون
ـ ١٧٥ ـ TIMBAL, TYMBAL	نقّارة أو كاسة (آلتان موسيقيتان) . فرنسية : Timbale (عرفت قبلها Attabal) « طبل » .
ـ ١٧٦ ـ ZENITH	نقطة في الفلك فوق الراصد مباشرة أعلى نقطة وقت أو فترة على أعظم جانب من الخطورة وقت عصيب أعلى نقطة « سَمْت » (السمت : أنظر ما تقدم) اسبانية : Cenit
ـ ١٧٧ ـ ZERO	علامة (O) في الحساب صفر لا قيمة عددية له بنفسه . نقطة البدء اسبانية : Cero « صِفْرٌ » .
ـ ١٧٨ ـ REBEC, REBECK	آلة موسيقية ذات ثلاثة أوتار ، كانت شائعة في القرون الوسطى . وهي الشكل الأولي للكمانجة الكبيرة الحالية (fiddle) فرنسية : Rebec اسبانية : Rebel « رَبَاب »
ـ ١٧٩ ـ ROB	عصير الفاكهة الناضجة ، تصير الى سائل بعد غليها بالسكر ، فتكون مربّى (Jam) .

فرنسية : Rob .

« روب » اللبن الرائب ، أي المتخثر والثخين

ـ ١٨٠ ـ
TAPESTRY,
TAPETES

حياكة يدوية من الكتان أو الصوف أو الحرير ، تطرز فيه بخيوط ملونة أشكال وزخارف ونقوش وصور ، والنسيج يوضع كأستار للزينة أو يفرش على الأرضيات أو يكسى به المقاعد

فرنسية : tapisserie (Tapis) . اسبانية : Tapiz , Tapiceria .

« طنفسة طنافس » فارسية معربة مشتقة من تَنْ باسه أي (حفظ الجسد)

(مصطلح انكليزي tapis ، ومعناه غطاء مائدة مؤتمر)

ـ ١٨١ ـ
MOHAIR

شعر العنز نسيج حريري رقيق مصنوع من هذا الشعر ، أيّ تقليد لهذا النسيج

« مُخَيَّر » أي المختار بين الثياب ، وهو نسيج رفيع من شعر العنز .

ـ ١٨٢ ـ
CAKE

الخبز المستدير ، ويعمل عادة من الدقيق والسكر والحليب . خبز الكعك .

ألمانية : Kuchen

« كعك » وهو معرب من الفارسية (ذكر في مختار الصحاح ، وشفاء الغليل)

أصله : كاك ، بالمعنى نفسه . أنشد الليث :

يا حبذا الكعك بلحمٍ مثرودْ وخشكنانٍ مع سويق مقنودْ

ـ ١٨٣ ـ
BISCUIT

كعك رقيق يابس . خبز مصنوع من الدقيق والماء والبيض .

فرنسية : Biscuit . اسبانية : Bizcocho .

« تقسماط » شفاء الغليل : (خبز يابس معروف) ذكره أبن البيطار في مفرداته

يرى بعض الإنكليز اللغويين أنها لاتينية الأصل ، من خبز bis مرتين (coctus

— ١٨٤ — GINGER

عروق يتولد منها عقـد ، حريفة الطعم ، تستعمل كرائحة في تركيب بعض المنعشات ، ويستخدم في الصيدليات

ايطالية : Zenzere اسبانية : Jengibre .

لاتينية متأخرة : Gingiber وقبلها : Zingiber

فرنسية : Gingmbre

« زنجبيل » معربة عن الفارسية (شنكبيل) (المخصص ١١ / ١٩٦) وغيره من المعجمات .

— ١٨٥ — SOUP

طعـام مائع يعمل من مطبوخ الرز باللحم (وهو معروف في كل بلاد الشرق) وقد يعمل من الخضرات واللحم أو البقول .

ألمانية : Supp اسـبانية : Sopa فرنسية : Soupe ايطالية : Zuppa, Suppa .

« شـوربة » معربة من شوربا ، ومنه شوربا أو جوربا (في جميع اللغات الشرقيه) أنظر (الألفاظ الفارسية المعربة)

جرجيس فتح الله

الدينار الاسلامي (١)

لملوك الطوائف والمتغلبة على الدولة العباسية

The Atabeg's Dinr الدينار الأتابكي

The Atabegs of Musil. أتابكة الموصل

521-660 ah 1126-1262 ad. ٥٢١ ـ ٦٦٠ هـ = ١١٢٦ ـ ١٢٦٢ م

9 - Nasir al din Mahmud iben Mas'ud 11 ٩ ـ ناصر الدين محمود بن مسعود ٢

616-631 ah 1219-1233 ad. ٦١٦ ـ ٦٣١ هـ = ١٢١٩ ـ ١٢٣٣ م

No. 224 هاوى رقم ٢٢٤

Mint, al Musil ضرب بالموصل

Year, 6 ?? ah. سنة ٦؟؟ هـ

Obv. Ar. مركز الوجه

الامـام

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

النطاق ـ بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة وستماية Inn. Mar.

الطوق ـ لله الأمر من قبل ومن بعـد ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله Mar.

Rev. Ar. مركز القفا

بن مسعود

ناصر الدنيا

والدين اتابك

الطوق ـ محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون Mar.

(١) تابع المنشور في الجزء الأول من المجلد الرابع ٢٣٢ ـ ٢٥٠ Followed the Vol. IV No. P. 232-250.


PL-2
لوح - ٢
2877
2881
2865
2886
9
7852
2875
26293
6
10
2874
2863
2864
2896
2890
2876



1- Badr-al-din Lulu.	١ ـ بدر الدين لؤلؤ
631-657 ah. 1233-1259 ad.	٦٣١ ـ ٦٥٧ هـ = ١٢٣٣ ـ ١٢٥٩ م
S. L. P. Vo. II I. No. 571.	لين بول ج ٣ رقم ٥٧١
Mint. al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 633 ah. 1235 ad.	سنة ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

الملك — المستنصر بالله — الكامل

امير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق ـ بالموصل سنة ثلث وثلثين وستماية
Mar.	الطوق ـ لله الأمر الخ
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

الملك — بدر الدنيا — الاشرف

والدين اتابك

Mar.	الطوق ـ محمد رسول الخ
Wt. 5/054 gr. Di. 30 mm.	الوزن ٥/٠٥٤ غم القطر ٣٠ مم

I. M. No. 7860 pl. 1	الدليل رقم ٧٨٦٠ لوح ١
Mint. al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 634 ah. 1236 ad.	سنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

الملك — المستنصر بالله — الاشرف

امير المؤمنين

النطاق ـ بالموصل سنة اربع وثلثين وستماية — Inn. Mar.

الطوق ـ لله الامر الخ — Mar.

مركز القفا — Rev. Ar.

لولو

بدر الدنيا

والدين اتابك

الكامل — الملك

•

الطوق ـ محمد رسول الخ — Mar.

الوزن ٧٣٢ / غم القطر ٢/٢٩ مم — Wt. 7/732 gr. Di 29/2 mm.

الدليل رقم ٢٩١١ لواح ١ — I. M. No. 2911 Pl. I.

ضرب بالموصل — Mint, al-Musil

سنة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م — Year, 635 ah. 1237 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

الامام

المستنصر بالله

امير المؤمنين

النطاق ـ — Inn. Mar.

بالموصل سنة خمس وثلثين وستماية

الطوق ـ لله الامر الخ . — Mar.

مركز القفا ـ — Rev. Ar.

لؤلو

بدر الدنيا

والدين اتابك

Mar.	الطوق ــ محمد رسول الخ
Wt. 6/979 gr. Di. 29/7 mm.	الوزن ٦/٩٧٩ غم القطر ٢٩/٧ مم

I. G. No. 140.	اسماعيل غالب رقم ١٤٠
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 635 ah.	سنة ٦٣٥ هـ
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

المستنصر بالله

امير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق ــ بالموصل سنة خمس وثلثين وستماية
Mar.	الطوق ــ لله الامر الخ .
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

الملك — بدر الدنيا — الكامل

والدين اتابك

Mar.	الطوق ــ محمد رسول . الخ
Wt. 5/112 gr. Di 29 mm.	الوزن ٥/١١٢ غم القطر ٢٩ مم

I. M. No. 2887 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٨٧ لوح ٢
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 637 ah. 1239 ad.	سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

المستنصر بالله

امير المؤمنين

النطاق ـ بالموصل سنة سبع وثلثين وستماية	Inn. Mar.
الطوق ـ لله الامر الخ	Mar. •
مركز القفا	Rev. Ar.

لولو

بدر الدنيا

والدين اتابك

الطوق ـ محمد رسول . الخ	Mar.
الوزن ٤/٠٠٠ غم القطر ٢٨/٤ مم	Wt. 4/000 gr. Di. 28/4 mm.

الدليل رقم ٢٨٧٧ لوح ٢	I. M. No. 2877. Pl. 2.
ضرب بالموصل	Mint, al-Musil.
سنة ٦٣٧ هـ	Year, 637, ah.
مركز الوجه	Obv. Ar.

الامام

لا اله الا الله

وحده لا شريك له

محمد رسول الله

المستنصر بالله

امير المؤمنين

النطاق ـ بالموصل سنة سبع وثلثين وستماية	Inn. Mar.

الطوق ـ لله الامر . الخ .

مركز القفا — Rev. Ar.

السلطان
الاعظم غياث
الدنيا والد
ين كيخسرو
بدر الدنيا
والدين اتابك

الطوق ـ محمد رسول الخ — Mar.

الوزن ٨/٩٥٥غم القطر ٢٨/٥ مم — Wt. 8/955 gr. Di. 28/5 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٤١ لوح ٦ — I. G. No. 141 Pl. 6.

ضرب بالموصل — Mint, al-Musil.

سنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤١ م — Year, 639. ah. 1241 ad.

مركز الوجه كالذي قبله — Obv. Ar. same above.

النطاق ـ بالموصل سنة تسع وثلثين وستماية — Inn. Mar.

الطوق ـ لله الامر الخ — Mar.

مركز القفا — Rev. Ar.

لولو
السلطان غياث
الدنيا والدين
كيخسرو
بدر الدنيا
والدين اتابك

Mar.	الطوق ــ محمد رسول[٢] الخ
Wt. 9/473 gr. Di 27 mm,	الوزن ٩/٤٧٣ غم القطر ٢٧ مم
S. L. P. Vo. IX. No. 571 f. Pg. 305.	لين بول ج ٩ رقم ٥٧١F ص ٣٠٥
Minl, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 639 ah.	سنة ٦٣٩ هـ
Same as above.	كالذي قبله فى النصوص
Wt. 5/702 gr. Di 29 mm.	الوزن ٥/٧٠٢ غم القطر ٢٩ مم
I. M. No. 7861 P 1. 1.	الدليل رقم ٧٨٦١ لوح ١
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 640 ah. 1242 ad.	سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

لا اله الا الله

وحده لا شريك له

المستعصم بالله

امير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق ــ بالموصل سنة اربعين وستماية
Mar.	الطوق ــ لله الامر . الخ
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

محمد رسول الله

بدر الدنيا

والدين اتابك

Mar.	الطوق ـ محمد رسول الخ
Wt. 4/760 gr. Di 25 mm.	الوزن ٤/٧٦٠ غم القطار ٥/٠ مم

Pg. 76 No. 225.	هاوي ص ٧٦ رقم ٢٢٥
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 640 ah.	سنة ٦٤٠ هـ
Obv. Same as above.	الوجه كالذي قبله
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

الملك الناصر

بدر الدنيا

والدين اتابك

يوسف

Mar.	الطوق ـ محمد رسول الخ .

I M. No. 7855 Pl. 2	الدليل رقم ٧٨٥٥ لوح ٢
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 641 ah 1243 ad.	سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

المستعصم

بالله امير

المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق

بالموصل سنة احدى واربعين وستماية

Mar.	الطوق ـ لله الأمر الخ .
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

بدر الدنيا

والدين اتابك

السلطان

كيخسرو

Mar.	الطوق ـ محمد رسول الله الخ
Wt. 5/975. gr. Di 30.mm.	الوزن ٥/٩٧٥ غم القطر ٣٠/٠ مم

I. M. No. 2886 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٨٦ لوح ٢
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 642. ah. 1244. ad.	سنة ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام

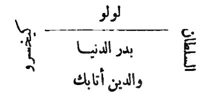
المستعصم بالله

امير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق بالموصل سنة أثنتين وأربعين وستماية
Mar.	الطوق ـ لله الأمر . الخ .
Rev. Same as above.	القفا ـ كالذي قبله
Wt. 8/351 gr. Di 30 mm.	الوزن ٨/٣٥١ غم القطر ٣٠/٠ مم

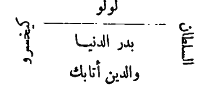
S. L. P. Vo. IX. No. 572, I. Pg 305.	لين بول ج ٩ رقم ٥٧٢ I ص ٣٠٥
Mint and date Same as above.	مدينة الضرب والتاريخ كالذي قبله .
Obv. Same as above.	الوجه كالذي قبله .

Rev. Ar.	مركز القفا



Mar. Same as above.	الطوق ـ كالذي قبله
Wt. 4/341 gr. Di 28 mm.	الوزن ٤/٣٤١ غم ٢٨ مم

I. M. No. 2865 Pl 2.	الدليل رقم ٢٨٦٥ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 642 ah. 1244 ad.	سنة ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م
Obv. Same as above.	مركز الوجه كالذي قبله
Inn. Mar.	النطاق ـ بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هـذا الدينار المبارك بالموصل سـنة أثنتين وأربعين وستماية
Mar.	الطوق ـ لله الامر الخ
Rev. Ar.	مركز القفا



Mar.	الطوق ـ محمد رسول الخ
Wt 4/898 gr. Di. 27/7mm.	الوزن ٤/٨٩٨ غم القطر ٢٧/٧ مم

S. L P. Vo. IX. No 571 K Pl. XVII.	لين بول ج ٩ رقم K ٥٧١ لوح ١٧

Same as above.	كالذي قبله تماماً
Wt. 4/471 gr. Di. 29 mm.	الوزن ٤/٤٧١ غم القطر ٢٩ مم

I G. No 142.	اسماعيل غالب رقم ١٤٢
Same as above in less the Inn. Mar.	كالذي قبله تماماً ، ما عدا النطاق
	بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هـذا الدينار
	بالموصل سنة أثنتين وأربعين وستماية
Wt 2/857 gr Di. 25 mm.	الوزن ٢/٨٥٧ غم القطر ٢٥ مم

I. G. No. 143.	اسماعيل غالب رقم ١٤٣
Same as above in less the date abliterated	كالذي قبله ، ما عدا التاريخ لا يقرأ
Rev. Ar.	مركز القفا

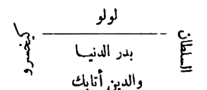
لولو

السلطان ——— ابي نصر

Wt. 4/812 gr. Di 27 mm	الوزن ٤/٨١٢ غم القطر ٢٧ مم

I. M. No. 7852 Pl. 2.	الدليل رقم ٧٨٥٢ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 643 ah. 1245 ad.	سنه ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م
Obv. Same as above.	مركز الوجه كالذي قبله
Inn. Mar.	النطاق ـ بسـم الله ضرب هـــذا الدينار
	بالموصل سنة ثلث وأربعين وستماية
Mar Same as above	الطوق ـ كالذي قبله

مركز القفا — Rev. Ar.



الطوق ـ كالذي قبله — Mar.

الوزن ٧/٨٣٩ غم القطر ٣٠/٧ مم — Wt. 7/839. gr. Di 30/7 mm.

الدليل رقم ٢٠٦٠ لوح ٢ — I. M. No. 2060 Pl. 2.

ضرب بالموصل — Mint, al-Musil.

سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م — Year, 643 ah. 1245, ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

الإمام

المستعصم بالله

أمير المؤمنين

بالموصل سنة ثلث وأربعين وستماية

الطوق ـ كالذي قبله — Mar. Same as above.

مركز القفا — Rev. Ar.

لولو

بدر الدنيا

والدين اتابك

الطوق ـ كالذي قبله — Mar Same as above.

الوزن ٦/١٦٨ غم القطر ٢٨ مم — Wt. 6/168 gr. Di. 28 mm.

I. M. No. 26293. Pl. 2.	الدليل رقم ٢٦٢٩٣ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 644 ah. 1246 ad.	سنة ٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الإمام
المستعصم بالله
أمير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق ـ بالموصل سنة أربع وأربعين وستماية
Mar. Same as above.	الطوق ـ كالذي قبله
Rev. Ar. Same as above.	مركز القفا كالذي قبله
Wt. 3/728 gr. Di. 27/4 mm.	الوزن ٣/٧٢٨ غم القطر ٢٧/٤ مم

S. L. P. Vo. III No. 572.	لين بول ج ٣ قم ٥٧٢
Same as above Mint, al-Musil year 644 ah	كالذي قبله تماماً بالموصل سنة ٦٤٤ هـ
Wt. 7/322 gr. Di. 27 mm.	الوزن ٧/٣٢٢ غم القطر ٢٧ مم

I. M No. 2875 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٧٥ لوح ٢
Mint. al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 644 ah.	سنة ٦٤٤ هـ
	بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هـذا الدينار
	بالموصل سنة أربع وأربعين وستماية
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Same rs above.	القفا ـ كالذي قبله

Wt 4/500 gr. Di : 7/6 mm.	الوزن ٥٠٠/٤ غم القطر ٦/٢٧ م
I. M. No. 2061 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٠٦١ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 645 gr. 1247 ad.	سنة ٦٤٥ هـ = ١٢٤٧ م
	بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سـنة
	خمس وأربعين وستماية
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Same as above.	القفا ـ كالذي قبله
Wt. 8/833 gr Di 27 mm.	الوزن ٨/٨٣٣ غم القطر ٢٧ مم
S. L. P. Vo. III. No. 573. Same as above.	لين بول ج ٣ رقم ٥٧٣ كالذي قبله عاماً
Mint, al-Musil. Year, 645 ah.	ضرب بالموصل سنة ٦٤٥ هـ
Wt. 5/676 gr. Di. 27 mm.	الوزن ٥/٦٧٦ غم القطر ٢٧ مم
I. M. No. 2057	الدليل رقم ٢٠٥٧ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 645 ah. 1247 ad.	سنة ٦٤٥ هـ = ١٢٤٧ م
	بالموصل سنة خمس وأربعين وستماية
Obv. Ar. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Ar.	مركز القفا

الامام

Mar. Same as above.	الطوق ـ كالذي قبله
Wt. 8/330 gr. Di. 26 mm.	الوزن ٨/٣٣٠ غم القطر ٢٦ مم

I. M. No. 2863 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٦٣ لوح ٢
Same as above. Mint, al-Musil Year, 655 ah.	كالذي قبله تماماً ، ضرب بالموصل سنة ٦٤٥ هـ
Wt. 3/890 gr. Di. 25/7 mm.	الوزن ٣/٨٩٠ غم القطر ٢٥/٧ مم

I. G. No. 144.	اسماعيل غالب رقم ١٤٤
Mint, al-Musil	الضرب بالموصل
Year, 646 ah.	سنة ٦٤٦ هـ
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
	بالموصل سنة ست وأربعين وستماية
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

بدر الدنيا

والدين أتابك

Mare. Same as above.	الطوق ـ كالذي قبله
Wt. 4/208 gr. Di 26 mm.	الوزن ٤/٢٠٨ غم القطر ٢٦ مم

K. L. Pg. 344.	قاهرة ص ٣٤٤
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 650 ah. 1252 ad.	سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م
	بالموصل سنة خمسين وستماية
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

بدر الدنيا

والدين أتابك

يوسف — الملك الناصر

الطوق ـ كالذي قبله

Mar. Same as above.

الدليل رقم ٢٨٩٦ لوح ٢

I. M. No 2896 Pl. 2.

ضرب بالموصل

Mint, al-Musil

سنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م

Year, 552 ah. 1254 ad.

بالموصل سنة أثنتين وخمسين وستماية

الوجه ـ كالذي قبله

Obv. Same as above.

مركز القفا

Rev. Ar.

لولو

بدر الدنيا

والدين أتابك

يوسف — الملك الناصر

الطوق ـ كالذي قبله

Mar. Same as above.

الوزن ٥/٠٤٦ غم القطر ٢٧/٣ مم

Wt. 5/046 gr. Di. 27/2 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٤٥

I. G. No. 145.

ضرب بالموصل

Mint, al-Musil

سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م

Year, 654 ah. 1256 ad

بالموصل سنة أربع وخمسين وستماية

الوجه ـ كالذي قبله

Obv. Same as above.

القفا ـ كالذي قبله

Rev. Same as above.

Wt. 3/960 gr. Di. 26 mm.	الوزن ٩٦٠/٣ القطر ٢٦ مم

I. M. No. 2874 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٧٤ لوح ٢
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 655 ah. 1257 ad.	سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م
•	بالموصل سنة خمس وخمسين وستماية
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Same as above.	القفا ـ كالذي قبله
Wt. 3/170 gr. Di. 27 mm.	الوزن ١٧٠/٣ غم ، القطر ٢٧ مم

S. L. P. Vo. III. No. 574.	لين بول ج ٣ رقم ٥٧٤
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 656 ah 1258 ad.	سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م
	بالموصل سنة ست وخمسين وستماية
Obv. Same as above.	الوجه ـ كالذي قبله
Rev. Same as above.	القفا ـ كالذي قبله
Wt 6/130 gr. Di 28 mm.	الوزن ١٣٠/٦ غم القطر ٢٨ مم

I. M. No. 7862 Pl. 2.	الدليل رقم ٧٨٦٢ لوح ٢
Mint, al-Mnsil	ضرب بالموصل
Year, 656 ah. 1258 ad.	سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

منكو

قاآن الأعظم

خداوند عالم

بادشاه روي

زمين زيدت عظمته

النطاق	Inn. Mar.

بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة ست وخمسين وستماية

الطوق ـ... ويومئذ الخ	Mar.
مركز القفا	Rev. Ar.

لولو

لا إلـه إلا الله

الملك الرحيم — وحده لا شريك له — بدر الدين

محمد رسول الله

صلى الله عليه

وسلم

الطوق ـ محمد رسول . الخ .	Mar.
الوزن ٥/٨١٩ غم القطر ٢/ ٢٦ مم	Wt. 5/819 gr. Di 26/2 mm.

لين بول ج ٣ رقم ٥٧٥	S. L. P. Vo. III. No. 575.
مدينة الضرب والتاريخ ممسوحان	Mint and date Obliterated.
مركز الوجه	Obv. Ar.

منكو

. . .

بادشاه رو (ى)

زمين بند (عظماء)

Mar. Same as above.	الطوق ــ كالذي قبله
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

. .

الملك الرحيم — الصالح

Mar.	الطوق ــ محمد رسول الخ
Wt. 6/868 gr. Di 26 mm,	الوزن ٦/٨٦٨ غم القطر ٢٦ مم

I. M. No. 2468 Pl. 2	الدليل رقم ٢٤٦٨ لوح ٢
Mint, al-Musil.	ضرب بالموصل
Year, 657 ah 1259 ad.	سنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٩ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

منكو

زمين زيدت عظمته

Inn. Mar.	النطاق ــ بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا
	الدينار بالموصل (المحروسة) سنة سبع وخمسين وستماية
Mar.	الطوق ــ بسم الله ، لله الأمر الخ .
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

بدر الدين — وسلم — الإمام الصالح

Mar. Sama as abova	الطوق ـ كالذي قبله
Wt. 5/597 gr. Di. 26/8 mm.	الوزن ٥/٥٩٧ غم القطر ٢٦/٨ مم

S. L. P. Vo. IX . No. 573. P.	لين بول ج ٩ رقم P ٥٧٣
Mint. Naseebeen.	ضرب بنصيبين
Year, 650 ah. 1252 ad.	سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الإمام

لا آلـه الا الله

وحده لا شريك له

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق ـ بسم الله ضرب هذا الدينار ؛ ... بين سنة خمسين وستماية
Mar. Same as above	الطوق ـ كالذي قبله
Rev. Ar.	مركز القفا

لولو

محمد رسول الله

صلى الله عليه

بدر الدنيا

والدين أتابك

يوسف — الناصر

Mar. Same as above — الطوق ـ كالذي قبله

Di 27 mm. — القطر ٢٧ مم

2- Al- salih Isma'il ibn Lulu. — ٢ ـ الصالح ركن الدين اسماعيل بن لولو

657 - 660 ah. 1259 - 1262 ad. — ٦٥٧ ـ ٦٦٠ هـ = ١٢٥٩ ـ ١٢٦٢ م

I. M. No. 2876 Pl. 2. — الدليل رقم ٢٨٧٦ لوح ٢

Mint, al-Musil. — ضرب بالموصل

Year, 657 ah. 1259 ad. — سنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٩ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

منكو
قا آن الأعظم
خداوند عالم
باد شاه روي
زمين زيدت عظمته

Inn. Mar. — النطاق ـ بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هـذا الدينار المبارك بالموصل سنة سبع وخمسين وستماية

Mar. — الطوق ـ بسم الله لله الأمر . الخ .

Rev. Ar. — مركز القفا

اسماعيل
لا اله الا الله
وحده لا شريك له
محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
والدين

(right margin: الصالح — left margin: الدنيا ركن)

Mar. Same as above	الطوق ـ كالذي قبله
Wt. 4/172 gr. Di. 26/4 mm.	الوزن ١٧٢/٤ غم القطر ٤/٢٦ مم

S. L. P. Vo. IX No. 595, K. Pl XVII.	لين بول ج ٩ رقم ٥٩٥ K لوح ١٧
Mint, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 658 ah. 1260 ad.	سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

لا اله الا الله
منكو
زمين بند عظما
محمد رسول الله

Inn. Mar.	النطاق ـ بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة ثمان وخمسين وستماية
Mar.	الطوق ـ بسم الله ، لله الأمر الخ
Rev. Ar. Same as above	القفا كالذي قبله
Wt. 8/553. gr. Di. 28.mm.	الوزن ٥٥٣/٨ غم القطر ٢٨ مم

I. M. No. 2895 Pl. 2.	الدليل رقم ٢٨٩٥ لوح ٢
Minl, al-Musil	ضرب بالموصل
Year, 659 ah. 1261 ad.	سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦١ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

منكو

زمين زيدت عظمته

النطاق ـ ضرب هـذا الدينار بالموصـل سنة تسع وخمسين وستماية	Inn. Mar.
الطوق ـ ... الامر . الخ	Mar.
مركز القفا كالذي قبله	Rev. Ar. Same as above.
الوزن ٤/٨٣٩ غم القطر ٢٦ مم	Wt. 4/839 gr. Di 26 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٤٥ لوح ٦	I. G. No. 145 Pl. 6.
ضرب بالموصل	Mint, al-Musil
سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦١ م	Year, 659 ah. 1261 ad.
مركز الوجه	Obv. Ar.

الامام

السلطان الاعظم

لا آلـه الا الله

وحده لا شريك له

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

الملك الظاهر بيبرس

النطاق ـ بسم الرحمن الرحيم ضرب هـذا الدينار بالموصل سنة تسع وخمسين وستماية	Mint, al-Musil
الطوق ـ لله الامر . الخ .	Mar.
مركز القفا ـ	Rev. Ar.

اسماعيل

محمد رسول الله

[illegible] صلى الله عليه [illegible]

الملك الصالح

ركن الدنيا

والدين

الطوق ـ محمد رسول . الخ .

الوزن ٣١٣/٥غم القطر ٢٥ مم

Mx.

Wt. 5/313 gr. Di. 25 mm.

ناصر النقشبندي

كتاب مجموع الأعياد والطريقة الخصيبية

كتاب (مجموع الأعياد) ، ويعرف بكتاب (سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح الى فالق الأصباح) ، تأليف أحد كبار دعاة الطريقة الخصيبية أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني نشر حديثاً ، ويعد من أهم كتب أصحاب هذه الطريقة ، فإليه يرجعون في شعائرهم الدينية وصلواتهم وأدعيتهم وأعيادهم الموسمية ، وبه يقسمون ويأخذون عهد التكتم والميثاق حينما يريدون أن يعلموا أحداً أسرار نحلتهم وطريقتهم

والطبراني هذا — وأسمه سرور ، ولقبه ميمون ، وكنيته أبو سعيد ، وولادته في طبرية سنة ٣٥٨ هـ — نشأ في بلدته ، وتعلم القراءة والكتابة ، ثم ذهب الى حلب مركز الدعوة الخصيبية ، فتتلمذ على أحد كبار رجال الدعوة : محمد بن علي الجلي الحلبي . ولد في جلة من توابع اللاذقية ، وسكن حلب للدراسة ، ونشر الطريقة .

ودرس هذا الطبراني ، وتعلم ، وتقدم في الطريقة حتى خلف أستاذه في الرئاسة الدينية ، وألف الكتب المتنوعة في ذلك ، منها : كتاب الحاوي في واجبات التلاميذ ، وكتاب الدلائل بمعرفة المسائل ، وكتاب ضد المذهب القرمطي ردّ فيه على عليّ بن قرمط وعلى أبن كشكة ، وكتاب مجموع الأعياد الذي خصصنا به بحثنا ، وله كتب أخرى . ومن جراء المخاصمات التي وقعت بين أصحاب الطبراني هذا وبين الفرقة الإسحاقية في حلب ومعاداته لأبي ذهيبة اسماعيل أبن خلاد البعلبكي رئيس الفرقة الإسحاقية في عصره ، أضطر الطبراني الى مغادرة حلب والإقامة في اللاذقية ، وبذلك تحول مركز الطريقة الى اللاذقية ، ولا يزال هناك حتى يومنا هذا . وقد شاهد أبو سعيد مصائب ومحناً في حياته من جراء هذه المخاصمة ، التي أنتهت بمحاربة أصحابه للإسحاقية والتغلب عليهم ومعاملتهم معاملة قاسية ، فقتلوهم ، وشردوهم ، وأحرقوا بيوتهم

وآثارهم ، وقتلوا رئيسهم أبا ذهيبة إسماعيل بن خلاد البعلبكي ، وبقتله لم يبق للإسحاقية إلا بقايا كتبٍ وأفرادٍ أندمجوا بأصحاب أبي سعيد وفي القرن الثامن الهجري حينما حل الأمير حسن المكزون السنجاري زعيم الطريقة الخصيبية في حلب ، جمع كتب الإسحاقية ، وحرقها ، وقضى على بقية هذه النحلة وعقيدة أصحابها في تلك المنطقة وتوفي أبو سعيد ميمون بن قاسم الطبراني سنة ٤٢٦ هـ ، وقبره في اللاذقية لا يزال قائماً داخل المسجد المعروف بمسجد الشعراني .

وقد أشارت كتب الفرق الى الإسحاقية أصحاب اسحاق النخعي الاحمر ، وكان من أصحاب الحسن العسكري ومن أدعى النيابة عنه بعد وفاته . ثم تسلسلت هذه النيابة فتولاها بعده هام الأعسر ، ثم اللقيني ، ثم الحقيني ، ثم أبو ذهيبة اسماعيل بن خلاد وقد فصل القول في هذه الفرقة والخلاف بينها وبين الطريقة الخصيبية الشهرستاني في (كتاب الملل والنحل) ، كما أشار اليهم فخر الدين الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) وأبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) والخطيب البغدادي في (تأريخ بغداد) ، قال الخطيب في الجزء السادس من تأريخه : « اسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان ، أبو يعقوب النخعي ، حدث عن عبد الله بن أبي بكر العتكي وو .... وأبي عثمان المازني ... والغالب على رواياته الأخبار والحكايات ، وروى عنه محمد بن خلف وكيع وو ... سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي يقول : إسحاق أبن محمد بن أبان النخعي الأحمر كان خبيث المذهب ، رديء الأعتقاد ، يقول إن علياً هو الله جل جلاله . وكان أبرصَ ، فكان يطلي البرص بما يغير لونه ، فيسمى الأحمر لذلك قال : وبالمدائن جماعة من الغلاة ، يعرفون بالإسحاقية ، ينسبون اليه سألت بعض الشيعة ممن يعرف مذاهبهم ويخبر أحوال شيوخهم عن اسحاق ، فقال لي مثل ما قال عبد الواحد بن علي سواء » .

قال : « ولإسحاق مصنفات في المقالة المنسوبة اليه التي يعتقدها الإسحاقية ، ثم وقع لي كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة ، وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية ، فذكر أصناف مقالات الغلاة ، الى أن قال : وقد كان ممن جود الجنون في الغلو في عصرنا اسحاق بن محمد المعروف بالأحمر ... » الخ ما ذكره الخطيب

والنوبختي عن هذه النحلة ونقل الذهبي في (ميزان الاعتدال) أقوال الخطيب ، وزاد عليها ما ذكره أبن الجوزي وغيره وفصّل القول في إسحاق هذا أبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) في الجزء الأول ، ومما قاله : « ولإسحاق كتاب سماه (الصراط في الزندقة والقرمطة) ، ونقضه عليه الفياض بن علي بن محمد بن الفياض بكتاب سماه (القسطاس) ، وأشار أبن حزم الى هذا النقض في كتابه الفصل »

أما سلسلة رجال الدعوة الخصيبية ، فهي كما يلي : (١) أبو شعيب محمد النميري البكري البصري : وهو الباب الأول ، وأساس النحلة الجنبلانية ، وواضع هذه الفكرة الغالية كان من أصحاب الحسن العسكري ثم بقيت الوكالة والبابية له بعد وفاته نيابة عن الإمام المهدي كما أدعى . وقد سكن سامراء مدة طويلة في عهد الحسن العسكري وفي عهد الغيبة . وقد ذكره الشيخ الطوسي في الغيبة والنوبختي في الفرق (٢) محمد بن جندب : وقد قام مقامه كما يدعي أصحاب هذه الطريقة ، ولم تعرف له ترجمة في كتب الفرق الشائعة المطبوعة . (٣) عبد الله بن الجنان الجنبلاني : من بلد جنبلا من عراق العجم ، وهو المؤسس الثاني بعد أبي شعيب ، وواضع الآراء الباطنية للعبادات الظاهرية . وكان من كبار رؤساء هذه النحلة ، عالماً متبحراً في العلوم الإسلامية والفلسفية قصده جماعة من أصحاب هذه النحلة الى جنبلا ، وتعلموا على يده أسس الطريقة ، وتنقل هو في العراق وسورية ومصر ، وفي مصر تعرف عليه المؤسس الثالث لهذه الدعوة الحسين بن حمدان الخصيبي ولما رجع الى جنبلا ، لم يفارقه الخصيبي ، بل سافر معه الى جنبلا ، وبقي يدرس على يده ، ويأخذ التعاليم الغالية وأصول الطريقة ، كما درس عليه الفلك والنجوم وغيرهما ، وبقي معه حتى توفي الجنبلاوي سنة ٢٨٧ هـ عن ثلاث وأربعين سنة ، فرجع الخصيبي يحمل فكرتين : فكرة التأويل الباطني ، وفكرة البغض للعرب . وتولى بعده الزعامة الدينية ، وحل في بغداد مدة ، أخذ عنه جماعة يزيدون على الاثنين والخمسين تلميذاً ، وكوّن مركزاً للطريقة الخصيبية في كرخ بغداد ، وعيّن لها تلميذاً قوياً من تلاميذه ، هو السيد عليّ الجسري ناظر الجسور في بغداد . وكان هذا معروفاً في ظاهره بالعبادة والتقوى ، وقد حج

مرة ، ولـكنه كان في السر من دعاة هذه الطريقة المفرطة في الغلو والإباحة للظواهر . وقد روى في بغداد عن الخصيبي جماعة ، وأتصل به جماعة وقد زاره المتنبيء الشاعر في بيته ، وروى عنه أحاديث كثيرة مذكورة في (كتاب مجموع الأعياد) الذي سنحدثك عنه في مقالنا هذا ثم سافر الخصيبي الى حلب ، وأقام هناك الدعوة ، وألف الـكتب في ظل الحمدانيين ، وأهدى كتابه (الهداية الـكبرى) ، الموجودة منه نسخ خطية وهو في تراجم الرسـول وفاطمة والأئمة ، الى سيف الدولة ، وفيه من الغلو والتمهيد للطريقـــة الخصيبية ما يدهش ، ولا ندري كيف يبلغ السخف ببعض الناس فيحولهم من عبادة الخالق الى عبادة المخلوق ؟ كما أهدى كتابه (راسباش) الى عضد الدولة البويهي أيام سكناه في بغداد وقد روى الطبراني عنه كثيراً في كتابه (مجموع الأعياد) ، وهو كتاب في الطريقة الباطنية ، ومعناه (كن مستقيماً) ، وقد كتبه بالفارسية

ولد الخصيبي في مصر سنة ٢٦٠ هـ ، أي في السنة التي توفي فيها الإمام الحسن العسكري ، وتوفي في حلب سنة ٣٤٦ هـ ، وقبره لا يزال في شمال مدينة حلب وخلفه في الزعامة الدينيـة تلميذه السيد محمد بن عليّ الجلي الحلبيّ سكن حلب أيام الخصيبي ، وتعلم على يده ، وقام مقامه ، وأسس مركز الدعوة في حلب ، ثم تحـوّل هـذا المركـز الى اللاذقية في زمن الطبراني كما ذكرنا . أما مركز الدعوة في بغداد ، فبقي حتى مجيء هولاكو ، فأغلق . وبعـده تولى الزعامة الطبراني ثم تركت الزعامة المطلقة ، وحولت بعد الطبراني الى مشـايخ الدين وينقسمون في الرتبة الى ثلاث : الإمام وهو أعلاهم ، والنقيب ، ثم النجيب . وهؤلاء هم المرجع الديني في كل الحفلات الدينية ، وهم المرجع الأكبر في أوضاعهم وأحوالهم الأخرى وقد كانت الحـكومـة العثمانية تصدر الفرمانات بأسماء هؤلاء المشايخ ولما جاءت الحـكومة الفرنسية ، وأخذ أصحاب هذه الطريقة بعض الحرية ، قدموا عرائض وطلبات ، لتعين لهم الحـكومـــة قضاة يحكمونهم بحسب الفقه الجعفري ، وتقدموا الى السيد محسن العاملي العالم والمؤرخ المعروف بالشفاعـة في ذلك ، فلبى طلبهم ، وذلك في سنة ١٩٢٢ م .

وإننا إذ نكتب في (كتاب مجموع الأعياد) ، ونشرح بعض أسس هذه الطريقة الخصيبية ،

لا يمني أن هذه الطريقة وتلك الافكار والتقاليد لا يزال يعمل بها ، وإنما نسجل ذلك للتاريخ ، ولمعرفـــة التيارات الفكرية التي كانت تتخلل جسم الأمة الإسلامية من جراء الأحقاد والمخاصمات ، وتغلب القوي على الضعيف ، وعمل الضعيف ضد القوي .

وقبل أن نلخص لك بعض ما في كتاب مجموع الأعياد ، لا بد لنا من ذكر بعض التعاليم القديمة لهذه الطريقة : (١) لا حشر إلا للأرواح ، وحشرها حلولها في السماء بين الكواكب المنيرة ، وقد جاء في وصية أحد المشايخ لتلميذه كما في باكورة سليمان : « يا ولدي ، إن السماء هي الجنة الباطنـة ، ومتى خلصنا من هذه الكثائف البشرية ، ترتفع أرواحنا الى ما بين الكواكب المتلاصقة التي هي درب التبان ، وتلبس هياكل نورانية ، وان شككنا في هذه الحياة تحل أرواحنا في الأجسام المسوخة ، ولا تكون لنا نجـاة أبد الآبدين . وأما بقية الطوائف الخارجة عن عقيـــدتنا ، فتحول الى حيوانات ممسوخة ، وليس لهم خلاص أبـداً !! » (٢) ينقسمون الى ثلاثـة أقسام : الكلازية ، والحيدرية ، والبناصفة . ومرجع أنقسامهم الى الأختلاف في تفسير نصوص الأدعية أو السور الست عشرة التي تعدّ مرجع النحلة الجنبلانية ، وقد ذكرها كلها في (الباكورة) وشرحها ، وأشار الى مواقع الخلاف في التفسير . (٣) الحقيقة الإلاهية مجهولة الهوية ، ومظهرها وموضع إبداعها ووجودها في الإمام علي بن أبي طالب ، فهو أكمل ذات في الوجود الخاص . وهذه الحقيقة الإبداعية العلوية ، تجلت في الإمام علي ، وتجلت في أبنائه الأثنيْ عشر ، كما تجلت في جميع الأنبياء والقديسين ، وفي بعض الحيوانات المقدسة ، كبقرة بني اسـرائيل لأنها إنذار من الحقيقـة المطلقة ، وكلب أهل الكهف لأنه مرشدهم الى الحقيقة ، وناقة صالح لأنها حجة من الله على أصحاب صالح ، وفي السماء والقمر والشمس والهواء لأنها مظهر الحقيقـة المبدعـة (٤) أغلب شعائرهم وتعابيرهم في كتبهم ، رمزية ، فالميم محمد ، والعين عليّ ، والسين سلمان ، وسهف عليّ ، والكيم سلمان ، ودلام عمر ، وسلسل سلمان ، وفاطر فاطمة ، والحاءات الثلاث الحسن والحسين ومحسن ، وحبتر عمر ، وذو زمد أبو بكر . الخ . (٥) لا يعملون بالظواهر الشرعية ، ولكل طقس تفسير باطني ، فالحج حب أهل البيت : محمد

وعلي والحسن والحسين ومحسن ، وسر صاحب البيت عليّ ، والبيت كله محمد ... ومعنى الطبقات السبع لجهم التحول بعد الموت من فسخ ومسخ ونسخ ... في عالم الحيوان ... الخ

(٦) لكل إمام ، باب ، على النسق التالي :

عليّ ... سلمان الحسن : قيس بن ورقة .

الحسين ... رشيد الهجري علي بن الحسين : عبد الله الكابلي

الباقر ... يحيي بن معمر الثمالي

الصادق : جابر بن يزيد الجعفي الكاظم : محمد بن أبي زينب .

الرضا : المفضل بن عمر الجواد : محمد بن المفضل بن عمر

الهادي : عمر بن الفرات الكاتب العسكري : أبو شعيب النميري

أما الإمام المهدي ، فلم يكن له باب ، بل بقيت البابية لأبي شعيب

(٧) لا يجوز أن يتعلم النساء القراءة والكتابة لأنها خلقت من ذنوب الأبالسة ، ولايجوز شرب الدخان لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لعن هذه النبتة ، ولا يجوز أكل البانية ، وفي كل شمائرهم يستعملون الشراب ويرمزون اليه بعبد النور ، كما هي العادة عند البكتاشية وغيرهم من الفرق الغالية المتصوفة . (٨) من كتبهم كتاب الهفت ، أي الأيام السبعة ، وينسبونه الى الإمام جعفر الصادق ، ويتضمن الوصايا العشر التي يجب على كل خصيبي أن يعمل بها ، وإن أختلفوا في تفسير بعض عباراتها . فالوصية العاشرة مثلاً ، هي وجوب الفرض اللازم ، ولكنهم أختلفوا في هذا الفرض ، ففسره الكلازيون ببذل المال للإمام ، وفسره غيرهم بغير ذلك ، وفسره الطبراني في (كتاب الدلائل) بغير ذلك ، وفسره صاحب (الرسالة الدامغة) في الرد على الطريقة الخصيبية تفسيراً تستقبحه الأذواق وهذه الرسالة التي هي لأحد علماء الدروز (وقد أشرت اليها في أثناء كلامي على مجاميع خطية اسماعيلية في كتب الأب أنستاس الكرملي ، في هذه المجلة) تعد من أقدم الرسائل في الرد على هذه النحلة . (٩) سلسلة العهد الداخل في الطريقة يحلف

بكتاب مجموع الأعياد ، ويتعهد بكتم السر ، وأنه على النحو التالي : الشعيبي مذهباً ، الجندبي رأياً ، الجنبلاني حقيقة ، الخصيبي طريقة ، الفقهي طبرانية (١٠) جميع أعياد الدين الإسلامي وأعياد الفرس وأعياد المسيحيين ، أعيادهم ، وعلى كل رجل ثري أن يقيم عيداً أو عيدين أو ثلاثة في أثناء السنة ، فتقام الأفراح في بيته ، وتجتمع جماعات ، يأكلون ويشربون ، ويرتلون الأدعية والأوراد ، والدعاء على كل ظالم ، ومنهم الحكومة العثمانية ! •

وفي أفراحهم هذه يرتلون أشعار كبار نحلتهم ، كشعر الخصيبي ، وشعر الشيخ منتجب الدين العاني ، ويعد شعره من أسمى شعر التصوف والعرفان وقد رأيت بعض منتخبات من ديوان شعره في خزانة كتب الأستاذ المحامي صادق كمونة ، فظهر لي أنه أسمى من شعر ابن الفارض . ولو طبع هذا الديوان لهذا الشاعر العراقي ، لأمات كثيراً من شعر المتصوفة أما ديوان الخصيبي الركيك الشعر ، فيعدّ لديهم من مراجع التعاليم الدينية . ويغلب على ناحيتهم الأدبية ، شعراً ونثراً ، ضعف وركة في أسلوب عامي في كثير من الأحيان ، ما عدا السور الست عشرة ، فهي قوية جزلة ، ولم تنسب في كتبهم الى أحد ، ويظن أنها من صنع الجنبلاني ، أو من بعده واليك نموذجاً صغيراً من السورة الحادية عشرة ، وأسمها سورة الشهادة ، لتعرف أسلوبها الأدبي : « شهد الله أنه لا إله إلا هو إن الدين عند الله الإسلام . ربنا ، آمنّا ، فاكتبنا مع الشاهدين .. بشهادة ع م س إشهد عليّ أيها الحجاب العظيم ، إشهد عليّ أيها الباب الكريم ، اشهدوا عليّ يا أهل المرقب لا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي .. وإني أقر بالرجعة البيضاء والكرة الزهراء .. »

أما (كتاب الهداية الكبرى) ، وقد شاهدت منه نسخة كانت في كتب الشيخ محمد السماوي واليوم هي في مكتبة الأستاذ المحامي صادق كمونة ، فهو من كتب الحديث والرواية ، بأسلوب بليغ للغاية . وعلى نمطه تقريباً (كتاب مجموع الأعياد) وقد عثر المستشرق الألماني (شتروطمان) صاحب مجلة (دير اسلام) على نسخة من مجموع الأعياد ، فنشرها كاملة في المجلد السابع والعشرين من هذه المجلة في ثلاثة أجزاء متوالية . وقد أعتمدت على هذه النسخة المطبوعة

والموجودة في خزانة دار الآثار العراقية ، وأولها : « الحمد لله العلي الأحـد ، الفرد الصمـد ... الظاهر في خلقه ليوحد الباطن الذي لايفقد .. وصلاته الزكية وتحياته المرضية على نوره المخترع ، وحجابه المبتدع .. القائم بكل نبوة ورسالة ، وصاحب كل دعوة ودلالة ، وبه يهتدى الى توحيد الأزل ، ومنه يستدل على وجود معلل العلل ... الماء المعين ، ونجاة القاصدين ، ومهل الواردين ، ومهلك الطاغين ... وعلى أيتامه السابقين في يوم الظلة ، ومن تمت بهم المعرفة والملة .. الأنوار في غياهب الظلمات .. والنجوم المضيئة في الدجنة السوداء .. وعلى أهل المراتب العالية والأنوار التلألئة ... قال الشـاب الثقة أبو سـعيد ميمون بن القاسم الطبراني : حدثني أبو الحسين الجهميدي بمدينة طرابلس الشام سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، قال : حدثني أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ... قال : حدثنا محمد بن سـنان ... قال : دخلت على مولاي العالم (الحسن العسكري) وعنـده جماعة ، فسلمت ، فرد السلام ، وقال لي : ما حاجتك ؟ فقلت : ياسيدي قد أشكل علي معرفة الأعياد العربية والعجمية ، فمُنَّ عليَّ بمعرفة ذلك .. فسكت هنيهـة ، ثم قال : يا محمد .. الأعياد العربية عشرة .. الغـدير ، ويوم الجمعة ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، ويوم الأحد ، الذي أمر أمير المؤمنين فيه سلمان أن يدخل المسـجد ويخطب بالناس ، واليوم الذي خاطب الباقر منه السلام جابر بن يزيد الجعفي ووضع يـده على صدره ، واليوم الذي أمر محمد بن عليّ الرضـا لعمر بن الفرات بالدعاء وقال : إئتوني من باب عمر بن الفرات ، واليوم الذي نصب السيد جعفر منه السلام محمد الزينبي وأقامه للناس علماً .. الخ أما الأعياد العجميـة ، فيوم النوروز ، ويوم المهرجان ، والتاسع من شهر ربيع الأول ، ويوم الفراش ... الخ .

وبعد أن عدد هذه الأعياد التي شملت الأعياد الاسلامية والفارسية والمسـيحية وأعياد القديسين ، شرع في شرح ما ترمز اليه هـذه الأعياد من تأويلات باطنية ما أنزل الله بهـا من سلطان ، ولم يقتصر في تأويله الباطني على الأعياد ، بل عم بحثه العبادات الظاهرية وما يعنى بها في الباطن والتـأويل على أسس التأويل الإسماعيلي ، فالصيـام الدعاء ، ثم يذكر ذلك الدعاء الذي يتلى بدل الصوم . وكما أن محمداً أول الأعداد ، وجب أن يكون عيد الفطر أول الأعياد .

والمؤلف في كل ما روى من تأويل باطني للأعيـــاد والعبادات ، ينقله نصاً عن كتاب (راسـباش) للخصيبي الذي قدمه هدية الى عضد الدولة البويهي أيامَ وجوده في بغـداد كما ذكرنا ذلك .

ثم يتكلم على عيد الأضحى ، ومما قاله هناك : « أُستعملت العامة وظاهرية الشيعة فيـه الضحايا والذبائح ، والتقرب إلى الله بإهراق الدم . وعند أهل الباطن أن شخص عيد الأضحى هو القائم منه السلام ، وظهوره بالسيف واهراق دم كل ضدّ !! » .

والحديث عن معنى الأضحية وأنها رمز لاحقيقة ، يطيله المؤلف حتى يقع في أثنتين وعشرين صفحة من مجلة (دير اسلام) الصغيرة الحروف ، وفي ضمنه أدعية رمزية وخطبة العيد المملوءة غلواً وأبتهالات الى مملل العلل ومظهر القدرة الأزلية .

ويتلو هذا العيد ذكر عيـد الغدير ومنزلته ، ويعقب ذلك بقصيدة طويلة في أثنين وسبعين بيتاً للحسين بن حمدان الخصيبي في تفسير مقاصد هذا العيد وأهدافه ، وبخطبة العيد ودعائه ، وبالتعاليم التي يجب أن يقوم بها المؤمن العارف ، ومنها : فيجب ياسـيدي أن تتحقق فضل هذا اليوم ، وتغتسل بكرة ، وتلبس أنخر ثيابك ، وتهرق ما أمكن من الدماء ، وتجمع من حضر من المؤمنين ، وقدم الطعام والشراب والبخور فاذا قدمم الطعام وغسلتم الأيدي ، فليرق من ماء الأيدي في زوايا البيت فاذا حضر عبد النور والمجمرة والبخور ، فلتكن الجماعة كلهم قياماً ، ويشربوا الفرض الواجب .. ثم يملأ قدح كبير ، ويمدون أيديهم الى الله ، ويقبل بعضهم بعضاً ويقرؤون ... والدعاء طويل جداً ، وكله رموز إلى التأويلات الباطنية للظواهر الشـرعية وإلى هدف هذا العيـد ، ويتخلل ذلك شعر للخصيبي ، وخطبة للإمام عليّ ، وأحاديث عن الرضا في فضل هذا اليوم ، وشرح للمصطلحات الخصيبية في النحلة الجنبلانية .

ويتلو ذلك ذكر عيد المباهلة وقد بحث الموضوع بحثاً دقيقاً فلسفياً في التأويل وتفسير التجلي الإلٓهي ، وأن المباهلين من أهل العباء والقبة المحمدية ، وهم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وسلمان ، قد ظهروا للمباهلين بمظهر النور الإلٓهي ، وكانت الأنوار المثالية السماويـة

النورانية تنطق عهم ، حتى قال قائل المباهلين : « يا محمد ، إنما وقع القول على أنك تباهلنا بأهل الأرض ، فنباهلك بأهل الارض وأما أهل السماء ، فلهم أهل السماء ... » .

ويتلو ذلك عيد الفراش ، وقد أطال فيه القول فيما أوحت اليه مخيلته وقوة واهمته وتصوراته النفسية ، ومها قوله : « فحزن الرسول لعلي وخديجة ، فقال له جبرئيل ، وكان معه في الغار : لا تحزن ، إن الله معنا ! ثم كشف له ، فرأى علياً وخديجة ، ورأى سفينة جعفر بن أبي طالب ومن معه في البحر ، فأنزل الله هذه الآية : (ثاني أثنين إذهما في الغار) يريد جبرئيل ، (إذ يقول لصاحبه) محمد (لا تحزن ، إن الله معنا) » وقد ورد هذا الذي ذكره هنا الطبراني ، في كتاب الهداية أيضاً ، كما أعتمد على الهداية في كثير مما يذكره هنا من الاحاديث والتأويلات .

ويتلو ذلك قصيدة من البسيط لشاعر هذه النحلة (الصائغ) في مدح هذا العيد ومقاصده ، وبدعاء الفراش ، بأسلوب رمزي عن معنى التجلي الالهي والحلول الباطني في المظهر العلوي

ويتلو ذلك ذكر عيد عاشور وخبره كما يسميه ، ولم يكتم آراءه هنا في التأليه العلوي ، بل يصول ويجول ، ويسخر ممن قال بقتل الحسين ، ومما جاء قوله : « وهو اليوم الذي روت فيه العامة وظاهر الشيعة ، وزعمت أن فيه مقتل مولانا الحسين ، تعالى الله عما يقول الظالمون المفترون ويظنه الملحدون ! وما كان مولانا الحسين الا كعيسى ، حيث تجلى لهم جسمه تخيلاً ، فظنت النصارى أنه صلب ، وما صلب ، وكذلك الحسين لانه هو المسيح ، والمسيحُ هو الحسين » . ثم أستشهد بشعر كثير للخصيبي وغيره في هذا المعنى الذي أشار اليه ، ومنه قوله :

سلام على من حجب الله شخصه وأظهر للأعداء شبهاً كصورته

وبعد أن ذكر ثلاث قصائد للخصيبي في هذا الباب ، روى عن أبي الطيّب المتنبي عن الخصيبي رواية في آداب الزيارة للحسين ومقاصدها وتفسيرها ، وحديثه عن هذا العيد طويل ، وكله تفسير للتجليات الالهية وفكرة الحلول .

ويتلو ذلك الحديث عن اليوم التاسع من شهر ربيع الاول ، وفكرة هذا العيد وأحاديثه التي أنتشرت في العصر الصفوي بين بقية الشيعة ، كلها من أصحاب هذه النحلة ، وكل الأحاديث

الروية في كتب المجلسي ومن بعده ، مأخوذة عن الهداية للخصيبي عن الحسن العسكري والهادي وقد وقع المجلسي في توهم فاضح ، حيث ظن أن الخصيبي من رجال الحديث المستقيمين ، ولم يعرفه من الغلاة الناقين ، على الرغم من أن جميع كتبنا في الحديث لم تذكر ذلك ، ولم تعرف عن هذا العيد شيئاً . وكم وقع المجلسي في أوهام مثل هذا ، بنقله عن كتب الغلاة ، وهو لايدري ذلك . ثم جاء الخطباء فمدوها حقائق ، ونقلوها للناس من دون معرفة مصدر ذلك

ويتلو ذلك ذكر عيد ليلة النصف من شعبان ، وما يجب العمل فيها ، وهي آخر ليلة من السنة الخصيبية . وهذه الليلة معظمة عند هذه النحلة تعظيماً شديداً ، ويلزم أن يُزار فيهـا قبر الحسين ، كما يلزم أن تذكر فاطر (فاطمة) ذكراً جيلاً في الأوراد والأدعية . وقد روى المؤلف في هذا الباب الزيارات الرمزية المتنوعة والأدعية التقديسية لفاطر ، ولم نعرف سر العلاقة بين هذه الليلة وفاطمة الزهراء لدى هؤلاء الغلاة وكل مانعرف أن في يوم الثالث من شعبان ولادة الحسين ، كما أن في ليلة النصف من شعبان ولادة المهدي محمد بن الحسن العسكري وقد ذكر الكثير من الأحاديث عن فاطمة قال أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني مؤلف الكتاب : « سألت الشيخ أبا الحسين محمد بن عليّ الجلي : لم سميت فاطمة من أشخاص الميم (أي من القبة المحمدية) ؟ فكان الجواب : أن الجاحدين فُطموا عن معرفتها ، وهي ليلة القدر في النصف من شعبان ، لأن القدر الميم ، وهي ليلته وجوهره ، وهي التي فطرت الحاءات الثلاث كما تفطر السماء الكواكب المضيئة ، وهي قائمة في مقامات الأئمة حتى يظهر الكشف بظهور القائم علينا من ذكره السلام » .

ويعقب هذه الأعياد العربية كما يسميها ذكر الأعياد العجمية ، ويبدؤها بعيد الميلاد ومافيه من الفضل ، لأن المسيح الذي هو مظهر من مظاهر القبة المحمدية ، ولد فيها ، وتجلى الملأ ؛ ولأن مريم صورة أخرى عن آمنة بنت وهب ، وهي مولدة الحاءات الثلاث ومظهر الحقيقة العلوية . ويتلو ذلك ذكر يوم النوروز ، قال المؤلف : « ومما أستخرج من (كتاب الأكوار والأدوار النورانية) قول السيد أبي شعيب لمحمد بن جندب : يا محمد بن جندب ، هل علمت أني دخلت على مولاي (العسكري) ؟ » الخ الرواية الطويلة جداً ، وكلها تقديس لهذا العيد وأنه يجب أن تقام فيـه شعائر الفرح باجتماع الأولياء ، والتزاور ، وممازجة عبد النور ، وحب الماء ، والتخلق

بالخلوق ، والتواصل .. الخ والحديث عن هـذا العيد في هذا المؤلف طويل حتى فاق الأعياد في مراسيمه ومنزلته وهـذه النقطة الثانية التي توهم فيها المجلسي صحـة هذه الأخبار المنقولة عن الهداية للخصيبي ، فظنها صحيحة ، وتبعه من بعده بعض الخطباء والمحدثين فأشادوا بذكر هذا العيد من الوجهة الدينية وقد ذكر المؤلف أدعية وأوراداً كثيرة تتلى في هذا اليوم ، ومنها قوله : « فبحق نورك وأسمك وعرشك وحجابك وبابك الذي شرعته لأهل معرفتك ، هب لنا ولإخواننا المؤمنين فيهذا اليوم الذي شرفته وعظمته وجعلته يوم نوروز .. يا مولانا ، يا أمير النحل ، يا عليّ ، يا عظيم ، أنت نور الأنوار ، وغاية الحجب » ويعقب ذلك روايات متنوعة في فضل هذا اليوم مروية موجودة في الهداية ، ورواها المؤلف كما هي مروية عن الحسن العسكري وعن الصادق وموسى بن جعفر وغيرهم من الأئمة ولم يقتصر على ذلك ، فيحدثنا حديثاً تأريخياً عن الفرس وطبقات دولهم الأربع ، وكيف غيروا في آخر دولتهم الرابعة أيام كسرى أبرويز ، فزالت عنهم الأنوار التي كانت في بلاد فارس ، وأشرقت بأرض العرب وقد أوجب النور الأعلى التشديد على الفرس ، فظهرت الأنوار التي كانت في بلاد فارس في بيوتات العرب في لؤي بن غالب »

ويتلو الكلام على نوروز الكلام على عيـد المهرجان ، وبحثه كله على نسق عيد نوروز في القداسة ، والتحرق على ملك الفرس المضاع ، وفي الأدعية الرمزية والشعائر الحلولية ، وتأليهات للحقيقة العلوية ، وبذلك يتم الكتاب بخط الشيخ محمود بن الشيخ حسين نسباً ، والشعبيّ مذهباً ، والجندبي رأياً ، والجنبلاني حقيقة ، والخصيبي طريقة

المصادر :

(١) كتاب الهداية الكبرى للخصيبي (٢) بعض منتخبات من ديوان منتخب الدين العاني (٣) قطعة من كتاب السبع المثاني لأحد كبار هـذه النحلة وهي المصادر الثلاثة المخطوطة عثرنا عليها في خزانة المحامي السيد صادق كمونة (٤) الباكورة السليمانية في الرد على هذه النحلة لسليمان الأطني وقد طبعت في بيروت سنة (١٨٦٣) م (٥) تأريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل طبع في اللاذقية سـنة (١٩٢٤) م (٦) مجموع الأعياد للطبراني طبع ألمانيا (٧) لسان الميزان للعسقلاني المجلد الأول في ترجمة اسحاق الأحمر (٨) تأريخ الخطيب البغـدادي الجزء السادس (٩) الملل والنحل للشهرستاني (١٠) سوسنة سليمان لنوفل الطرابلسي طبع بيروت

عبد الحميد الدجيلي

جيش المسلمين في عهد بني أمية

من فضل الإسلام على العرب أنه وحد كلمتهم وجمع شملهم ووجههم الى الفتح ، فاستطاعوا في زمن قصير أن يقضوا على الانبراطورية الفارسية ويحتلوا أكثر مستعمرات الانبراطورية الرومانية ، ثم ساروا شرقاً حتى حدود الصين وغرباً الى فرنسة

وقد أطَّردَ الفتح الإسلامي على عهد الخلفاء الراشدين ، وتمّ على عهد الأمويين . أما العباسيون ، فلم يستطيعوا ضم ممالك واسعة الى البلدان المفتوحة ، وإنما كان همهم منصرفاً الى محافظة مملكتهم الواسعة الموروثة عن الأمويين .

والممالك التي تمّ فتحها على عهد الأمويين ، أكثر سعةً من الممالك التي فتحها الخلفاء الراشدون ، ومع ذلك ضنّ المؤرخون على الجيش الأموي بذكر أعماله ومآثره تفصيلاً كما فعلوا في التحدث عن جيش الخلفاء الراشدين والعباسيين

ولقد بدأ تدوين التاريخ في العصر الأول من الدولة العباسية ، ولم تكن تلك الظروف مساعدة على الإشادة بمآثر الأمويين ، فلم يُسجل عن جيشهم إلا نتفاً ولمحات متفرقة هنا وهناك . أما المؤرخون الذين جاؤوا بعد ذلك العصر ، فاقتصروا على نقل الأخبار التاريخية عن تلك المصادر القديمة ، لهذا وجد المؤرخون المعاصرون أن الحديث عن الجيوش الإسلامية في جميع عصورها ميسور في مئات من المصادر التأريخية ، إلا الجيش الأموي ، فأخباره قليلة مرتبكة بالقياس الى ما كتب في الجيش في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وفي زمن العباسيين ، بل في جيوش الدويلات التي ظهرت بعد ضعف العباسيين أو بعد انقراضهم ، وبقي الجيش الأموي مظلوماً حتى اليوم

وقد أمضيت زمناً وأنا أجمع كل ما يتصل بهذا الجيش من أخبار من المصادر التأريخية

القديمة والحديثـة ، وأتحرى صحيحها في مضانّهـا ، حتى أجتمعت لديّ مادة لا تخلو من فائدة ، ولعلها تلقي ضوءاً على مآثره التي لم تقابل بما تستحقه من تقدير

وسأقتصر على ذكر النواحي الفنية في الجيش الأموي : تنظيمه ، وتسليحه ، وأسـاليب التجنيد فيه ، وتعبئته ، وقضاياه الإدارية .. تلك النواحي التي يمكن أن تكون جديدة في أساليب البحث في أمر هذا الجيش أما فتوحاتـه وتأريخ قواده ، فتيسرة الأخبار في مصادر التأريخ المختلفة ، ولا يعد ذكرها إلا ضرباً من الحديث المعاد

التجنيد والنفير

١ — شروط القبول للجندية : لا يقبل في جيش المسلمين إلا من توفرت فيه أربعـة شروط :ـ

أ — البلوغ : ولا يقتصر على الرجال ، بل يشمل النساء أيضاً ، فقد أستصحب الرسول النساء في غزواته ، وقد أشتهرت مهن نسيبة الخزرجية التي قاتلت في غزوة أُحد حتى جُرحت ، وأشتركت في كثير من الغزوات ، وكان لها شرف المشاركة في قتل مسـليمة الكذاب في زمن الخليفة الأول ولم يعترض أحد على أشتراك النساء في الحرب على عهد الراشدين والأمويين . فلما جاء العباسيون ، أضاف بعض الفقهاء الى شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً ، أقتضته بواعث تبدل الزمن ، وهو (الذكورة) ، وأعتبروا سن البلوغ السادسة عشرة كما في الجمهورية التركية الآن

ب — الإسلام : ليدافع الجندي عن بلاد المسلمين عن عقيدة وإخلاص

جـ — السلامة : تمتع الجندي بالصحة الكاملة والعقل السليم ، ومن أسباب العجز عندهم المرض المزمن والعمى .

د — الإقدام : وهو أن يكون الجندي قويّ البنية ، عارفاً بالقتال وأستخدام سلاحه ، متحملاً مشاق السفر ، غير جبان .

٢ — **أنواع الخدمة** : يتألف الجيش من عنصرين مهمين :-

أ — المجاهدون ، وهم المتطوعون . ونظام الجهاد يشبه « النظام الإلزامي » فما كان يخطر على بال المسلمين أن يتخلفوا عن الجهاد إذا دعاهم داعي الخليفة ، أو خطب فيهم ، أو أستنفرهم ، أو أنفذ اليهم أو الى رؤسائهم الكتب والرسائل ، أو ركزت راية الجهاد في مسجد رسول الله ، وكان يكفي أن يقال : إن هذا (متخلف) ، ليكون هذا التوبيخ أمضى من السيف فيهم ، وأشد عاراً عليهم وعلى أهليهم من أي عار آخر ومبدأ الجهاد تنص عليه الآية الكريمة : (أنفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وتأويل خفافاً وثقالاً : شيوخاً وشباباً ، وأغنياء وفقراء ، وركباناً ومشاة ، وذوي عيال وغير ذوي عيال .

ولم يكن المجاهدون ممن يشملهم العطاء ، ويغلب أن يجري أستخدامهم خارج حدود الممالك الإسلامية ، وكان لهم في حماية الثغور أثر محمود أما أستخدامهم في القتال ، فيغلب أن يجعلوا في جناحي القوة ، وحينئذ تكون واجباتهم الإحاطة بجناحي العدو دون أن يختلطوا بالجنود النظاميين المدربين تدريباً خاصاً ، ولا يخفى ما في ذلك من الأحتفاظ بالضبط العسكري وتنفيذ الأوامر ؛ لأن المعروف عن القبائل أنهم شجعان مساعير ، ولكنهم مهورون ، ثم هم لا يعرفون الخدع الحربية ولا فنون القتال ؛ أو يوكل الى المجاهدين أمر الإغارة على العدو قبل نشوب القتال ، لإزعاجه في بلاده وعرقلة تحشده وتخريب مداخره وقطع خطوط مواصلاته ، كما يوكلون اليهم أمر المطاردة عند تقهقر العدو ، وهنا تبرز خصائص المتطوعين على أتم ما تكون .

ب — المرتزقة ، وهم الجنود النظاميون . وقد سماهم القدماء (أصحاب الديوان) ، ويفرض لهم العطاء من بيت المال ويمكن أن نعد المرتزقة كالجيش الدائم الذي يكون الأحتفاظ به ضرورياً لصد عادية المغيرين حتى يتم تحشد المجاهدين .

٣ — **عدد الجيش** : لم يكن العرب قبل الإسلام يهتمون بالإحصاء ، ولم يكونوا يعرفون

عنه شيئاً فلما جاء الإسلام ، أحصى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأقتدى الخلفاء الراشدون به ، فلم يكتفوا بتدوين المحاربين وحدهم ، بل أثبتوا المواليد والوفيات أيضاً ، وذكروا الهويات المفصلة ، لكل نسخة في سجلات خاصة دقيقة ، حتى كان العطاء من بيت مال المسلمين يصل الى الراعي في جبال صنعاء .

وقام الأمويون بالاحصاء أيضاً ، فعرفوا بالضبط عدد المسلمين الذين يمكن أن يدعوا للجهاد في النفير العام ، وعددهم في كل قطر لدعوهم في النفير الخاص ؛ وأعتبروا عدد الجيش من الأسرار الحربية ، لا تتسرب المعلومات عن عده الى الخارج ، وكان (ديوان الجيش) يسهر على حفظ أسراره ، لذلك كان من الصعب جداً معرفة عدد الجيش الأموي ، إلا إذا تتبعنا المواقع الشهيرة التي خاضها للفتح أو لاخماد الثورات أو لصد الغارات

وقد بلغ عدد الجيش في معسكر البصرة ثمانين ألفاً ، وفي الكوفة ستين ألفاً ، وبلغ عددهم في معسكر الفسطاط أربعين ألفاً ، وكان جند الشام نحو ذلك . أما المراكز العسكرية الأخرى كالقيروان وواسط والموصل وحماة والثغور الكثيرة ، فلا نعرف عددهم فيها ، ولا بدّ أن يكونوا على درجة من القوة يستطيعون معها رد العدو على أعقابه والمحافظة على الأمن والنظام

ولقد جهز يزيد بن المهلب عشرين ومئة ألف جندي من المرتزقة في حملته على جرجان وطبرستان ، عدا الموالي والأتباع والمتطوعة الذين بلغوا أضعاف هذا العدد .

يمكن بعد هذا تكوين فكرة عن عدد الجيش الأموي ، فلم يقل عدده عن نصف مليون من الجند النظامي . أما عدده مع المجاهدين ، فيشمل المسلمين كافة

٤ — **النفير** : يقسم النفير إلى قسمين تبعاً لحالتين : —

أ — في حالة الدفاع ؛ أي عند أعتداء العدو على جزء من المملكة الإسلامية ، فحينئذ يكون النفير عاماً ، فلا يستطيع التخلف عن الجهاد مسلم إلا يرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب .

ب — في حالة التعرض ، أي في حالة دعوة قسم من الأمة للفتح من قبل الخليفة أوعامله ، وحينئذ يكون النفير خاصاً ، وقد يكون النفير عاماً في حالة تعرض جسيم

فما أشبه أنظمة النفير هذه بأحدث الأنظمة لأحدث الجيوش مع زيادة « القوة المعنوية » زيادةً لايدانيها القوة المعنوية في أي جيش كان ! تلك المعنوية التي تجعل المجاهد حين تحضره الوفاة في ساحة القتال يردد قوله تعالى : (وعجلت اليك ربي لترضى) ، ثم لا تقام التعازي عليه عند أهله ، وترد التهاني من كل مكان .

٥ — **استعراض الجند** : كان الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون ،يستعرضون جنودهم قبل إرسالهم للقتال ، حتى يعرفوا نواقصهم ، ويعملوا على إكمالها . أما خلفاء بني أمية ، فكانوا يعرضون الجيوش بأنفسهم : يتفقدون الجنود ، ويسألون عن حالهم وعن عشيرتهم ، كما يتفقدون أسلحتهم ومعداتهم وخيولهم ، ويفحصون أزياءهم ؛ وكانوا يكررون العرض في الأعياد وقبل شروعهم في الحملات الحربية ، ولا يغفرون ذنب المتقاعس عن سلاحه وحسن هندامه ونظافة جواده ومداراته .

وكان الخليفة أو القائد أو العامل يجلس أو يركب جواده ، وعليه الدرع والخوذة ، كأنه في أستعداد للحرب ، فينادي المنادي بأسماء القواد أولاً ، فيمرون أمامه ، فيتفقد أفراسهم وعدتهم ، ثم يُدعى بعد ذلك أصحاب الرسوم على مراتبهم ، فيعرض آلاتهم التامة وخيلهم ، ويحاسبهم على كل ما يحتاجه الفارس أو الراجل من أصغر آلة إلى أكبرها ، فمن أخلّ بإحضار شيءٍ منها ، حرموه رزقه ، فيكون ذلك بمثابة التغريم .

التنظيم والتسليح

أ — **المناصب والرتب** : أصغر رتبة في الجيش ، هي رتبة الجندي البسيط ، وتكون سلسلة القيادة كما يلي :ـ

العريف : على عشرة جنود .

النقيب : على مئة جندي ، فيهم عشرة عرفاء

القائد : على ألف جندي ، فيهم عشرة نقباء ومئة عريف .

الأمير : على عشرة آلاف جندي ، فيهم عشرة قواد ومئة نقيب

وهناك منصب (خليفة الأمير) و (خليفة أمير التعبئة) ، كأمير الميمنة والميسرة والساقة ، وهم بمثابة ضباط الركن للأمراء ، ويقومون بواجبات ضباط الركن المعروفة نفسها وكان الخليفة هو القائد العام ، لأن الجهاد من شروط الخلافة

والمراتب والقدمات الإدارية التالية ، ترافق كل جيش يعهد اليه واجب خاص .

الرائد : وهو الذي يرتاد المواضع الموافقة لنزول الجيش

صاحب الأقباض : وهو الذي ينتهي إليه حفظ الغنائم وقسمة الفيء

كتيبة الميرة : وهي المكلفة تيسير حاجات الجيش من الميرة والأعتدة

الوازع : وهو الذي يتقدم الصف فيصلحه ، ويقدم ويؤخر (واجبات الانضباط ونقاط السيطرة على السابلة)

السعاة : وأكثرهم من الهجين ، لضمان المواصلات الداخلية .

الأطباء : لمداواة الجرحى .

الصيادلة : لتركيب الأدوية وإعدادها .

البياطرة : لمداواة الخيل التي يركبها الفرسان والبغال التي تحمل المستشفيات والجرحى ، وتقل العيال والنساء

٢ — **صنوف الجيش** : أ — الفرسان : يؤلفون الصنف الأساس في الجيش . أما في السلم ، فكان سباق الخيل أهم تسلية للناس ، فتقام حلبات السباق ، ويحضرها ناس من مختلف الطبقات ، ويجري فيها ضروب مختلفة من ألعاب الفروسية ، وتقدم الجوائز للمبرزين ، تقوية لروح الفروسية وتحسيناً لإنتاج الخيل . وكان الخلفاء والأمراء والقادة وأفراد الشعب يشتركون في هذه السباقات ، كما أشترك هشام بن عبد الملك في بعضها بأربعة آلاف من خيله ومن ذلك نستدل على أن معرض الخيل الملكي الذي يقام كل سنة في جيشنا ، له سابقة عند أجدادنا وقد بلغت العناية بالخيل حداً يجعل الرجل يسمي فرسه ، ويؤثره على نفسه ، ثم يبيت

طاوياً . كما خصّص الخلفاء مهرة المدربين للخيل ، بإشراف هيآت خاصة مسؤولة عن تدريب الركائب وجعلها مطاوعة لرغبات الفـارس ، مدربة على أجتياز الموانع المختلفـة وعلى الإقدام في الحرب دون أن يعوقها عائق .

أما في الحرب ، فكانوا يحشـدون أكبر عدد ممكن من الخيل ، للاسـتطلاع والحماية ، ويسمونها (الطلائع) ، وفي الحملة أو ما نسميه (بالهجوم الراكب) ، وفي النارات والمطاردة ، مستفيدين من قابلية الخيل على الحركة ، بعكس الروم والفرس الذين كانوا يستخدمون خيالتهم في الصفوف الأمامية والخلفية ، فيؤدي أسـتخدامها في الصفوف الخلفية الى تحديد قابليتها على الحركة أما الهجانة ، فهم الفرسان الذين يركبون الهجين . وأسلحة الفرسان ، السيوف والرماح والحراب ، ويلبسون الدروع

ب — الرجل أو الرجالة ، وهم المشـاة ، يتسلحون بالسيوف والحراب والرماح والزاريق والقسيّ والسهام ، ويلبس بعضهم الدروع ، ويحمون رؤوسهم بالخوذ ، ويتقون ضرب السيف وطعن الرمح بالدرق والحجف والجنن ، وكان آمرو وحدات الرجالة يركبون الخيل قال الجاحظ : « وقائد الرجالة لايكون إلا فارساً »

ج — المنجنيقيون ، وهم رماة المنجنيق ، والتاريخ يحدثنا أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أستفاد من المنجنيقات في حصار الطائف ، كما أستخدمت على عهد الخلفاء الراشدين ، إلا أن الأمويين تفنّنوا في صنعها واستخدامها ، فأصبحت أشد تأثيراً وأكثر أهمية .

والمنجنيقات أنواع : منها لرمي السهام والنبال ، ومنها لرمي الحجارة الضخمة لهدم الحصون ، ومنها لرمي كرات النفط المشتعلة وقنابر النحاس والزجاج المملوءة بمادة متفجرة مشتعلة من النفط الأبيض والكبريت ، ومنهـا لرمي قنابر دخان وقنابر خانقة مركبـة من الأفيون والزرنيخ والبنج الأزرق والنورة . وقد كان واجب المنجنيقيين قديماً ، كواجب المدفعيـــة في الجيوش الحديثة .

د — النشابون ، ويطلق عليهم النشابة أيضـاً ، وهم الذين يرمون النشاب . وقد أجمع

المؤرخون أن العرب أمهر المقاتلين بالقوس ؛ ومهـارتهم في ركوب الخيل ، وإتقانهم رمايـة النبال ، من العوامل التي ساعدتهم على الفتح . وكان من تشجيع الإسلام للرماية وركوب الخيل أن جعل المراهنة في الرماية وسباق الخيل أمراً مشروعاً بشروط مستوعبة في كتب الفقه .

هـ — النفاطون والزراقون ، وهم الذين يرمون النفط بالنفّـاط لإحراق الحصون ، ويقذفون بالنار اليونانية ، وهي مركبة من مواد مشتعلة تقذف على العدو بأسطوانات نحاسية مستطيلة .

و — الدبابون ، وهم الذين يستخدمون الدبابات التي تتقدم مع المشاة لإعانتهم على التقرب الى مسافات قريبة جداً من العـدو ، حتى تلتصق هذه الدبابات بالأسـوار وشرفات الحصون ، لقذف الحجارة عليها ، أو قذفها بكرات النار المشتعلة ، أو رشـق حماتها بالنبال ، ومجالدتهم بالسيوف أو الرماح .

وكانت تسير الدبابات على الدواليب ، ويدخل بعض الجنود في داخلها ، كما يحتمي الآخرون بجوانبها وكان القوّاد يخصصون عدداً من الفَعَـلة (المهندسين) ، فيسيرون خلفها ، ليسوّوا طريقها ، ويساعدوها على أجتياز الموانع التي يضعها العدو في سبيلها ، وكانوا يحيطون الدبابات بالجلود السميكة وبأنواع خاصة من الخشب القوي لحماية الجنود من الأسلحة العادية .

ز — الفعلة ، أو من نسميهم (بالهندسة) ، ومنهم أصحاب الفؤوس والمجارف وآلات قلع البنايات ، ومنهم الذين يزيحون الثلج عن الطرق ويحفرون الخنادق ويعقدون الجسور على الأنهر ، ومنهم الذين يبنون « الصناكر » الدائمة على رؤوس الجبال والذين يشيدون القناطر على الجداول ، ومنهم الذين يحسِّنون المسـالك والسبل ويشقون الطرق وكانوا يسـتفيدون من جلود الغنم المملوءة تراباً بدلاً من أكياس الرمل ، ويفرشون السـاحة الأمامية بينهم وبين العدو بحسـك الحديد الذي وصفه صاحب الإفصاح « بأنه من أدوات الحرب ، وربما أتخذ من حديد ، وألقي حول المسكر (المعسكر) » ، وهو يشبه الأسـلاك الشائـكة ، كما تشبه واجبات الفعلة أعمـال الهندسة في جيش حديث .

ح — الأطباء والبيطريون والصيادلة والممرضون : يرافق هؤلاء الفنيون الجيش في أسفاره وفي الخدمة الفعلية ، وهم خاصّون بالجند وكان في الجيش مستشفيات سيّارة يحملونها

على الجمال والبغال أما المرضات ، فلا يدخلن تحت الحصر ، لكثرتهن من المجاهدات . وأول من أتخذ المحامل للجرحى ، هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، كما جاء في « وفيات الأعيان » نقلاً عن الجاحظ في « البيان والتبيين » .

ط — رجال الأساطيل البحرية : لم يعن العرب بالحروب البحرية قبل الإسلام لبداوتهم ، إلا ما كان من سفائن حِمْيَرَ وسبأ ، غير أن الإسلام شجّع على ركوب البحر ، فكان أول من ركب البحر في عهد عمر بن الخطاب أبو العلاء الحضرمي والي البحرين ، وفي زمن عثمان تمّ فتح قبرص فأصبحت قاعدة المسلمين في البحر المتوسط

وزاد أهتمام الأمويين بالبحر منذ أول نشوء دولتهم ، فأنشؤوا داراً خاصة ببناء السفن ، وأستطاعوا فتح رودس وصقلية وكريد وساردينيا وجزائر البليار وغيرها من الجزر ، كما هاجموا القسطنطينية بحراً مرات عديدة وحاصروها مُدداً طويلة .

وقد عملوا على حماية السفن من تأثير الأسلحة المعروفة ، بإحاطتها بالجلود القوية التي لا تنفذ فيها السهام ، وطلوا هذه الجلود بمواد خاصة تحول دون أشتعال النار فيها ، كما أصطنعوا للبحارة ثياباً خاصة لا تحترق

إن للمسلمين فضلاً على جميع الأمم البحرية ، فنهم أقتبسوا صناعة السفن وأدخلوا عليها التحسينات ، حتى لقد غزا الأوربيون الأصطلاحات البحرية العربية وأدخلوها في لغاتهم ، ولا تزال تلك المصطلحات تحتفظ بعربيتها حتى اليوم ومن أمثلة ذلك كلمة (Cabble) المقابلة لكلمة (حبل) ، و (Darsonal) المأخوذة عن (دار الصناعة) ، وكلمة (Admiral) المأخوذة عن (أمير البحر) ، وغيرها [١]

٣ ـ **التسليح** : استعمل العرب في جاهليتهم وفي صدر الإسلام ضروباً مختلفة من أسلحة الهجوم والدفاع ، منها أسلحة خفيفة ينقلها رجل واحد ويستعملها بنفسه ، ومنها أسلحة ثقيلة تنقل بالآلات أو بعدّة رجال . ومن هذه الأسلحة ، ما يستفاد منه في ضرب العدوّ من

(١) راجع كتاب الشرق تحت حكم الخلفاء (ص ٣٥٦) ، وتاريخ الإسلام السياسي

مسافات بعيدة ، ومنها لضربه من مسافات قريبة ولما جاء الأمويون ، أدخلوا على كثير من هذه الأسلحة تحسينات ، لتكون أكثر تأثيراً ، كما أستفادوا من أسلحة الرومان والفرس التي غنموها ، فبرعوا في أستخدامها وأنشؤوا دوراً خاصة بصناعها في الشام والكوفة والبصرة

وإني ذاكر أهم هذه الأسلحة بإيجاز :

أ — السيف : من أقدم الأسلحة العربية ، وحسبك أن تعلم أنهم وضعوا له ولأجزائه ما يزيد على ألف أسم لا مترادف ولا متوارد كما أورد ذلك صاحب القاموس والسيوف أنواع ، أهمها : الصمصامة وهو السيف الذي لا ينثني ، والهندي أو الهندواني المنسوب الى الهند ، والمشرفي المنسوب الى مشارف الشام ، واليماني المنسوب الى اليمن ، كما أشهرت سيوف بعض رجال العرب كذي الفقار سيف علي بن أبي طالب ، والصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب .

ب — الرمح : وهو عود طويل في رأسه حربة يُطعن بها ويتراوح طوله من خمس أذرع الى سبع أذرع . وهو خاص بالفرسان ، وأستعمله العرب من القديم وأحبّ الرماح إليهم ، الرماح الطوال ، ويسمونها (السمر العوالي) ومن رماحهم : السمهري وهو الرمح الصلب ، والمزراق وهو الرمح القصير وقد وضعوا المؤلفات في صفات الرمح وأستعمالها وصناعها وأوصافها مما يدل على بالغ أهتمامهم بهذا السلاح

ج — القوس والسهم : هناك أنواع كثيرة من القسي والسهام ، كما هناك أسماء كثيرة لها ولأقسامها تجدها في كتاب لطائف اللغة [1]

د — الترس : ويستعمل للوقاية من طعن السيف والرمح والسهام والأتراس أنواع ، منها : الترس المسطّح ويُتقى به من الرمح ، والترس المستطيل ويُتقى به من النشاب ، والترس المقبّب للأتقاء من السيوف

هـ — الدروع : يلبسها المقاتلون ، فيقال لهم (الدارعون) ، ومنها الدروع الحديد والفولاذ .

---

(١) لطائف اللغة (٧٦ — ٧٩) .

و — المنجنيق : أشد آلاتهم الحربية تأثيراً ، ولا سيما في الحصار ويتألف بصورة عامة من عمود طويل قوي يوضع على عربة ذات عجلتين ، في رأسها بكرة ، يمر بها حبل متين وطويل ، في طرفه الأعلى شبكة على هيأة كيس توضع فيه الحجارة أو براميل فيها مواد نارية مشتعلة ، ثم يحرّك ، ويرفع العمود على جرارته بواسطة دواليب وحبال ، فيدفع من الشبكة ما وضع فيها من القذائف ، ويسقط على الأسوار فيقتل أو يحرق ما يقع عليه

وقد تفنّن بنو أمية في عمل المنجنيقات الكبيرة ، منها (العروس) الذي كان يمتد فيه خمس مئة جندي ، ويحمله زهاء ستين عجلة ، ويرمي حجارة زنها نصف قنطار

ز — الدبابة : آلة سائرة ، تُتخذ من الخشب الثخين ، وتغلّف باللبود أو الجلود المنقّعة بالخل لدفع اشتعال النار فيها ، وتركّب على عجل مستديرة ، يحتمي الجنود بداخلها ، وتسير في الأرضين الوعرة كما تسير في الأرضين السهلة

ح — الكبش أو رأس الكبش : أصل رأس الكبش دبابة ، لها رأس في مقدمها كرأس الكبش ، يتصل بعمود داخل الدبابة ، معلق بحبال حول بكرة معلقة بسقف الدبابة ، لسهولة جرّها يتعاون الجنود الموجودون داخلها والمحتمون بها على ضرب السور برأس الكبش ، لخرقه وضرب أبوابه لكسرها .

ط — أسلحة أخرى : النبوت ، وهو عصا غليظة ، أحد رأسيها ثقيل ، وقد يجعلون فيه مسامير حادّة والطراد وهي الشلفة ذات الرؤوس الحادة ، والخطاف وهو سلاح شبيه بالفأس ، والنجل وهو السيف المعقوف

التعبئة وأساليب القتال

أهم أساليب القتال في الجيش الأموي ثلاثة : الكر والفر ، ونظام الصفوف ، ونظام الكراديس .

أ — الكر والفر : كان أسلوب القتال الشائع بين العرب في الجاهلية ، هو الأسلوب الذي يعبرون عنه « بالكر والفر » ، وذلك أنهم اذا هموا بالقتال كروا على عدوهم ، فإذا أحسوا

بضعف ، فرّوا ، ثمّ يعودون فيكرون ، وهكذا بلا نظام ولا قاعدة ، حملةً بعد حملة ، حتى يكتب لهم النصر أو الخيبة

وكانوا يضربون (المصافّ) وراءهم ، أي أنهم يتركون إبلهم ومواشيهم وعيالهم وأثقالهم خلفهم ، حتى يكون ذلك أدعى للثبات في القتال والتاريخ يحدثنا أن العرب يوم ذي قار أستكثروا عَدَد الفرس وعُدَدهم ، فقد جلبوا معهم عدداً كبيراً من الفيلة وكتيبتي الشهباء والدوسر والقبائل العربية الموالية من تغلب والنمر وقضاعة ، فبادر قائد العرب حنظلة بن ثعلبة العجلي الى قطع أحزمة الهوادج ، فسقطن على الأرض ، وقال : « ليقاتل كل رجل عن حليلته » ، لأنهم كانوا قد أصطحبوا معهم نساءهم ، ثم ضرب خيمة على نفسه ، وأقسم لا يفر حتى تفر القبة ولا يزال أسلوب الكر والفر معمولاً به في قتال القبائل البدوية في الزمن الحاضر ، وهو أبسط أساليب القتال

ب — نظام الصفوف : لما ظهر الإسلام ، ظهر نظام القتال بالصفوف أو نظام الزحف ، فقد كانت غزوات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بهذا النظام ، وهو التقدم نحو العدو صفاً بعد صف ، يتركون فرجات بين كل جماعة صغيرة وأخرى من الصف الواحد ، ويتقدم حاملو الرماح لصد هجمات الفرسان ، وتستخدم الخيالة لحماية الأجنحة وهذا النظام يجعل القوة مرتبة بالعمق ، ويضمن للقائد أحتياطاً يعالج به الطوارىء ، كصد الهجوم المقابل أو ضرب كمين ما وهو لا يختلف عن التوزيع بالعمق الذي يوصي به العسكريون في الزمن الحاضر ، فما هذا النظام إلا قطعات منتشرة على مسافات طويلة ، تسندها قطعات أخرى خلفها ، وتيسر لها الأحتياط الكافي لمعالجة الطوارىء

هذا النظام كان من جملة أسباب أنتصار المسلمين على القبائل البدوية أهل الكر والفر ، وعدّ ذلك في تراجم الفاتحين العظام أسلوباً جديداً من أساليب القتال غير المعروفة فالقادة المشهورون ، إنما غلبوا عدوهم بنظام جديد أدخلوه على أساليب القتال أو بأسلحة جديدة تفرّدوا بها دون أعدائهم وبهذا الأسلوب تظهر عبقرية قيادة الرسول .

جـ — نظام الكراديس : لما تكاثر جنــد المسلمين ، عمدوا الى نظام الكراديس ، أي الكتائب

يكون القائد العام وحاشيته في كتيبة تقوم في الوسط ، يسمونها القلب ، وأمامها كتيبة تسمى المقدمة ، وعلى يمين الكتيبة التي في القلب كتيبة هي الميمنة ، وعلى يسارها الميسرة ، ووراء القلب كتيبة يسمونها الساقة ، وقد يتألف كل قسم من تلك الأقسام من كتيبة أو عدة كتائب بحسب القوة الموجودة ويمثل القلب القسم الأكبر ، والميمنة والميسرة والمقدمة والساقة تمثل قطعات الحماية ، كما يتقدم هــذا التشكيل لحمايته من الجبهة كوكبة من الفرسان تدعى (الطليعة) للاستطلاع والحماية ، وبذلك يضمنون مسير الاقتراب والتماس دون الوقوع في خطر المباغتة والقائد العام الذي يكون في القلب من جيشه ، يستطيع التنقل من موضع الى آخر داخل التشكيل كله ، حيث يترك نائبه في مقره الخاص لتلقي المعلومات ، وهو بمنزلة ضابط ركن القائد : يجمع المعلومات ، ويخبر القائــد بالمهم منها بعد تنسيقها ، كما يخبر الكتائب بما يهمها من هذه المعلومات ، ويضمن إيصال أوامر القائد اليها . أما القائد ، فيرسل القوة الكافية الى العــدو للقضاء عليه بالنسبة الى المعلومات التي حصل عليها ، فهو بهذه الحالة متصل بأجزاء جيشه كله ، محافظ على الارتباط بأمراء التشكيلات ، مشرف على ســير المعركة ، يستطيع استخدام احتياطه في المحل المطلوب

وكانوا يجعلون في الأجنحة أهل الدربة والخبرة في الحروب . أما الطلائع ، فتكون من أصحاب الخيول السريعة ذوي الكفاية العالية في الرمي والفروسية .

ولقد بلغ المسلمون الغايــة في الترتيب وحسن النظام بالقياس الى الأمم الأخرى ، وكانوا يبنون الخطط الدقيقة ، ويقومون بالحركات الســوقية الطويلة الشاقة بعد الحصول على المعلومات المفصلة الدقيقة عن العدو وعن أرضه ، وصاروا يهتمون بأمر الاستعلامات والاستطلاع ، كما اهتموا بالحماية ، سواء أكان ذلك في الاقامة الطويلة أم في المبيت ليلة واحدة أم في أثناء المسير .

ولقــد ابتدأ العمل بهذا النظام على عهــد عمر بن الخطاب ، وظلّ مرعياً معمولاً به قروناً

عديدة ، فأخذ به الأمويون والعباسيون من بعدهم ، ولا تزال الجيوش الحديثة تسير بهديه في حروب البادية وحركات الصحراء .

٢ — **المواصلات الداخلية** : إهتم الأمويون بالحصول على المعلومات من جميع الأقطار الخاضعة للأمبراطورية الإسلامية ، ففي كتاب حماة الإسلام [١] : أنّ أول من عمل المنائر وعلامات الأميال على الطرق للاهتداء بها هو الوليد بن عبد الملك ، فقد مسح الأمويون الأرض ، وكتبوا عند تمام الميل مقدار المسافة التي تمّ قطعها ، ثم أقاموا في الطرق منارات يأمن بها السارون الضلال في الصحاري والقفار أو الطرق الأخرى

والمنائر كالأبراج العالية على المرتفعات ، تنقل الإشارات عليها بإشعال النار أو نحوها ، فكان يقام فيها حرّاس يوقدون النار عندما يرون العدو مقبلا من جههم ، فيوقد حرّاس تلك المنارة النار ، ثم الذين يلونهم ، حتى يصل الخبر الى المكان المقصود ، فيسرعون لإمداد الجهة التي أقبل منها العدو للقضاء عليه فوراً

وقد كان هناك منظمات خاصة لإيصال البريد من مختلف الأصقاع على الإبل والخيل ، وقد أقيمت محطات خاصة على الطرق فيها موظفون ثابتون ، واجبهم إيصال البريد من محطتهم الى المحطة التي تليهم بكل سرعة ، حتى أن الخبر كان يصل بسرعة الى مسافات بعيدة وبمدة وجيزة بالقياس الى سرعة الجمال والخيل ، حيث يعمل كل موظف في البريد على إيصاله الى المحطة التالية ، فيجد الموظف المسؤول هناك مسرجاً جواده مستعداً لأخذ البريد ، فيذهب به حضراً الى المحطة الأخرى .. وهكذا يستطيع الخلفاء والولاة والقادة الحصول على المعلومات المفصلة في حينها وإيصالها الى جيوشهم في كل مكان

أما في ساحة المعركة ، فقد سبقت الإشارة الى وجود السعاة في كل جيش ، وأكثرهم يمتطون الأبل أو الخيل لضمان المواصلات الداخلية بين كتائب الجيش المقاتل ، حيث يأتون

---

(١) حماه الإسلام (١/١٤٢) .

بالرسائل الى خليفة الأمير أو خليفة أمير التعبئة أو من نسميهم (ضباط الركن) في الزمن الحاضر ، فيقوم بتنسيق المعلومات وتبليغ القائد أو الخليفة بالمهم منها ، وتوزيعها على الكتائب الأخرى عند الحاجة .

وهكذا ، كانت المواصلات الداخلية متقنة في تلك العصور الخوالي ، ولا يمكن مقارنتها بما كانت عليه عند الفرس والروم يومئذ ، فقد كان من أهم أسباب إخفاقهم في المعارك فقدان التعاون بين كراديسهم الناتج عن ضعف المواصلات الداخلية عندهم .

القضايا الادارية

١ ـ **ديوان الجند** : أوّل من أسّس ديوان الجند هو عمر بن الخطاب ، دوّن فيه أسماء الرجال ، وفرض أعطياتهم وكان يشمل أسماء المهاجرين والأنصار ومَن تابعهم ، بسجلات خاصة تحتوي على اسم الجندي واسم أبيه مع نسبه وسنه وقدّه ولونه وملامحه وسائر ما يتميز به ، لئلا تتفق الأسماء ؛ ثم ينسب ذلك الجندي الى « مقدم » يصحبه أو « نقيب » يرعاه ويعرفه ، وكان هذا الديوان مؤلفاً من عدة أقسام للمراسلة والتسجيل والعطاء والنفقات وواجبات هـذا الديوان تشبه واجبات التجنيد والإدارة عندنا

٢ — **بيت المال**

أ — فروعه : ديوان الخزانة : وهي بيوت خاصة بحفظ صنوف الأموال والقماش ، سُجلت مفرداتها ومقاديرها في سجّلات دقيقة ، ووكلت الى حرّاس أمناء وهذا الديوان يشبه مديرية العينة عندنا .

ديوان الأهراء : وتخزن فيه الغلال ، والمسؤولون عنه من أشهر العدول الأعفّاء ، وهذا الديوان لا يختلف عن مديرية الميرة عندنا .

ديوان خزائن السلاح : وتحفظ فيه الأسلحة والذخائر .

ديوان الركائب : وفيه الخيل والإبل والماشية لتجهيز جيوش المسلمين بما تحتاجه منها ، ويقوم على إدارتها جماعة خاصة بمحافظتها وتدريب خيولها ، وكان بنو أمية يسمون خيلهم بكلمة « عدّة » لتميزها عن بقية خيل المسلمين ، كما نفعل الآن في رقيم الخيل في الجيش .

ب — موارده : الصدقة أو الزكاة : وهما لفظان مترادفان ، تؤخذ من أغنياء المسلمين لتوزع على فقرائهم ومصادر الزكاة أربعة : زكاة الذهب والفضة ، وزكاة الأثمار ، وزكاة الماشية ، وزكاة الزرع ولكل منها أحكام دقيقة خارجة عن موضوعنا

الغنيمة : وهي ما يكسبه المسلمون بالقتال من أسرى وسبي وأرض وأموال .

الفيء : وهو كل ما وصل من المشركين عفواً من غير قتال ، ويدخل فيه الخراج والجزية والأعشار وغيرها

ج — واجبه : إعطاء أرزاق الجنود وأثمان الخيل والمواشي والإبل والسلاح ، وتقديم أعطيات المسلمين شيوخاً وشباباً وأطفالاً ونساء ، وتسجيل أسماء الفقراء مع أسرهم لإيصال ما يكفل لهم العيش الى دورهم ، والصرف على كل ما يخص المصلحة العامة

٣ — **عطاء الجنود** : لما أسس عمر ديوان الجند سنة ٢٥ هـ ، خصّص لكل مسلم راتباً يتناوله لنفسه ورواتب لأهله وولده باعتبار أن المسلمين كلهم كانوا جنداً ، حتى لقد عدّ عمر نفسه مسؤولاً أمام الله اذا لم يصل الى أي مسلم كان في جميع أقطار الإسلام الدانية والقاصية عطاؤه كاملاً ، فكان الجندي وهو يحارب في ميدان القتال بعيداً عن أهله وصغاره وعياله ، لا يفكر في إعاشتهم ، لأن رواتبهم كانت تصل اليهم كل شهر بصورة منتظمة .. وويل للمسؤول الذي يهمل ايصال الأرزاق الى المسلمين من دِرّة عمر ! بل ، ويل للعامل أو الأمير الذي يهمل الإشراف بنفسه على توزيع أرزاق المسلمين ، فلن يكون نصيبه من عمر غير العزل واعتلاء رأسه بالدِرّة كائناً من كان !

وزيادة على الرواتب ، فرض لكل فرد من كل أسرة جريبين من الحنطة في الشهر (الجريب

ما ينبت في ٣٦٠ ذراعاً مربعاً من الحنطة ، وفي ذلك يقول صاحب التمدن الإسلامي : « إن رواتب صغار الجند في أوائل الإسلام ، كانت تزيد على رواتب أنفار أجناد هذا اليوم.. » .

وسار على هذا النظام الخلفاء الراشدون من بعده ، غير أن الإمام علياً سوّى بين رواتب الجنود ، وكانت الرواتب قبله تبعاً للسابقة في الإسلام . وقد ظل العطاء باعتبار النسب والسابقة ، حتى انقرض أهل السوابق ، وصار الجند فئة من المسلمين قائمة بنفسها ، فترتب الجند باعتبار الشجاعة والبلاء في الحرب والكفاية في القيادة .

ولما تولى معاوية الخلافة ، زاد في أعطيات الجنود ، وكان لديه في الشام مركز الخلافة ستون ألف جندي ، ينفق عليهم ستين مليون درهم في العام ، فيلحق كل جندي ألف درهم ، وظل العطاء أيام يزيد ومروان كما كان في زمان معاوية فلما جاء عبد الملك بن مروان ، اضطر أن يوسع في الأعطيات ويبالغ في رواتب الجند ، ليضمن تأييد الأحزاب المختلفة له ضد دعاة الخلافة وقد كثروا في زمنه ، ولأجل أن يسحق الخوارج الذين كثر أذاهم على الناس عامة وجيوش المسلمين خاصة . فلما شتت شمل الخوارج ، وقضى على المطالبين بالخلافة ، وجه همته الى توسيع رقعة البلاد الإسلامية

وكانوا يقدمون المنح الإضافية زيادة على الرواتب في كثير من المناسبات ، فقد أنفق الحجاج مليوني درهم بأمر من الخليفة على أربعين ألف جندي ، سيّرهم الى (رتبيل) ملك الروم ، سوى أعطياتهم المخصصة لهم .

ولما تولى الوليد بن يزيد ، كثرت موارد الدولة ، فزاد العطاء عشرة دراهم شهرياً لكل جندي . وفي أواخر بني أمية عندما كثرت الفتن ، وقلّت واردات بيت المال ، اضطر الخلفاء الى تقليل رواتب الجنود الى خمس مئة درهم سنوياً .

وكان العطاء لا يقتصر على المقاتلين ، إنما يشمل أولادهم ونساءهم وجميع عيالهم ، وكان العطاء دراهم وحنطة تفي بالحاجة ، بل تفيض عليها .. لذلك لا يحدثنا التاريخ عن متخلف واحد في الجيش .

٤ — *ضمان سكنى الجنود* : كان المسلمون في صدر الاسلام اذا فتحوا بلداً جعلوا

مساكنهم في بعض ضواحيه ، أو في مواضع مناسبة يختاروها ، وكانوا يسمون هذه المراكز (ثكناً) ، كما أنشأ الخلفاء الراشدون البصرة والكوفة والموصل والفسطاط والقيروان وكان المسلمون إذا فتحوا مدينة قريبة من العدو أو عند ساحل ، وضعوا فيها حامية لحمايتها ولم تكن هذه المراكز العسكرية إلا معسكرات ومضارب خيام في بادىء الأمر ، ثم مصرها القواد ، فتحولت الى مدن كبيرة على مر السنين

أما ثكن الجيش الأموي ، فقد كانت كثيرة وفي أماكن متعددة ، فقد سار الأمويون على أثر الخلفاء الراشدين في اختطاط المدن وتمصيرها وإنزال الجنود فيها ، فاعتنوا بتوسيعها والإكثار من الأهراء لخزن الطعام والأرزاق والعلف ، ومن بناء الإصطبلات لإيواء الخيل . ولم تزل المعازات على عهدهم سائرة إلى التحسن والتوسع ، حتى أصبحت أمصاراً خطيرة الشأن ، زاهرة بالعلوم والفنون ، زاخرة بالمقاتلين من الجنود وبالسلاح والمؤن والتجهيزات ، حافلة بالعيال ، مواجة بالأيدي العاملة كالفلاحين الذين يمدون الغلات والصناع الذين يعملون الأسلحة وأرباب الحرف الذين يمدون النسيج ويخيطونه ومن أهم المعسكرات التي أنشأها الأمويون ، فأصبحت مدنــاً :-

أ — واسط : بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣هـ ، وجعلهـا دار الإمارة »ولا تزال أطلالها قريبة من بلدة (الحي) .

ب — شيراز : في جنوب فارس ، بناها محمد بن القاسم ، وقد وصفها ياقوت : « بأنها بلد عظيم » .

جـ — المحفوظة : بناها الحكم بن العوام الكلبي ، وجعلها مأوى المسلمين في الهند .

د — الرملة : بناها سليمان بن عبد الملك ، وهي قصبة في فلسطين ، وميناؤها مدينة يافا .

هـ — عســكر مكرم : اختطها مكرم بن معزاء صاحب الحجاج في الأهــواز ، فأصبحت مدينة .

وأمثال هــذه المعسكرات كثير ، مثــل : مكران ، وجرجان ، والبيضاء ، والرصافــة ،

والمنصورة ، وقد أتى ياقوت الحموي على وصفها في كتابه معجم البلدان .

كانت هذه المراكز المسكرية محتوية على ثكن لإقامة الجند وأصطبلات للخيل ، كما كان فيها دوائر خاصة بتسجيل موجود الجند ونفقاته وجميع المعلومات الخاصة به وكان (الرائد) الذي ينتخب المعسكرات ، من أذكى الناس وأعرفهم بالبلاد ، فلم يكن أنتخاب مناطق المعسكرات يجري عفواً ، بل يجري بعد تدقيق طويل لمعرفة خواص المعسكر من جميع النواحي التعبوية والإدارية ، ودرجة صلاحيته للسكنى .

وكان هناك في المعسكرات من يقوم بمراقبة ضبط الجنود وحسن أخلاقهم ؛ لأن الذي يعبث بالنظام أو يتعرض لسكان البلاد المفتوحة بسوء ، يكون نصيبه العقاب الصارم . ومما ساعد على حسن سلوكهم تحريم الخمر ، وكان الجندي لايقيم في معسكر بعيد أكثر من أربعة أشهر اذا لم يستصحب أسرته معه . أما الذين يستصحبون أسرهم معهم ، من الأجناد ومن العمال أيضاً ، فيجدون في المعسكر أماكن خاصة يأوون اليها ، وكانت راحة الجنود مضمونة ، وكذلك راحة أسرهم إذا أحبوا أستصحابها ، كل ذلك بإشراف الدولة وعلى نفقتها .

٥ — **إدامة الجنود بالمواد** : أ — السلاح : الغالب أن المجاهدين يهيؤون أسلحتهم من مالهم الخاص ، إلا إذا كانوا من الفقراء المعدمين ، فيمدهم الأغنياء بالسلاح ، أو يجري تسليحهم من ديوان خزائن السلاح التابع الى بيت المال الذي يقوم بتجهيز الجنود المرتزقة بالسلاح أيضاً . وهذا الديوان ، يضم الأسلحة المستولى عليها من الأعداء ، أو المقدمة هدية من الموسرين ، أو المصنوعة للجيش في معامل الأسلحة المنتشرة في جميع البلدان الإسلامية المهمة .

ب — التجهيزات : وتشمل الألبسة المختلفة والأقمشة ، وتكون في ديوان الخزانة حيث توزع على المرتزقة وعلى المحتاجين من المجاهدين في أوقات معينة . وقد أشرنا سابقاً الى وجود معامل للنسيج والخياطة ولعمل تجهيزات الركوب والتحميل كالسروج والهوادج ، وهذه المعامل خاصة بالجيش وحده .

ج — الأرزاق والعلف : وتكون في ديوان الأهراء الذي هو فرع من بيت المال ،

ويشابه مستودع القاعدة عندنا . وفي الحرب توزع الأرزاق والعلف يومياً على المرتزقة والمجاهدين من قبل كتيبة الميرة التي هي من ملاك كل جيش يتحرك الى واجب ما . وواجبات هذه الكتيبة ، تشابه واجبات صنف الخدمات الى حد كبير : نقل مواد الإعاشة والسلاح والتجهيزات ، والقيام بتوزيعها .

وكان الجيش يجهز بكل ما يحتاج اليه من المواد حتى أبسطها . جاء في كتاب الفتوحات الإسلامية لابن دحلان : « أن الحجاج جهز جيش محمد بن القاسم بكل ما يحتاجه حتى الإبرة والخيوط » .

وكانوا يهتمون بالتكديس في المحلات المهمة التي تمر بها الأجناد ، لتزويدهم بما يحتاجونه من المواد ، كما يكدسون في المواقف الضرورية . فلما حاصر مسلمة بن عبد الله القسطنطينية سنة ٩٨ هـ ، قام بتكديس المواد لجيشه ، ولم يكتف بذلك حتى استصحب معه جماعة من الفلاحين ، فزرعوا الأرض ، وشيد البيوت الخشبية حول المدينة المحاصرة لسكنى الجنود وأسرهم

وكانت إدامة المواد للجيش بشكل دقيق يدعو الى الإعجاب

الخاتمة

لا يزال البحث في تأريخنا العسكري بكراً يحتاج الى دراسة شاملة بأسلوب علمي حديث ، ولست أنكر العناء الذي يلاقيه الباحث لإظهار الحقائق التاريخية من بطون مصادر التاريخ العربية ، ولا سيما القديمة منها ، تلك التي يشيع فيها التكرار والاستطراد والتناقض ، ولكن ذلك لا يسوّغ سكوتنا عن إظهار مفاخرنا العسكرية مهما لاقينا من صعوبات ؛ فقد أصبحت مجهولة عند العسكريين وغير العسكريين من المثقفين

أليس من الغريب أن نسمع أن من مزايا الجيوش الحديثة اشتراك « المجنّدات » فيها ، بينما اشتركت النساء في جيوش المسلمين قبل ثلاثة عشر قرناً ، مع الفارق العظيم بين ما قامت به مجنّداتنا ومجنداتهم من أعمال ؟

لقد ضمن المسلمون « الضمان الاجتماعي » للجنود قبل أن تحلم به أوربة وأمريكة ، فلا يقولن قائل : إنّ من مزايا هؤلاء ضمان الرواتب للجنود ولأسرهم في حياتهم وبعد موتهم ، وضمان سكناهم وراحتهم في كل أرض يحلونها ؛ فقد كان نصيب المسلمين من كل ذلك أوفر نصيب

وفي تاريخنا العسكري كثير من العبر والمفاخر ، والعسكريون وحدهم مسؤولون عن إظهارها للوجود ليعرفها الناس ، وقد أصبحت المكتبة العربية عامرة بالمصادر التي تتحدث عن مفاخرنا في شتى النواحي ، إلا الناحية العسكرية ، فالى متى نبقى نائمين والقافلة تسير ؟

الموصل :

محمود شيت الخطاب

العقيد الركن

معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي

وجه المجمع جلّ نشاطه في هـذه السنة المجمعية الى دراسـة ما تبقى من المصطلحات التي وضعها المركز الدولي لتعليم الإحصاء في بيروت ، حتى بات على وشك الانتهاء منها وقد نشرتُ في الجزء السابق من هذه المجلة (٢٣٠) مصطلحاً من « ٦١٩ » مصطلحاً ، وأدون في هـذا الجزء ما أنجز المجمع دراسته وأقره ، أو وضعه من بقية مصطلحات تلك القائمة

ولا بد لي بعدُ من الإشارة الى توجيه اهتمامه الى صناعة النفط ؛ لأن النفط أهم مورد مالي للعراق ولكثير من البلاد العربية الأخرى ، وكل المصطلحات المستعملة في هـذه الصناعة انكليزية ولهـذا وجب وضع مصطلحات عربيـة تحل محل المصطلحات الانكليزية المستعملة في هذه الصناعة ، فأخذ على نفسه مفاتحة الدوائر الفنية لإرسال ما عندها من مصطلحات اليه ، ليضع لها ما يقابلها بلغـة القرآن الكريم ، وذلك في كتاب وجهه اليها رقمه ٩٠٠ وتأريخه ١٩٥٦/١٢/١٦ ولما جاءه الجواب « بأن جميع المصطلحات الفنية الخاصـة بصناعـة النفط ، المسـتعملة في الزمن الحاضر ، هي باللغات الأجنبية ، وليست هناك مصطلحات عربية مقابلة لها »[1] ، قرر أن يطلب منها ما عندها من مصطلحات باللغة الانكليزية المستعملة في هذه الدوائر مع موجز لمدلولاتها الفنية ، ليقوم بدراستها وبوضع ما يقابلها في اللغة العربية[2] وهو في انتظار جواب تلك الدوائر ، ليتخذ عدته في دراسة ما سيصل اليه[3]

---

(١) جواب مـديرية شؤون النفط العامة المرقم ٩١٩٣ والمؤرخ لـ ١٩٥٦/١٢/٢٦ ، وجواب مديرية مصلحة مصافي النفط الحـكومية المرقم ٥٧ والمؤرخ لـ ١٩٥٧/١/٣

(٢) أقر المجمع هذا القرار في جلسته الثامنة عشرة المنعقدة في ١٩٥٧/٢/٦

(٣) وقد كتبت وزارة الاقتصـاد الى شركة نفط العراق المحدودة وشركة نفط البصرة المحدودة وشـركة نفط الموصل المحدودة وشـركة نفط خانقين المحدودة كتاباً رقمه ١٦٤٠ وتأريخه ١٩٥٧/٣/١٣ ترجو منها تزويدها بما عندها من مصطلحات انكليزية مع تفاسيرها ، لارسالها الى المجمع ، ليضع لها مصطلحات عربية ، وذلك تلبية لطلب المجمع

ولا بد لي في هذه المناسبة أيضاً من الإشارة الى أتصال المجمع بدوائر الدولة الفنية وحضّه إياها على أستعمال المصطلحات العربية وعلى تعريب المصطلحات الأعجمية . وهو ماض في دراسة كل ماتبعث به تلك الدوائر اليه من ألفاظ فنية وهو بعد دراسها واقراره لها ، يعرض ماتوصل اليه على المجمعين العربيين في الشام والقاهرة ، وعلى المتخصصين في البلاد العربية ، ليرى رأيهم فيما توصل اليه من رأي وأجهاد ، حتى لاينفرد برأي ، فيكون رأيه سبباً من أسباب الفرقة وهو يريد توحيد المصطلحات في جميع بلاد العرب

وها أنا ذا أعرض للقارئ هذه المصطلحات التي أقرها المجمع من مصطلح رقم ٢٣١ ، ليقف القارئ عليها وليرى رأيه فيها ، والمجمع ولا شك حريص على الوقوف على رأي المجمعيين والمتخصصين فيما أقره ، وهو مستمد على ما أعلم لدراسة أي رأي يصل اليه فيها في المدة التي حددها والتي أعلن عنها ، وهي ستة أشهر من حين النشر وسأفعل في هذا الجزء ما فعلته في الجزء السابق ، من ذكر اسم المصطلح باللغة الإنكليزية ، ثم أضع في مقابلة ما أختاره المجمع من كلم عربي أو ما وافق عليه وأقره كما ورد في قائمة المركز الدولي للاحصاء موسطاً بينهما ما كان المركز المذكور قد وضعه للمصطلح الإنكليزي من لفظ عربي

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
عرض بياني [1]	عرض بياني	Graphic Presentation
شبكة	شبكة	Grid
جملة الإنتاج القومي	الإنتاج القومي الأجمالي	Gross National Product (GNP)
التصنيف ـ التجميع	تجميع — تصنيف	Grouping
خطأ التجميع وخطأ التصنيف	خطأ التصنيف	Grouping Error

(١) شرع المجمع في دراسة هذه المصطلحات ابتداء من الجلسة الخامسة المنعقدة في ١٩٥٦/١١/٢

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Growth Curve	منحني النموّ	منحني النموّ
Hand Tabulation	التبويب اليدوي	التبويب يداً
Harmonic Equation	معادلة توافقية	معادلة توافقية
Harmonic mean	وسط توافقي	وسيط توافقي
Head of Household	ربّ عائلة	ربّ أسرة
Histogram	مدرج تكراري	رسمة المستطيلات البيانية
Historical Series	سلسلة تأريخية	سلسلة تأريخية
Homogeneous	متجانس	متجانس
Household	عائلة	أسرة
Housing Census	تعداد المساكن	تعداد المساكن
Hypothesis	فرض	فرضية
Ideal Index number	الرقم القياسي الأمثل	الرقم القياسي الأمثل
Identity	متطابقة	متطابقة
Illegitimate Births	مواليد غير شرعيين	ولادات السفاح
Illiteracy	أمية	أمية
Immediate Cause of death	السبب المباشر للوفاة	سبب الوفاة المباشر
Implicit	ضمني	ضمني
Imputed income	الدخل المحتسب	الدخل المحتسب
Incidence rate	معدل الاصابة	معدل الحوادث
Income in Kind	دخل عيني	دخل عيني

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Independent Variable	متغير مستقل	متغير مستقل
Index	دليل ـ أس	دليل ـ أس
Index Number	رقم قياسي	رقم قياسي
Index of Concentration	دليل التركيز	دليل التركيز
Index of Correlation	دليل الارتباط	دليل الترابط
Index of Prices	الرقم القياسي للأسعار	الرقم القياسي للأسعار
Index of quantity	الرقم القياسي للكمية	الرقم القياسي للكمية
Index of seasonal Variation	الرقم القياسي للتغيرات الموسمية	الرقم القياسي للتغيرات الموسمية
Indirect	غير مباشر	غير مباشر
Indirect Method of Census Enumeration	طريقة غير مباشرة للعدّ في التعداد	طريقة العدّ غير المباشر في الإحصاء
Indirect Transit Trade	تجارة عابرة غير مباشرة	تجارة عابرة غير مباشرة
Industry	صناعة	صناعة
Inequality	متباينة	متباينة
Infant Mortality	وفيات الرضع	وفيات الرضع
Infant Mortality Rate	معدل وفيات الرضع	نسبة وفيات الرضع
Infectious Disease	أمراض معدية	أمراض معدية
Infinite	لا نهائي	لا نهائي
Inflation	تضخم	تضخم

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Injury	ضرر	ضرر
Inservice Training	تدريب في الخدمة	تدريب في الخدمة
Instalments	أقساط	أقساط
Integrate	تكامل	تكامل
Intelligence quotient	نسبة الذكاء	نسبة الذكاء
Intercensal	بين التعداد	بين التعداد
Interclass Correlation	ارتباط بين الفئات	ترابط بين الفئات
Interest	فائدة	ربا
Interest Rate	نسبة الفائدة	نسبة الربا
Interpolation	استكمال	استكمال
Interpretation	تفسير	تفسير
Interquartile Range	المدى بين الربيعين	المدى بين الرابعات
Interval	فترة	فترة
Interview	مقابلة	مقابلة
Interclass Correlation	ارتباط تبادلي بين الفئات	ارتباط تبادلي بين الفئات
Invariance	لزوم	تحتم
Investigators	باحثون	فاحصون
Inverse Correlation	ترابط عكسي	ترابط عكسي
Inverse Function	دوال عكسية	حالة عكسية
Inverse Probability	احتمال عكسي	احتمال عكسي

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Invisible Trade	تجارة غير منظورة	تجارة غير مرئية
Irregular Variations	تغيرات غير منتظمة	تغيرات غير مطردة
Isometric Chart	لوحة خطوط المساواة	مخطط متسق
Joint Causes of Death	أسباب مشتركة للوفاة	أسباب الوفاة المشتركة
Joint Distribution	توزيع مشترك	توزيع مشترك
Joint Regression	انحدار مشترك	إرتداد مشترك
Juvenile Delinquent	حدث منحرف	حدث قاصر
J-Curve	منحنى رائي	منحنى « جى »
Kurtosis	تفرطح	تفطيح
Label	علامات مميزة	أعلومة
Labour dispute	نزاع عمالي	نزاع عمالي
Labour Force	القوة العاملة	القوة العاملة
Labour Turnover	تغير القوة العاملة	تبدل اليد العاملة
Labour Union	نقابة العمال	نقابة العمال
Lag	تأخير ـ فترة تأخير	تخلف
Law of Large numbers	قانون الأعداد الكبيرة	قانون الأعداد الكبيرة
Least Squares	المربعات الصغرى	المربعات الصغرى
Least Squares method	طريقة المربعات الصغرى	طريقة المربعات الصغرى
Legitimate Births	مواليد شرعيون	مواليد شرعيون
Lethality Rate	معدل الاماتة	نسبة الاماتة

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Level of prices	مستوى الأسعار	مستوى الأسعار
Levels of Significance	مستويات المعنوية جدول الدلالة	مستويات الدلالة
Leveled Seasonal	استبعاد أثر الموسم	تسوية الأثر الموسمي
Life table death rate	معدل الوفاة في جدول الحياة	نسبة الوفاة في جدول الحياة
Limit	حد — نهاية	غاية
Line Chart	لوحة خطية	رسمة خطية
Line graph	شكل خطّي	رسم بياني خطي
Linear	خطي	خطي
Linear Correlation	ارتباط مستقيم	ترابط خطي
Linear Interpolation	استكمال مستقيم	استكمال مستقيم
Linear regression	انحدار مستقيم	ارتداد خطي
Linear Trend	اتجاه مستقيم	اتجاه خطي
Linearity	استقامة	خطية
Link relatives	أنسبة	أنسبة
List	قائمة — كاشفة	قائمة
Live births	مواليد أحياء	مواليد أحياء
Livestock	الثروة الحيوانية	ماشية
Living Conditions	الظروف المعيشية	أحوال المعيشة
Logarithmic Charts	لوحات لوغاريتمية	مخططات لوغاريتمية
Logarithmic Straight Line	خط مستقيم	خط مستقيم لوغاريثمي

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
منحن حسابي	منحني لوجستي	Logistic Curve
دورات طويلة الأجل	دورات طويلة	Long Cycles
المدى الطويل	المدى الطويل	Long term
منحني لورز	منحني لورنز	Lorenz Curve
خسارة	خسارة	Loss
الرابعة الدنيا	الربيع الأدنى	Lower quartile
الجدولة الآلية « التبويب »	الجـدولة الآلية « التبويب »	Machine Tabulation
تحرٍّ بالبريد	بحث بالبريد	Mail Investigation
استقصاء بالبريد	استقصاء بالبريد	Mail Survey
يوم عامل	يوم رجل	Man days
ساعة عامل	ساعة رجل	Man-hours
حدّ الخطأ	حد الخطأ	Margin of error
العزوبة والزواج	الحالة الزوجية	Marital Status
تأريخ السوق	تأريخ السوق	Market date
سعر السوق	سعر السوق	Market prices
بحث الأسواق	بحث الأسواق	Market Research
نسبة الزواج	معدل الزواج	Marriage Rate
نسبة وفيات الوالدات	معدل وفيات الوالدات	Maternal Mortality Rate
التغير الأقصى	أقصى أختلاف	Maximum Variation
وسط	وسط	Mean

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Marriage Error	الخطأ المطلق المتوسط	وسط الأخطاء المطلقة
Mean after Lifetime	متوسط	متوسط الأعمار المتوقعة
Migration	هجرة	هجرة
Model class	الفئة المنوالية	صنف شاكلي
Mode	المنوال	الشاكلة
Moments	العزوم	العزوم
Money Income	الدخل النقدي	الدخل النقدي
Morbid Condition	حالة مرضية	حالة مرضية
Morbidity Incidence Rate	معدل الاصابة بالأمراض	نسبة الإصابة بالأمراض
Morbidity Prevalence Rate	معدل أنتشار الأمراض	نسبة انتشار الأمراض
Mortality Rate	معدل الوفيات	نسبة الوفيات
Moving Average	متوسط متحرك	معدل متحرك
Moving Modified Mean	وسط معدل متحرك	الوسط المحرر المتحرك
Multimodel	متعدد المناويل	متعدد الشواكل
Multimodal Distribution	توزيع متعدد المناويل	توزيع متعدد الشواكل
Multiphase Sampling	معاينة متعددة الأشكال	نمذجة متعددة الأطوار
Multiple Axis Chart	لوحة متعددة المحاور	مخطط متعدد المحاور
Multiple Correlation	ارتباط متعدد	ترابط متعدد
Multiple Factor Analysis	تحليل عاملي متعدد	تحليل عوامل متعدد
Multivariate Analysis	تحليل التغيرات المتعددة	تحليل المتغيرات المتعددة
Natality	ولادة	التوالد

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Natality Rate	معدل الولادة	نسبة التوالد
National Income	دخل قومي	دخل قومي
Natural Increase	زيادة طبيعية	زيادة طبيعية
Needle Sorting	فرز بالإبرة	الفرز الإبري
Negative Correlation	ارتباط سلبي	ترابط سلبي
Negative Skewness	التواء سالب	تخالف سلبي
Nondetermination Cofficient	معامل عدم الحد	العامل اللاتحددي
Non - linear Correlation	ارتباط غير مستقيم	الترابط اللاخطي
Non Resident	غير مقيم	نزيل
Non Sampling Error	خطأ غير ناجم عن المعاينة	الخطأ اللاعنجي
Normal Frequency Curve	منحني تكراري معتدل	منحنٍ تكراري عادي
Normal Distribution	توزيع معتدل	توزيع عادي
Normal Equation	معادلة التقدير	معادلة عادية
Null Hypothesis	فرض العدم	فرضية العدم
Numerical	عددي	عددي
Numeration	ترقيم	ترقيم
Objective	موضوعي — هدف	موضوعي — هدف
Observation	مشاهدة	مشاهدة
Occupation	حرفة	حرفة
Ogive Curve	منحني متجمع	منحنٍ تراكمي

	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع
Open-end Class	الصنف المفتوح	فئة مفتوحة الطرف
Optium Allocation of the Sample	التخصيص النموذجي الأوفى	أنسب تخصيص للعينة
Origin and Trend Equation	معادلة الأصل والاتجاه	معادلة الأصل والاتجاه
Organization	تنظيم — منظمة	تنظيم — منظمة
Overlap	متراكب	تداخل
Own-account (worke r)	يعمل لحسابه	يشتغل لحسابه
Parabola	قطع مكافئ ـ سلجمي	قطع مكافئ
Parameter	معلمة	معلمة
Partial Regression	إرتداد جزئي	انحدار جزئي
Penultimate	ما قبل الأخير	ما قبل الأخير
Per Capita	نصيب الفرد	للفرد
Percentage	نسبة مئوية	نسبة مئوية
Percentile Range	مدى مئوي	مدى مئيني
Periodicity	دورية	دورية
Periodic Movements	حركات دورية	حركات دورية
Periodogram	رسمة دورية	شكل الدورات
Pictograph	تصوير بياني	رسم تصوري
Pic chart	مخطط دائري	لوحة على شكل دائري
Pic Diagram	رسمة دائرية	شكل دائري
Pilot (Survey)	استقصاء مرشد	بحث تمهيدي

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Platy- kurtic	مفرطح	مسطح القمة
Polygon	مضلع	مضلع
Polynommial Series	متسلسلة كثيرة الحدود	متسلسلة كثيرة الحدود
Population (Statistical)	مجتمع (احصائي)	مجموعة (إحصائية)
Positive Correlation	ارتباط موجب	ترابط موجب
Positive Skewness	التواء موجب	تخالف ايجابي
Postcensal	بعد التعداد	بعد التعداد
Prevalence Rate	معدل الانتشار	نسبة الشيوع
Preliminary Figure	شكل مبدئي	رقم أولي
Price Changes	تغير الأسعار	تبدل الأسعار
Price Index	رقم قياسي للأسعار	رقم قياسي للأسعار
Price Level	مستوى الأسعار	مستوى الأسعار
Price Relative	منسوبية السعر	منسوبية السعر
Primary Sampling Unit	الوحدة الأولية للمعاينة	الوحدة النمذجية الأولية
Primary Source	المصدر الأولي	المصدر الرئيس
Primary Trend	الاتجاه الأولي	الاتجاه الأول
Probable Error	الخطأ التمادل	الخطأ المحتمل
Probability	الأحتمال	الأحتمال
Probability Curve	منحني الأحتمال	منحني الأحتمال
Probability Density	كثافة الأحتمال	كثافة الأحتمال

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Probabitity Element	عنصر الأحتمال	عنصر الأحتمال
Probability Paper	ورق الأحتمالات	ورق الأحتمالات
Probability Ratio Test	اختبار نسبة الأحتمال	اختبار نسبة الأحتمال
Probability Table	جدول الأحتمالات	جدول الأحتمالات
Progressive	تصاعدي	تصاعدي
Proportional Allocation of the Sample	التخصيص النسبي للعينة	الاحصاص النسبي للنموذج
Proportions Chart	لوحة النسب	مخطط النسب
Protracter	منقلة	منقلة
Punch Card	بطاقة للتثقيب	بطاقة التثقيب
Purposive Sample	عينة عمدية	النموذج المتقصد
Purposive Selecting	اختياري عمدي	الاختيار المتقصد
Quadratic Mean	وسط تربيعي	وسط ربيعي
Qualitative Analysis	تحليل وصفي	تحليل وصفي
Quality Control	مراقبة الانتاج (مراقبة النوع)	رقابة النوع
Quantitative Analysis	تحليل كمي	تحليل كمي
Quantity Index Number	رقم قياسي للكمية	عدد الرقم القياسي للكمية
Quantity Relative	منسوب الكمية	منسوبية الكمية
Quantum Index Number	رقم قياسي للكم	عدد الرقم القياسي للكم
Quartile	ربيع	مرابعة
Quartile Deviation	انحراف ربيعي	انحراف مرابعي

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
استبانة	استبيان	Questionnaire
التقصي بالأستبانـة	إلمام بالأستبيان	Questionnaire Survey
مخامسة	خيسات	Quintiles
نمذجة الحصص	معاينة الحصص	Quota Sampling
الخارج (خارج القسمة)	خارج قسمة	Quotient
توزيع جزافي	توزيع عشوائي (اعتباطي)	Random Distribution
خطأ جزافي	خطـأ عشوائي (اعتباطي)	Random Error
أعداد جزافية	أعداد عشوائية	Random Numbers
نموذج جزافي	عينة جزافية	Random Sample
اختيار جزافي	اختيار عشوائي	Random Selection
متغير جزافي	متغير عشوائي	Random Variable
مدى	مدى	Range
معامل ترابط الرتب	معامل ارتباط الرتب	Rank Correlation Coeficient
نسبة	معدل	Rate
مخطط بياني للنسـبة	لوحة النسب	Ratio Chart
اختبار النسبة	اختبار النسب	Ratio Test
مسجل	مسجل	Record
مستقيم	مستقيم	Rectilinear
تحليل الدوره المرجع	تحليل الدورة المقارنة	Reference Cycle Analysis
الجدول المرجع	جدول المقارنة	Reference Table

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Regression	انحدار	تراجع
Regression coefficient	معامل الانحدار	معامل التراجع
Regression Equation	معادلة الانحدار	معادلة التراجع
Regression Line	خط الانحدار	خط التراجع
Relative Dispersion	تشتت نسبي	تفرق نسبي
Relative Frequency	تكرار نسبي	تكرار نسبي
Relative Prices	أسعار نسبية	أسعار نسبية
Reliability	اعتماد	اعتماد
Report	تقرير	تقرير
Representative Sample	عينة	نموذج ممثل
Residual	المتبقي	المتبقي
Residual Variability	التغير المتبقى	تغيرية المتبقى
Retail Price Index	رقم قياسى لأسعار التجزئة	دليل سعر المفرد
Returns	اجابات	اجابات
RootMean Square Deviation	جذر متوسط مربع الانحدار	جذر متوسط مربع الانحدار
Round Number	عدد مقرب	عدد مقرب
Row or Colum	صف أو عمود	صف أو عمود
Sample	عينة	نموذج
Sample Census	تعداد بالعينة	تعداد النموذج
Sample Desigen	تصميم العينة	تصميم النموذج

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Sampling	معاينة	نمذجة
Sampling Error	خطأ المعاينة	خطأ النمذجة
Sampling Fraction	كسر المعاينة	كسر النمذجة
Sampling Ratio	نسبة المعاينة	نسبة النمذجة
Sampling Unit	وحدة المعاينة	وحدة النمذجة
Scale	مقياس الرسم	مقياس الرسم
Scatter	تشتيت	تشتيت
Scatter Diagram	شكل الانتشار	رسمة التشتيت
Seasonal Index	رقم قياسي موسمي	دليل موسمي
Seasonal Mortality	وفاة موسمي	وفيات موسمية
Seasonal Variation	تغيرات موسمية	تغيرات موسمية
Secondary Source	مصدر ثانوي	مصدر ثانوي
Secondary Trend	اتجاه ثانوي	اتجاه ثانوي
Second Degree Curve	منحني الدرجة الثانية	منحني الدرجة الثانية
Second Order Coefficients	معاملات من المرتبة الثانية	معاملات من المرتبة الثانية
Secular Trend	الاتجاه العام	الاتجاه العام
Semi-interquartile Range	نصف المدى بين الربيعين	نصف مدى بين المرابعات
Semi-logarithmic chart	لوحة نصف لوغاريثمية	مخطط نصف لوغاريتمي
Sequence	تتابع	تتابع
Sequential Analysis	تحليل تتابعي	تحليل تتابعي

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Sequential Method of Sampling	طريقة المعاينة التتابعية	طريقة النمذجة التتابعية
Serial Correlation	ارتباط متسلسل	الترابط المتسلسل
Shift	دورة العمل	نوبة
ShortTerm	المدى القصير	الأجل القصير
Sight Check	معنوية	الضبط بالنظر ـ العـَني
Significant Digit	رقم معنوي	الرقم المعـّني
Similarity	تشابه	تشابه
Simple Curve	منحني بسيط	منحني بسيط
Size of Class Interval	مدى الفئة	سعة فترة الصنف
Size of Sample	حجم العينة	قدر النموذج
Sketch Map	خريطة كروكية	مسوّدة خارطة
Skew (in a Distribution)	ملتوي	مخالف
Skewness	التواء	تخالف
Slide Rule	مسطرة حاسبة	مسطرة حاسبة
Small Samples	عينات صغيرة	نماذج صغيرة
Smoothed Curve	منحني ممهد	منحنٍ سهل
Sorter (Machine)	فرازة	فرازة
Source of Error	مصدر الخطأ	مصدر الخطأ
Spot Check	مراجعة سريعة	الضبط الفوري
Spurious Correlation	ارتباط وهمي	ترابط زائف

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Square	مربع	مربع
Standard Deviation	انحراف معياري	انحراف عياري
Standard Error	خطأ معياري	خطأ عياري
Standard Error of Estimate	خطأ معياري للتقدير	الخطأ العياري للتقدير
Standard Error of the Difference between Means	خطأ معياري للفرق بين وسطين	خطأ عياري للفرق بين وسطين
Standard of Living	مستوى المعيشة	عيار المعيشة
Standarized Death Rates	معدلات الوفيات المصححة	نسبة الوفيات المعيرة
Stationary Populalion	عدد سكان ثابت	عدد سكان ثابت
Statistical Induction	استنباط احصائي	استقراء احصائي
Statistical Information	استدلال احصائي	استدلال احصائي
Statistical Method	طريقة احصائية	طريقة احصائية
Statistical Probability	احتمال احصائي	احتمال احصائي
Statistics	احصاء	احصاء
Still Birth	مولود ميت	المولود ميتاً
Still Birth Rate	معدل المواليد أمواتاً	نسبة المواليد أمواتاً
Straight Line Trend	خط اتجاه مستقيم	اتجاه الخط المستقيم
Stratified Sample	عينة طبقية	نموذج طبقي
Stratum	طبقة	طبقة
Stub	عنوان السطر	العمود الرئيس

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Sub-group	مجموعة فرعية	مجموعة فرعية
Subjective	ذاتي	ذاتي
Sub-sample	عينة جزئية	نموذج فرعي
Sub-title		عنوان
Summary Punch	تخريم تلخيصي	تثقيب تلخيصي
Summation	جمع	اجمال
Surface charts	لوحات للسطوح	مخطط سطحي
Survey	الالمام (مسح)	مسح ـ إحاطة
Symmetrical	متماثل	متماثل
Systematic Error	خطأ منتظم	خطأ مستمر
Systematic Sampling	معاينة منتظمة	نمذجة نظامية
Table	جدول	جدول

جواد علي

باب الكتب

الدستور القرآني في شؤون الحياة

أهدى الأستاذ العلامة محمد عزة دروزة الى المجمع العلمي العراقي مؤلفه القيم (الدستور القرآني في شؤون الحياة) ، وهو كتاب طوى بين دفتيه سمائة صحيفة وأربع صحائف مع الفهرست جمع فيها آيات من القرآن الكريم ، مصنفة على الأغراض التي يرمي اليها كل صنف حسب أعتبار المؤلف وترتيبه ، معلقاً عليها ما أستنبطه من تلك الآيات الكريمة من المغازي والأحكام ، مضيفاً إلى ذلك طرفاً من الأحكام الشرعية التي أقرها فقهاء الشريعة ، وربما قرن ذلك ببيان العلل والأسباب ، وربما تبسط في بعض المواضع بتفصيل الموضوع والإفاضة في بحثه والتعمق في تحقيقه .

وقد وضع كتابه على ثلاثة أبواب : الأول في النظام السياسي ، والثاني في النظام الأجتماعي ، والثالث في النظام الشخصي

وأهم الأبواب هو الباب الأول ثم الثاني ، فان ما جاء في الباب الأول من الفصول والمسائل الباحثة عن النظام الدستوري (القانون الأساسي) في الإسلام لعظيم الفائدة ، جدير بالمطالعة والدرس ، لم يتناوله فقهاء الشريعة بالبحث إلا قليلاً . فان هذا الموضوع الباحث عن النظام السياسي والنظام الإداري والنظام المالي في الاسلام ، لم يطرقه — على ما أعلم — إلا قليل من علماء الشريعة وفقهائها ، مثل الإمام أبي يوسف في كتابه (الخراج) ، والإمام أبن آدم في كتابه (الخراج) أيضاً ، والإمام أبن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية) ، والإمام الماوردي في

كتابه (الأحكام السلطانية) . فما جاء به المؤلف من الجمع والترتيب والبحث ، لجدير بالتقدير والإعجاب . وكذلك ما جاء به في الباب الثاني (النظام الاجتماعي) لعظيم الأهمية ، فقد جمع فيه ما ورد في القرآن الكريم كثيراً مما سكت عنه غيره من القضايا الاجتماعية المهمة أما الباب الثالث ، فقد شارك المؤلف فيه كثيرون من علماء الأخلاق والوعاظ ، وبحثه مؤلفون كثيرون في كتب الأخلاق والوعظ

وبعد ، فللمؤلف فضل الامتياز بجمع الآيات التعلقة بالمواضيع المختلفة في محل واحد ، فهو محمود مشكور على عمله ، فقد فتح به باباً واسعاً للمفكرين والعلماء للدخول في بحث مواضيع مهمة أساسية في الإسلام ، واستنباط أحكامها من القرآن الكريم ، وهي لا تقل أهمية من بحث العبادات والمعاملات — إن لم تكن أهم منها — فقد قصر المجتهدون وسائر جمهرة علماء الشريعة وفقهائها أبحاثهم على العبادات والمعاملات ، وأهملوا تفاصيل النظام السياسي والإداري والمالي في الإسلام وتقرير أحكامها على ضوء القرآن العظيم . وعسى أن يكون هذا الكتاب فاتحة لمؤلفات واسعة أخرى في هذه المواضيع التي أغفلها الناس قروناً عديدة وكنت أود ألا أجد في أبحاث الأستاذ المؤلف ما يم عن ترجيح مذهبه في بعض المسائل التي أوردها ، فان ذلك أطيب في نفوس المطالعين للكتاب ، وأضمن لمتابعة البحث في المواضيع واستنباط الأحكام منها بلا تحيز ، والله ولي التوفيق

منير القاضي

معجم ألفاظ القرآن الكريم

في دورة مجمع اللغة العربية السابعة المنعقدة سنة ١٩٤١ م ، اقترح الدكتور محمد حسين هيكل — رحمه الله — وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم ، فأقر اقتراحه ، وأوكل أمره الى لجنة من أعضاء المجمع العاملين ومن غيرهم من أساتذة الجامعات ، ترسم خطة العمل وتعرض ما تتوصل اليه من رأي على المجمع

وقد قامت اللجنة بعرض تجاربها الأولى على مؤتمر المجمع ، مرّات متعددة . ولما تراءى للمجمع أن العمل قد تم وبلغ الحدّ الذي وضعه للمشروع ، أقر طبع الحروف : الهمزة والباء والتاء والثاء من المعجم ، مرتباً ألفاظ القرآن الكريم على حسب حروف الهجاء ، مسترشداً بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم [1] ، وأنجز طبع هذا الجزء في سنة ١٩٥٣

وقد رأيت وصف هذا الجزء وبيان رأيي فيه بالرغم من مرور وقت طويل على طبعه ، فالمعجم من الكتب التي لا يؤثر مثل هذا الزمن على واجب نقده وبيان الرأي فيه ، خاصة وأنه جاء في مقدمته أن « اللجنة تتقبل بالغبطة والشكر كل ما يقدم اليها من ملحوظات على هذا المعجم من أية ناحية من نواحيه الشكلية أو الموضوعية ، وهي بمعونة الله لا تدخر وسعاً في تدارك النقص المقرب من الكمال » [2]

راجعت المقدمة — والمقدمة أول ما يراجع من كل كتاب — لأهتدي بها الى معرفة الطريقة التي سار عليها واضعو المعجم في شرح ألفاظ القرآن الكريم ، فوجدتها أبتدأت بالإشارة الى المراحل التي مرت على مشروع هذا المعجم ، مذ كان أقتراحاً قدّمه الدكتور محمد حسين هيكل ، حتى إقرار المجمع طبع هذا الجزء . ثم أنتقلت بعد ذلك الى الإشارة الى الطريقة التي أنتهى إليها رأي المجمع للسير عليها في وضع المعجم ، في حالة ورود الكلمة القرآنية بمعنى واحد وفي موضع واحد ، وفي حالة ورودها في مواضع متعددة أو في معاني متعددة ، وخلصت منها الى تنبيهات وضعها في كيفية معرفة مواضع الكلم من أرقام الآيات وفي تعيين المصحف الذي أعتمدت عليه في تثبيت الأرقام ، وهو المصحف المطبوع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٤٤ هـ بالقاهرة ، وهو على رواية حفص بن سليمان الكوفي . ولم أجد بعد ذلك لا تلميحاً ولا تصريحاً الى الطبقة التي يقصد المجمع أن يكون لها هذا المعجم ، ولا إلى النهج الذي سار عليه في أختيار

---

(١) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٣ ص (هـ)

(٢) في الصفحة المعنونة : « تنبيهات »

الألفاظ فالمعجم بوضعه الحاضر ، لا يمكن أن يكون معجماً مكتوباً لأصحاب التخصص ، ولا للذين هم دونهم ، لأنه دون علمهم بكثير وما الذي يجده هؤلاء فيه ، وهو لايتجاوز في شرحه للألفاظ تفسير اللفظة القرآنيـة بلفظة أخرى ، روعي أن تـكون مفهومة ميسورة ، أو بجمل مختصرة ، إن كان لا بد من تفسير تلك اللفظة بجملة أو عدة جمل ؟ وهذا ما حملني على الظن أن قصد المجمع من وضع هذا المعجم أن يكون معجماً سهلاً مبسطاً يقدمه الى من لايتسع وقته لمراجعة الموارد المعروفة ، والى من لا يرغب في فهم التفاصيل ، وإنما يريد الوقوف على الألفاظ والآيات بسهولة ويسر . فهو في طريقته هذه من نوع المعجمات المبسطة السهلة التي قصد أن تـكون لغير ذوي الاختصاص وقد كنت أودّ الإشارة الى هذا الغرض ؛ لأن الإشارة اليه في المقدمة ، من أهم الأمور التي يجب أن يقف عليهـا مقتني المعجم ، ليفهم الغايـة التي من أجلهـا صنع وطبع

ومعجم يؤلف لهذه الطبقة ، يجب أن تكون مرادفاته التي يضعها للألفاظ القرآنية وشروحه وتفاسيره واضحة مفهومة أوضح وأقرب الى فهم المطالع من اللفظ المراد شرحه وتفسيره ، لأن الغاية من هذا التفسير والشرح هي تقريب اللفظة الى الذهن ، وليس مجرد إيراد لفظة مرادفة لها أو وضع جملة أو جمل في موضع لفظة وإلاّ ، فما الفائدة من هـذا التفسير والشـرح ؟ أقول هذا لما رأيته في مواضع من إيراد ألفاظ مترادفة أو جمل هي أصعب فهماً على القارئ من اللفظة القرآنية المراد شرحها ، ومن إهمال تحريك حروف الكلمة المراد شرحها ، والاكتفاء بذكر مثل من بابها ووزنها بغير ضبط أيضاً ، وذلك ليمين هذا المثل على ظن مرتبي المعجم القارئ في ضبط اللفظة ، وقد فاتهم أن المثل المذكور نفسه في حاجة الى ضبط ، وأن درجة القرّاء في ذلك دون درجتهم في العلم ، وأن ما أوردوه من أبواب وأوزان كلمات لاتفيد القارئ شيئاً إن لم يكن اللفظ الميزان الذي أريد تعيير اللفظة القرآنية بموجبه موزوناً ومضبوطاً وقد كان في الإمكان تجنب ذكر هذه الألفاظ الأبواب وتخليص القارىء منها بضبط حروف الـكلمات القرآنية المراد شرحها في حالات الحاجة الماسـة الى الضبط أما ايراد كلمات تجعل أبواباً وموازين للألفـاظ القرآنية ،

ووضعها بين خطين ، وفي أثناء الشرح والتفسير ، فهو تشويش وقطع لسلسلة تفكير القارىء لا مسوّغ له ، وقد يربكه هذا إن لم يكن من أصحاب الاُطلاع على هذه الاُمور وقد كان في الإمكان أجتناب هذا التشويش بذكر الميزان بعد اللفظة القرآنية المراد شرحها مباشرة ، بوضعها بين قوسين ، بشرط ضبطها والإشارة الى ذلك في مقدمة المعجم ، ليكون القارىء على علم من غاية أصحاب المعجم من ايراد هذه العوارض الأمثال إن كان لابد من ايرادها مع هذه الألفاظ .

وقد لاحظت أن المعجم لم يتعرض للأسماء الأعلام ، مثل ابراهيم واسرائيل وآدم ، وهي ألفاظ قد وردت في القرآن الكريم ، وما دام هذا المعجم في ألفاظ القرآن الكريم ، فقد كان من اللازم إدخال كل ما ورد في كتاب الله من كلمات فيه كما لاحظت أنه أوجز في مواضع ايجازاً شديداً ، وفصل في مواضع لم تكن بها حاجة ما الى التفصيل ففي الصفحة (١٣٠) « وبنو اسرائيل هم المنسوبون الى يعقوب عليه السلام ، فإنه يعرف باسرائيل » ، وفي الصفحة (١٥٩) « التابوت الصندوق » ، وفي الصفحة (١٧٠) « التوراة : ما أنزل الله تعالى على سيدنا موسى من الوحي ليبلغه قومه » ، وفي الصفحة (٧٢) « وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام كانت مساكنهم كثيفة الأشجار » ، وأمثال ذلك بيما نرى المعجم قد كتب في الصفحة (١٠٦) في البصل : « البصل هو النبات المعروف الذي رأسه تحت سطح الأرض ، تخرج منه أوراق أنبوبية جوفاء ، ويؤكل نيئاً ومطبوخاً ، واحدته بصلة » ، ولا أعتقد أن أحداً من الناس يجهل البصل ، أو أنه يتصور أن رأسه فوق سطح الأرض ، فيقدم له المعجم هذا التعريف ، ولا سيما أنه عرّفه بأنه النبات المعروف ، فهل من حاجة إذن إلى إعادة تعريف المعروف ؟ ثم إني لا أعتقد أن علم الناس بأصحاب الأيكة وبالتوراة وببني إسرائيل يزيد على علمهم بالبصل ، وأن علمهم هذا بهم هو الذي أضطر أصحاب المعجم الى مراعاة الايجاز في تعريفها ، لأنه علم عند القارىء مضمون معروف ، بينما علمه بالبصل غير مضمون ثم ما الذي يفهمه القارىء من قراءته لشرح أصحاب الأيكة قوم شعيب ذوي المساكن الكثيفة الأشجار ، وهو نفسه لا يعرف شيئاً عن شعيب وعن قومه وعن زمانه وعن مكان جماعته أصحاب الأيكة ؟

ثم ما الذي يستفيده القارىء من جملة : « التوراة : ما أنزله الله تعالى على سيدنا موسى من الوحي ليبلغه قومه » ؟ وما الذي خرج به من علم عن التوراة ؟ وما الذي حصل عليه القارىء أيضاً من علم جديد عليه من ذلك التعريف الذي عرف به المعجم بني اسرائيل ؟

لقد كنت أطمع أن يقوم المجمع بعمل علمي رائع في هـــذا الباب ، هو وضع معجم علمي واسع لألفاظ القرآن الكريم على غرار المعجمات التي وضعها الغربيون للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، والتي ترجم بعضها الى العربية ، وعلى غرار المعجمات التي وضعت للألفـــاظ الواردة في التلمودين البابلي والفلسطيني « اليورشلمي » ، ومعجمات مثل هذه في ألفاظ القرآن الكريم تزين بالخوارط وبالصور ، تذكر كل ما هو ضروري ذكره عن اللفظة بإيجاز مركز ، هي التي يحتاج اليها العالم العربي والإسلامي وغيرهما أيضاً أما هذا المعجم المقترح ، فإنه مع أهميته لا يسدّ الحاجة الى ذلك المعجم المفصل ، ولا أظن أن أحداً ممن وضع له سيستفيد منه كثيراً ؛ لأن الذين يبحثون في ألفـاظ القرآن الكريم هم من الطبقة التي تريد مزيداً من المعرفـة والعلم فوق المعرفة اللغوية الصرفة والمعاني المقتضبة الواردة فيـــه فهي إذن لا بدَّ من أن تبحث وتفتش عن موارد أخرى ، من موارد عديدة أكثرها من الصعب الإحاطة به ، ولن يخلصها وينقذها منها ومن تعبها هذا إلا هـذا المعجم المفصل الذي يقدم الى القارىء ما يريده بأسـلوب سهل جامع مانع .

نعم ، قد يـكون عذر لجنة المعجم أن عملاً مثل هذا يحتاج الى وقت طويل والى خبراء والى مال ، وهو عذر مقبول ، فوجود شيء خير بالطبع من عدمه . ووجود هذا المعجم بهذا الشكل لا يتعارض مع العمل لإخراج ذلك المعجم المفصل غير أني ألح على مجمع اللغة العربيـــة وعلى المجامع العلمية مشتركة وعلى الأزهر وجميع الهيآت التي يخصها هذا الموضوع أن تتعـاون تعاوناً عملياً على إخراج معجم مفصـــل لألفاظ القرآن الكريم ، مبني على الأســـاليب الحديثة في إخراج المعجمات ، مطبوع طبعاً حسناً خالياً من الأخطاء والأغلاط المطبعيـة ، كي يتناسـب مع

جلال القرآن وأهميته وأعتقد أن مشروعاً كهذا هو مشروع ناجح ، لا يمنع من يبحث عن المادة ويفكر في المال قبل كل شيء من الإقدام عليه ومن كسب ربح منه .

جواد علي

إنباه الرواة على أنباه النحاة

تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي

الجزء الثالث

بتحقيق الأستاذ المحقق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مدير القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٥٥ ، — ١٣٧٤ هـ

قد كنا أنتقدنا الجزء الأول والجزء الثاني من هذا الكتاب الجليل في جزءين سابقين من هذه المجلة ، وأثنينا ثناءاً حسناً في الانتقـــاد المذكور على محقق الكتاب الفاضل ، وأطرينا مســـاعيه الأدبية التحقيقية في إخراج الكتاب والتعليق عليه ، ونعيد هاهنا ثناءنا الحسن وإطراءنا لإخراج الجزء الثالث

وقد أحتوى هذا الجزء على تراجم « الفاء » وما يليها من الحروف إلى الهاء ، فأولى تراجمه هي ترجمة الفضل بن الحباب أبي خليفة الجمحي ، وآخرها ترجمة الهيثم بن عدي الطائي .

وقد تصفحنا هذا الجزء من أوله إلى آخره ، وأستوقفنا فيه ما يأتي :

١ — في ترجمة أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ص ٦ — ٧) ذكر المحقق الفاضل في الحاشية أن صاحب روضات الجنات ذكر أن وفاة الفضل الطبرسي كانت في سـنة ٥٤٨ أو سنة ٥٠٢ هـ ، والفرق عظيم بين التاريخين ، فلذلك راجعنا روضات الجنات [١] فوجدنا أن مؤلفـــه يقول : « وقال الأمير مصطفى في رجاله عند ذكره : ثقة فاضل ديّن ... انتقل إلى سبزوار سنة ٥٢٣ ، وأنتقل بها إلى دار الخلود سنة ٥٤٨ انتهى . وأقول : وكانت وفاته في ليلة

---

(١) ٥١٢ .

النحر من السنة المذكورة ، ... وقيل إنه توفي سنة أثنتين وخمسمائة وبلغ سنه تسعين سنة ، وولد في عشر سبعين وأربعمائة ، والظاهر سقوط لفظة « خمسين » من قبل لفظة « خمسمائة » ، فليلاحظ »

فالتاريخ « ٥٠٢ » لم يجزم به صاحب الروضات ، بل نقله موهناً بقوله « قيل » ، ثم ذكر أحتمال سقوط « خمسين » من التاريخ ، فيكون تاريخ الوفاة على هذا الحسبان « ٥٥١ »

٢ — وفاته في ترجمة أبي علي فرسان بن لبيد بن هوال العائشي الحلي الأديب الشاعر (ص ٩) الإشارة إلى ورود ترجمته في « تاريخ بغداد » لمحب الدين محمد بن محمود المعروف بأبن النجار ، قال : « فرسان بن لبيد بن هوال العائشي أبو علي ، من أهل الحلة السيفية ، كانت له معرفة تامة بالأدب ، ويقول الشعر الحسن . قدم بغداد غير مرة ، وكتب الناس عنه من شعره [1] »

٣ — وفاته أن يشير في ترجمة أبي محمد الحريري صاحب المقامات (٢٣) إلى ورود ترجمته وجملة من رسائله ونظمه في « خريدة القصر وجريدة العصر » للكاتب الكبير والأديب البارع الشهير عماد الدين الأصفهاني [2]

٤ — وجاء في (ص ٣٤) قول القفطي : « القيلوي النحوي ، لا أعرف أسمه ، ونسبته أشهر ... » وقال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في الحاشية : « لم أعثر له على ترجمة ، وهو فيما سقط من تلخيص أبن مكتوم »

قلت : نحن ندل الأستاذ أبا الفضل إبراهيم على أسمه وترجمته ، ونستدرك على القفطي أسمه ، فهو « أبو المواهب معتوق بن منيع بن مواهب القيلوي أو القيلوئي » ، قال زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتابه « التكملة في وفيات النقلة » في وفيات سنة ٦٠٦ : « وفي ليلة

---

(١) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (٢١٣١ الورقة ١٣٤)

(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (٣٣٢٦ الورقة ١٨٢ — ١٩٥ و ٣٣٢٧ الورقة ١٦٨ — ١٦٩)

الخامس والعشرين من شعبان توفي الشيخ الأديب أبو المواهب معتوق بن منيع بن مَواهب القيلوني الخطيب بقيلوية ، وحمل منها إلى بغداد فدفن بباب حرب . قرأ ببغداد على أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن الخشاب وأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ، وأنشأ الخطب ، وقال الشعر ، وحدث بشيء من شعره ، وكانت له معرفة باللغة والنحو ، وتولى الخطابة بقيلوية وهي قريـة من قرى نهر الملك ، وهي بفتح القاف [1] وسكون الياء آخر الحروف وضمّ اللام وواو ساكنة وياء آخر الحروف مفتوحة وتاء ، وقد تقدم عليها ، وأنها مواضع [2] » .

وقال الإمام شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦٠٦ » من تاريخ الإسلام : « معتوق بن منيع الخطيب أبو المواهب الأديب خطيب قيلوية ، قرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب والكمال الأنباري ، وله شعر وخطب ، توفي في شعبان بقريته ، وحمل إلى بغداد [3] »

وترجمه تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي في وفيات سـنة ٦٠٦ من الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (٦/٢٩٦) قال : « أبو المواهب معتوق بن منيع بن مَواهب الخطيب ... » ، وذكر له شعراً

٥ — وجاء في ترجمة « القيلوني » المذكور : « وحضر هذا القيلوي يوماً عنـد عز الدين ابن مبادر رئيس السنّيّة ببغداد ... » . ولم يعلق محقق الكتاب على « عز الدين » هذا شيئاً ، ولو كان مشهوراً عند الأدباء والمعنيين بالتاريخ لجاز ذلك ، غير أنه غير معروف عند الأكثرين منهم ، فهو « أبو محمد مبادر بن أبي العباس أو أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن بن مبادر بن محمد بن عبد الله البغدادي الأزجي الكاتب الشافعي ، المتوفى سنة ٥٩٨ ، ذكره المنـذري في التكملة قال : « تفقه على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وناظر ، وتكلّم في مسائل الخلاف ،

---

(١) في معجم البلدان لياقوت : « بكسر أوله وسكون ثانيه .... »

(٢) نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية (١٩٨٢ د ج ١ الورقة ٢٠)

(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (١٩٨٢ الورقة ١٥٧)

وسمع ... وحدّث ... » [1]

٦ — وكذلك القول في « فخر الدين غلام أبن المني » الوارد ذكره في (ص ٣٥) ، فانه لم يعرفه ، ولم يذكر كلمة في سيرته ، فهو فخر الدين أبو الفتح إسماعيل بن عبد الله بن الحسين البغدادي الفقيه الحنبلي البغدادي » رجمه أبن الدبيثي وأبن الأثير وسبط أبن الجوزي وأبن الفوطي وأبن رجب وأبن العماد ، وتوفي سنة ٦١٠

٧ — وجاء في (ص ٤٤) رجمة أبي غالب محمد بن أحمد المعروف بأبن بشران الواسطيّ ، وفي الحاشية : « والمنتظم وفيات سنة ٥٦٢ » ، والصحيح وفيات سنة ٤٦٢ .

٨ — وجاء في حواشي (ص ٤٦) : « هو أبو هاشم وقيل أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله ... الملقب بالملك الظاهر لإعزاز دين الله ، رابع خلفاء مصر من بني عبيد » . وفي هذا خطأ هو تلقيبه بالملك الظاهر ، والصواب أنه « الظاهر لإعزاز دين الله » بغير ملك ؛ لأن الخلفاء الفاطميين كانوا لا يرتضون هذا اللقب [2] لأنفسهم ولذلك لقبوا به جماعة من وزرائهم كالملك الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي والملك الصالح أبن رزيك

٩ — وجاء في حواشي (ص ٥١) : « أكثر العراقيات في مدح المقتدر والمستظهر » ، والصواب « المقتدي »

١٠ — ووردت في (ص ٥٣) ترجمة من أسمه محمد بن أحمد بن هبة الله بن ثعلب الفزراني النحوي » ، وذكر محقق الكتاب في الحاشية مظان رجمته الأخرى ، وقد فاته من المظان المختصر المحتاج اليه من تاريخ أبن الدبيثي لشمس الدين الذهبي (١٧/١) والتكملة لوفيات النقلة للزكي المنذري قال في وفيات سنة ٦٠٣ : « وفي السابع والعشرين من صفر توفي الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله بن تغلب الفزريني المقرىء النحوي الضرير المنعوت بالبهجة ببغداد ، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب . ومولده في سنة ثلاثين

(١) نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة (الورقة ٣٣)

(٢) الوفيات (٢٣٩/١) من طبعة بلاد العجم

وخمسمائة قرأ النحو على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب وغيره، وسمع من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري وأبي منصور مسعود بن عبدالواحد بن الحصين، وقرأ عليهما شيئاً من القراءات، وسمع أيضاً من الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عبد الله محمد بن عبيد الله الرطبي وأبي العباس أحمد بن بختيار بن المندائي وغيرهم، وحدّث، وكان مقرئاً فاضلاً عارفاً بالنحو. وتغلب: بفتح التاء ثالث الحروف وسكون الغين المعجمة وكسر اللام. والفزربني: بكسر الفاء وسكون الزاي بعدها وراء مكسورة، نسبة الى قرية تعرف بفرزينيا من قرى نهر الملك، ويقال فيه فزراني أيضاً [(١)] »

وفاته أيضاً تاريخ الاسلام للذهبي، قال في وفيات سنة ٦٠٣: « محمد بن أحمد بن هبة الله الله بن تغلب أبو عبد الله الفزريني المقرىء النحويّ الضرير المعروف بالبهجة ولد سنة ثلاثين، وقرأ العربية على أ بن الخشاب وغيره، وسمع من أبي الكرم الشهرزوري ومحمد بن عبيدالله الرطبي وأبن ناصر، وقرأ بعض القراءات على أبي الكرم، وكان عارفاً بالنحو بصيراً به ثقة خيراً، وهو من قرية فزرينا، ويقال الفزراني أيضاً، روى عنه أبو عبد الله الدبيثي وقال: توفي في صفر ... [(٢)] ».

وفاته كذلك تاريخ أ بن الدبيثيّ [(٣)]، قال: « محمد بن أحمد بن هبة الله الفزراني، منسوب إلى قرية تعرف بفزرينيا من قرى نهر الملك، مقرىء عارف بالنحو ... أخبرنا أبو عبد الله الفزراني بجميع كتاب الحكام وولاة الأحكام بمدينة السلام، تصنيف القاضي أبي العباس أحمد بن بختيار بن المندائي، بسماعه له منه الى آخر ولاية قاضي القضاة أبي القاسم علي بن الحسين الزيني، وسألت البهجة الفزراني عن مولده فقال: ولدت في سنة ثلاثين وخمسمائة، وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشري صفر سنة ثلاث وستمائة، ودفن بباب حرب بمقابر الشهداء رحمه الله ».

(١) نسخة المجمع المصورة (الورقة ٨٤)
(٢) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (١٥٨٢ الورقة ١٤١)
(٣) نسخة دار الكتب المذكورة (٥٩٢١ الورقة ١٧)، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

وبما قدمنا يعلم أن ورود « ثعلب » و « المهجة » في كتاب الإنباه المطبوع غلط ، والصواب « تغلب » و « البهجة » أي بهجة الدين . وهذه من فوائد مراجعة الترجمة في مظانها الأخرى

١١ — وجاء في حواشي (ص ٧٤) من الجزء قول أبي الفضل « حماة : مدينة بالشام على نهر العاصي ، وهي مولد أبي عبدالله ياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء » وهذا غلط من القول لم يسبقه اليه أحد ، ولو استوعب أبو الفضل مافي هذا الجزء لكفي هذا الغلط ، فقد مرّ استطراداً قبل قوله هذا (ص ٤٠) قول القفطي في ترجمة الأديب المعروف بالكيشي : « وهذا الكيشي الذي ذكرته ، لا أعرف شيئاً من حاله ، ولا تحققت اسمه ، وإنما حكى لي ياقوت الحموي الرومي الجنس مولى عسكر الحمويّ التاجر نزيل بغداد . وكان ياقوت هذا راغباً في طلب الأدب ، ويتجر لمولاه ... » فياقوت الحمويّ رومي الأصل ، وُلد ببلاد الروم ، لا في حماة ، وإنما جاءه نسب « الحمويّ » من نسب مولاه « عسكر الحمويّ » التاجر نزيل بغداد ، وقد توفي « عسكر » هذا في سنة ٦٠٦ قال ابن الساعي في وفياتها : « أبو الجيش عسكر بن أبي نصر الحموي ، أحد التجار القاطنين ببغداد ، من ساكني دار الخلافة المعظمة بالقرب من باب الحرم الشريف ، وكان ذا ثروة وتجمل ظاهر ، توفي في جمادى الأولى عند مشهد عون ومعين [1] » .

وابنه كمال الدين أبو الحسن علي بن عسكر بن أبي نصر بن ابراهيم الحموي ثم البغدادي ، عارض الجيش ، قال ابن الفوطي : « كان صدراً رئيساً كاملاً فاضلاً ، وكان من جيراننا في المحلة الخاتونية الخارجة ، وحضرت مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الأدباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم ... وكان ياقوت عتيق والده ، أعتقه يوم وُلد له كمال الدين [2] » .

١٢ — وجاء في حواشي (ص ٩٠) في الكلام على تاريخ الطبري : « وذيل عليه محمد بن

---

(١) الجامع المختصر (٢٩٤/٩)

(٢) تلخيص معجم الألقاب (ج ٥ الترجمة ٤٥٦ من الكاف)

عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٢٥١ ، وأتمه إلى سنة ٤٨٧ ، وسماه تكملة تاريخ الطبري ، ومنه نسخة بمكتبة باريس » . قلنا : الصواب أنه توفي سنة ٥٢١ ، ولعل الوارد في الحاشية من غلط الطبع ، والصحيح أن المحفوظ في دار كتب باريس من التاريخ المذكور هو الجزء الأول منه ، أرقامه « ١٤٦٩ » ، وخطه مغربيّ ، أوله خلافة المقتدر وآخر حوادث سنة « ٣٦٧ » ، وعدة أوراقه أربع وخمسون ومئة ورقة

١٣ — وجاء في (ص ٩٦) في ترجمة أبن دريد أنه هو وأبا هاشم الجبائي دفنا في الخيزرانة . والصواب « الخيزرانية » ، أي المقبرة الخيزرانية ، وهي منسوبة الى « الخيزران » صاحبة المهدي العباسيّ ، وهذه المقبرة هي مقبرة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، دفن فيها قبل الخيزران ، إلا أنه لما دفنت فيها غلب أسمها عليها وحولها أسست مدينة الأعظمية الحالية شمالي بغداد . وقد جاءت « الخيزرانية » في (ص ٢٢٩) من هذا الجزء على الصحة .

١٤ — وجاء في (ص ١٠٠) في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن المعروف بأبن مقسم البغدادي العطار قول القفطي : « سمع من ثعلب وأبي علي بن شاذان ومن جماعة من أئمة الرواة ، وكان ثقة ... » ، وقد علق المحقق أبو الفضل على أسم أبيه علي بن شاذان مختصر ترجمته ، ولم ينتبه الى أن القفطي قد أخطأ بنسبة رواية أبن شاذان عن أبن مقسم ، والصحيح العكس ، فأبن شاذان روى عن أبن مقسم ، قال الخطيب البغدادي في رجمة أبن مقسم : « حدثنا عنه الحسن أبن زرقويه وعلي بن أحمد الرزاز والحسين بن شجاع الصوفي وأبو علي بن شادان وغيرهم [1] » . وذكر في ترجمة أبي علي بن شادان أنه سمع أبا بكر بن مقسم [2] .

وقد أشار المحقق الفاضل في مظان رجمة أبن مقسم بالحاشية الى وفيات سنة ٣٥٤ من المنتظم [3] ، وفيه أيضاً أن أبن مقسم كان من شيوخ أبي علي بن شاذان

١٥ — ووردت في (ص ١١٩) ، ترجمة محمد بن حبيب الأديب المشهور ، وأثبت

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٠٦) (٢) تاريخ بغداد (ج ٧/٢٧٩)

(٣) المنتظم (٧/٣٠) .

محقق الكتاب في الحاشية مظان رجمته ، وفاته كتاب « الأنساب » للسمعاني ، فقد رجم محمد بن حبيب في « المُحَبَّرِيّ » من كتابه قال : « المحبري ... هذه النسبة الى كتاب جمعه ، وهو محمد بن حبيب المحبريّ ، صاحب كتاب المُحَبَّر .. » ، وذكر سيرته وأختصر قوله أبن الأثير في اللباب مختصر الأنساب

١٦ — وجاء في رجمة أبي الحسين محمد بن الحسين النحوي أبن أخت أبي علي الفارسيّ (ص ١١٨) : « ثم قدم على الشاب صاحب غوزستان ، وحظي عنده ، ووزر له » فقال أبو الفضل إبراهيم في الحاشية : « غوزستان ، ويقال لها خوزستان : تطلق على بلاد الخوز بين فارس والبصرة وواسط » ودعواه أن « خوزستان » تسمى أيضاً « غوزستان » ، لم يسندها إلى سند ، ولعلها من أجهاداته كالتي ذكرها في الكلام على « حماة » ، ونسبته ياقوت الحموي إليها ، والصواب أن في النص تصحيفاً ، وصحيحه « ثم قدم على الشار صاحب غرشستان ... » قال ياقوت في معجم البلدان : « غرشستان بالفتح ثم السكون وشين معجمة مكسورة وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون : يُراد به النسبة الى غرش ، معناه « موضع الغرش » ويقال « غرشتان » ، وهي ولاية برأسها ، ليس لها سلطان ولا لسلطان عليها سبيل ، هراة في غربها ، والغور في شرقيها ، ومرو الروذ عن شماليها ، وغزنة عن جنوبيها وقال البشاري : هي غرج الشار ، والغرج هي الجبال ، والشار هو الملك ، وتفسيره جبال الملك ، والعوام يسموها غرجستان وملوكها إلى اليوم يخاطبون بالشار وهي ناحية واسعة ، كثيرة القرى ، بها عشرة منابر أجلها ببشير ، وفيها مستقر الشار »

١٧ — وذكر محقق الكتاب في حاشية (ص ١٢٤) مظان ترجمة محمد بن خلف المعروف بوكيع ، وفاته تاريخ الخطيب (٥/٢٣٦) والوافي بالوفيات (٣/٤٣)

١٨ — وفي (ص ١٣٩ — ١٤٠) ورد نقل وكلام عن ياقوت ، فوصله المحقق بكلام القفطي ، فصار قول القفطي في كلام ياقوت ، وهو ـ أعني قول القفطي ـ : « وأحضرها الى حلب في صحبته ، فرأيتها ، فكان الأمر كما قال » يعني ياقوتاً ، فهو الذي أحضرها

١٩ — وجاء في (ص ١٤٦) في الحاشية : « الروشن : فارسي معرب ، ومعناه الفرضة ، وهو مرسى المراكب والسفن » ولم يذكر مرجع هذا القول ، والصحيح أن « الروشن » هو الكوّة ، وهو كالروزن والروزنة ، ثم أُختص الروشن بما شخص وأتسع من الكوى ، قال الفيروز أبادي في القاموس : « والروشن : الكوّة » ، وجاء في نهج البلاغة : « ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور » ، قال عز الدين بن أبي الحديد المدائني : « وأجنحة الدور التي شبهها بأجنحة النسور : رواشيها [1] » . ثم نقل الشارح قول بعض المؤرخين : « وأحرق الموفق كثيراً من الرواشين المطلة على سور المدينة وشمشها [2] » يعني مدينة صاحب الزنج قرب البصرة وبذلك يعلم أن الروشن أختصَّ بما يسمى « البالكون » المعرب من الفارسية ، ويسميه جماعة من الكتاب غلطاً « الشرفة » ، يعنون « المستشرف » . وجاء في الجواهر المضيئة (٢/٩٧) : « فيمر بالروشن ، فيقف عنده ، ويقول : يرحمك الله يا فلانة ، كنت حارس هذا الدرب بقراريط معلومة . فإذا أعتم الليل جلست تحت هذا الروشن أدرس الليل كله »

٢٠ — ووردت في (ص ١٦٦) مظان ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي ، وقد فاته منها « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » انتقاء أحمد بن أيبك المعروف بأبن الدمياطيّ ، والأصل لمحب الدين محمد بن النجار المؤرخ المقدم ذكره في هذا النقد . وترجمة أبي عبد الله المسعودي في الورقة « ٩ » من نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة على نسخة دار الكتب المصرية .

٢١ — وذكر في (ص ١٧١) مظان ترجمة أبي عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ، وفاته « لسان الميزان » لأبن حجر العسقلاني (٥/٢٦٨) والكامل في وفيات سنة ٣٤٥ .

٢٢ — وجاء في (ص ١٨١) قول المؤلف : « وكان عفا الله عنه مسهتراً ، فيشرب

---

(١) شرح نهج البلاغة (٢/٣١٠) (٢) المرجع المذكور (٣٥٧)

الخمر » وأرى أنَّ الصواب « مسهتراً بشرب الخمر » ، يقال « أسهتر بكذا أي أغرم به أشد الغرام » .

٢٣ — وجاء في حواشي (ص ١٨٢) في التعليق على « معجم الشعراء » للمرزباني : « وذيله أبو البركات مبارك بن أبي بكر بن الشعّار الموصلي المتوفى سنة ١٥٤ ، وسماه تحفة الوزراء » . قلنا : الصواب سنة ٦٥٤ .

٢٤ — وجاء في (ص ٢٠٢) : « وأشار لهم إلى حيريّ مملوء كتباً » فقال الأستاذ أبو الفضل : « كذا في الأصلين وتاريخ بغداد ، وفي القاموس : الحير شبه الحظيرة » ولا مناسبة بين التعليق و « الحيري » ، فالحيري منسوب الى الحيرة ، والظاهر أنه يريد به « إيواناً » حيرياً ، ويقال له « الحاري » أيضاً ، قال أبو الحسن علي المسعودي العلامة المؤرخ : « وأحدث المتوكل في أيامه بناءاً لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحاري والكُمَّيْن والأروقة ، وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة ، على صورة الحرب وهيأته ، للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ... [1] » .

٢٥ — وجاء في (ص ٢١٠) في ترجمة أبي البركات محمد بن محمد الشهرستاني النحوي أنه قرأ على أبي الحسن علي بن المبارك بن بابويه المعروف بابن الزاهدة النحويّ . والصواب « ابن بانويه » بالنون كما جاء في معجم الأدباء لياقوت الحمويّ [2] ، وكما في إنباه الرواة بعينه [3] وفي تاريخ ابن الدبيثي ، قال : « علي بن المبارك بن عبد الباقي بن بانويه أبو الحسن النحويّ ، يعرف بابن الزاهدة ، من ساكني الظفرية قرأ النحو على الشريف أبي السعادات ابن الشجري النحوي وعلى أبي جعفر المعروف بالتكريتي مدة ، وتخرج به جماعة منهم أبو البركات محمد بن محمد الشهرستاني ثم البغدادي وغيره ، ولقيته قبل وفاته بقليل . وكان منقطعاً

(١) مروج الذهب (٢/٢٦٩) طبعة المطبعة البهية بالقاهرة

(٢) ج ٥ ص ٣٠ من طبعة مرغليوث الأولى (٣) ج ٢ ص ٣١٨ .

في منزله سمع منه جماعة من رفقائنا ، وتوفي في يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ودفن عند والدته الزاهدة برباط لهم بدرب البقر بالظفرية [1] » وقال الذهبي في وفيات سنة ٥٩٤ من تاريخ الاسلام : « علي بن المبارك بن عبد الباقي بن بانويه أبو الحسن الظفري ، من محلة الظفرية ، النحوي الأديب ، ويعرف بابن الزاهدة أخذ العربية ... وحدّث ، وتخرّج به جماعة ... وكانت أمه واعظة مشهورة بالعراق ، وهي أمة السلام ، مباركة [2] » .

٢٦ — ووردت في (ص٢١٣) مظان ترجمة أبي العز محمد بن محمد المعروف بابن الخراساني العروضي ، وقد فات المعلق أن يذكر فيها المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي (١/١١٩) لشمس الدين الذهبي ، وتاريخ ابن الدبيثي بعينه [3] ، وخريدة القصر للعماد الأصبهاني [4] ، والعسجد المسبوك « نسخة المجمع ، الورقة ٩١ » ، وبغية الوعاة (ص ١٠١) ، والشذرات (٤/٢٥٧) ، وروضات الجنات (ص ١١٤) .

٢٧ — وجاء في (ص ٢١٧) قول الحافظ السلفي :

وفي النحو الخليل بلا خلاف ... وفي حفظ اللغـــة الأصمعيّ

والشطر الثـاني مكسور ، وهو من الوافر ، ووزنه هنا : « مفاعلتن مفاعلتن فعولُنْ » ، والصواب « وفي حفظ اللغات ... »

٢٨ — وجاء في (ص ٢٢٠) : « وكان قطرب يعلم ولد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي صاحب الـكرخ » والصواب « الـكرج » بالجيم ، قال ياقوت في معجم البلدان : « كَرَج : بفتح أوله وثانيه وآخره جيم ، وهي فارسية ، وأهلها يسمونها كره وهي مدينة بين همذان وأصبهان ... وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجليّ ، وجعلها وطنها ، وإليها قصده الشعراء ، وذكروها في أشعارهم ... »

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة المجمع العلمي المصورة ، (الورقة ١٦٣)

(٢) تاريخ الاسلام نسخة دار الـكتب الوطنية بباريس (١٥٨٢ الورقة ٧٥)

(٣) نسخة دار الـكتب الوطنية بباريس (٥٩٢١ الورقة ١٢٢) ، ومنه نسخة بدار الـكتب المصرية.

(٤) نسخة الدار المذكورة (٣٣٢٦ الورقة ٤١)

٢٩ — وجاء في (ص ٢٢٢) في ترجمة الحافظ أبن ناصر : « ويقال إن أباه كان أحسن شباب بغداد في زمانه ... وقيل إن ولده هذا كان يعرف ذلك ، وربما قاله ووصفه بالحسن مع الصبابة » ولا نرى وجهاً للصبابة في ذكر واحــــد لأبيه الجميل المليح ، وانما الصواب « الصيانة » ، يعني أنه كان مع جماله وميل الشذان في الجنسيات اليه « صيّناً » حافظاً لنفسه .

٣٠ — وجاء في (ص ٢٥١) في رجمة المبرد « كان أبو المبرد من السُّورجيين بالبصرة ممن يكسح الأرضين » والصحيح « الشورجيين » أي العاملين في « الشورج » ، وهي تعريب « شوره » الفارسية ، أي التراب الملح من السباخ وهي مذكورة في تاريخ الطبري وغيره من كتب العرب وقد نقل مصحح الكتاب « السورجيين » من كتاب الفهرست كما ذكر في الحاشية ، وقد ذكرنا الصواب

٣١ — وجاء في ترجمته (ص ٢٥٢) : « حدثني أبو العباس المبرد وقال : دخلت من البصرة الى بغداد » . والصواب « رحلت » ، ولا وجه لـ « دخلت »

٣٢ — وجاء في (ص ٢٦٠) ترجمة « أبي المعالي المبارك بن هبــــة الله النحوي » قول القفطيّ : « بغدادي ، سمع أبا القاسم علي بن أحمد البسري ، وحدَّث عنه سمع منه المبارك بن كامل ، وأخرج عنه حديثاً في معجم شيوخه » فعلّق الأستاذ أبوالفضل على أسم « المبارك » هذا ما نصه : « هو أبو الميمون المبارك بن كامل بن علي بن منقذ ، من أمراء الدولة الصلاحية ، مات سنة ٥٨٩ أبن خلكان (١/٤٤١) » وهــذا خطأ ، وإنما المُراد المبارك بن كامل أبن الخفاف المفيد توفي سنة « ٥٤٣ » ببغداد ، قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث هذه السنة ووفياتها : « المبارك بن كامل بن أبي غالب البغدادي ، ويعرف أبوه بالخفاف ، أبو بكر المفيد ولد ســنة خمس وتسعين (وأربعمائة) وأول سماعــه في سنة ست وخمسمائة .. وما زال يسمع العالي والنازل ويتبع الأشياخ في الزوايا وينقل السماعات ، فلو قيل إنه سمع من ثلاثة آلاف شيخ لما رد القائل ، وجالس الحفاظ ، وكتب بخطه الكثير ، وأنتهت اليه معرفة المشايخ ،

ومقدار ما سمعوا والإجازات لكثرة دربته في ذلك ... [1] » وله ترجمة في لسان الميزان (١١/٥) ، والشذرات (١٣٥/٤) ، والكامل ، وغيرهن . وقد ورد ذكر أبنه ذاكر في (ص ٣٦٨) من هذا الجزء

أما المبارك الشيزري ، فلم يسمع المبارك بن هبة الله البغدادي ، ولا رأى بغداد ، ولم يُمنَ بالحديث ، ولا كان عنده معجم شيوخ ، ولم يقصد إليه المبارك البغدادي المذكور

٣٣ — وجاء في (ص ٢٦٥) : « كان الزمخشري — رحمه الله — من أهل خُوارزم ، بضم الخاء وفتح الواو ، وكرّر الناشر هذا الضبط في (ص ٢٦٦) ، والصحيح أن الواو ساكنة وأنها ألف في اللفظ ، ألا ترى الى قول الشاعر :

ما أهل خوارزم سلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم ؟

ومعلوم أن البيت من الكامل ، فلو حركت الواو لصار الشطر الأول مكسوراً ، قال ياقوت في معجم البلدان : « خوارزم أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظُون به ... » . وقال مجير الدولة أبو الحسن علي بن سعيد الخوارزمي البغدادي الأديب :

وجولت فكري في البلاد فلم يقع على رجل في علمه غير راجل
إلى أن جرى الطير السنيح فدلني على نخر خوارزم رئيس الأفاضل [2]

٣٤ — وذكر في حاشية الصفحة (٢٦٥) مظان ترجمة جار الله العلامة محمود بن عمر الزمخشري ، وفاته ذكر الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٦٠/٢) والفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ص ٢٠٩) .

٣٥ — وجاء في (ص ٢٦٨) : « فسقطت عن الدابة ، فانكسرت الرجل ، وعملتُ عملاً أوجب قطعها » . كذا بإسناد « عملتُ » الى المتكلم والمحدث ، وليس ذلك بالصواب ،

---

(١) المنتظم (١٣٢/١٠)

(٢) تلخيص معجم الألقاب (ج ٥ الترجمة ٦٢٦ من الميم)

والصحيح « وعملتّ » بإسناده إلى الرجل ، يعني أن الرِّجْل بعد أنكساره ، غثّ جرحها ، وفسد محتواها

٣٦ — وقال في (ص ٢٦٨) في ترجمة الزمخشري : « ولما دخل بغداد سأله الدامغاني والفقيه الحنفي عن سبب قطعها ... » فعلق المصحح على « الدامغاني » أنه « أحمد بن علي بن محمد أبو الحسن الدامغاني ، كان من بيت العلم والقضاء في بغداد ، توفى سنة ٥٤٠ » .. قلنا : وسنّ أحمد بن علي الدامغاني ، وقد ولد سنة ٤٨٣ ، لا تناسب سؤاله مثل الزمخشري ، وقد ولد سنة ٤٦٧ . والأولى أن يكون السائل أباه أبا الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني قاضي القضاة [1] ، فانه ولد سنة ٤٥٠ ، وتوفي سنة ٥١٣

٣٧ — وجاءت في (ص ٢٧٤) حاشية أثبت فيها مظان ترجمة مصدق بن شبيب ، وفاته منها ما لا يجوز الأستغناء عن ذكره [2] .

٣٨ — وورد في حاشية (ص ٢٧٦) ذكر مظان ترجمة المطهر بن سلاّر البصري المكنى بأبي زيد ، وفاته منها « تلخيص معجم الألقاب لكمال الدين بن الفوطي « نسخة دار كتب المتحفة العراقية ، الورقة ٣٢٤ » وهي مصورة على النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق .

٣٩ — وورد في (ص ٢٨٣) في نص الكتاب : « وكان ربما أعتمد التصحيف ، فما ينشده غير جاهل بذلك » . ونرى أن الصواب « ... فيما ينشده ... » بدلالة قوله « غير جاهل » ، وقوله قبل ذلك : « وإذا تحدّث أو قرأ لحن أعتماداً له لذلك » .

٤٠ — وجاء في كتب أبي عبيدة (ص ٢٨٦) « كتاب رستيفياد » . قلنا : الصواب « رستقباذ » ، قال ياقوت في معجم البلدان : « رستقباذ في أخبار الأزارقة ، لما خرج مسلم بن

(١) الجواهر المضية (١/٣٧٣)

(٢) مثل المختصر المحتاج إليه في تاريخ ابن الدبيثي « نسخة دار الكتب المصرية ، الورقة » والجامع المختصر لابن الساعي (ص ٢٧٣) والتكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية (١٩٨٢ و ج ١ الورقة ٤) وتاريخ الاسلام للذهبي « نسخة دار كتب باريس ١٥٨٢ الورقة ١٥١ »

عبيس من حبس أهل البصرة لقتالهم ، أنتقل نافع إلى رستقباذ من أرض دستوا ، فقتل نافع وأبن عبيس هناك » فالكتاب في أخبار الخوارج الخاصة بذلك الموضع .

٤١ — وجاء في (ص ٢٨٨ـ٩) : « وكان معاذ صديقاً للكميت ، فأشار عليه بالخروج من عمل القرى (كذا) — وكان شديد العصبية على المضرية ، فلم يُقبَل منه » ببناء « يقبل » للمجهول ، والصواب بناؤه للمعلوم ، لأن المراد به أن الكميت لم يقبل منه النصيحة . وصواب « القرى » هو « القَسْري » يعني « خالداً القسريّ » ، لأنه كان متعصباً للقحطانية وأحلافهم ، يدلك على ذلك قوله بعد ذلك « فلما قبض خالد على الكميت وحبسه ، أغتمّ مُعاذ » ، فهو خالد القسريّ . وفى الفهرست كذلك (ص ٩٧)

٣٩ — وجاء فى (ص ٢٩٦) فى ترجمة العلامة المعافى بن زكريا النهرواني قول القفطي : « ولي القضاء نيابة عن أبن صبر » فقال الأستاذ أبو الفضل في الحاشية : « في تاريخ بغداد : أبن صغير » ، ولم يشر الى الوجه الصحيح لعدم البينة التاريخية . قلنا : الصواب الأول ، أي « أبن صُبْر » ، وهو كما فى اللباب مختصر الأنساب : « بضم الصاد وسكون الباء الموحدة وفي آخرها راء » ، وفي الأنساب « بفتح الباء » قال السمعاني : « هذه النسبة الى صبْر ، وهو أسم لجد أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن صُبر القاضي ، من أهل بغداد ، أحد أصحاب الرأي كان يتولّى القضاء بعسكر المهدي ، وهو ممن أشتهر بالأعتزال ، وكان يعد من عقلاء الرجال ولد سنة عشرين وثلاثمائة ، ومات في ذي الحجة سنة ثمانين وثلاثمائة وفي اللباب قريب من ذلك ، إلا أنه وضع « الحنفي » مكان « أحد أصحاب الرأي » ، ولا فرق بينهما وأصل ترجمته في تاريخ الخطيب (٢/٣٢١) ، وقد ضبط محمد أمين الخانجي « صبر » بفتح الصاد والباء ، ولم يعتمد على شيء ، وأعاد السمعاني ذكر أبن صبر فى « العسكري » ، وأخطأ في أسم أبيه ، وجعله « عبد الله » ، وتابعه على الخطأ عز الدين بن الأثير في لباب الأنساب .

٤٣ — وجاء في ترجمة المفضل بن محمد الضبي (ص ٢٩٩) : فقال « ما ألقي هذا على

لسانك الا لذهاب الخاتم ، وحلق به إليه » وأرى أن الأصل « وحذف بـه إليه » ، أي رمى به إليه . وتصحيف « حذف » إلى « حلق » ، ممكن معقول .

٤٤ — وجاء فيها : « وجده يعلى بن عامر كان على خراج الري وهمذان والماهين » ، فقال أبو الفضل إبراهيم : « وماهين لم يذكرها ياقوت » قلنـا : الماهين هي منصوب « الماهان » تثنية « الماه » ، قال ياقوت : « ماهان ، إن كان عربياً ، فهو تثنية الماء الذي يشرب ، لأن أصله الهاء ، وإلا فهو فارسي . وهو تثنية « الماه » وهي القصبة ، كما يذكر في ماه البصرة بعده ، والماهان : الدينور ونهاوند » ، فـكيف يقال إن ياقوتاً لم يذكر الماهين ؟!

٤٥ — وورد في حواشي (ص ٣١٢) ذكر مظان ترجمة المفجع أبي عبدالله محمد البصري اللغوي الـكاتب » ، وفاته منها الوافي بالوفيات للصفدي (١ — ١٢٩) وكتاب الرجال لأحمد النجاشي الإمامي (ص ٢٦٤) ومعالم العلمـــاء لرشيد الدين محمد بن شـــهراشوب (ص ١٣٢ ، ١٣٩) .

٤٦ — وجاء في حواشي (ص ٣٢٠) ذكر مظـان ترجمة أبي الحرم مـكي بن ريان الماكسيني ، وقد فاته منها الجامع المختصر (٩/٢١٦) والغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة (ص ٨٣) لابن سعيد المغربي

٤٧ — وجاء في (ص ٣٢٩) قول بعضهم : « ترى حبكاً فيه كأن أطرارها » . والظاهر أن الأصل « اطرادها » ، وأنه من غلط الطبع

٤٨ — وذكر المحقق في حاشية (ص ٣٤٤) مظـان ترجمة فخر الدين نصر بن عبد الله الشـيرازي اللغوي النحوي الأديب ، وفاته منها « تلخيص معجم الالقـاب » لابن الفوطي (ج ٤ الورقة ٣٥٨) من نسخة المتحفة العراقية ، والأصل محفوظ في المـكتبة الظاهرية ، كما ذكرنا آنفاً . وفاتته « غاية النهاية في طبقات القراء » (٢/٢٣٧) لشمس الدين الجزري ، قال ابن الفوطي : « فخر الدين نصر بن علي بن محمد بن محمد ، يعرف بالرويم ، الشيرازي الفارسي المفسر ، ذكره عماد الدين الأصفهاني في الخريدة وقال : « فخر الدين الخطيب فارسُ فارسَ في

اللغة والنحو ، وواحد شيراز في الإثبات والحو ، له تصانيف في تفسير القرآن ، وشرح الإيضاح وكان يخطب في كل جمعة بخطبة من إنشائه لا يعيدها قرأ على تاج القراء محمود أبن حمزة الكرماني ومن تصانيفه : كتاب « الموضح » في القراءات الثماني ، وكتاب « الإفصاح في شرح الإيضاح » ، وكتاب « المنتقى » في علل القراءات الشواذ وسمعت سنة أثنتين وسبعين أنه يعيش ، وقد ناهز السبعين ... » .

٤٩ — وذكر في حاشية (ص ٣٤٦) مرجعين لترجمة أبي الفتوح نصر بن علي بن منصور الحلي النحوي ، وفاته من المراجع التكملة لوفيات النقلة ، نسخة المجمع العلمي (الورقة ٥٥) ، والجامع المختصر (٩/١٢٨) ، قال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٠٠هـ : « وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى توفي الأديب أبو الفرج نصر بن علي بن منصور الحلي النحوي المعروف بالخازن ، بالحلة الزيدية ، ودفن بكربلا بمشهد الإمام الحسين بن علي — عليه السلام — قرأ النحو ببغداد على أبي محمد الحسن بن عبيدة وغيره ، وسمع من أبي الفرج عبد المنعم بن كليب الحراني وأبي القاسم هبة الله بن السبط وأبي طاهر المبارك بن المبارك بن هبة الله بن المطوش وجماعة في طبقتهم ، ويقال : كانت وفاته في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، وكان فاضلاً ، كتب الكثير »

٥٠ — وجاء في (ص ٣٤٦) قول نصر المذكور :

وآنست من آثار آل معيشة   معاهد كانت بالمكارم منزلا

وآل معيشة ، تصحيف « آل مُعَيَّة » بالتصغير ، وهم من بيوتات الحلة العلوية ، قال أبن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي طالب الحسن بن القاسم بن الحسن بن معية الحسيني : « وأمه معية التي ينسب البيت اليها ، وهي معية بنت محمد بن حارثة الأنصارية » تلخيص معجم الألقاب (ج ٥ الترجمة ٤٨٧) ، وفيهم يقول مزيد الخشكري الشاعر :

وكأنما الهور الطفوف وأهله الشـ   ـهداء وأبن معية أبن زياد

٥١ — وجاء في (ص ٣٥٦) في ترجمة هبة الله بن الشجري النحوي : « قرأ الحديث

بنفسه على جماعة من الشـــيوخ المتأخرين مثل الحسين بن المبارك الصيرفي ... » . قلنـا : والصواب « مثل أبي الحسين المبارك الصيرفي » ، ويعرف أيضاً بأبن الحمامي وبأبن الطيوري ، وكان محدثاً واسع الرواية ، ثقة ، عابداً ، توفي سنة ٥٠٠ وترجمته في المنتظم (١٠/١٥٤) والـكامل في وفيات سنة ٥٠٠ والمستفاد (الورقة ٦٧) والشذرات (٣/٤١٢)

٥٢ — وفي حاشية (ص ٣٥٧) مظـان ترجمة أبي منصور هبـة الله بن حامـد الحلي النحـوي الأديب ، وفاته منهـا تلخيص معجم الألقاب لأبن الفوطي وروضـات الجنات (٢/٢٢٢) ، قال أبن الفوطي : « عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب الحلي اللغوي ، ذكره ياقوت الحموي ... » وإذ كان المطبوع من معجم الأدباء في آخر أجزائه هو مختصر الجزء السابع ، فقد أسقط منه شيء لا نعلم مقداره ، إلا أنه داخل فيما ذكره أبن الفوطي مما ليس في المطبـوع ، قال أبن الفوطي : « وأول ما قرأ عميـد الرؤساء هبة الله على خزيمة بن محمد بن خزيمة ببلده ، ولقي الشيخ أبا محمد بن الخشاب وإسماعيل بن موهوب بن الجواليقي ، ونسخ لنفسه نحو مئة مجلدة في اللغة ، وروى عنه جماعة منهم فخار بن معد بن فخار الموسوي ، وروى لنا عنه شيخنا جلال الدين أبو القـاسم عبد الحميد بن فخار وكانت وفاة عميد الرؤساء يوم عيد الفطر سنة عشر وستمائة » [1] وسـقط من أساتذته في معجم الأدباء « أبو العز بن الخراساني المشهور .

وفاته منها تاريخ الاسـلام للذهبي ، قال في وفيات سنة ٦١٠ هـ : « هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب أبو منصور الحلي الأديب النحوي ، قرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب وأبي الحسن علي بن العصار ، وأقرأ بالحلة ، وانتفع به الناس ، وتوفي رحمه الله في حدود هذه السنة »

٥٣ — وورد في (ص ٣٥٨) في ترجمة أبي بكر هبة الله بن الحسن الملاف الأديب : « ورد نيسابور ... في جملة الفقهـاء الذين خرجوا إلى بخارى للمصـاهرة بين الأمير السديد

(١) نسخة المتحفة العراقية المصورة « الورقة ١٩٨ » ، والأصل في المكتبة الظاهرية بدمشق كما ذكرنا آنفـاً .

عضد الدولة ، وذلك سنة ستين وثلاثمائة » والصواب « بين الأمير السديد وعضد الدولة » ، والأمير السديد هو أبو صالح منصور الأول بن نوح (٣٥٠ — ٣٦٦ [1]) .

٥٤ — وجاء في (ص ٣٦٥) في ترجمة الهيثم بن عدي الطائي قول المؤلف : « وولده الهيثم تعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم ، فوردت معايب القوم مستوره ، فكره لذلك » والصواب التنكير في المعايب فيكون النص : « فوردت معايب لقوم مستورة » ، وبتنكير المعايب تنكر القوم ، وكان القول موافقاً لمقتضى الحال

هذا ما أردنا إيضاحه في هذا الجزء من « إنباه النحاة » وهو بالإضافة إلى المجهود الأدبي العظيم ، والتحقيق السليم الجسيم ، كالخال في وجه الحسناء

تلخيص مجمع الآداب

تأليف كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي

الجزء الخامس

تولى نشر هـذا الجزء الخامس من الكتاب الذي سماه مؤلفه أبن الفوطي « تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب » الأستاذ محمد عبد القدوس القاسمي ، أحد شيوخ كلية علوم الدين في جامعة بشاور في باكستان ، في ضمائم ملحقة بمجلة « أورنتيل مكازين » في لاهور ، بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٧ ، بإشراف الدكتور العالم الأستاذ محمد شفيع مدير دائرة المعارف الاسلامية الأردية بجامعة بنجاب وقد شرع الأستاذ القاسمي في سنة ١٩٥٥ في نشر الجزء الرابع من الكتاب المذكور ، وهو الجزء الذي قرر المجمع العلمي العراقي طبعه ، ولم تسنح الفرصة لذلك

---

(١) راجع « الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي » تأليف زامباور المستشرق (٢/٣٠٦) من الترجمة العربية

وقد قدم الأستاذ القاسمي للجزء الرابع مقدمة ضمنها مختصر سيرة ابن الفوطي والإشارة إلى توليه نشر الجزء الخامس الذي كتبنا هذا التعريف والنقد في شأنه ، وقال في (ص ٣) ، وهو يعد مؤلفات ابن الفوطي : «٥ — كتاب حوادث المائة السابعة ، لخصه بعض علماء القرون المتأخرة في كتاب طبع في بغداد باسم الحوادث الجامعة ، وأخطأ ناشره الأستاذ مصطفى جواد في نسبته إلى ابن الفوطي » .

وقبل أن نثبت للأستاذ الفاضل أنه أخطأ بقوله هذا خطأ أكبر من خطئنا ، وحمله الغرور على تجاوز الإنصاف ، نود أن نثني عليه ثناءً حسناً بنشره هذا الجزء الخامس نشراً قل أن نجد من يضطلع به في العالم العربي فضلاً عن العالم الإسلامي

أما الخطأ المضاعف الذي أتاه الأستاذ القاسمي في ذلك القول ، فذو وجهين : أحدهما أني لم أكن أول من سمى هذا المخطوط التاريخي المجهول المؤلف في نسخته الموجودة « الحوادث الجامعة » ، فقد قلت في الصفحة « ح » منه : « وأول من نسبه في عصرنا إلى مؤلفه المذكور صديقنا المفضال المحقق يعقوب نعوم سركيس البغدادي ... » والخطأ الآخر هو أن الشيخ القاسمي أخذ بالنسبة الموهوم فيها ، وجعلها قاعدة لدعواه أن هذا الكتاب هو خلاصة استخلصها بعض علماء القرون المتأخرة من كتاب ابن الفوطي « الحوادث الجامعة » ، ولم يذكر كيفية استدلاله على ذلك ، ولا أثبت برهاناً عليه

احتوى هذا الجزء على كتاب الكاف ، وبدأ بالكاتب بشر بن عبد الملك ، وانتهى في أكثر ألقاب الميم بموفق الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن المتقنة ، وعدة تراجمه للكاف « ٦١٨ » وللام والميم « ألفان وخمس وخمسون ترجمة » وقد علق الناشر بطائفة من التراجم تعليقات مفيدة ، وفاته من الفوائد والتصحيح ما نحن ذاكروه ، وهو شيء يسير بالنسبة إلى عظم الكتاب

١ — جاء في الترجمة « ١٤ » من تراجم الكاف :

مذ ساس أطرقت الخطوط مهابة   فالدهر يخفى من سطاه ويحذر

والصواب « يخشى من سطاه » .

٢ — وجاء في الترجمة « ٧٢ » من الكامل : « كامل الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي الفوارس البغدادي الأديب ، ذكره عماد الدين الأصبهاني في كتاب خريدة القصر ... » . فقال الأستاذ عبد القدوس معلقاً : « لم نجد في فهرست شعراء الخريدة أسم صاحب الترجمة ، وهناك أسم آخر يشبهه وهو الكامل أبو عبد الله بن الحسين ، راجع فهرست دوزي ص ٢١٣ ، والله أعلم بحقيقة الحال » .

قلت : هو مذكور في الخريدة ، بدلالة وروده في مختصر أحد أجزائها بدارالكتب الوطنية بباريس ، وأرقامه ٣٣٢٦ ، ففي الورقة ٢٨ منه : « الكامل أبو عبد الله الحسين بن أبي الفوارس ... »

٣ — وجاء في الترجمة «١١٢» من القاف : « الكامل أبو الفضل المظفر بن أحمد اليزدي الطبيب الأديب ، ذكره عماد الدين الأصفهاني في كتاب خريدة القصر ... » ، فقال الناشر : « لم نجده في فهرست دوزي » . قلت : ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ، ونقله منه الدكتور أحمد عيسى الى كتابه ذيل عيون الأنباء (ص ٤٩٤) .

٤ — وفي الترجمة « ١٧٦ » من الكاف : « كريم الدين أبو جعفر هارون بن محمد ... العباسي ... سمع منه القاضي معين الدين أبو المحاسن القرشي الدمشقي » . فقال الشيخ محمد عبد القدوس : « اسمه يوسف بن رمضان بن بندار » وهذا القول خطأ ، والصواب أنه « عمر ابن علي بن الخضر » . وقد ذكره كثير من المؤرخين ، حتى أبن الفوطي نفسه قال كما في الترجمة ١٤٨٣ من الميم : « معين الدين أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي الدمشقي القاضي . ذكره محمد بن النجار في تاريخه ، وقال : سمع الحديث بالشام ... » .

٥ — وجاء في الترجمة « ١٨٥ » من الكاف : « كريم الدين أبو منصور يحي بن علي بن أحمد الخراز الحريمي القريء ، ذكره أبن النجار ... » فعلق الشيخ على « الحريمي » بقوله :

« نسبة الى حريم ، وهو بطن من الصدف » . وهذا غلط منه ، والصواب أنه منسوب إلى « الحريم الطاهري » من محال الجانب الغربي ببغداد ، قال السمعاني في الأنساب : « الحريمي ... الى الحريم الطاهري : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الغربي منها ... » ، وقال الإمام الذهبي في المشتبه — ١٥٩ — : « الحريمي : ابن الاتي وغيره ، نسبة الى الحريم الطاهري في الجانب الغربي ، به منازل طاهر بن الحسين الأمير وآله ... » ، وقال في تاريخ الإسلام : « يحيى بن علي بن أحمد الخراز أبو منصور البغدادي الحريمي ... » « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٦٢ » وفي المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي — الورقة : ١٢٧ — « يحيى بن علي بن أحمد بن علي الخراز أبو منصور الحريمي والد عبد الله ... »

٦ — وجاء في الترجمة « ٢٤٧ » منه « في ذكر جدة عميرة » والصواب « جلد عميرة » ، أو « جلدة عميرة » على الواحدة .

٧ — وجاء في الترجمة « ٢٩٣ » من الكاف : « كمال الدين أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله ... الأنصاري القاضي الخطيب . كان فقيهاً عالماً ، ولي القضاء والخطابة بناحية الصالحين من نهر عيسى بن علي الهاشمي ... » . فقال الناشر معلقاً على الصالحين : « لم نجد اسم ناحية الصالحين في المواضع التي تشتمل عليها كورة نهر عيسى » . قلت : هي في الأصل « السيلحين » ، ثم صارت السالحين ، ثم صارت « الصالحين » . قال السمعاني : « السيلحيني ... هذه النسبة الى سيلحين ، وهي قرية معروفة من سواد بغداد قديمة ...» ، وقال فيه : « السالحيني ويقال سيلحين وسأعيد ذكرها ، هذه قرية قديمة على طريق الأنبار قريبة من تل عقرقوف ، أقمت بها يوماً في توجهي إلى الأنبار ... » . فتسمية « السالحين » بالصالحين هي من استعمال العامة .

٨ — وجاء في الترجمة « ٣٤٠ » من الكاف : « كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة ، يعرف بالبقشلام البغدادي حاجب الدين أستاذ الدار ... » . والصواب إما « حاجب الباب » وإما « صاحب المخزن » ، وليست نسخة الأصل تحت يدي حتى أرجح أحد القولين على

الآخر ، إلا أن « الباب » أقرب الى « الدين » وسيرة الرجل مذكورة في كامل ابن الأثير سنة « ٥٥٦ » .

٩ — وجاء في الترجمة « ٣٩٣ » من الكاف : « كمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد ، يعرف بابن وريدة البغدادي البزاز المحدث ... » فقال معلقاً : « يعرف بالكمال الفويرة ، رجم له ابن العماد » كذا قال الشيخ القاسمي « الفويرة » وكرره ، والصواب « الفويره » تصغير « الفاره » وترجمته مشهورة ، وقد نص ابن رافع السلامي على ما ذكرناه كما جاء في مختصر تاريخه لتقي الدين الفاسي المسمى منتخب المختار (ص ٨٣) قال : « والمعروف بابن الفويره من الفروهية » .

١٠ — وجاء في الترجمة ٣٧٨ : « كمال الدين أبومحمد عبدالله بن محمد بن عشائر ، يعرف بابن القبيصي ، الموصلي النحوي ... » ولم يعلم القاسمي أن اسمه الصحيح « عبد المجير » من الإجارة ، كما جاء في غاية النهاية في طبقات القراء للجزري (ج ١ ص ٤٦٦) ، وفي تكملة المنذري تأييد لذلك القول ، قال المنذري في وفيات سنة « ٣٦١ » من التكملة : « في جمادى الأولى توفي الشيخ الأجل الفاضل أبو محمد عبد المجير بن محمد بن عشائر القبيصي المعدل النعوت بالكمال ، بحلب ... والمجير بضم الميم وكسر الجيم بعده الياء آخر الحروف وراء مهملة ... » « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ، ج ٢ الورقة ١٤٦ »

١١ — وورد في الترجمة « ٥١٩ » من الكاف : « كمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله ابن بركات بن إبراهيم القرشي الخشوعي الدمشقي الكاتب المحدث ... » فعلق بن القاسمي قوله : « لم تظفر بعد بما يوضح النسبة » فالصواب « الخشوعي » ، والظاهر أنه لم يقف على تاريخ البيت الخشوعي المشهور بالمحدثين ، ولا سيما جدهم أبي الطاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي الدمشقي الجيروني الرفاء الأغماطي المحدث الكبير الذائع الصيت المتوفى سنة ٥٩٨ . قال ابن خلكان في ترجمته : « سئل أبوه : لم سموا الخشوعيين ؟ فقال : كان جدنا الأعلى يؤم بالناس ، فتوفي في المحراب ، فسمي الخشوعي نسبة إلى الخشوع »

١٢ — وقال في الترجمة « ٣٧ » من الميم : « القاضي أبو محمد إسماعيل بن أحمد بن الساماني سلطان ما وراء النهر ، ذكره صاحب تاريخ خراسان ... » ، فقال الشيخ القاسمي تعليقاً على صاحب تاريخ خراسان : « لم أتحقق اسمه بعد » قلنا : المشهور المحفوظ عند العالمين بالتواريخ « أبو الحسين السلامي » ، وقد ذكره ياقوت في ترجمة الجيهاني قال « قال السلامي في تاريخ خراسان : « وفي سنة ٣٠١ في جمادى الآخرة ولي أبو الحسن نصر بن أحمد بن اسماعيل (الساماني) وهو ابن ثماني سنين ... » ، وذكره ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن الليث الصفار قال : « وذكر السلامي في كتاب أخبار خراسان ... » ، وكرر ذلك

١٣ — وجاء في الترجمة « ١٢٤ » من الميم : « مجاهد الدين أبو الخير بهروز بن عبد الله (الخادم) الأبيض الرومي الغياثي ... كان معماراً للبلاد ، وعمر المحوّلة المعروفة بالمجاهدية ، وجمع لها الرجال من الأعمال ، وعمر الخالص وأعماله ... » ، فعلق الشيخ القاسمي على المجاهدية بقوله : « ذكرها ياقوت استطراداً في الكلام على واسط » . والصحيح أن هذه المجاهدية نهر احتفره بهروز في السواد الشرقي لبغداد ، وذكر أخباره ابن الجوزي في المنتظم (ج١٠ ص ٩٥) ، فلا صلة بمجاهدية الوصل ولا بمجاهدية إربل بالتحويلة المجاهدية المذكورة

١٤ — وجاء الترجمة « ٤١٠ » من الميم : « مجدالدين محمد بن محمد بن محمد شيخ الدلقندي من أكابر خراسان ومن أصحاب علاء الدين محمد بن عمادالدين المستوفي الفرلومذي ... » وكتب الناشر بمدالفرلومذي : « كذا » للدلالة على الشك والحيرة ، والصحيح « الفريومذي » وهي من قرى خراسان ، ذكرها لسترنج في بلدان الخلافة الشرقية «٤٣٣ من الترجمة العربية» قال : « وفي المئة الثامنة انتقلت قصبة رستاق جوين على ما ذكر المستوفي الى فريومذ ، وهي على بضعة أميال جنوب أزادوار » .

١٥ — وجاء في الترجمة « ٧٢١ » من الميم : « المحض أبو محمد عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن الزكي بن علي بن أبي طالب ... » ، وجاء فيها : « وإخوته لأمه محمد الديباج والقاسم ورقية أولاد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ... » ، إلا أن الشيخ محمد عبدالقدوس ألحق ذلك

بترجمة « المحض أبي خالد عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ... » ، وهو خطأ لا شك فيه .

١٦ — وجاء في الترجمة « ٧٩٩ » من الميم : « محيي الدين أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن عبد المحسن الدواليبي المعدل الواعظ ... وهو الآن يسمع الحديث في مسجد مانس الذي جدده ورمّمه المنبجي ... » . كذا جاء « مسجد مانس » ، والصواب « مسجد يانس » . قال ياقوت الحموي في « بقابوس » من معجم البلدان : « بقابوس . . من قرى بغداد ثم من نهر الملك ، منها أبو بكر عبد الله بن مبادر بن عبد الله الضرير البقابوسي إمام مسجد يانس بالريحانيين ببغداد ... »

١٧ — وجاء في الترجمة « ٨٧٤ » من الميم : « محيي الدين أبو منصور منكوبرس بن قيصر بن منكوبرس العراقي الأمير ، كان من أولاد الأمراء ، ذوي الشجاعة والإقدام والذب عن حوزة الإسلام وكان معروفاً بالإكرام والإنعام » وباقي سيرته اختلط بسيرة الذي جاء بعده ، وهو محيي الدين أبو الحارث مُهارش بن المجلّي العقيلي ، ولم يفطن الشيخ القاسمي لذلك ، مع أن في قوله « وكانت داره برحبة الجامع من بغداد » ما ينبّه وينوّه .

١٨ — وجاء في الترجمة « ١١٨٩ » من الميم قول القائل :

أذن الأمير بفضله ... وبجوده وبنبله

لوليه في برّه ... بحصى سكّر نخله

وقال معلقاً على « بحصى » : « لم أتمكن من تصحيحه » والصحيح « بجني سكر نخله » بتشديد الياء من « جني » ، كما جاء في التنزيل العزيز « رطباً جنياً » .

١٩ — وورد في الترجمة « ١٤٠٨ » من الميم : « معين الدين أبو محمد إسماعيل بن المظفر ابن هبة الله ، يعرف بابن الأقفاصي الدباس الفقيه ، ذكره الحافظ أبو عبدالله بن الدبيثي في تاريخه وقال : سمع أبا الفضل محمد بن ناصر ... » وعلق الشيخ القاسمي على « الأقفاصي » قوله : « نسبة الى أقفهص اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة بهنسا » . وهذا خطأ لا شك فيه ، فالمترجم عراقي بغدادي ، ولم تكن له صلة بأقفهص ولا لأهله ، قال ابن الدبيثي في تاريخه : « إسماعيل بن المظفر

ابن هبة الله بن الدباس أبو محمد ، يعرف بأبن الأقفاصي من ساكني درب فراشا ، سمع أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامي ، وروى عنه شيئاً من أماليه ، سمعنا منه ... ». والأقفاصي منسوب الى جمع القفص المتخذ للطير ولحمل الأشياء الرقيقة وحفظها كالزجاج وذكره الذهبي في وفيات سنة ٦١٥ من تاريخ الإسلام قال : « إسماعيل بن المظفر بن هبة الله أبو محمد بن الأقفاصي الدباس ولد سنة ٥٤١ ، وسمع من أبي الفضل محمد بن ناصر ... » .

٢٠ — وجاء في الترجمة « ١٤١٣ » من الميم : « كان شيخاً بهي الصورة ، حسن السه » فقال في السه : « لفظة لم نتمكن من قراءتها » وإنما هي السمت . وجاء في الترجمة ١٤٣٤ : « تصدّوا » تصحيف « قصدوا » ، و« لم يبق الطفيلي » تصحيف « ولم يلق » مضارع « ألقى الشيء والشعر وغيرهما » ، وفي الترجمة ١٤٣٧ « النواص » تصحيف « الخواص » ، و « باب احرب » تصحيف « باب حرب » المحلة المشهورة في غربي بغداد

٢١ — وجاء في الترجمة « ١٤٤٩ » من الميم أيضاً : « معين الدين أبو الورد صالح بن علي ابن أحمد بن خليفة الصرصري المقرىء ، قرأ القرآن العظيم على الشيخ أبي محمد من بيت الشيخ أبي منصور الخياط ... » . وفيه خطأ صوابه « ابن بنت الشيخ أبي منصور » ، وأبو محمد سبط الشيخ أبي منصور جدّ مشهور في القراء والمقرئين .

٢٢ — وجاء في الترجمة « ١٥٠٠ » منه قول معين الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الصوفي :

قسماً شهاب الدين بالحلواء فوق الرقائق وبين خبز الماء

والشطر الثاني مكسور ، وصحته أن يقال « فوق الرقاق وبين خبز الماء » ، فيكون الشطر كاملاً من البحر الكامل .

٢٣ — وجاء في الترجمة « ١٥٩٥ » من الميم : « المفيد أبو بكر محمد بن محمد بن النعمان الحارثي الفقيه الأصولي يروي عن والده ، وله تصانيف ، منها كتاب نهج البيان عن حقيقة الإيمان ، رواه عبد الله بن جعفر . . الدوريتي ... » قلت : الصواب « الدوريستي » بالسين

نسبة إلى دوريست من قرى الريّ ، قال ياقوت في معجمه : « دوريست ... ينسب إليها عبد الله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر أبو محمد الدوريستي ... » .

٢٤ — وجاء في الترجمة « ١٦١٩ » من الميم : « مقرب الدولة أبو اليمن جوهر بن عبد الله الخادم السنجريّ الأمير ، ذكره العماد الكاتب في كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة » . فقال الشيخ القاسمي : « لا يوجد كتاب النصرة ، ولم يذكره البنداري في زبدة النصرة » . قلت : القول الأول غير صحيح ، فالنصرة منها نسخة محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس أرقامها « ٢١٤٥ » ، وسننقل من هذا الكتاب في التعليق على الترجمة « ١٩٣٠ » من الميم التي أضاع اسم صاحبها فلم يجده الشيخ القاسمي .

٢٥ — وورد في الترجمة « ١٦٤١ » من الميم : « المكرم مجد الدين أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن الحسن بن موسى اللمطي الأمير . كان من الأمراء النجباء . تقدم ذكره في أول كتاب الجيم ، وهو ممدوح البهاء زهير المصريّ ... » . فقال الشيخ القاسمي في الحاشية : « كذا ذكره المصنف ، وكان المناسب أن يذكره أيضاً في ذيل من كان لقبه مجد الدين ، ولكنه لم يفعل ، وهذا سهو منه » . قلت : لا ، بل السهو من الشيخ القاسمي ، فابن الفوطي قال : « تقدم ذكره في أول كتاب الميم » . لا « كتاب الجيم » كما قرأ القاسمي ، وقد ذكره ابن الفوطي في « مجد الدين » ، وتقدم ذكره في الترجمة « ٢٢٢ » من الميم قال : « مجد الدين أبو الفخر إسماعيل بن يوسف اللمطي المتولي على قوص ، كان أميراً عادلاً ، وولي الأعمال السلطانية بمصر ونواحيها ، وهو الذي مدحه بهاء الدين زهير المصريّ ... » . والاختلاف في الأسماء سببه أوهام ابن الفوطي في النقل والنسخ كما هو معلوم ، فالميم تصحّف على القاسمي إلى « الجيم » .

٢٦ — وجاء في الترجمة « ١٦٦٢ » من الميم أيضاً : « مكين الدولة أبو الغنائم حميد بن مالك بن مغيث بن منقذ الشيزري الأمير الأديب ... » . فعلّق الشيخ القاسميّ به قوله : « راجع معجم الأدباء ج ٢ ص ١٩٢ ترجمة الأمير أسامة بن منقذ » . قلت : بل الأولى أن يراجعه في ترجمته هو نفسه قبل ذلك في معجم الأدباء أيضاً (ج ٤ ص ١٥٦) ، ولكن الشيخ

القاسمي لم يعلم أن له ترجمة مستقلة في الكتاب المذكور ، فأحال على الاستطراد

٢٧ — وجاءت الترجمة « ١٩٢٥ » خالية من أسم المترجم ، فلم يستطع وجدان الاسم ، وإنما هي ترجمة « موفق الدين أبي علي الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم بن الزبيدي المحدث الحنفي الزاهد » كما دلّ عليه الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (ج ١ ص ٢٠٠) . وذكره أبن الدبيثي في تاريخه كما أشار إليه أبن الفوطي ، وترجمته في نسخة الخزانة الأهلية بباريس .

٢٨ — وجاءت الترجمة «١٩٢٧» خالية أيضاً من أسم صاحبها ، وإنما هي رجمة « الموفق عمدة الملك أبي علي الحسن بن محمد بن إسماعيل الاسكافي الخراساني الوزير » ، ذكره جماعة من المؤرخين منهم أبن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٢١١)

٢٩ — ووردت الترجمة « ١٩٢٨ » خلواً من أسم صاحبها ، وإنما هي ترجمة « موفق الدين الحسين بن أحمد بن الحسين النزال المعروف بأبن الخبازي المحدث الشاعر » . ذكره أبن الدبيثي في تاريخه كما في نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، والذهبي في تاريخ الاسلام في وفيات سنة ٦١٧ .

٣٠ — وجاءت الترجمة « ١٩٣٠ » خلواً من أسم صاحبها ، وإنما هي ترجمة « موفق الدين أبي طاهر الخاتوني الشاعر » . ذكره العماد الأصبهاني في كتابه « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » كما في نسخة باريس « ٢١٤٥ الورقة ٩٧ ، ١٠٤ » .

٣١ — وجاءت الترجمة «١٩٣٣» خالية من أسم صاحبها ، مع أنها ترجمة « موفق الدين حسين بن نصر النحوي الأديب الشفائي الضرير » ذكره الذهبي في المشتبه (ص ٣٠١) قال : « الشفائي : موفق الدين حسين بن نصر الضرير النحوي ، له تواليف عربية ببغداد ، كان يشغل قبل ٦٥٠ » .

٣٢ — وجاء في الترجمة « ١٩٤٤ » من الميم أيضاً : « موفق الدولة دانيال بن داوود بن زكاي بن عذريا الأسرائيلي رأس الجالوت ... » فقال القاسمي معلقاً على « رأس الجالوت » :

« كذا ، ولم نفهم ما أراد به » قلت : رأس الجالوت هو رأس الجالية اليهودية بالتحقيق .

٣٣ — وجاء في الترجمة « ١٩٩٥ » من الميم : « موفق الدين أبو نصر عبد الواحد بن يوسف الشفائي النحويّ » ، وأنه كان صاحب الوزير مؤيد الدين العلقمي ، وأنه توفي سنة « خمس وستمائة » قلت : الصواب « سنة خمسين وستمائة » .

٣٤ — وجاء في الترجمة « ١٥٨٦ » من الميم : « المفيد أبوالرضا محمد بن أحمد بن داوود البغدادي الحاسب المؤدب ، ذكره محب الدين في تاريخه وقال : كانت له معرفة حسنة بأنواع الحساب ... ومولده سنة خمس عشرة وستمائة ، وتوفي في العشر الأواخر من المحرم سنة أثنتين وثمانين وستمائة » . وفي التاريخ وهم ظاهر ، فان أبا الرضا من رجال القرن السادس لا السابع ، ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام في وفيات سنة « ٥٨٢ » قال : « محمد بن أحمد بن داوود الشيخ أبو الرضا المؤدب الحيسوب المعروف بالمفيد ، بغدادي ، بارع في الحساب ، له تصانيف ، سمع من أبن البطي قليلا ، وتخرج عليه خلق كثير » ، « نسخة باريس ١٥٨٢ الورقة ١٢٨» ، وترجمه قبله أبن الدبيثي في تاريخه « نسخة باريس ٥٩٢١ الورقة ١٣ »

هذا ما رأيناه حرياً بالتنبيه في نشر الأستاذ الشيخ القاسمي الذي هو أهل للثناء الحسن والتنويه ، وهذه الأوهام المعدودة طفيفة الكفّة بالإضافة الى نشر ذلك الكتاب الكبير الخطير .

مصطفى جواد

تأريخ الموسيقى العربية

تأليف جورج هنري فارمر ، وترجمة الدكتور حسين نصار

— القسم الأول —

منذ مدة تزيد على ثلاث سنوات ، فكرت في أن أترجم « تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي » من تأليف المستشرق المعروف « جورج هنري فارمر » . ولما كان

لي وقوف على نظرية الموسيقى وعلم الموسيقى ، شجعني ذلك على ترجمته . وزاد في رغبتي هذه غلبة العنصر التأريخي فيه على مادته الفنية ، فقمت في مبدأ الأمر بتصوير عدة مخطوطات موسيقية عربية في متاحف أوربة ، وبذلت في ذلك المال ، فضلاً عن كثرة السؤال . وبعد أن أنتهيت من ترجمته ، والتعليق عليه التعليقات الفنية والتاريخية الضرورية ، مال بي الهوى الى ضمّ بعض الملاحق اليه ، فصنفت شروحاً فنية لما يناهز ثلاثمئة مصطلح موسيقي أجنبي وما يقابلها بالعربية ، وصدرت الترجمة بمقدمة مسهبة في تاريخ أهتمام المستشرقين الغربيين بدراسة الموسيقى العربية فناً وتأريخاً ، الى جنب دراسة مستفيضة لجهود مؤلف هذا الكتاب ، في هذا الجانب من عالم الأستشراق منذ أكثر من نصف قرن تصرم ، ذلك الإنسان الطيب والعالم الجليل الذي لم يبخل علي بمقدمة نفيسة لترجمتي هذه ، بالرغم من أعتلال صحته وسقمه الدائم وبلوغه السادسة والسبعين .

ثم خطر لي أن أضم اليه مخطوطتين : الأولى « فصل الموسيقى » من كتاب « النجاة » لأبن سينا ، والثانية في « الآلة التي تزمر بنفسها » صنعة بني موسى بن شاكر ، مع ثلاث مقالات لمورسطس أو مورطس مزينة برسوم جميلة ملونة منقولة عن المخطوطة الأصلية تبين عمل تلك الآلات الموسيقية .

وبعد أن خيل إلي أنه كمل ، وأصبح جديراً بأن يطبع ، أسهولني كبر حجمه ، وأستعظمت البذل في طبعه ، بعد أن علمتني التجربة في نشر الكتب ما علمتني ، وأذاقتني من مرارة الخسارة ما أذاقتني . فقدمته الى المجمع العلمي العراقي راجياً أن يجعله من مطبوعاته ، فعرض على مجلسه ، ولوحظ أن الكتاب هو من الكتب التي أوصت « الإدارة الثقافية بالجامعة العربية » بترجمتها ولما كان بين المجمع وبين تلك الإدارة أتفاق يقضي بأن يعلم كل منها الآخر بالكتب المعروضة عليه ، مما ورد في قائمة الكتب المقترحة ، لم ير المجمع مندوحة من السؤال عن سبق الترجمة ، قبل البتّ في أمر ترجمتي ، فكان الجواب أن « الدكتور حسين نصّار » المدرس في كلية الآداب بجامعة القاهرة قد تصدى لترجمته وفرغ منها ،

وأن وزارة التربية والتعليم المصرية قائمة بطبعه .

ولما كنت مطمئناً ـ ولا فخر ـ الى قيامي بترجمة ما لا يرقى اليه غيري ، آثرتُ أن أتربص بهذه الترجمة تطبع وتتعاورها أيدي القراء ، عازماً عزماً صادقاً على أطِّراح ترجمتي وإهمالها إن وجدتُ عيوب الترجمة المصرية مما تمكن الإغضاء عنه أو التسامح فيه ، أو إذا كانت حسنة بالقدر الذي يعيب الناقد المغرض الذي ليس همه الا تسقط الهفوات والهنات ، ليتبجح بما فعل ويتباهى بما قدم في النقد . على أنّ عزمي هذا لم يكن بأقلّ من إصراري على النقد الواسع الدقيق حين يتبين لي أنّ المترجم المذكور لم يؤدِّ أمانة المترجم ، أو لم يعط حقّ الباحث المنقب ؛ ولهذا كان حذري من مواطن الشبهات وسوء المظنة عظيماً . فبعد أن جمعت أكثر من مئتي غلطة ومؤاخذة على الترجمة ، عمدتُ الى إسقاط ثلثيها خوف تلك المظنة ، وتمسكت بالثلث الباقي الذي لا عكن أن يصحّ العذر فيه ، وحرصت أن آتي بتصحيحه وصوابه إن كان غلطاً في الترجمة ، وبأصله إن كان نصاً عربياً عجز المترجم عن إيراده ، أو بصواب التعابير الفنية (وهي قليلة في أصل الكتاب قلة نسبية) حيثما أبدى المترجم قصوراً يغير من المعنى ، أو يجعل من العبارة سراً مغلقاً على الأفهام .

ولا يسعني قبل المضي في أنتقادي الا الأعتذار الى الدكتور « حسين نصار » ، مؤكداً له أنه لم يدفعني الى نقدي هذا موجدة مبعثها سبقه إياي الى طبع ترجمته ، بعد أن عرضتُ يقيني بحسن مجهودي ، لكن دواعي العلم ومتطلباته توجب مثل هذا التعليق والنقد ، تبصرةً للدوائر العلمية التي يهمها بالترجمة والتأليف في موضوع من الموضوعات الثقافية أن تتأكد من دقة الترجمة وحسن التأليف قبل كل شيء .

هنالك مؤاخذات عامة ومؤاخذات خاصة نأخذها على المترجم ، فالأولى منها خلو الترجمة من التعليقات والإيضاحات ومن تراجم الأعلام وشرح التعابير والمصطلحات الفنية الموسيقية (القليلة) مما ذكره المؤلف ، ولم يتصد لشرحه في المتن أو الحاشية ، وقد وجدت كثيراً من ذلك يغلق على القارىء العربي العادي ، وقد ضمنته القسم الثاني من أنتقادي .

ثم إن المترجم ذكر في الصفحة (ح) من المقدمة حقيقة عجزه عن تحري نصوص بعض المخطوطات التي أستشهد بها المؤلف ، فقال : « ولم أستطيع (كذا) العثور على بعض النصوص العربية التي أقتبسها المؤلف من بعض المخطوطات المحفوظة في مكتبات أوروبا ، فأضطررنا الى تعريبها » .

نقول : فضلاً عما في ذلك من أعتراف بقصوره عما كان يجب أن يتحلى به ؛ فان النصوص العربية التي أقتبسها « فارمر » لم تكن من المخطوطات العربية فقط ، ولكن من مصدرين آخرين : الأول الكتب العربية المطبوع نصها أكثر من طبعة واحدة ، أو المطبوعة ترجمتها فى إحدى اللغات الأوربية . والثاني المخطوطات التي تم طبعها خلال الفترة القائمة بين تأليف هذا الكتاب « سنة ١٩٢٩ م » وبين طبع ترجمته « سنة ١٩٥٦ م »

فاذا توخينا العذر وتلمسنا سبيل التساهل مع المترجم في عجزه عن الوصول الى نصوص المخطوطات العربية ، فما عذره في اغفاله ما طبع من كتب موسيقية عربية وما في المكتبة العربية من الكتب المطبوعة عدة طبعات ؟

ومن ثم يمكن اجمال المؤاخذات على الترجمة بثلاث أصناف : (١) أخطاء في الترجمة . (٢) أخطاء في فن الموسيقى وعلم الموسيقى (٣) « ترجمة » النصوص العربية التي كان يجب أن تنقل من مصادرها الأصلية

ودونك اياها بعد إسقاط ثلثيها كما بينا :

* * *

١ — سمى المترجم الكتاب « تاريخ الموسيقى العربية » ، وإنما أسمه « تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر م »

A history of Arabian Music to the XIII th Century

٢ — أورد المترجم من مقدمة الأستاذ مركليوث للمؤلف ما يأتي :

« أضف الى ذلك أني أجد بعض القضايا في الكتاب تخالف آرائي مخالفة كبيرة وقد

تكون آرائي خاطئة ، وإني جدّ راض بل متحمس لوجوب تقديم تلك القضايا أمام العالم ، ولذلك فاني موقن جداً أنك وفي ذهنك هذه الاُعتبارات ... » وهذه العبارة ـ على ركتها ـ ليست بالترجمة الصحيحة لما أراده الأُستاذ مركليوث ، فان ما أراده هو : « ولقد وجدت ، في كتابك هـــذا ، جملة آراء لا يسـهان بهـا تختلف أختلافـاً كبيراً عن آرائي التي ما أظنني الا مخطئاً فيها ، وإن بي لأعظم الشوق الى اظهار ضدها للملأ . وليقينى ـ بعد تدبر عذري هـذا ـ أنك ستقبل مني أخلص الشكر لهـذا الطلب (طلب كتابة مقدمـة) ، أرجو أن ... »

٣ — في صفحة « وصف اللوحات » ترجم عبارة Theory of Music بـ « فن الموسيقى » ، وظل يترجمها كذلك حيثما وردت في الـكتاب ، وكان عليه أن يترجمها بـ « علم الموسيقى » أو « القسم النظري من الموسيقى » ، كما ترجم كلمة Notations بـ « الرموز » ، ولفظة (الرموز) لا تفيد شيئاً في علم الموسيقى ، فكان عليـه أن يترجمها بما اُتفق عليه الموسيقيون وأقره مجمع اللغة العربية ، وهو « الأبجدية الموسيقية » ، كما أنه اُستخدم في الصفحة (م) تعبير : « رموز صوتيـة » للعبارة الانكليزية Notation Phonetic ، وصحيحها « الأبجـدية الصوتية » أو « الأبجدية الموسيقية » .

٤ — حذف المترجم من صفحة ط (من القدمة) أحـد عشر سطراً من مقدمة المؤلف ، معتذراً عن ذلك بقوله : « حذفت هنا فقرة من التصدير التي يتكلم فيها المؤلف عن طريقة كتابة الأسماء العربية والفارسية ، إذ وجدتني غير محتاج لها ما دمت سأكتب الأسماء بالعربية » .

أمّا أنا ، فقد وجدت المترجم أحوج اليها من القارىء ، إذ اُتضح لي أنه غلط كثيراً في إيراد بعض الأسماء العربية كما سـيأتي في موضعه واني أدرج ترجمة الفقرة المحذوفـة ، ليجد القارىء أن المترجم لم يكن موفقاً في الإغضاء عن ترجمها ، فضلا عن الأمانة الواجبة على كل مترجم لأثر علمي ، وهذه الفقرة هي : « لقد اُتبعتُ ، في إثبات الأسماء العربية والفارسية ، القواعدَ التي أقرها مؤتمر المستشرقين الدولي سـنة ١٨٩٤ وقننها الجمعية الملكية الآسيوية

The Royal Asiatic Society بعد تعديل طفيف ، ولا سيما إغفالها تعيين شكل نطق حرفي (ث) و (ذ) الخ ... أمّا ضبط أسماء الأعلام ، فقد أبقيتُ على الشكل العربي الأصيل ما وجدتُه سديداً مثال ذلك أنني ضبطت لفظة (الموصل) كما هي في الأصل بدلاً من صيغتها الشائعة Mosul . لكني أتبعت ، في ألفاظ : (مكة Mecca) و (دمشق Damascus) و (قرطبة Cordoba) ، ما ألف الناس عندنا أستعماله . على أني أخترت طريقاً وسطاً في إثباتي لفظة (المدينة Al-Medina) ، وتعوضت عن صيغتي « خلافة Caliphate » و« خليفة Calife » بلفظتي Khalifa, Khilafate ؛ ولم أخلّ ، فيما عدا هذا ، بالنظام الكتابي المقنن إخلالاً خطيراً . أما أستعمال أداة التعريف العربية ، فربما أخطأت إثباتها في أكثر الأحيان ، وربما صحّ توجيه اللوم نفسه اليّ ، في شكل تعبيري عن الهمزة وأما صيغ الجمع ، فقد أخترت ، بصورة عامة ، الصيغَ العربية للكلمات غير المألوفة في أوربة » .

٥ — (ص ١ : س الأخير) قال المترجم : « ونسمع في عهد يهوذا Gudea حوالي ٢٤٠٠ ق م عن مملكة تسمى كش ! » .

والمقصود هو « گوديا » أحد ملوك الكلدانيين المشهورين في التاريخ العراقي القديم كما يدل عليه الأسم ، ولم يسمع علك أسمه يهوذا ثمّ

٦ — (ص ٥ س . الأخير وما بعد الصفحة) يلاحظ القارىء أن المترجم ما يفتأ يستعمل كلمة « پالميرا » ، وهو الأسم الذي يطلقه الغربيون على مدينة « تدمر » السورية ، كما ينسب اليها فيقول « البلمريون » ، ويقصد « التدمريون » . (ص ٨)

٧ — (ص ٧ س ١) ورد في الترجمة : « ... هذه الفترة التي يسميها المسلمون الجاهلية ، مريدين بذلك جهل شريعة النبي محمد ... » .

والصواب « ... هذه هي الفترة التي ينعتها المسلمون بالجاهلية ، أو « بأيام الجاهلية » ، ويقصدون بهذا الجهلَ بنبوة الرسول »

٨ — يغلب على ظني أن المترجم لم يتعرف شخصية المؤرخ المعروف بأبن العبري (ص ١٤

س ٦) ، فقـــد (ترجم) أسمه هكذا « أبن عبري » ، كما لم يورد النص الذي جاء في تاريخه فقال : « إن مخترعي الآلات الموسيقية بنات قين ، ومن ثم أطلق أسم القينة على المغنية .. » .

أما النص الواجب إيراده ، فهو : « .. أن بنات قايين أخترعن آلات اللاهي زامرات بها .. ولذلك تسمي العرب الأَمَةَ المغنية القينة (غينا) بالفتح ... » مختصر تاريخ الدول

٩ — (ص ١٥ س ١) من أبن العبري أيضاً : « ... أباً لـكل ضارب بالعود والمزمار .. » أما النص ، فهو : « أباً لـكل ضارب على الـكنور والعكاب .. » . وواضح أن العود والمزمار هما غير الـكنور والعكاب .

١٠ — (ص ٢٠ س ٤) : « ونستطيع أن نرى في غزوات محمد الأولى مدى صيرورة القيان جزءاً (كذا) مكملاً من الحياة الاجتماعية » . والترجمة الصحيحة لهذه العبارة ، هي : « أصبح أستخدام المغنيات جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع ، وهو أمر لا تخطئه أعيننا في زمن الحروب الأولى للرسالة المحمدية .. »

١١ — (ص ٢٢ س ٤) : « وكان طويس أول من غنى على قرع طبلة اليد » . ولم يورد نص الأغاني ، وهو : « وكان (طويس) أول من غنى غناء عربياً على الدفّ » ونرجو أن يلاحظ قصور الترجمة في أستعمال تعبير (طبلة اليد) المركبة بدلاً من (الدفّ) ، وهو آلة الطرب المعروفة ، وهذا الأستعمال غير مسموع ولا مأنوس عند الموسيقيين العرب .

١٢ — (ص ٢٣ س ١) ترجم كلمة « Refrain » بالذبذبة ، والـكلمة العربية المقابلة لها هي « الترجيع » ، حتى أن المؤلف أوردها أكثر من مرة مقابل اللفظة الافرنجية .

١٣ — (في الهامش من ص ٢٢ و ٢٣) ترجم نصاً عن أبن خلدون هكذا : « يقول أبن خلدون إن الفتيان كانوا يترنمون في أوقات فراغهم في الجاهلية » . وقد كان في الترجمة أميناً على الحرف الواحد ، ولـكنه لم يورد النص ، وهو : « ثم تغنى الحداة منهم في حـداء إبلهم ، والفتيان في فضاء خلواتهم ، فرجعوا الأصوات وترنموا ، وكانوا يسـمون الترنم اذا كان بالشعر — غناءً » .

١٤ — (ص ٢٣ س ٣ ـ ٤) ترجم كلمة « الهارموني : Harmony » بعبارة « اللحون المتفرقة » ، ولا أدري ماذا قصد بذلك ، وأي معنى موسيقي أراد أن يعبر عنه بهـذه الترجمة ، فإن الموسيقيين ومجمع اللغة العربية قد اصطلحوا لها « الانسجام » و « التوافق »

١٥ — (ص ٢٣ س ٦) قال : « وكذلك تشكيل اللحن بالزخارف من التموجات والدورات التي سموها الزوائد »

وهذه العبارة من الناحية الفنية لا معنى لها ولا طعم ، وترجمها الصحيحة هي كما يأتي : « ... فضلا عن زخرفة اللحن بقطع ووصلات على شكل (ترديد) أو (دور) مما يطلق عليه اسم الزوائد »

١٦ — (٢٧ س ٨) ذكر « معابد أستير » ، وهي « هياكل عشتار » الآلهة البابلية .

١٧ — (ص ٢٨ س ٥) قال مترجماً : « ويبدو من المحتمل جداً أنهم قصدوا أن تنشـد القصائد الجاهلية مع آلة موسيقية بسيطة كما يقول بروكلمان » وصحيحه : « ومن المحتمل جداً ، على حدّ قول بروكلمان ، أن أشـعار الجاهلية لم تنظم الا ليتغنى بها على أصوات الموسـيقى الساذجة » .

١٨ — (ص ٣٠ س ١) قال مترجماً : « وكانت بنت عفزر مغنية مأسورة أو مستخدمة في بيت للتسلية » . وصحيحه « كانت بنت عفزر مغنية تمارس صنعها في أحد بيوت اللذة .. » .

١٩ — (ص ٣٥ س ١٦) : تعذر على المترجم أن يورد نص حديث نبوي رواه الترمذي ، فترجمه قائلاً : « إن القيان والمعازف من علامات نهاية العالم .. » . وهذا في الحقيقة هو جزء من معنى حديث رواه الترمذي ، وهو : « قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء ، فقيل : وما هنّ يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولاً ، والامانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطـاع الرجل زوجته ، وعقّ أمه ، وبر صديقه ، وجفـا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند

ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً » .

٢٠ — (ص ٣٧ س ٢ — ٣) وثمّ حديث آخر (هكذا يجده المؤلف ، وهو في الحقيقة رواية) تصرف فيه مقتبسه تصرفاً كبيراً أضاع على المترجم طريق الوصول اليه ، فترجمه هكذا (دون أن ينقله نصاً من مصدره) : « فهنالك حديث عن سماع النبي صوت قينة ، وهو مار بمنزل حسان بن ثابت ، فسأله الشاعر : هل في الغناء إثم ؟ فأجاب محمد : لا ، لا !! » . أما هذا الخبر ، فقد ورد في أسد الغابة ، وهو : « أن الرسـول مرّ بحسان ، ومعه أصحابه في سماطين ، وجارية له تختلف بين السماطين وهي تغنيهم ، فلم يأمرهم ، ولم ينههم »

٢١ — (ص ٤٠ س ١) ترجم حديثاً نبوياً آخر بالشكل التالي : « أحي الزواج وأضرب الغربال » (أورد المؤلف لفظة الغربال بالنطق العربي) والحديث منقولاً عن الغزالي عن الترمذي ومسلم : « أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال » .

٢٢ — (ص ٤٠ س ٨) قال : « إن أبا حنيفة ... كان يكره ذلك (أي الغناء) ، ويجعل سماع الغناء من الذنوب » . وهذا نص كان عليه أن يأخذه من الغزالي ، قال : « وعن أبي حنيفة أنه كان يكره الغناء ، ويعد سماعه حراماً » .

٢٣ — (ص ٤٣ س ١) : قال : « وتبيح لك (الهداية) التهرب من تنفيذ وعدك للنادبة والمغنية [1] » . أما النص الذي كان عليه إثباته ، فهو « وعن كتاب الهداية : أنه لا يحق ادّعاء النياحة والمغنية بأجرهما » .

٢٤ — (في هامش الصفحة ٤٤) أستشهد المؤلف بحديثين نبويين ، والظاهر أن المترجم قصر عن الوصول إليها ، فترجم الأول منها هكذا : « ... كل كلام حسن ، أنا قائله » . وترجم الثاني بقوله : « يجب أن تقـارن الأحاديث بالقرآن ، فما وافقه فهو مني ، سواء قلته أم لا ! » .

---

(١) كثيراً ما لجأ المترجم الى هذه الطريقة في الترجمة ، للتخلص من ايراد نص يشق عليه ايراده ، فيستعيض عنه بمعناه ، وقد ضربنا صفحاً عن كل النصوص التي كان عليه ايرادها من الأغاني ، فاكتفى بترجمتها مع سهولة الرجوع الى هذا الكتاب ولقد أحصيت ٢١٦ نصاً من الأغاني كان ايرادها واجباً عليه ، ثم أتعبني الإحصاء ، فأمسكت عنه ، إلا ما لم أطق التغاضي عنه

وهذا أمر عظيم صدوره من المترجم حقاً في وقت يفرض عليه دينه قبل وظيفته واختصاصه أن يتنصل من رواية معاني الأحاديث أو إثبات ترجمها دون نصها والواقع أن ما توهمه حديثين ، إنما هو حديث واحد ، ورد في كتب السيرة والحديث دون الصحاح ، وهو : « ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فان وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني الله ؟ » قال عبد الرحمن بن مهدي : ألزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، يعني ما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم .

٢٥ — (ص ٤٥) قال مترجماً : « فقد أحبَّ (أبا محذورة) لصونه الجميل ، كما شبه قراءة أبي موسى الأشعرى عزامير داود » والنص هو : « ... فقد خصَّ أبا مهدرة بعطفه ، لحسن صونه ، وشبه قراءة أبي موسى الأشعرى بمزمار من مزامير آل داوود »

يلاحظ القارئ أنه نقل أسم (أبي محذورة) كما رسمه المؤلف بالأحرف اللاتينية ، فحرفه عند ما نقله الى العربية دون أن يرجع الى النص ليتأكد من الأسم

٢٦ — (ص ٤٦ س ١ — ٣) هنالك نص آخر من كتاب (العقد الفريد) ترجمه ، ولم يورده ، كالآتي : « وقد صرح بعضهم بالفعل أنه اذا حرمت الألحان ، فسيحرم تغيير القرآن والأذان معها ، ويجمل بالناس تركها » أما النص ، فهو : « لو كانت الألحان مكروهة ، فالقرآن والآذان أحق بالتنزيه عنها »

٢٧ — (ص ٤٦ س ٥) ترجم أيضاً نصاً من الغزالي بالشكل الآتي : « لأنها تدفع الإنسان الى الحرب ببث الشجاعة وإثارة الحمية والغضب على الكفار » . والنص هو — من إحياء علوم الدين — : « .. لأن الغرض منه التشجيع للنفس وللأنصار ، وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه المدح بالشجاعة والنجدة »

٢٨ — (ص ٤٧ س ١) : ترجم نصاً آخر من كتاب الإحياء للغزالي : « منعوا ضرب الشاهين من المعسكرات ، كيلا يرقق صوبها الحزين القلوب » واليك النص : « وضرب الشاهين كان ممنوعاً في معسكر الغزاة ، لأن صونه المرقق المحزن يحل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس » .

٢٩ — (ص ٤٧ س ١١) وتَمَّ ترجمة نص آخر من العقد الفريد ، قال المترجم : « كما في الأعياد الخاصة ، مثل الأفراح والخِطْبة والزواج والميلاد والختان ... » . والنص هو : « كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت الوليمة والخطابة وعند ولادة المولود وعند ختانه » .

٣٠ — (٤٨ س ١) وترجم ما يلي : « الجمل يغير خطواته بحسب تغيير الإيقاع والوزن ، والغزال يسهل قياده بالألحان ، والحيات تسحر ، والنحل يرتمي في النار ، والطير يهوي ميتق » .

أما نصه في العقد الفريد ، فهو : « فشاهدوا الجمل يغير خطوه على تغيير الإيقاع والميزان ... وأن الغزلان لتتألف حين سماعها الألحان . أما الأفاعي فتسحر ، والنحل ينزل ، والطيور تسقط موتى »

٣١ — (٤٨ : السطر الأخير) أورد معنى حديثٍ نبويّ دون مبناه ، بينما أورده المؤلف نصاً ، فقال المترجم : « اللهُـمَّ ، اجعلنا نرى الأشياء كما هي ... » وهذا في الحقيقة جزء من حديث مشهور : « اللهم أرنا الحقَ حقـاً ووفـّقنا لأتباعه ، وأرنا الباطل باطـلاً ووفـّقنـا لأجتنابه » .

٣٢ — (الصفحة نفسها) ترجم كلام الصوفي المشهور « ذي النون المصري » بما يأتي: « يقول ذو النون : السماع تأثير إلّهي يُحرك القلبَ لرؤية الله ، وإنَّ أولئك الذين ينصتون اليه بأرواحهم يصلون لله أما الذين ينصتون اليه بحواسهم وشهواتهم ، فيسقطون في المعصية » .

والنص هو (كما في اللمع للقشيري وغيره من كتب الصوفية) : « السَماع واردُ حقٍ جاء يزعجُ القـلوبَ الى الحق فمن أصغى اليـــه بحقٍ تحـقـّقَ ، ومن أصغى إليـه بنفس تزندَق »

٣٣ — (الصفحة نفسـها) رجم قول الشّبلي الصوفي المشـهور : « السماع : ظاهره إغراء ، وباطنه موعظة » أما النص فهو : « السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة » .

٣٤ — (الصفحة نفسها) رجم قول الصوفي أبي الحسين الدراج بقوله : « السماع يكشف لي عن وجود الحقّ وراء الحجاب » . والنص هو : « جال بي الســماعُ في ميادين البهاء ،

فأوجدني وجودَ الحقِ ... فأدركتُ به منازلَ الرِضا ، وأخرجني الى رياضِ منزهٍ والفضا » .

(ملاحظة : إن أقوال هؤلاء المتصوفين ، مبثوثة في كتب الصوفيـــة ، لا يحتاج في أستخراجها الى كبير عناء) .

٣٥ — (الصفحة نفسها) من أسوأ ما وجدت في الترجمة نقل المترجم العبـارة التاليـة :

« .. وتصور الصوفي للموسيقى كما يظهر عند الهجويري ، والغزالي يشبه كثيراً ما يراه شوبنهاور في العصر الحديث فالموسيقى عنده هي الإرادة الأبدية نفسها ، والإنسان يستطيع بواسطتها أن يخترق الحجب ويشاهد السميع البصير ويصل الى الخفيّ عن الأنظار .. »

أما الترجمة المستقيمة الدقيقة لهذه الفقرة ، فهي : « في المفهوم الصوفي للموسـيقى نجد عند الهجويري والغزالي كثيراً من تعاليم شوبنهاور ، فالموسيقى عند هذا الأخير هي مشيئة الـكون ، وعن طريقها يستطيع المرء خرق الحجاب ومشاهدة المحجوب بأبْصار الرقيب ، ومن ثَمَّ الوصول الى مقامات المـكاشفَـةِ والحلول »

(لاحظ أن التعابير التي أوردناها إنما هي الألفـاظ الشائعة الأستعمال عند المتصوفـة وفي كتبهم) .

٣٦ — (ص ٥٤ س ٣) : ترجم حديثاً منقولاً عن عائشـة (رضي الله عنهـا) بقوله : « وهناك حديث عن عائشة يروي أن عمر سمع إحدى القيان في بيت النبي نفسه » . أمّا النص ، فهو : « وروت عائشة أن عمر سمع مغنية في بيت رسول الله »

٣٧ — (ص ٥٥ س ٣ وما بعده) رجم نصاً آخر ، قال : « فقد روي أن عمر كان يمشي ذات يوم ، فوصل الى سمعه صوت دفّ ، فسأل عنـه ، فقيل : إنّه ختان ، فاطمـأنّ وسكنت نفسه » . أما النص ، فهو : « أن عمر بن الخطاب مرّ بمزف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ختان . فسكت » .

٣٨ — (ص ٥٥ س ٧) رجم نصاً دون الرجوع الى مصـدره (العقد الفريد) ، قال : « وقال عمر في إحدى هذه الأخبار بعد أن سأل رجلاً أن يغني : غفـر الله لك » وليس في

الرواية شيء من هذا ، ونصها : « قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي : أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ... » . (وتتمة النصّ) : « فأسمعه كلمة له ، فقال : وإنك لقائلها ؟ قال : نعم ، قال : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب »

٣٩ — (ص ٥٥ س ١٠) قال : « .. وسمى الخليفة عمر أثنين من أشراف قريش (أحدهما عاصم بن عمر) بالجارين ! حين سمعهما يغنيان » والصحيح : « وسمى الخليفة عمر أثنين من أشراف مكة (أحدهما عاصم بن عمر) بحاري العباديّ »

٤٠ — (ص ٧٠ س ١) ومن فاسد ترجمته ، قوله : « كانت جميلة من أبوين مختلفي الجنسية من المدينة ، وتلميذة لمغنية (عجوز !) تسمى رائقة علمتّها الموسيقى القديمة » والصحيح : « كانت جميلة حسناء مولدة من أهل المدينة ، تلميذة للقينة (الجاهلية) رائقة التي علمتّها الغناء القديم » (ترجم لفظة Old بـ : عجوز ، بينما قصد المؤلف القِدَم)

٤١ — (ص٧٠ س ٦) وثَمَّ مثال آخر لقصوره في الترجمة ، قوله : « كما جذبت حفلاتها الأسبوعية جماعة من صغار الفنين » والنص الذي أقتبس المؤلف هذا الخبر منه هو (الأغاني) ، فكان عليه أن يقول : « كانت مجالسها الأسبوعية في دارها تجتذب نخبة من السراة وغيرهم من أهل الرواة » Dilettanti « وقد رجم فارمر كلمة أهل الرواة بالمصطلح الإيطالي الفني » Dilettanti « ، وهم الهواة وعشاق الفن ، لكن المترجم رجمها بصغار الفنين ، فجانب الأصل ، وأهمل المعنى الحقيقي .

٤٢ — (ص ٧٢ س ١٠) قال : « ويبدو أنه أول من أشتهر بالعزف على الطنبور في الإسلام ، وقد صار مغني عبيد الله بن زياد » وصحيح رجمته : « والظاهر أنه كان أول من أشتهر في الإسلام بالضرب على الطنبور والغناء مراسلة » .

(المراسلة هي اللفظة التي تقابل أصطلاح Accompaniment الموسيقي ، والمعنى أنه كان أول من غنّى على ضرب الطنبور)

٤٣ — (ص ٨٠ س ١) ذكر مغنياً بأسم (عطارد) ، وهو عَطرَّدُ المغني المعروف الذي

وردت سيرته في الأغاني (لقد كان مخطئاً كما قلنا في عدم ايراده الأسطر التي ذكر المؤلف فيها كيفية كتابته الأسماء والأعلام العربية . فقد صحف أسماء كثيرة عربية كهذا الأسم وماقبله) .

٤٤ — (ص ٨٦ س ١١) ترجم لفظة Fret وهو (دستان) بعبارة « لوحة الأصابع » ، بينما يوجــــد لها لفظ عربي وهو « عقف » [1] بالفتح والضم (وَجَـدْتَـها في بعض الـكتب « عفق » وأراها تصحيفاً)

٤٥ — (الصفحة نفسها) : رجم لفظ Accordatura بعبارة « طريقة العزف على العود » . وفي هذه الترجمة جهل مطبق بالموسيقى ، فهـذه الـكلمة تقارب ما يجري في معنى دستان ، أو الدستنه ، أو الشدّ ، أو شدّ الأوتار التناسبي ، لـكن لا تطابقها ، وفي لفظة (دوزان) الشائعة على ألسن ضاربي العود ما يقربها من الأفهام

٤٦ — (في الصفحة نفسـها) قال المترجم : « إذ يبـدو أن الطريقة العربية القديمة كانت جـ د ز ا / C. D. Ga ، فأصبحت في النظام الفارسي الجديد ا . د.ز جـ / A. D. Ga ».

فا معنى هذا ؟ وهل أستطاع المترجم أن ينقل قصد المؤلف من هذه العبارة بترجمته هـذه ؟ إنه لم يفعل أكثر من ترجمته حروفاً انكليزية بما يقابلها من الحروف العربية (على وجـه التقريب) ، وترك العبارة دون أن يشرح المقصود بها

إن المؤلف قصد إيضاح الانقلاب الذي حصل في شد أوتار العود على أساس الســـلالم الموســـيقية ، فرأى أنّ طريقـــة الشد العربية تتمشى مع رموز النوتة الغربية هكذا do. re (Sol Major) ، وأنها أصبحت بموجب القاعدة الفارسية الجديدة في الشدّ هكذا : La re (sol Minor)

٤٧ — (ص ٨٨ س ١٠) قال : « لم يصل الينا نوتة Note أية واحدة منها »

(ترجم لفظة Note بـ « نوتة » ، وكان عليه أن يرجع الى ما أوجد لها المؤلف من لفظة عربية ، وهي « النغمة » .

---

(١) المجلة: اللفظ العربي الذي يقابل « دستان » هو (العتب) كما حققه الأستاذ محمد بهجة الأثري في تعليقاته على كتاب النغم لابن المنجم (ص ٢) ، طبعة المجمع العلمي العراقي

٤٨ — (ص ٩٠ س ٩) قال : « ذكر البربط ذات يوم أمامه ، فتظاهر أنه لا يعرف هذه الآلة » . وهو النص الآتي : « ذكر عنده البربط يوماً ، فقال : ليت شعري ما هو ؟ » .

٤٩ — (١٢٧ س ٧ـ١٠) : « وكانت الأدوار (الفرد دور) تبنى على الجنس (التترا كورد tetracord الاول من أحد الأصابع والجنس الثاني من الآخر » . في هـذه الترجمة خطأ فني معقد يدل على جهل المؤلف بفن الموسيقى جهلا تاماً ، وصحيح الترجمة هو كما يأتي : « إن القاطع وردت تفصيلا في الإيقاعات التي ذكرها الكندي أمّا الأدوار ، ومفردها دَوْر ، فكانت مؤلفة من النغمات الأربع الأول البسيطة من إصبع ، والنغمات الأربع الثواني من إصبع أخرى » .

٥٠ — (١٢٧ س ١٠) : رجم مصطلح Key Signature بـ (تغييرات مفتاح الصول) ، وأقرب كلة عربيـة فنية الى هـذا المصطلح هو « الطبقة » الكلمة المناسبة في سياق الترجمة والظاهر الواضح أن المترجم ماكان يعرف قصد المؤلف ، فأعتمد على أحـد الضاربين من قرّاء (النوطة) ، فدله على هـذه الترجمة ، وإلاّ شرح على الأقل المقصود الفني الحديث الذي هو « مجموعة من علامات الخفض والرفع توضع بعد المفتاح عند بداية التأليف ، أو بعد قدر مضاعف في مجراه ، أي مجرى التأليف »

٥١ — (ص ١٢٧ س ١١) قال المترجم : « وتوجد فقرة أخرى كبيرة الأهمية ، تبين أن العرب أستخدموا أنواعاً شبيهة بأنواع الإغريق القدماء ، إذ كانت الوحـدة التي بنيت عليها الموسـيقى العربيـة هي الجنس « التترا كورد » ، وكان داخلا في أمتداد اليد على العود . وكان الإغريق يسمون هذه الوحدات المختلفة الأجناس ، وكان لديهم ثلاثة (كذا !) منها : الدياتوني (القويّ) ، الكروماتيّ (الملون) ، الهارموني (التوافقي أو الأنسجامي) » .

هذه العبارة تفصح عن جهل آخر بعلم الموسيقى على ما فيها من حيلة سـاذجة لتغطية ذلك الجهل ، وإني أنقل العبارة التي أراها صحيحة قريبة من الأصل : « هنالك نص مهم آخر يكشف عن حقيقـة أستخدام العرب أجناسـاً شبيهة عما أستخدمه قـدماء اليونان . فالنغم الأربع

tetracord كانت ترسم حدود النظرية العربية ، وكان في الإمكان التوصل اليها ببسط كامل اليد على العود . وأطلق اليونان على نغمهم الأربع اسم الأجناس « جيني Geni » وهي ، ثلاثة : الأساس diatonic ، الملون chromatic ، التوافقي enharmonic »

٥٢ — (ص ١٢٨ س ١٤) ترجم تعبير Phonetic Notation بـ (رموز صوتية) ، والصحيح (أبجدية صوتية) ، إذ ليس كل رمز هو أبجدية

٥٣ — (ص ١٤٦ س ١٣ وما بعده) اقتبس المؤلف فقرة من الأغاني لم يراجعها المترجم وينقلها عن الأصل ، وبذلك وقع في أغلاط عجيبـة عند إثبات الأسماء وهذه هي الترجمة : « ويقال إنه كان يبـدأ دراسـاته كل يوم بالحديث تحت ارشاد هشيم (كذا !) بن بشير ، ثم يقضي السـاعة الثانية مع الـكسائي والفراء لدراسـة القرآن ، ثم يعلمه خاله زلزل صناعة العود وعلم الإيقاعات ، ثم يصل الى عاتكة بنت شذا (كذا !) المغنية المشهورة فتعلمه فيها ، وأخيراً ينهي دراساته اليومية مع الأصمعي وأبي عبيدة بن المثنى اللذين تعلم منهما التأريخ والأدب » .

واليك العبارة بالنص منقولةً عن الأغاني : « يبدأ ... بسماع الحديث عن هشيم بن بشير غَلَساً ، ثم يصير الى الـكسـائي أو الفراء فيقرأ عليهما القرآن ، ثم يأتي خاله منصور زلزلا فيضاربه طرفين من العود لتمكينه من الصناعـة ، ثم يأتي عاتكة بنت شهدة المغنية المشهورة ليأخذ عنها أصواتها ، ويختم بالأصمعي وأبي عبيدة بن المثنى فيأخذ عنهما الأدب والتأريخ .. » .

٥٤ — (ص ١٤٧ س ١٠) قال : « توفي إسحاق ... من أثر صوم رمضان » . والصحيح (الذي ذكره المؤلف كذلك) ما ورد في نص الأغاني الذي كان يجب إيراده : « وكان موته بسبب ذرب (مرض) في شهر رمضان »

٥٥ — (ص ١٥٣ س ٨) أورد اسم المغنية « غزالة » خطأً (غزلان) .

٥٦ — (ص ١٦٩ س ٥) قال : « فقد كان آخر من ألقى خطب الجمعة ، وقاد دفة شؤون الدولة مثل الخلفاء القدامى ، وكان أيضاً آخر خليفة حفظ شعره » . وهذه العبارة مقتبسة من الآداب السـلطانية ، واليك نصها : « كان آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعـة ... وآخر

خليفة أنفرد بتدبير الملك ... وآخر خليفة دوّن له شعر »

٥٧ — (ص ١٧١ س ٦) قال : « واُشهر أمير قسطلونة Cazlona » نقول : « لم يوجد مدينة في اسبانيا بهذا الأسم ، والصحيح « قزلونه » كما يدل أسمها المثبت بالحروف اللاتينية

٥٨ — (ص ١٧٥ س ٢) قال : « وكان سببه ادخال ميزان ليما ليما كوما الخرساني كما يظهر في الطنبور الخرساني » وهـذا أيضـاً يم على قصور في تفهم الغرض الفني للعبارة ، وصحيحها كما أوردناه في ترجمتنا : وربما كان سببه دخول السلم الخرساني الذي كان يحتوي على بقيتين two limmas وومضة واحدة comma [1]

٥٩ — (ص ١٧٩ س ١٣) قال : « وكان من علماء الموسيقى الذين ترجمت آثارهم : أرسطو كزينس وأقليدس وبطلميوس ونيكوماخس ، وعرف أرسطكسينس من كتابين : الريموس (الرؤوس) وكتاب الايقاع ، ردرس اقليدس المزعوم في كتابين موسيقيين آخرين بالإضافة الى كتاب المسائل ، وهما كتاب النغم وكتاب القانون

أما صحيح العبارة ، فهو كما يأتي : « ومن نظريي اليونان الذين ترجمت رسائلهم الموسيقية : أرسطو كزينس وأقليدس وبطلميوس ونيقوماخس . عرف أرسطو كزينس بكتابين ، هما كتاب الريموس (الرؤوس ؟) وكتاب « المبـادي » (ارخاى) وكتاب الإيقاع (روثموس) ، ودرسوا أقليدس (شبه أقليدس) بكتابه « المسألة » ، فضلا عن كتابين موسيقيين آخرين ، وهما : كتاب « النغم » (كتاتومي آرمونيكي) ، وكتاب « القانون » (كتاتومي كانونوس) ... » . وما أبعد الفرق بين العبارتين !

٦٠ — (ص ١٨٠ س ١٦) قال : « فـكلمة interval يقابلها كلمة (بُعـد) ، وكل (بُعد) معين له أسم خاص ، فـ (ربع النغمة) يسمى (الارخاء) ، ونصف النغمة يسمى (البقية) ،

(١) أتيت على تفسير جميع هذه المصطلحات الفنية تفسيراً وافياً في المعجم الصغير الذي جعلته أحد ملاحق ترجمتي لهذا الـكتاب

والنغمة الكاملة whole tone تسمى (الطنين) ، وسميت the genres and species الأجناس والأنواع »

أما صحيح هذه العبارة ، فهو كالآتي : « فلفظة interval سميت (بُعداً) ، وأعطي كلُّ (بُعد) معين أسماً خاصاً ، وسمي ربُع النغمة بالإرخاء وأما (الأنصاف) فهي (البقية limma) أو (الانفصال = أبو تومي) أما النغمة الكاملة ، فهي (الطنين = طونس) ، وقس على هذا . أما مبتدعات اليونان لِما أطلقوا عليه أسم (جاني) genres و (ايدي) species ، فقد جعل العرب لهما أسمي (أجناس) و (أنواع) على التوالي »

ولعلك أدركت الآن الفرق بين الترجمتين

٦١ — (ص ١٨٢ س ٦) : جاء بلفظة (الدبداب) ، ويقصد ولا شك (الدبدب) ، وهو آلة الطرب العربية

٦٢ — (ص ١٨٢ س ١٣) جاء في الترجمة : « وأبتكر .. الشاهرود ... وكان يصدر أنغاماً من ثلاث (كذا) مقامات » وصحيحه : « وأبتكر الشاهرود ... يخرج ثلاث طبقات » (يقصد ثلاثة سلالم موسيقية)

٦٣ — (١٨٣ س ٨) : وجد المترجم نفسه حائراً أمام نص من الفارابي ، فترجمه هكذا : « ويقول الفارابي : إن الأول كان أشيع عند أهل بغداد والأراضي التي في غربها وحولها ، على حين تنتمى الآلة الأخيرة لخراسان خاصة والأراضي التي في شرقها وشمالها » .

أما النص ، فقد جلبته من كتاب الموسيقى الكبير المخطوط ، وهو : « والمسمى بالطنبور البغدادي يستعمل ببلاد العراق وبلاد خراسان وما قاربها وفيما حواليها وفي البلدان التي تتوغل الى مشرق خراسان والى شمالها »

٦٤ — (ص ١٩٤ س ١) قال : « ويسميه أبن خلدون ديوان العرب والغاية التي يسمو اليها الأديب » .

أما النص ، فهو : « ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من الفنون » .

٦٥ — (ص ٢١٩ س ١) : أورد المؤلف في صدر الصفحة عبارة مقتبسة من كتاب (الكافي في الموسيقى) لأبي منصور الحسين بن زيلة ، وهذا الكتاب مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني ، لكن المترجم قصر عن الوصول اليه ، فقال في هامش الصفحة : « ... ولما لم أجده ـ يقصد النص ـ في المراجع التي بين يدي ، أضطررت الى ترجمها بعبارتي » فقال : « تنعم روح الإنسان عدة منافع من الغناء ومن النافع السكينة التي تهبط عليه في ساعة الهموم والآلام » .

وقد صورنا هذه المخطوطة من المتحف البريطاني قبل شروعنا في ترجمة كتاب المؤلف ، وأقتبسنا منه العبارة المنشودة ، وهذه هي : « ... الإنسان له منافع كثيرة في الصوت .. ومن جملتها أنه يسكن اليها عند حدوث غم وألم ... »

٦٦ — (ص ٢١٤ س ١٤) قال : « ... الهمدانيون (١٠٩٨ ـ ١١٨٣) ... » في معرض ذكر الأسر المالكة التي حكمت اليمن نقول : لم تحكم اليمن أسرة بهذا الأسم ، والذي قصده المؤلف ـ ولا غرو ـ « المهديون » أتباع أبن مهدي الذين حكموا في اليمن خلال تلك الحقبة .

٦٧ — (ص ٢١٥ آخرسطر) قال : « انه كان يقضي كثيراً من ساعات فراغه في الأستماع الى الموسيقى » .

والنص هو كما يأتي (منقولاً عن الآداب السلطانية) : «كان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني » .

٦٨ — (ص ٢٢٤ س ١) قال في الحاكم بأمر الله الفاطمي : « متعصب همجي ... اذ حرم كل الملاهي العامة ، وهدد الموسيقيين بالنفي اذا جرؤوا على الغناء » (يلاحظ أنه أستعمل كلمة الملاهي بمعنى « المسرة واللهو » بينما هي تعني آلات الطرب !) أما النص الذي كان عليه ايراده فهو : « سفاك للدماء ... منع أصحاب الغناء ، وأمر أن ينفى المغنون من البلاد ، فحضر جميعهم ، وعقد عليهم توبة ، وأعفوا من النفي »

٦٩ — (ص ٢٢٤ س ٨) قال : «كان الظاهر يميل للملاهي (وهنا أيضاً أستعمل كلمة

اللاهي بمعنى المرح واللهو) ميلاً مفرطاً ، وكان موسيقياً هاوياً ناضجاً ، أنفق مبالغ خيالية على مغنياته وقد غرق تماماً في حياة الرفاهية التي ارتبط فيها حبه للموسيقى والراقصات بقسوته المتوحشة » . والنص كما في المقريزي : « كان مشغوفاً باللهو ، محباً للغناء ، فتأنق الناس في أيامه ... واتخذوا المغنيات والرقاصات ، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً .. »

٧٠ — (ص ٢٢٤ س ١٢) قال : « اليازوري » (وزير المستنصر الفاطمي) . وقد ترجمها كشأنه فأشبع الضمة على الزاي أما الاسم الحقيقي ، فهو « اليازُري » .

٧١ — (ص ٢٣١ س ٢١) قال : « وكل لحن وإيقاع له أثره الخاص في النفس » مترجماً لامقتبساً أما النص ، فهو :« وكل جنس وعديد في الموسيقى له قيمته في النفس »

٧٢ — (ص ٢٣٢ س ١ وما بعده) : عجز المترجم عن ايراد نص من كتاب الكافي في الموسيقى المذكور سابقاً ، فترجم العبارة أيضاً ، وقال : « ويقول ابن سينا إن بعض النغمات يجب أن تخصص لفترات معينة من النهار والليل ، ويقول من الضروري أن يعزف الموسيقار في (الصبح الكاذب[1]) نغمة (راهوي) ، وفي (الصبح الصادق) (حسيني) ، وفي(الشروق) (راست) ، وفي (الضحى) (بوسليك) ، وفي (نصف النهار) (زنكولا !) ، وفي (الظهر) (عشاق) ، و (بين الصلاتين) (حجاز) ، وفي (العصر) (عراق) ، وفي(الغروب) (أصفهان) ، وفي(المغرب) (نوى) ، وفي (العشاء) (بزرك) ، وعند (النوم) مخالف = زيرأفكند[1]..»

أما النص الذي كان عليه أن يورده ولو نقب عنه وراء البحار السبعة ، فهذا هو : « ونقل عن الشيخ الرئيس ابن سينا أنه قال .. ينبغي أن يُلحَّنَ وقتَ الصبح الكاذب براهوي ، ووقت الصبح الصادق بالحسيني ، وعند ارتفاع الشمس قدرَ رمحين براست ، ووقت الضحى بأبي سليك ، ووقتَ نصف النهار بزنكولة ، ووقت الظهر بعشاق ، وبين الصلاتين بحجاز ، ووقتَ العصر بعراق ، ووقتَ الغروب بأصفهان ، ووقت المغرب بنوى ، وبعد صلاة العشاء

---

(١) كل ما وضعناه بين قوسين من هذه العبارة ، أورده المؤلف بلفظه العربي الى جنب ترجمته الانكليزية في الأصل ، فلا فضل للمترجم في ايراده هنا

بزرك ، ووقت النوم بمخالف ـ وأنه أراد بالمخالف زيرأفكند بمدم ذكره مع تصريح »

٧٣ — (ص ٢٣٢ س ٧) : وهاك نصاً آخر ترجمه أيضاً عن الحسين بن زيلة ، ولم يحاول أن يصل الى الأصل ذاك : « ونقل عن صفي الدين عبد المؤمن في تأثير المقامات والشدود أنه سمى بردة راهوي (شد البكاء) ، وزير أفكند (شد الحزن) ، وبزرك (شد الجبن) ، وأصفهان (شد الجود) ، وعراق (شد اللذة) ، وعشاق (شد الضحك) ، وزنكولة (شد النوم) ، ونوى (شد الشجاعة) ، و أبي [1] سليك (شد القوة) ، وحسيني (شد الصلح) ، وحجازي (شد التواضع) »

وأنقل اليك النص : « ... إعلم أن كل شد من الشدود ، فان لها تأثيراً في النفس ملذاً ، الا أنها مختلفة ، فمنها ما يؤثر قوة وشجاعة وبسطاً ، وهي ثلاثة : عشاق أبو سليك نوى .. أما راست ونوروز وعراق وأصفهان ، فانها تبسط النفس بسطاً لذيذاً لطيفاً ، وأما بزرك وراهوي وزيرأفكند وزنكولة وحسيني ، فانها تؤثر نوع حزن وفتور » .

٧٤ — (ص ٢٣٣ س ٧) عجز عن الوصول الى عبارة أقتبسها المؤلف من كتاب (المثل السائر) لضياء الدين بن الأثير ، فقال مترجماً : « ان الشعر الشعبي المغنى يسيطر على الذوق العام ، كما نعرف من ضياء الدين بن الأثير ... » وليته ترجم العبارة كما شاءها المؤلف ! أما النص ، فها هو ذا : « يقول ضياء الدين بن الأثير : ويخرج رعاع العامة ... كلاماً موزوناً على هيأة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر ... سمعت شيئاً منه ، فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ومعاني غريبة » .

٧٥ — (ص ٢٣٤ س ٩) قال « رواسين » ، بينما ذكرت في كتب الموسيقى المخطوطة « روازين » .

٧٦ — (ص ٢٣٩ س ١٠٩) رجم نصاً عن الحاج خليفة هكذا : « لأنه أحد الذين في

---

(١) الصحيح « أبا » فهي مفعول به ثان لفعل « سمى »

الرعيل الأول في هذا الفن كما يقول ... » وهذا هو النص : « وقال فيه الحاج خليفة : كان من رجال هذا الفن (الموسيقي) صادراً بالأدوار »

٧٧ — (ص ٢٣٩ س ٦) رجم كلمة Notation بـ (الرموز) ، وهي ترجمة تنم على جهل بالموسيقى وبمصطلحات مؤءرات الموسيقى ، فالكلمة القريبة منها هي (العلامات الموسيقية)

٧٨ ـــ (ص ٢٤٥ س ٥) قال مترجماً : « ولعب شاه خوارزم الأخير ... الذي أفتخر بعزف نوبة الإسكندر الأكبر (ذي القرنين) ، لعبها على سبع وعشرين طبلة (كذا !) ذهبية مرصعة باللؤلؤ ، كان العازفون في بدايتها أولاد الملوك الخاضعين له » أما النص ، فهو من أبن تغري بردي ، وهو : « وفخر آخر ملوك خوارزم ، الشاه (كذا) بضربه نوبة ذي القرنين ... من وقت طلوع الشمس وغروبها ، وأستعمل لها سبعاً وعشرين دبدبة من الذهب ، قد رصعت مضاربهـــا بأنواع الجواهر ، وهكذا كل ما تحتاج النوبة اليه من آلاتها ، ونص يوم أختير لضربها على سبعة وعشرين ملكاً من أكابر الملوك وأولاد السلاطين يضربونها »

وشتان بين الأصل والترجمة !

٧٩ — (ص ٢٦٦ س ٥ فما بعده) يبدي المترجم حيرته ، ويعلن يأسه من العثور على نص طويل في أبن خلكان ، ويقول : لم أجده في جميع طبعات هـذا الـكتاب التي بين يديّ ، فيترجم قائلا : « ويروي الخبر التالي عن مقابلته الأولى لهذا العالم . قال (كمال) بأي علم تريد أن نبدأ ؟ قلت : الموسيقى ، قال : حسناً ، فقد أنقضى أمد طويل دون أن أذاكر به أحداً ، وإنني أرغب في الحديث عنه لأجدد معرفتي به ، فبدأنا ، ثم أنتقلنا الى العلوم الأخرى ، فقرأت عليه أكثر من أربعين كتاباً في ستة أشهر وكنت عارفاً بالموسيقى ، لـكنني كنت أريد أن أستطيع القول بأنني درسته عليه ، ويقول الحسن بن عمر : إن علم الدين أشهر خاصة بمعرفته العميقة بالموسيقى » .

هـذا النص مذكور برمتـه في طبعة « وسـتنفلد » لابن خلـكان ، وقـد نقلته عنها في ترجمتي ، وهو :

« قال ... فقال لي يعني كمال الدين (أبن منعة) : في أي العلوم تريد تشرع ؟ فقلت له : الموسيقى ، فقال : مصلحة هو ، فلي زمان ما قرأه أحد عليّ ، فأنا أريد مذاكرته وتجديد العهد ، فشرعت فيه ثم في غيره ، حتى تشققت عليه أكثر من أربعين كتاباً في مقـدار ستة أشهر . وكنت عارفاً بهذا الفن ، لكني كان غرضي الانتساب في القراءة اليه ، وكان اذا لم أعرف مسألة وضحها لي ... وقال حسن بن عمر : كان علم الدين ... إماماً عالماً بالموسيقى »

٨٠ — (ص ٢٦٩ س ٥) : عجز عن ايراد نص من (كتاب كنز التحف) المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني ، فقال : « ويصرح أبن تغري بردي أنه لم يتفوق عليه أحـد في الموسيقى منذ عصر اسحاق الموصلي نديم هارون الرشيد ، كما يوضع في الخط في صف سادة هذا الفن من أمثال ياقوت وأبن مقلة »

واليك النص : « ورأى في هذا الفن (الموسيقى) من الحظ ما لم يره غيره بعد اسحاق أبن ابراهيم الموصلي نـديم الرشيد هارون ، وبرع في الخط وعرف به ، وكان في صف ياقوت وأبن مقلة فيه »

هـذا بعض ما أسترعى أنتباهي من أغلاط وسقطات ومآخذ في ترجمـة الدكتور حسين نصّار لهذا الـكتاب الفريد وكم كان بودّي ألّا يتسـرع بهذا الشكل ، وأن يقوم بتوفير المراجع قبل شروعه في الترجمة ، ولا أقول شيئاً عن ضرورة التفرغ لتفهم نظريـة الموسيقى بصورة عامة ، والإلمام بالقدر الـكافي بنظريـة الموسيقى العربية . فمن الحيف أن يخرج كتاب علمي الصبغة بهذا الشكل ، ويلقى هذا المصير المحزن .

جرجيس فتح الله المحامي

Studies in Arabic Literary Papyri

دراسات في قراطيس عربية

تأليف الدكتورة نبيهة عبود
من منشورات جامعة شيكاغو ١٢٣ صفحة

عالجت الدكتورة نبيهة عبود الأستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة « شيكاغو » ، في هذا الكتاب ، ثماني وثائق تأريخية من القراطيس « Papyri » محفوظة في خزانة كتب المعهد المذكور ، بعضها معروف الأصل وقد نشر ، وبعضها مفقود الأصل ولكنه معروف النسب ، وبعضها غير معروف النسب لعدم وجود إشارة في تلك الوثائق تدل على صاحبها ، فهو مما ينشر لأول مرة إذن ، ولعل نشره هذا سيساعد الباحثين على معرفة صاحبه والتوصل الى نسخة كاملة للأصل المستل منه

وقد قدمت المؤلفة بين يدي هذه الوثائق بحوثاً قيمة ، سردت فيها ما لا بد من سرده ، فكتبت بحثاً قيماً في الكتابة في الإسلام ، وفي تدوين التاريخ عند المسلمين وأقدم من أشتغل بذلك ، ثم أنتقلت الى أصل العمل وهو تدوين نصوص هذه القراطيس ، وقد ألحقت بكل كتابة منها ترجمة لها الى الانكليزية وملاحظات ثمينة عليها تنم على جلد وصبر وعلم

وقد أفتتحت تلك الوثائق بوثيقة في قصة كيفية الخلق ، وهي مما يرجع الى الإسرائيليات والى قصص وهب بن منبه خاصة ، وألحقت بها الكتابة الثانية في قصة آدم وحوّاء . أما الكتابة الثالثة ، فهي في الإسرائيليات أيضاً والرابعة منتزعة من سيرة أبن هشام ، وهي مما يرجع عهده الى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة وترى المؤلفة أحتمال كون أصل الكتابة الخامسة قطعة من كتاب في المغازي لمعمر بن راشد أما الكتابة السادسة ، فإنها قطعة من كتاب تاريخ الخلفاء لأبن إسحاق ، وهي في قتل الخليفة عمر وفي الشورى والسابعة قطعة من كتاب ذكر النبي لأبن عقدة ، وهو مؤرخ زيدي وأما الثامنة ، فيحتمل أنها من كتاب السلاح للفرغاني ، وهي في وصف معركة من المعارك التي وقعت في عهد الخليفة المقتدر وأنهت المؤلفة هـــذه

النصوص والترجمة والملاحظات بفهرست يقع في سبع صفحات وبثمانيـة ألواح حفرت حفراً جيداً عن القراطيس الأصول ، تمثل لك أصلها ، وتتحدث اليك عن الصعوبات التي جابهتها المؤلفة في قراءتها وفي ضبطها وأستخراجها من هذه الأوراق المكونة من ورق البردي ، وهي صعوبات لا يقدرها إلاّ من كابد هذا الهوى الشاق ، هوى قراءة المخطوطات ويقع الكتاب كله المتن والفهرست في ١٢٦ صفحة طبعت طبعاً متقناً في مطابع جامعة شيكاغو . وقد دونت الحروف العربية بحروف لاتينية على طريقة المستشرقين ، وذلك في المتون الانكليزية . أما في المتون العربية ، فقد طبعت النصوص العربيـة بحروف عربية ، كما طبعت كلمات عربية في المتن الإنكليزي أقتضتها الضرورة وأستدعى وجودها مقتضى الحال .

وبعد ، فإني معجب بصبر الأستاذة نبيهة عبود ، وجلدها . فقد جاءت بشروح وبايضاحات تنم على علم عميق بهـذا الموضوع وأحب أن أنوه بكتاب لهـا آخر في الخط العربي الشمالي ، منشئه وأصله وكيفية تطوره ، وفي الخط القرآني وتطور الخط في صـــدر الإسلام وفي العهد الأموي والعباسي الى بلوغه حد الكمال . وهو كتاب جليل ، يدل أيضاً على فضل وعلم يفتخر المرء بها ، وقد نشره المعهد المذكور أيضاً

جواد علي

أنباء وآراء

خلاصة لأعمال المجمع العلمي العراقي

هذه خلاصة لأعمال المجمع في غضون المدة التي أنصرمت بين صدور الجزء الأول من المجلد الرابع وصنوه هذا ، تحوي الأمور التي قد تفيد من يريد الاطلاع على أعماله وتطوره

***

مؤتمر المجامع العلمية العربية — كان المجمع العلمي العراقي من أوائل الداعين ، إن لم يكن أولهم ، الى إقامة أتحاد علمي بين المجامع العلمية في البلاد العربية ينسق أعمالها ويعمل على تنفيذ مقرراتها ، لئلا تذهب مجهوداتها سدى ، وتبقى مقرراتها معطلة .

وقد بدأ دعوته الى ذلك في ١٩٥٠/١٢/١٦ ، إذ وجه كتابين الى المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة مع مذكرة لسكرتيره الدكتور جواد علي في هذا الصدد يطلب فيهما من المجمع دعوة المجمعين المذكورين لعقد مؤتمر يدرس الوسائل الى هذا التعاون فيما بينها

فأجاب المجمع العلمي العربي بدمشق عن كتاب المجمع العراقي بهذا الكتاب : « إن المجمع العلمي العربي يرحب بمشروع التعاون بين المجامع العلمية في البلاد العربية ، ويرجو أن يكون بعد المفاوضة بشأنه محرراً مفصلاً يضمن الأنسجام بين أعمال المجامع وزيادة إنتاجها [1] »

وأجاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة أنه عرض الكتاب على هيأة المجمع ، وبعد مناقشة في وسائل التعاون بين المجامع الثلاثة وطرقه ، وافق المجلس على القرار الآتي :

« يرسل الى المجمع العلمي العراقي نسخة من مطبوعات المجمع جميعها ، ومنهاج عمله ، ومحاضر

(١) من كتاب المجمع العلمي العربي بدمشق رقم ١٨٧/٥١٤ وتأريخ ١٩٥٠/١٢/٢٣

جلساته في سنة ١٩٥١ [١] »

ثم عاد مجمعنا فاغتنم فرصة سفر نائب رئيسه الأول الأستاذ محمد بهجـة الأثري الى مؤتمر الدراسـات العربية الأول في الجامعة الأمريـكية ببيروت ، فعهد اليه مفاوضة المجمع العلمي العربي بدمشق في أمر هذا التعاون ، وأنفذ الى رئيس المجمع كتاباً (رقمه ٣٤٢ وتاريخه ١٦/٤/١٩٥١) ذكر فيه : « أن من خطط المجمع العلمي العراقي التعاون مع المجامع العلمية في البلاد العربية ، لتوحيد المساعي وتوجيهها وجهة واحدة تضمن لها تحقيق مطالب العصر وحاجات النهضة ، ولذلك قرر ندب الأستاذ السيد محمـد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع ، ليتداول مع مجمعكم الـكريم الرأي في هذا الشأن ، ويتفق معه على الوسائل التي يتم بهـا التعاون ... ونحن نرجو لمهمته التيسير المأمول منكم [٢] »

واهتبل المجمع كل فرصة سنحت له ، للاتصال بالمجامع العلمية وبأعضائها الذين يحضرون العراق ومفاوضتهم في تحقيق هذه الأهداف السامية ، كما كلف كل عضو من أعضائه أن يكون لسانه وسفيره ، ينطق باسمه مع كل عضو من أعضاء المجامع في هذا الشأن

لذلك كان سروره عظيماً بما تأدى اليه من قرار اللجنة الثقافية الدائمة بالجامعة العربية ، في دورتها التاسعة التي عقـدت في كانون الثاني من سنة ١٩٥٥ بمدينة جُدَّة ، بعقـد مؤتمرات دورية للمجامع العربية لتبادل الرأي في نشاط كل مجمع والتقريب بين نتائج ذلك النشاط ، وتأييد مجلس الجامعة العربية هذا القرار في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في آذارسنة ١٩٥٥ .

وتنفيذاً لقرار الجامعـة العربية ، وجهت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربيـة دعوةً الى المجامع العلمية العربية الثلاثة لإيفاد ثلاثة أعضاء من كل مجمع الى مدينة دمشق أول بلد في البلاد العربيـة أسس فيه مجمع عربي ، لعقـد أول مؤتمر للمجامع في ٢٩/٩/١٩٥٦ ، ودعت الدول العربية الأعضاء في الجامعة التي لا مجمع فيها لإرسال مراقب واحد عنها الى هذا المؤتمر .

(١) النص من مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الثاني سـنة ١٩٥٥ (ص ٢٤٧ ، العمود الثاني)

(٢) من أصل الـكتاب المشار اليه

فرشح المجمع العلمي العراقي لتمثيله فيه الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جواد علي ، وأيدت وزارة المعارف هذا الترشيح ، ووافق عليه مجلس الوزراء في جلسته السابعة والثلاثين المنعقدة في ١٩٥٦/٥/٧ ، وسافر الوفد في الوقت المحدد الى دمشق

ومثل المجمع العلمي العربي في هذا المؤتمر أعضاؤه العاملون : الأستاذ خليل مردم بك ، والأمير مصطفى الشهابي ، والأمير جعفر الحسني ، والدكتور مرشد خاطر ، والدكتور منير العجلاني ، والأستاذ عارف النكدي ، والدكتور أسعد الحكيم ، والأستاذ محمد بهجة البيطار ، والدكتور حسني سبح ، والدكتور جميل صليبا ، والأستاذ عز الدين التنوخي ، والدكتور حكمة هاشم .

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فقد مثله الدكتور منصور فهمي ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ ابراهيم مصطفى

ومثل الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية ، والدكتور رئيف أبو اللمع الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية ، والدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات ، والدكتور ناصر الدين الأسد مندوب الادارة الثقافية والسكرتير الفني للمؤتمر .

وأرسلت كل دولة من الدول العربية الأعضاء في الجامعة ، التي ليس فيها مجمع علمي ، مراقباً ، فمثل المملكة العربية السعودية الأستاذ خير الدين الزركلي ، ومثل لبنان الشيخ عبدالله العلايلي ، ومثل المملكة الأردنية الأستاذ قدري حافظ طوقان ، ومثل المملكة الليبية المتحدة الأستاذ نور الدين الشلي ، ومثل المملكة التونسية الأستاذ أحمد عبد السلام وأوفدت منظمة اليونسكو السيد شفيق الشماس لحضور المؤتمر ممثلا عنها

وكان يوم السبت ١٩٥٦/٩/٢٩ هو اليوم الأول من أيام المؤتمر : وقد بدأ في الساعة العاشرة من صباحه باجتماع تعارف عقد في دار المجمع العلمي العربي ، ثم أعقبه زيارة القصر الجمهوري لتسجيل الأسماء ، وقد تفضل فخامة الرئيس فاستقبل الوافدين وتمنى لهم كل

خير في عملهم العلمي الجليل ، ثم أعقبتها زيارة رئيس المجلس النيابي فطاف الأعضاء ببناية المجلس التي هي معجزة من معجزات الفن اليدوي أبدع فيها الفنان الدمشقي إبداعاً جعله من مفاخر الفن في هذا العصر ، ثم زار بعد ذلك رئيس مجلس الوزراء فوزير المعارف ، وبذلك أنتهى عمل الأعضاء الرسمي التقليدي في الصباح .

وكان الأحتفال الرسمي بالمؤتمر مساء بحضور فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي ورعايته ، وقد ألقى فخامته كلمة حيّا فيها الحاضرين ورجا فيها النجاح للمؤتمر في تحقيق الأغراض التي أجتمع من أجلها والتي يرجو تحقيقها كل مواطن عربي ، ثم خطب كل من صاحب المعالي الدكتور عبدالوهاب حومد وزيرالمعارف السوري ، فممثل اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية الدكتور طه حسين ، فممثل مجمع اللغة العربية في مصرالدكتور منصور فهمي ، فالأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأول وقد نُقلت هذه الخطب الى العالم بالأثير .

* * *

وهذا نص خطبة الأستاذ محمد بهجة الأثري :

« صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

إنني .. يا صاحب الفخامة ، وأنا أنوب عن وفد العراق في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية لتحيتكم وتحية هذه الهالة المحيطة بكم من عِلْية الشام وصُيّابة العرب .. لأجدني في قرارة نفسي سعيداً أيَّ سعيد أن أمثّلَ العراق في هذا المؤتمر المتيد ، وأن أمثُلَ بين يديكم — في مناسبتين قوميتين خطيرتين [1] — في طرفَيْ أسبوع واحد ، لِأشكرَ لكم رعايتكم البالغة لهذه المواسم القومية المتصلة ، الحالية بالجمال ، الحافلة بالجلال .. في هذه البلدة الطيبة ، المتوهجة ، الفاتنة الخلوب .. هذه البلدة العربية النَّجار ، الكريمة ، الحبيبة الى قلب كل عربي : سليلة بَرَدَى وقاسيون ، وبنت النسبين : السيف والقلم ، والمجدين : الطارف والتالد .. (دمشق) .. دمشق التي أشبلت على العروبة منذ أزل الآباد ، وعلى الإسلام منذ تلقته في عنفوان شبابه

(١) الموقف الأول في حفلة افتتاح مؤتمر الأدباء العرب الثاني

بصدرها الرحب راضيةً به مطمئنة اليه ، فكانت ثانية عواصم الدولة في عصرها الزاهر الزاهي ، كما كانت اليوم قلب العروبة النابضَ بالحياة والفتوة والوثوب والطِماح ، ومصـدراً من مصادر عزها في هذا العصر

وهل من غرابةٍ أن تحتشد في دمشق اليومَ كل مظاهر هـذه الحياة والفتوة والوثوب والطماح ؟ وأن تلتقي على صعيـدها الطيب أعلام هـذه الشعوب العربية ، ما بين ذراعي المشرق والمغرب ، في السياسة والجهاد ، وفي الأدب والحياة ، وفي اللغة والفكر .. ليدفعوا ـ جميعاً ـ هذه الفورات الجياشة من الرغبات القومية المتحفزة الى الذروات ، الى جبهة الفلك ، والى المربأ الأشمّ الذي يمدّه الله للمجاهدين الصابرين ، ويورثه عباده الصالحين ؟

لقد أنتصرت العروبة الإيجابية البانية في المؤتمر الشعبي السياسي في دمشق ، بما صدر عن المؤتمرين فيه : من وحدة الشعور ، ووحدة الرأي ، ووحدة الدعوة ، ووحدة التصميم على المضيّ الى النهاية من النهج اللاحب من آمال الأمة العربية المتفتحة ما بين الأطلسي وتخوم إيران ، في إنشاء الدولة العربيـة الـكبرى ، وهي كائنـة لا ريب فيها ؛ لأننا نريـــدها ، والله من وراء إرادتنا .

وأنتصرت العروبة الإيجابية البانية — ثانيـةً — في مؤتمر الأدباء العرب الثاني ، في (بلودان) ، بما ظهر واضحاً جلياً غيرَ متكلّـف ولا مصنوع من أتفاق الأدباء العرب على وجوب تجنيد أقلامهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطماح القومي الى تكوين الدولة العربية الـكبرى ، لتكون هذه الملايين التي تحيا ـ تحت رايتها ـ قوةً إيجابية بانيةً مع القوى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا

وستنتصر هذه العروبة ـ ثالثةً ـ من غير شك ، في هـذا المؤتمر : مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية ...

وفي يقيني أنْ ستبلغُ هذه المجامع غايتها مما تنادت اليه من أمر هذا المؤتمر ؛ لأن كل أسباب التوفيق موفورة في نفوسنا وعزائمنا ، وموفورة في وسائلنا وفي تأييد الدولة بما تسمح به من

حرية العمل وعما توفره من وسائل الإنتاج ، وإنْ كنّا نطمع منها في أكثر من هـذا ، ونطمع أن تسير معنا قُدُماً الى غاية أبعد ومدى أنأى

ولقد سعينا جاهدين لإدراك هذا كله ، فوجدنا الأستجابة اليه من حكوماتنا ومن جامعة الدول العربية فيما سعينا له وأبتغيناه

ولقد نسب الى هـذه الحكومات التقصير في مؤازرة الأدب والعلم واللغـة والفكر ، فأستطاعت ثلاث حكومات منها أن تنفي عن نفسـها التهمة حين أستجابت ـ الى حدها ـ لمطالب العلماء ، وهيأت لهم هذه المجامع اللغوية العلمية .. وإنه ليرجى أن يهيأ للحكومات الأخرى من أسباب الإنشاء وبواعثه ما تستطيع به إقامة مجامع مماثلة في ديارها

ثم نسب الى هذه المجامع شيء غير قليل من مزاعم التخلّف والإبطاء ، وما بها شيء من ذلك ، ولكنه الطماح .. طماح الأمـة العربية وشبابها الى الذروة .. من طبيعته أن يطلب الكثير ، ولا يقنع بما يقدّم اليه بالغاً ما بلغ من الكثرة والقوّة ، وقد يطلب أن يُمَدَّ له في اللحظات القصار ما لا يمكن أن يتكوّن ويتكامل إلا في السنين الطوال .

وأنا أحب أن أسمع الكثير الكثير من هذا ، ليكون ذلك حافزاً في جملة الحوافز للأنبعاث أكثر وأكثر

على أنّ ما يعتلج في نفوس العلماء القائمين على هـذه المجامع من حب الأرتقاء السريع وإرادته ، هو أكبر مما يعتلج من الرغبات الكريمة في نفوس البعيدين عن ممارسة مثل أعمالهم وعن معرفة طبيعة العلم وما يتطلبه الإنتاج العلمي السليم من الأناة والتثبت والأطمئنان .. ومن هنا نشأت — فيما أحسب — فكرة عقد هـذا المؤتمر عندهم ، وأيمت الحكومات العربيـة ـ مشكورةً ـ عقده في عاصمة الشام

ولا خلاف في أن ألتقاء رغبات علماء اللغة والحكومات العربية عند هـذا المطلب القومي الخطير ، وأشتراكها جميعاً في تقـدير أثر اللغة وخطورتها في أزدهار النهضـة ، مظهر عظيم لأرتقاء الفكر العربي وتطوّر المفاهيم عنـده في هـذه الأيام ، يبشر بالخير العميم والنفع العظيم

من غير شك»..

لقد استجابت هذه اللغة العبقرية العلوية – إبّان نهضة العرب العظمى – للمطالب الإنسانية ، ومطالب الحضارة وغاياتها كما ينبغي لمثلها أن تستجيب ، فوسعت كتاب الله – وهو المعجزة الخالدة – لفظاً وغاية ، وأرضت الأحاسيس المرهفة عند الشعراء والأدباء ، كما أرضت مطالب العلم والفلسفة والفن والسياسة والاجتماع والعمران ، كما أرضت الشرائع والقوانين ، ونهضت بكل ما تطلبته مقومات الحضارة من النقل عن اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم .

وستستجيب لهذه النهضة الجديدة المباركة كما استجابت لأختها من قبل ، حين نصدق العزم في النهوض . وإننا لصادقون من غير شك ، وإننا لجادّون من غير شك . ففي ضمائرنا الصدق والجد والإخلاص ، وفي نفوسنا القدرة والإرادة والعزم ، ومن إرادتنا تجديد شباب هذه الأمة العظيمة ، ومن وراء إرادتنا إرادة الله وتأييده »

*
* *

أعمال المؤتمر ولجانه – وبدأ المؤتمر أعماله صباح الأحد ٣٠/٩/١٩٥٦ ، في دار المجمع العلمي العربي ، فاستعرض المؤتمرون منهاج العمل ، وبدؤوا بانتخاب ديوان الرئاسة فانتخبوا الدكتور عبد الوهاب حومد ، وزير المعارف السورية رئيساً ، والدكتور طه حسين والأستاذ خليل مردم بك ، والدكتور منصور فهمي والأستاذ محمد بهجة الأثري نائبين له ، ثم ألفوا لجنة أخرى من الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ أحمد حسن الزيات والدكتور جميل صليبا والدكتور صلاح الدين المنجد لصياغة المقترحات وتنسيقها ليكون في الإمكان عرضها في لائحة منسقة مبوبة في الاجتماع الأخير العام ، ثم استقر رأيهم على أن توزع أعمال المؤتمر على لجان خمسة ، هي :

١ – لجنة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية ، وينحصر عملها في الأمور الآتية :

(أ) الوسائل التي يجب الأخذ بها لتنظيم أعمال الاتصال وتنسيق الأعمال .

(ب) تأسيس اتحاد للمجامع العلمية العربية تكون له اجتماعات دورية .

(جـ) علاقة المجامع العلمية بوزارات المعارف

(د) علاقة المجامع العلمية بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية

(هـ) تخصص المجامع العلمية العربية في بعض الموضوعات دون بعض .

وقد تألفت هذه اللجنة من : الدكتور طـه حسين ، والدكتور منصور فهمي ، والأستاذ محمد بهجة الأثري ، والأستاذ خليل مردم بك ، وأختير الدكتور رئيف أبو اللمع مقرراً لها .

٢ — لجنة دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية ، وقد حدد عملها بما يأتي :

(أ) بحث ما وصلت إليه المجامع العلمية الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية .

(ب) تبسيط قواعد اللغة العربية

(جـ) الخط العربي .

(د) تيسير كتابة اللغة العربية

(هـ) الفصحى والعامية .

(و) ما عمل وزارات المعارف والمجامع العلمية في تحقيق ذلك ؟

(ز) إصلاح لغة الدواوين (اقتراح قدمه المجمع العلمي العراقي) .

وقد تألفت هذه اللجنة من : الدكتور عبد الوهاب حومد ، والدكتور طـه حسين ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور مصطفى جواد ، والأستاذ عارف النكدي ، والشيخ محمد بهجة البيطار ، والأستاذ عزالدين التنوخي ، والأستاذ علي حسن عودة ، والشيخ عبد الله العلايلي ، والأستاذ نور الدين الشلبي ، والأستاذ أحمد عبد السلام ، وأنتخب الأستاذ ابراهيم مصطفى مقرراً لها .

٣ — لجنة التأليف والترجمة ، وقد حددت أعمالها بالنظر في :

(أ) الترجمة من العربية وإليها .

(ب) تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .

(ج) تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .

(د) حركة الترجمة في البلاد العربية والدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة المعنية بذلك .

(هـ) تنسيق الأعمال بين البلاد العربية في ميدان الترجمة ، في سبيل التعاون المثمر وأتقاء تعدد الترجمات للأصل الواحد .

وأعضاء هذه اللجنة : الدكتور طه حسين ، والدكتور رئيف أبو اللمع ، والدكتور منير العجلاني ، والدكتور جميل صليبا ، والدكتور حكمة هاشم ، والأستاذ خير الدين الزركلي ، والأستاذ أحمد عبد السلام ، وأختير الدكتور جواد علي مقرراً لها

٤ — لجنة المصطلحات العلمية ، وواجبها النظر في :

(أ) طرائق وضع المصطلحات العلمية ، وضبطها ، وكيفية توحيدها .

(ب) وسائل نشر ما يقرر من المصطلحات العلمية

(ج) وضع معجم أعجمي — عربي للمصطلحات العلمية .

وأعضاء هذه اللجنة : الدكتور رئيف أبو اللمع ، والدكتور جواد علي ، والدكتور مرشد خاطر ، والدكتور أسعد الحكيم ، والدكتور حسني سبح ، والدكتور جميل صليبا ، والأستاذ قدري حافظ طوقان ، والشيخ عبد الله العلايلي ، وشفيق شماس ، وأختير الأمير مصطفى الشهابي مقرراً لها .

٥ — لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها ، وتنحصر أعمالها فيما يأتي :

(أ) احصاء عام بالمخطوطات العربية التي لم تنشر بعد .

(ب) وسائل نشر أفضل المخطوطات العربية

(ج) طرائق تحقيق المخطوطات العربية .

(د) معهد المخطوطات العربية .

وأعضاؤها : الأستاذ ابراهيم مصطفى ، والأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور مصطفى جواد ، والأستاذ خليل مردم بك ، والأمير جعفر الحسني ، والأستاذ خير الدين الزركلي ، وأنتخب الدكتور صلاح الدين المنجد مقرراً لها

وفي هذه اللجان والأعمال ما لا دخل له ، بحسب رأيي ، في موضوع المجامع العلمية وواجبات المجامع ، بل هو من اختصاص دوائر ثقافية أخرى ولكنها على كل حال من القضايا التي يجب أن يعنى بها ، وأن تكون موضع دراسة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لأنها من القضايا العربية الثقافية العامة التي تخص العالم العربي أجمعه

وقد قامت اللجان المذكورة بأعمالها على الوجه المرسوم لها المحدد في نطاق عملها ، ثم تقدمت توصياتها الى مكتب المؤتمر لتنسيقها وعرض لائحتها في الجلسة العامة . وبعد أن فرغت لجنة الصياغة منها ، عرضها على المؤتمر في جلسته العامة الختامية التي عقدت يوم الخميس ١٩٥٦/١٠/٤ ، وبعد مناقشتها والإحاطة بكل ما ورد فيها ، قرر نشر التوصيات الآتية :

توصيات المؤتمر الأول للمجامع العلمية العربية

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ سبتمبر (أيلول) الى ٤ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٦ أنه حين تنادت المجامع اللغوية العلمية لعقد هذا المؤتمر ، كانت ترمي الى تحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الإنسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة . وكان لا بد لذلك من تفاهم تام بين المجامع اللغوية العلمية في شؤون اللغة ، ورسم مناهج العمل في هذا الشأن الخطير ، حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى التي وسمت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه ، ورأى فيها ما يلي :

أولا — تأسيس أتحاد للمجامع اللغوية العلمية :

أ — يوصي المؤتمر بتأسيس أتحـاد للمجامع اللغوية العلميـة ، ينظم الأتصال بين المجامع العربية ، وينسق أعمالها

ب — يتألف الأتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع ، تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، ويضاف اليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع ، تعينه حكومته ، ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الأتحاد .

ج — تدعو الأمانة العامـة لجامعة الدول العربية الأتحاد الى الأجتماع في أوقات دورية ، وتقوم بدفع نفقات أعضائه وأقامتهم وأجتماعاتهم

د — يضع الأتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي ، ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة

هـ — ينظم الأتحـاد الصلات بين المجامع العربيـة ووزارات المعارف والإدارة الثقـافية بجامعة الدول العربية .

ثانياً — وسائل رقية اللغة العربية :

(١)

أ — يرى المؤتمر أن تلزم وزارات المعارف أساتذة المدارس ، على تنوع أختصاصهم ، إلقاء الدروس باللغة العربية الفصحى ، في مراحل التعليم كله ، وفي معاهد المعلمين خاصة

ب — وأن تلتزم الإذاعات العربيـــة اللغة الصحيحة فيما تذيع من أحاديث وفي معظم التمثيليات والأغاني

ج — وأن تكون الترجمات للروايات السينمائية باللغة الصحيحة

د — وأن يكثر أستعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية

هـ — وأن يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الأبتدائية حتى يعتاد الطلاب سماع

اللفظ الصحيح وقراءته ، ويخفف منه في مرحلة التدريس الثانوي حتى يقتصر فيه على ضبط ما يشكل

(٢) نظر المؤتمر في مقترحات تيسير النحو التي أعدها وزارة التربية والتعليم في مصر ، فوجد بعد دراستها أنها تحتاج الى زيادة في البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها الى مؤتمر آخر .

(٣)

أ — يقرر المؤتمر أن تقرب العامية من الفصحى

ب — يعنى كل مجمع بجمع الألفاظ الدالة على الأشياء والمعاني الجارية بين الناس ، فاذا كان اللفظ العامي عربي الأصل ـ وقد حرف أو صحف ـ صحح وأستعمل واذا لم يكن عربي الأصل ، نظر في لفظ غيره ، أو أقر أستعماله ، ثم تتخذ الوسائل لنشر ما أقر واذاعته .

(٤) يوصي المؤتمر بأن تتعاون المجامع على إعداد جزازات لمفردات اللغة قديمها ومستحدثها ، مضافاً الى ذلك ما تتفق عليه المجامع الثلاثة من المصطلحات العصرية ، تمهيداً لتأليف معجم واسع شامل .

ثالثاً — التأليف والترجمة :

---

(١) يوصي المؤتمر لتشجيع التأليف وحمايته :

أ — أن تمنح المجامع المؤلفين جوائز ، أو أن تنوه بتواليفهم

ب — وأن تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة ، وتجيز أحسن المتبارين

ج — وأن تهيب بوزارات المعارف في البلاد العربية بأتخاذ الوسائل التي تضمن ملكية التأليف بين البلاد العربية

د — يطلب المؤتمر الى الحكومات العربية إزالة الموانع والقيود التي تحول دون أنتشار

الـكتب ، وأعتبار البلاد العربية وحـدة ثقافيـة ، وإلغاء المـكوس والضرائب التي تفرض على المطبوعات

هـ — وأن تصدر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية

(٢) وفي الترجمة يوصي المؤتمر :

أ — بأن تعمل المجامع على رجمة الروائع ذات القيمة الأدبية أو العلمية من اللغات الأجنبية ، وأن تضع قوائم بأمهات الـكتب الجديرة بالترجمة

ب — وأن تصدر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية نشرة دورية ، تبين فيها ما ترجم ، أو ما أخذ في ترجمته ، أو ما تقررت ترجمته الى اللغة العربية

ج — وأن تنوه المجامع بأحسن الـكتب المترجمة ، أو تضع جوائز لها .

رابعاً — المصطلحات العلمية :

أ — يوصي المؤتمر بتعاون المجامع والجامعات وسـائر المؤسسات العلميـة على وضع المصطلحات أو تحقيقها

ب — يرى المؤتمر أن يكون اتحاد المجامع المرجع الذي يوحد المصطلحات التي تضعهـا المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء

ج — ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب وقياسية بعض الأوزان والجموع في كتاب تطبعه الجامعه العربية ، ليكون دستوراً للمجامع فيما تضع أو تحقق من مصطلحات

د — يوصي المؤتمر الأمانة العامة لجامعـة الدول العربية بأن تكمل ما قامت به من جمع المصطلحات العلمية في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية ، وأن تطبعها في كتاب بعد أن يقرها اتحاد المجامع

هـ — يوصي المؤتمر بوضع معجم إنكليزي فرنسي عربي شامل للمهم من المصطلحات

العربية والمعربة ، على أن تعرف الألفاظ فيه بالعربية تعريفاً موجزاً ، وتقوم الأمانة العامة بالتعاون مع اتحاد المجامع بإخراج هذا المعجم

و — يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لتكون اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات

خامساً — تحقيق المخطوطات ونشرها :

أ — يوصي المؤتمر بأن تتخذ الحكومات العربية التدابير الوقائية الفنية لحفظ المخطوطات من التلف والضياع ، وأن تصور مخطوطات كل مكتبة ، وتزود كل مكتبة بآلات تصوير المخطوطات وقراءتها

ب — يوصي المؤتمر بأن يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون طبعاً علمياً ، على أن تعارض على نسخ مخطوطة أخرى إذا أمكن ، ويوصي بإكمال السلسلات التي بدأها المستشرقون كالمكتبة الجغرافية وغيرها

ج — يوصي المؤتمر بأن تعنى المجامع ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها ، والكتب الكبيرة ، وأن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة بقطرهم

د — يوصي المؤتمر بأن ينسق العمل بين المجامع ومعهد المخطوطات على الوجه الآتي :

١ — التقريب بين طرائق نشر المخطوطات في البلاد العربية

٢ — يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية بأسماء الكتب التي صورها الى المجامع .

٣ — تتبادل المجامع ومعهد المخطوطات قوائم بأسماء ما يحقق من المخطوطات ، أو ما هو تحت الطبع

٤ — يوصي المؤتمر أن تشجع المجامع ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة بطبع ما تراه جديراً بالنشر وبمكافأة المجيدين من المحققين

* * *

وقد عرضت هذه التوصيات على مجلس جامعة الدول العربية في جلسته الخامسة من دور انعقاده العادي السادس والعشرين في ١٩٥٦/١٠/٢٥ ، فوافق عليها ، وتولت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تنفيذ ما ورد فيها

مؤتمر اتحاد المجامع العلمية

تنفيذاً لموافقة مجلس الجامعة العربية في أجتماعه السادس والعشرين المنعقد في ٢٥/١٠/١٩٥٦ على التوصيات المذكورة ، دعت الإدارة الثقافية المجامع العلمية العربية الى أجتماع تعقده بالقاهرة في ٢٣/٣/١٩٥٧ ، فأوفد مجمعنا للنظر في لائحة نظام أتحاد المجامع ثلاثة من أعضائه ، هم : الأستاذ محي الدين يوسف والدكتور مصطفى جواد والدكتور علي وقد مثل المجمع العلمي العربي الأمير مصطفى الشهابي وشفيق جبري والدكتور جميل صليبا ، ومثل مجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى ، وحضر مراقبون عن الدول الأعضاء في الجامعة التي ليس في بلادها مجمع علمي لغوي

فدرس المؤتمرون لائحة النظام الأساسي لأتحاد المجامع ، ثم درسها اللجنة القانونية من الناحية القانونية وأعادتها الى المؤتمر لإقرارها ، وأعلنها الأمين العام لجامعة الدول العربية في أجتماع عام عقده في ٣/٣٨ حضره نخبة من رجال العلم والأدب والصحافة في الجمهورية المصرية ، ثم أحيل النظام على مجلس الجامعة العربية لإقراره بأسم الدول العربية الأعضاء ، فوافق المجلس عليه في جلسته الخامسة من دور أنعقاده العادي السابع والعشرين في ٣٠/٣/١٩٥٧ ، وبذلك أكتسب النظام الشكل القانوني النهائي

وفوض المؤتمر الدكتور طه حسين — رئيس اللجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية وعضو مجلس أتحاد المجامع — أن يشرف على تأسيس مكتب الأتحاد في القاهرة وعلى أتخاذ الخطوات التمهيدية لأجتماع مجلس الأتحاد في دورته الاعتيادية ، على أن يكون موعد الأجتماع المقبل لمجلس الأتحاد في النصف الأول من كانون الأول بمدينة القاهرة .

وهذا نص النظام المذكور :

النظام الأساسي

لأتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

(المادة الأولى) ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية أتحاد يكون مقره مدينة القاهرة .

(المادة الثانية) يتألف الاتحاد من :

أ — المجمع العلمي العربي في دمشق

ب — المجمع العلمي العراقي في بغداد

جـ — مجمع اللغة العربية في القاهرة

د — كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

هـ — متخصصين بشؤون اللغة العربية ، تختارهم حكومات الدول العربية التي ليس فيها مجامع لغوية علمية

(المادة الثالثة) أهداف الاتحاد :

أ — تحقيق نهضة لغوية شاملة ، تيسر اللغة العربية لاستيعاب العلوم الحديثة والتعبير الصحيح عن حاجات المدنية الحاضرة

ب — تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية ، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي العلمي

جـ — العمل على توحيد المصطلحات العلمية العربية ، ونشرها

(المادة الرابعة) يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى « مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية » تكون له شخصية معنوية ، ويؤلف على الصورة الآتية :

أ — ثلاثة أعضاء عن كل مجمع لغوي علمي ، يختارهم المجمع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

ب — رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية

جـ — مدير الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية

د — مندوب متخصص عن كل دولة عربية ليس فيها مجمع لغوي علمي ، تعينه حكومته .

(المادة الخامسة) — يتناوب أعضاء المجامع في مجلس الاتحاد رئاسته كل سنة بحسب الحروف الهجائية لبلادهم .

(المادة السادسة) ينتخب أعضاء مجلس الاتحاد أميناً للاتحاد من أعضائه المجمعيين المقيمين في مقره ، يكون انتخابه لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

(المادة السابعة) — يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع المجلس بدعوة من أمين الاتحاد بناء على طلب مجمعين على الاقل في دورة غير عادية عند الضرورة

(المادة الثامنة) تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الاغلبية المطلقة للاعضاء ، وتصدر القرارات بالاغلبية المطلقة للحاضرين ، وفي حالة تساوي الاصوات يرجح الجانب الذي ينضم اليه الرئيس .

(المادة التاسعة) اختصاص المجلس :

أ — النظر في الاعمال السنوية لمكتب الاتحاد ، وإقرارها

ب — النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية ، وإقرارها

ج — تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية ، وتنسيق جهودها

د — وضع الأنظمة الداخلية اللازمة لسير العمل

هـ — وضع المشروعات التي تحقق أهدافه ، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد بشأن الخطوات التنفيذية

و — دراسة المصطلحات الحديثة التي ترد من المجامع ، واقتراح توحيد المختلف عليه منها ، واحالته على مكتب الاتحاد لعرضه على المجامع بغية إقراره

ز — النظر في الاقتراحات المتصلة بأهدافه التي تقدمها الأمانة العامة للجامعة والحكومات العربية والمجامع والجامعات والاتحادات العلمية والجماعات والأفراد ، وإقرار ما يرى فائدة في تنفيذه منها

ح — تنظيم عقد مؤتمرات دورية للدراسات العربية والإسلامية ، يشترك فيها أعضاء المجامع والعلماء المتخصصون ، وتسهم في نفقاتها الحكومات العربية .

(المادة العاشرة) ينشأ في مقر الاتحـاد مكتب يديره أمين الاتحاد ، ويستعين بموظفين تنتدبهم له الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

(المادة الحادية عشر) اختصاص مكتب الاتحاد :

أ — تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ، ومتابعتها ، وتصريف الأمور الإدارية والمالية .

ب — تقديم تقرير سنوي عن أعماله الى مجلس الاتحاد

جـ — اعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د — تحضير ميزانية المجلس وعرضها عليه ، وتسلم الواردات ، وتصفية النفقـات فى حدود الميزانية المقررة

(المادة الثانية عشرة) تتكون مالية الاتحاد من الموارد الآتية :

أ — الإعانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

ب — الهبات التي تقدمها الجماعات والأفراد ، وتوافق على قبولها الأمانة العـامة للجامعة العربية

(المادة الثالثة عشرة) النفقات :

أ — مكافأة أمين الاتحاد

ب — نفقات السفر لأعضاء مجلس الاتحاد ذهاباً وإياباً ، ونفقات إقامتهم في أثناء الاجتماع السنوي للمجلس .

جـ — نفقات تنفيذ المشروعات التي يقرها مجلس الاتحاد

(المادة الرابعة عشرة) يجوز لمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه ، على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهـة للاجتماع ، بشرط أن يقر مجلس الجامعـة هذا التعديل .

(المادة الخامسة عشرة) يعمل بهذا النظام اعتباراً من تاريخ موافقـة مجلس جامعـة الدول العربية عليه

*
* *

الموازنة - قرر المجمع في جلسته الثانية المنعقدة في ١٣/١٠/١٩٥٦ أن تكون موازنته لسنة ١٩٥٧ المالية كالموازنة التي أقرها لسنة ١٩٥٦ المالية ، ثلاثة عشر ألف دينار ، يخصص منها (٧٫٧٥٠) ديناراً بطبع الكتب ، وتملك حقوق التأليف والترجمة والتحقيق ، وشراء كتب مطبوعة ومخطوطة لخزانة كتب المجمع ، وإمداد الشعبة الفنية بما تحتاج اليه من لوازم لتصوير المخطوطات أو طبع « أفلام » أو تكبيرهـا له وللهيآت الرسمية والباحثين ، وشراء ما تحتاج المطبعة اليه من حروف وأدوات وورق وحفر رواسم (كلايش) ، ومخصصات شهرية للأعضاء العاملين ، ونفقات بناء غرف جديدة تضاف الى الغرف المنشأة في الأرض التي تملكها بالوزيرية ، وغير ذلك من نفقات يراعى في إنفاقها الاقتصاد جهد الطاقة

أما بقية المبلغ وهو « ٥٢٥٠ » ديناراً فرواتب ومخصصات للموظفين والمستخدمين .

مطبوعاته - أنجز المجمع خلال هذه المدة طبع هذا الجزء من المجلة ، والجزء السادس من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام في الحياة الدينية للعرب قبل الإسلام ، وشرع في طبع الجزء السابع منه . وأنجز كذلك طبع كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لنصر الله ابن الأثير ، وطبع كتاب منازع الفكر الحديث تأليف جود وترجمة الأستاذ عباس فضلي خماس رحمه الله ، وأشرفت مطبعته على انجاز كتاب إكمال الكمال لابن الصابوني

وقد قدمت اليه خلال هذه المدة طلبات عدة للمساعدة أو لشراء حقوق التملك ، فأحالها على لجان فرعيـة اختصاصية لدرسها ، منها : كتاب رسائل ضياء الدين بن الأثير بتحقيق الأستاذ أنيس الخوري المقدسي ، وقد قرر إعطاءه منحة مالية تمكنه من نشره ، ومنها : كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة في الكتب والمصنفات لأبي حمزة البصري بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وقد قرر المجمع طبعه على حسابه ومنح محققه ثلث ما يطبعه من النسخ

وقرر في جلسته الخامسة عشرة في ٢١/١/١٩٥٦ نشر كتاب الأوائل لأبي الهلال

العسكري ، وعهد تحقيقه الى الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري والدكتور مصطفى جواد بعد أن ييسر لهما أصح نسخ الكتاب ، وقرر أيضاً ترجمة كتاب ألف بالانكليزية عن الخطاط العراقي علي بن هلال المعروف بابن البواب ، وعهد بذلك الى السيد كوركيس عوّاد .

والمجمع حريص على مساعدة كل مؤلف أو مترجم أو محقق ، من غير تفريق أو تمييز بين عراقي وغير عراقي ، عربي أو غير عربي ، متى وجد في عمله الدقة والعلم والجهد

المصطلحات العلمية — استمر المجمع في بحث بقية مصطلحات معهد الاحصاء الدولي لتعليم الإحصاء في بيروت حتى بلغ المصطلح الـ ٥٩٤ من مصطلحات القائمة التي تبلغ « ٦١٩ » مصطلحاً ، وهو يأمل أن ينتهي منها قبل عطلته التي ستبدأ في أول تموز

وقد كتب في أثناء هذه المدة الى وزارة الاقتصاد طالباً منها التوسط لدى شركات النفط لإرسال ما عندها من مصطلحات فنية مشروحة شروحاً فنية موجزة ، ليضع لها ألفاظاً عربية ، فوجهت الوزارة كتاباً بذلك الى الشركات العاملة في العراق ، ولما تصل أجوبتها اليه

المحاضرات — استهل موسم محاضرات المجمع لهذه السنة في مساء ١٩٥٦/١٢/٢٧ بمحاضرة للدكتور ناجي الأصيل في « النشاط الآثاري في العراق وأثره في تفهم الحضارة البشرية » ، وكانت المحاضرة الثانية في ١٩٥٧/١/٢٩ للدكتور هاشم الوتري في « الدماغ والذاكرة من ناحيتي الفلسفة والطب » ، والثالثة في ١٩٥٧/٦/١ الدكتور مصطفى جواد في « الفتوة وتطورها » .

أعمال الشعبة الفنية — صورت الشعبة الفنية طائفة من المخطوطات لخزانة كتبه تمهيداً لتحقيقها أو للمحافظة عليها من التلف لما لها من خطورة الشأن ومن هذه المصورات كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري ، وقد قرر المجمع نشره كما قدمت ، وكتاب النكت الظريفة على قصيدة عبد الباقي العمري في مدح الإمام أبي حنيفة ، وشرح رسالة الآداب الحنفية ، ومنتخب الجمان من نكت الهميان للصفدي ، والروضة الفيحاء في تأريخ العلماء ، وجامع المتفرقات ، ومقدمة

ديوان أحمد فارس أفنـــدي ، ومجموع الأمير منحك باشا ، وحاشية على مقامات الحريري ، والتعرف في الأصلين والتصوف لشهاب الدين أحمد بن حجر المكي ، وبناء المقالة العلوية ، والفتاوى العطائية ، وكتاب الشفاء في الموسيقى ، وكتاب المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات لأبن الأثير ، وكتاب المجموع من أبحاث الحافظ أبي طـاهر السِّلَفِي

وقد أمر المجمع بتصوير الصفحات الأولى والأخيرة منها لحفظها في خزانة كتبه ، لأهميتها من ناحيـة الخط ، لأنها مكتوبة بأيدي المؤلفين ، أو بأيدي كبار العلماء العراقيين ، أو لوجود ملاحظات وتواقيع عليها لمشاهير العلماء

كذلك قامت الشعبة بمساعدة العلماء والباحثين من عراقيين وغيرهم في تصوير المخطوطات ، أو تكبير « الأفلام » المرسلة من الخارج اليهم

وأتصل بمديرية الأوقاف العامة ببغداد لإعارته عدداً من المخطوطات المحفوظة في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة ببغداد وكتب بعض المساجد العراقية لتصويرها لخزانته أو للعلماء والباحثين العراقيين وغيرهم ، فلبته مشكورةً ، وأرسلت اليه ما طلب من مخطوطات ، فصورها بعناية ودقة ، ثم أعاد اليها الأصول شاكراً ، كما أخذ على عاتقه تسليم النسخ المصورة الى طالبيها مسجلة بالبريد أو بواسطة بريد وزارة الخارجية ، وبين طالبي تصوير المخطوطات مؤسسات رسمية علمية ، منها : المعهد الشرقي بجامعة لايدن الهولندية ، ومعهد المخطوطات العربية بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وقد صور لها قسم الموسيقى من كتاب الشفاء ونسخة خطية لتأريخ الجبرتي ، ومنها الجامعة الاميركية ببيروت ، ومعهد الفنون الجميلة ببغداد

وأرسل المجمع صوراً من خطوط مشاهير العلماء العراقيين طلبها الأستاذ السيد خير الدين الزركلي الوزير السعودي المفوض في الجامعـة العربية لنشرهـا في طبعته الجـــديدة لـكتابه (الأعلام) ، وقد قدمها المجمع هدية اليه

المهاداة — وقـد وردت خلال هذه المدة على المجمع طلبات عديدة من الجامعات العربية

والأجنبية ودور الكتب العامة تستهديه مطبوعاته ، فأهدى منشوراته الى خزانة كتب بلدية حلب العامة ، وخزانة كتب معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية ، وخزانة كتب جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بلبنان ، وخزانة كتب المعهد الشرقي بجامعة هارفرد الامريكية بمدينة كمبردج ببوستن ، وخزانة كتب جامعة « مكيل » بتورنتو بكندا ، والمكتبة العمومية بالرباط ، والمكتبة القروية بفاس ، والمكتبة اليوسفية بمراكش ، والمكتبة الوجدية بوجدة ، والمكتبة المكناسية بمكناس ، ودار الكتب الوطنية بتونس ، والمكتبة الزيتونية بجامع الزيتونة بتونس ، وكتب المكتبة الخلدونية بتونس ، وخزانة كتب معهد الدراسات العليا بتونس ، والمكتبة العتيقة بالقيروان ، وخزانة كتب الأوقاف بطرابلس

كما قرر اهداءها الى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك الدول العربية ورؤسائها ورؤساء وزاراتها

هذا ، وقد أرسلت بعض دور النشر الأجنبية مطبوعاتها هدية منها الى المجمع ، وفي جملتها مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بالقاهرة ، والمعهد الافرنسي بدمشق . وتفضل عدد من أفاضل المؤلفين من العراقيين وغيرهم بأهداء ما نشروه اليه .

بناية المجمع — فرغ المجمع من بناء خمس غرف جديدة قرر اضافتها الى ما أنشأه من قبل في الأرض التي تملكها بالوزيرية حيث أنشأ مطبعته ، وشرع في نقل مقره اليها من دار الكراء بشارع الزهاوي ، وهو يأمل أن تحقق له وزارة المعارف احياء مشروعه القديم ، وهو انشاء بناية تليق به وبكرامة العراق ، فالبناية الجديدة انما هي أجنحة بسيطة بنيت بصورة مؤقتة أنتظاراً لإدخال الوزارة مشروع بناية المجمع في جدول أعمالها البنائية ، وقد كلفت الوزارة قديماً الجهات الفنية وضعَ المخططات اللازمة للبناء ولكن العمل لسبب ما توقف ، والداعية الى انشاء دار حديثة للمجمع شديدة بعد أن أثبت المجمع وجوده ، وصار حقيقة من حقائق العراق الحديث ومثابة للعلماء يفد اليها كل مستشرق أو عالم أو باحث عربي أو أجنبي يؤم بغداد .

المطبعة — لم يتمكن المجمع خلال السنة الماضية وخلال هذه السنة من التوسع في المطبعة ، ولا في شراء شيء لها وكان قد قرر شراء آلة « لاينوتايب » عربية وافرنجية لتقوم بتنفيذ حاجاته المتزايدة في الطبع ، غير أنه أضطر الى ارجاء تنفيذ هذا القرار لقلة المال لديه ، وأكتفى بالأستمرار على الوضع القائم والسير على مستواه الحالي في الطباعة الى السنة المالية المقبلة ، انتظاراً لزيادة مخصصاته زيادة تمكنه من شراء ما يحتاج اليه من آلات وأدوات يرفع بها مستوى الطباعة في هذا البلد .

جوائز المجمع — لم يتمكن المجمع بسبب أحواله المالية من الأستمرار على وضع جوائز مالية للمؤلفين والناشرين والمترجين كما كان يفعل في السابق ، وهو آسف بالطبع على ذلك ، غير أنه ما زال مستمراً في ارصاد جوائزه التي تمنح للأوائل من طلاب الكليّات العراقيه في كل عام .

ديوان الرئاسة — يتألف ديوان الدئاسه في هذه السنة من الرئيس الأستاذ منير القاضي ، ونائب الرئيس الأول الأستاذ محمد بهجة الأثري ، ونائبه الثاني الدكتور مصطفى جواد ، و « السكرتير » الدكتور جواد علي وواجبه النظر في المسائل الإدارية والماليه للمجمع ، وأتخاذ قرارات بشأنها ، لتيسير أعماله ، وليتسنى لمجلس المجمع الأنصراف التام الى واجباته العلمية المعينة في نظامه .

لجنة المجلة — وتتولى الإشراف على مقالات المجلة ، التي يقدمها الى المجمع كتاب من غير أعضائه ، لجنة قوامها : الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والأستاذ محيي الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جواد علي .

والأستاذ محمد بهجة الأثري هو المشرف على تحرير لغة هذه المقالات وعلى الإخراج والطبع

جواد علي

فهرست الجزء الثاني من المجلد الرابع

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

الكتب

الأنباء والآراء